معارج القبول

بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول

في التوحيد

تأليف
الشيخ / حافظ بن أحمد حكمي
١٣٤٢ - ١٣٧٧ هـ

خرج أحاديثه
أحمد السيد أحمد علي

الجزء الأول

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر سيدنا الحسين ت ٥٩٠٤١٧٥ / ٥٩٢٢٤١٠

معارج القبول

بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد

تأليف

الشيخ: حافظ بن أحمد حكمي

(١٣٤٢ - ١٣٧٧هـ)

الجزء الأول

خرج أحاديثه

أحمد السيد سيد أحمد على



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٠٤١٧٥ ٥٩٢٢٤١٠

المكتبة التوفيقية

القاهرة – مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر – سيدنا الحسين
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ – ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo-Egypt
Add.: In Fornt of the Green Door Of El Hussen
Tel. : (00202) 5904175 - 5922410
Fax : 6847957

إشراف

توفيق شعلان

مقدمة المحقق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن كتاب «معارج القبول» الذي ألفه الشيخ «حافظ أحمد الحكمي» أجزل الله له الأجر والثواب، وغفر له ولمن اطلع على كتابه وانتفع منه ـ قد جاء بديعًا في معناه: من بيان التوحيد ببراهينه، وجمع جملاً من أدلته لإيضاحه وتبيينه حفاظًا على عقيدة الإسلام وصونًا لها، ودفعًا لصولة أعدائها، مما جعله يستقصي في الإتيان بالأدلة الصحيحة الصريحة الواضحة من مصدرها الذي يجب على كل مسلم تعظيمه، والتسليم له ألا وهو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وأتى بأقوال الصحابة استئناسًا بهم.

وهذا الكتاب في عقيدة السلف الصالح عقيدة تجمع ولا تفرق، لها من الخصائص العظيمة ما لم ولن يتوافر فيما سواها من العقائد المنحرفة، المحرفة التي ضلت الطريق القويم بإطراح دلالة الوحي، والجري وراء عقليات سطحية، وفلسفات عقيمة، أدت إلى تعطيل صفات الكمال لله، وإلى نفي القدر والقول بالجبر، والتكفير لعصاة الأمة ونفي الغيبيات الثابتة وغير ذلك من الانحرافات.

أما عن عقيدة الشيخ «حافظ رحمه الله» فإنه يعتقد بأن الله واحد لا شريك له ولا

وزير، ولا شبيه ولا نظير، ولا عدل ولا مثل، وأنه عز وجل موصوف بصفاته القديمة التي نطق بها كتابه العزيز وصح بها النقل عن نبيه وخيرته من خلقه محمد سيد البشر، وأمرَّ الآيات والأحاديث كما قال الله في كتابه وصح عن نبيه دون تعرض لكيفية، أو اعتقاد شبهة أو مثلية أو تأويل يؤدي إلى تعطيل.

ثم شرع في تفصيل الصفات بإيراد أدلتها من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة مثل العلو والاستواء والنزول . . . إلخ فهو ـ رحمه الله ـ يعتقد بأن الله في السماء مستو على عرشه كما صح من حديث الجارية وغيره. . . ويعتقد بأن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل ويوم عرفة وليلة النصف من شعبان.

وقد أمر الأخبار والآثار الصحيحة من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول وهكذا في بقية الصفات إثبات مقرون بالتحذير من التشبيه والتعطيل وهذا هو مذهب السلف الذي به يقولون وعنه ينافحون، وهذا هو المنهج الذي سار عليه الشيخ «حافظ» فهو سلفي العقيدة منهجًا وتقريرًا، وجميع ما في كتابه هذا دليل على ذلك فقد اشتمل على بيان مجمل لعقيدة السلف بأسلوب تميز بالالتزام بمنهج الوحي وعدم تجاوزه.

أما عن عملي في الكتاب فقد قمت بتخريج الأحاديث التي وردت في الكتاب والرجوع إلى المصادر التي استند إليها.

ولا أنسى أن أقدم الشكر إلى كل من ساعدني في ضبط الكتاب وتخريج أحاديثه وكل من أسدى إليَّ بنصيحة أو ساندني بكلمة فإنه من لم يشكر الناس لم يشكر الله، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. فإن وفقت فالفضل يرجع إلى الله عز وجل، وإن كانت الأخرى وأسأل الله أن يعافني من الزلل والخطأ ـ فذلك مني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.

ولا أنسى أن أقول قولة العماد الأصفهاني ـ رحمه الله ـ: «ما كتب أحد في يومه كتابًا إلا قال في غده: لو زيد كذا لكان أحسن، ولو حذف كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، ولو أضيف كذا لكان يستصوب، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له ولي من الذل وما كان معه من إله، الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه، المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه، ، ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير. عالم الغيب والشهادة الذي استوى في علمه ما أسرّ العبدُ وما أظهر، الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها. كيف لا وهو الذي خلق وقدّر، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين، الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين، الذي وسعت رحمته كل شيء وبها يتراحم الخلائق بينهم، كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير. الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ولا شريك له في ملكه ولا معين، المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة والهداية والإضلال، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، لا رادَّ لقضائه ولا مضادَّ لأمره ولا معقب لحكمه، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين، له ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير. القدوس السلام الذي اتصف بصفات الكمال، وتقدس عن كل نقص ومحال، وتعالى عن الأشباه والأمثال، حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. المؤمن الذي آمن أولياءَه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخرة عذاب

الهاوية، وآتاهم في هذه الدنيا حسنة وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية، المهيمن الذي شهد على الخلق بأعمالهم وهو القائم على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية، إنه بعباده لخبير بصير. العزيز الذي لا مغالب له ولا مرام لجنابه، الجبار الذي له مطلق الجبروت والعظمة وهو الذي يجبر كل كسير مما به، المتكبر الذي لا ينبغي الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه، العظمة إزاره والكبرياء رداؤه، فمن نازعه صفة منها أحل به الغضبَ والمقت والتدمير. الخالق البارئ المصوِّر لما شاء إذا شاء في أي صورة شاء من أنواع التصوير، هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير، خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير، ما خَلْقكم وما بَعْثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير. الغفار الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئًا لأتاه بقرابها مغفرة، القهار الذي قصم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره، الوهاب الذي كل موهوب وصل إلى خلقه فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة، الرزاق الذي لا تنفد خزائنه ولم يغض ما في يمينه، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ماذا نقص من فضله الغزير. يرزق كل ذي قوت قوته ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيرًا متقنًا محكمًا، يرزق من هذه الدنيا من يشاء من كافر ومسلم أموالاً وأولادًا وأهلاً وخدمًا، ولا يرزق الآخرة إلا أهل توحيده وطاعته، قضى ذلك قضاء حتمًا مبرمًا، وأشرف الأرزاق في هذه الدار ما رزقه عبده على أيدي رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبيين الهدى المستنير. الفتاح الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم، يفتح على هذا مالاً وعلى هذا ملكًا وعلى هذا علمًا وحكمة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [فاطر: ٢]، العليم الذي أحاط علمه بجميع المعلومات من ماضٍ وآتٍ وظاهرٍ وكامنٍ ومتحركٍ وساكنٍ وجليلٍ وحقير. علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار في العذاب المهين، وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا

يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. ما من جبل إلا ويعلم ما في وعره، ولا بحر إلا ويدري ما في قعره وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، وما يُعمر من معمرٍ ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، إن ذلك على الله يسير. القابض الباسط فيقبض عمن يشاء رزقه فيقدره عليه، ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه، وكذا له القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم، كل ذلك إليه، إذ هو المتفرد بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير. الخافض الرافع، الضار النافع المعطي المانع فلا رافع لمن خفض ولا خافض لمن رفعه ولا نافع لمن ضر ولا ضار لمن نفعه ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما هو مانع، فلو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه أو ضر من هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع. ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧] المعز المذل الذي أعز أولياءه المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأيدهم بنصره المبين وبراهينه القويمة المتظاهرة، وأذل أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصغار وجعل عليهم الدائرة فما لمن والاه وأعزه من مذل وما لمن عاداه وأذله من ولي ولا نصير. السميع البصير لا كسمع ولا بصر أحد من الورى، القائل لموسى وهارون إنني معكما أسمع وأرى، فمن نفى عن الله ما وصف به نفسه أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذبًا وقد خاب من افترى، ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الحكم العدل في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولاً وفعلاً إن ربي على صراط مستقيم. فلا يحيف في حكمه ولا يجور، وما ربك بظلام للعبيد. الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرمًا ووعد الظالمين الوعيد الأكيد، وفي الحديث «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»(١). ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وهو الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا بل يحصي عليهم الخردلة والذرة

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ٢٠٥ (ك: التفسير، باب: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ح /٤٦٨٦).

أخرجه مسلم ٥/ ١٩٩٧ (ك:البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ح/ ٢٥٨٣).

أخرجه الترمذي ٨/ ٤٥٠ (ك التفسير، باب: ومن سورة هود، ح/ ٣١١٠).

وابن ماجه ٢/ ١٣٣٢ (ك: الفتن، ب/ العقوبات ح/ ٤٠١٨).

والفتيل والقطمير. اللطيف بعباده معافـاة وإعانة وعفواً ورحمة وفضلاً وإحسانًا، ومن معاني لطفه إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بها خبرة تفصيلاً وإجمالاً وسراً وإعلانًا، الخبير بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم ماذا عملوا وكيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا حقيقة وكيفية ومكانًا وزمانًا، ﴿إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦] الحليم فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب، بل يعافيهم ويمهلهم، ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو التواب العظيم. الذي اتصف بكل معنى يوجب التعظيم وهل تنبغي العظمة إلا لرب الأرباب، خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء، وذل لعزته وكبريائه كل كبير. الغفور الشكور الذي يغفر الكثير من الزلل، ويقبل اليسير من صالح العمل، فيضاعفه أضعافًا كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل، وكل هذا لأهل التوحيد، أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير. العلي الذي ثبت له كل معاني العلو، علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات، الذي استوى على عرشه، وعلا على خلقه بائنًا من جميع المخلوقات، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسوله ﷺ في أصح الروايات، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم ولا نكير. الكبير الذي كل شيء دونه والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه كما أخبر بذلك عن نفسه نصًا بينًا محكمًا، الحفيظ على كل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما، حفظ أولياءه في الدنيا والآخرة ونجاهم من كل أمر خطير. المغيث لجميع مخلوقاته فما استغاثه ملهوف إلا نجَّاه، الحسيب الوكيل الذي ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه، ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه، ومن يتوكل على الله فهو حسبه فنعم المولى ونعم النصير. الجليل الذي جل عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال، الجميل الذي له مطلق الجمال في الذات والصفات والأسماء والأفعال، الكريم الذي لو أن أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر(١)، كما روى عنه نبيه المصطفى المفضال، ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالإحسان والذنب بالغفران، ويقبل التوبة ويعفو عن التقصير. الرقيب على عباده بأعمالهم، العليم بأقوالهم وأفعالهم،

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤)، ك: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الظلم ح: ٢٥٧٧.
وذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ٢/ ٣١، (ك: الدعوات، ب/ الاستغفار والتوبة ح/ ٢٣٢٦).

الكفيل بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم، المجيب لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير. الواسع الذي وسع كل شيء علمًا، ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرمًا وحلمًا، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير. الحكيم في خلقه وتدبيره إحكامًا وإتقانًا، والحكيم في شرعه وقدره عدلاً وإحسانًا، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ومن أكبر من الله شهادة وأوضح دليلاً وأقوم برهانًا. فهو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل، فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. الودود الذي يحب أولياءه ويحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات، المجيب لدعوة الداعي إذا دعاه في أي مكان كان وفي أي وقت من الأوقات، فلا يشغله سمع عن سمع ولا تختلف عليه المطالب ولا تشتبه عليه الأصوات، فيكشف الغم، ويذهب الهم ويفرج الكرب، ويستر العيب وهو الستير. المجيد الذي هو أهل الثناء كما مجد نفسه وهو الممجد على اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع التمجيد، الباعث الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه إنه هو الفعال لما يريد، الشهيد الذي هو أكبر كل شيء شهادة وكفى بالله شهيدًا، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد، هو الحق وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير. القوي المتين الذي لم يقم لقوته شيء وهو الشديد المحال، الولي للمؤمنين فلا غالب لمن تولاه وإذا أراد بقوم سوءًا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال، الحميد الذي ثبت له جميع أنواع المحامد، وهل يثبت الحمد إلا لذي العزة والجلال، فله الحمد كما يقول وخيرًا مما نقول لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وكيف يحصي العبد الضعيف ثناء على العلي الكبير. المحصي الذي أحصى كل شيء عددًا وهو القائل: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] المبدئ المعيد الذي قال وهو أصدق القائلين: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وأنى يعجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئًا، كل يعلم ذلك ويقر به بلا نكير. المحيي المميت الذي انفرد بالإحياء والإماتة فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محييها أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنًا وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة الخالق العلام، الحي الدائم الباقي الذي لا يموت وكل ما سواه زائل كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] القيوم الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به، ومن آياته أن تقوم

السماء والأرض بأمره فلا يحتاج إلى شيء إليه فقير. الواحد الأحد الذي لا شريك له في إلهيته وربوبيتـه وأسمائه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمـته وكبريائه وجلاله، لا ضد له ولا ند ولا شبيـه ولا كفؤ ولا عديل. الصمد الذي يصمد إليـه جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم فهو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب، فإليه منتهى الطلبات، ومنه يسأل قضاء الحاجات، وهو الذي لا تعتريه الآفات، وهو حسبنا ونعم الوكـيل. فهـو السيـد الذي قد كـمل في سـؤدده، والعظيم الذي قد كـمل في عظمته، والحليم الـذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كـمل في علمه، والحكيم الذي قد كـمل في حكمته، وهو الذي قد كـمل في صفات الكمـال، ولا تنبغي هذه الصفات لغيـر الملك الجليل. القادر المقتدر الذي إنما أمره إذا أراد شـيئًا أن يقول له كن فيكون، ومـا كان الله ليـعجـزه من شيء في السمـوات ولا في الأرض، إنه على كل شيء قدير. المقدم المؤخر بقدرته الشاملة ومشـيئته النافذة على وفق ما قدره وسبق به علمه وتمت به كلمته بلا تبديل ولا تغيـير. الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، هكذا فسره البشير النذير، الوالي فلا منازع له ولا مـضاد، المتعالي عن الشركـاء والوزراء والنظراء والأنداد. البرُّ وصفًا وفعلاً ومن بره المن على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على ألسنة رسله إنه لا يخلف الميعـاد، التواب الذي يرزق من يشـاء التوبة فيـتوب عليه، وينجـيه من عـذاب السعـير. المنتـقم الذي لم يقم لغـضبـه شيء وهو الشـديد العقـاب والبطش والانتقام، العفوّ بمنّه وكـرمه عن الذنوب والآثام، الرؤوف بالمؤمنين ومن رأفته بهم أن نزل على عبده آيات مبـينات ليخرجهم من ظلمات الكفـر إلى نور الإسلام ومن رأفته بهم أن اشتـرى منهم أنفسهم وأمـوالهم بأن لهم الجنة مع كون الجمـيع ملكه ولم ينزع عنهم التوبة قـبل الحمَام[1]، فقـال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨]. مالك الملك يؤتي الملك مـن يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعـز من يشاء ويذل من يشـاء، ذي الجلال والإكـرام والعزة والبقـاء والملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء، المقـسط الذي أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب

(١) الحِمَام: الموت وقدره.

والميزان؛ ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من نصير. الجامع لشتات الأمور وهو جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، الغني المغني فلا يحتاج إلى شيء ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين، ولا تنقصه معصية العاصين من العباد. وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى بهم عن بابه طرفة عين، وهو الكفيل بهم رعاية وكفاية وهو الكريم الجواد، وبجوده عم جميع الأنام من طائع وعاص وقوي وضعيف وشكور وكفور ومأمور وأمير. نور السموات والأرض ومن فيهن كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه به محمد عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه وقال ﷺ مستعيذًا به: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[1].

فبصفات ربنا تعالى نؤمن ولكتابه وسنة رسوله نحكم وبحكمهما نرضى ونسلم، وإن أبى الملحد إلا جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [فصلت: ٤٠]. الهادي الذي بيده الهداية والإضلال فلا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**﴾ [الكهف: ١٧]، ﴿**مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الأنعام: ٣٩]، ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ**﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ**﴾ [لقمان: ٢٠]. البديع الذي أبدع السموات والأرض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته بلا معين ولا مثال، الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه فلا ابتداء لأوليته ولا لآخريته زوال، الوارث الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وإليه المرجع والمآل فبإيجاده كل موجود وجد وإليه كل الأمور تصير. الرشيد في كل أقواله وأفعاله فبالرشاد يأمر عباده وإليه يهديهم، الصبور الذي لا أحد أصبر منه على أذى سمعه، ينسبون له الولد ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم. وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شيء ثم هو يرزقهم ويعافيهم، ذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعوه ولا ضره فيضروه، وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم، ووبال عصيانهم عليهم،

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٥) وفيه ابن إسحاق مدلس وبقية رجاله ثقات، ورواه ابن جرير، (١/ ٨٠،٨١) من طريق ابن إسحاق وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٢/ ٦٩٨)، وذكره ابن هشام ٢/ ١٦، وحكم العلامة الألباني بضعف الحديث انظر فقه السيرة لمحمد الغزالي ١٣٦.

واستغنى الله والله غني حميد، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

أحمده تعالى على جزيل إنعامه وإفضاله، وأشكره على جليل إحسانه ونواله وله الحمد على أسمائه الحسنى وصفات كماله ونعوت جلاله، وله الحمد على عدله قدرًا وشرعًا، وله الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق العلي الكبير، تعالى في إلهيته وربوبيته عن الشريك والوزير، وتقدس في أحديته وصمديته عن الصاحبة والولد والوالد والولي والنصير، وتنزه في صفات كماله ونعوت جلاله عن الكفؤ والنظير، وعز في سلطان قهره وكمال قدرته عن المنازع والمغالب والمعين والمشير، وجل في بقائه وديموميته وغناه وقيوميته عن المطعم والمجير. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله البشير النذير، المرسل إلى الناس كافة بالملة الحنيفية والهدى المنير، بعثه الله عز وجل رحمةً للعالمين، وأنزل عليه كتابه المهيمن والنور المبين والهدي المستبين، والمنهج المستنير. والشرك مضطرمة ناره[1]، طائر شراره، مرتفع غباره، لا مغير له ولا نكير. فقام بتبليغ الرسالة حق القيام، وجاهد في الله حق جهاده إعلاء لكلمة الله الملك العلام، حتى جاء الحق وزهق الباطل وأدبر ليل الكفر والضلالة وانفجر الإيمان والإسلام، ونشرت أعلام التوحيد وعلا بنيانه وأشرقت أنواره، ونكست راية الشرك وانكسرت شوكته وخمدت ناره ورمى بناؤه بالدمدمة والتكسير والتدمير. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه شموس الهداية وأوعية العلم وأنصار الدين القويم وتابعيهم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] وعلى من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وسلك صراطهم المستقيم، وجعلنا من المقتدين بهم المهتدين بهديهم المتمسكين بالكتاب والسنة نقف معهما ونسير بسيرهما نسير.

أما بعد:

فاعلموا رحمكم الله أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل له وأخذ عليهم الميثاق به وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار

(١) مضطرمة: اضطرمت النار: ضرمت، ويقال: اضطرم الشر والحرب بينهم: هاج واشتد.

وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف وفيه تكون الشقاوة والسعادة وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور. وذلك الأمر هو معرفة الله عز وجل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك والتعطيل، والتشبيه والتشبه واجتناب ذلك، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وتوحيد الطريق إلى الله عز وجل بمتابعة كتابه ورسوله والعمل وفق ما شرعه الله عز وجل ورسوله ﷺ، ومعرفة ما يناقضها من البدع المضلة، ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبة ويعوذ بالله منها. فإن الله تعالى أنزل كتابه تبيانًا لكل شيء، وتفصيل كل شيء وقال: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٥]. وقال: ﴿لا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. وأرسل رسوله بذلك الكتاب مبلغًا ومبينًا ليقرأه على الناس على مكث ويبينه لهم أتم البيان ويحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، ويهديهم به إلى صراط مستقيم، فقال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء﴾ [النحل: ٨٩] وقال تعالى: ﴿ما كان حديثًا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [يوسف: ١١١] وقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [النحل: ٤٤] وقال تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [النحل: ٦٤] وقال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ [المائدة: ١٥، ١٦] ولا شفاء للقلوب والأرواح ولا حياة لها إلا بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ والاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون * ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون * يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال: ٢٠ ـ ٢٤] الآيات، وقال تعالى: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون﴾ [الأنعام: ٣٦] ولم ينج الله تعالى من عذابه ولم يكتب رحمته إلا لمن اتبع كتابه ورسوله كما قال تعالى: ﴿عذابي أصيب به

مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧] وقد كان الرسول يبعث في قومه خاصة وبعث محمد ﷺ إلى الناس كافة كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] ولم يتوفه الله تعالى حتى أكمل له الدين وبلغ البلاغ المبين، وبيّن للناس ما نزل إليهم أوضح التبيين، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، وما من طائر يطير بجناحيه إلا وقد ذكر لهم منه علما. وهدى الله به الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣] قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[١]، وكذلك هي في قراءة عبدالله وأبيّ بن كعب[٢]. وهذا التفسير مروي عن قتادة ومجاهد أيضًا[٣]. وقوله: ﴿وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم﴾ أي من بعد ما قامت الحجج عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض. وقوله تعالى: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ قال النبي ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة فنحن أول الناس

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٢) ك: التفسير، «تفسير سورة حم عسق»، وقال حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وذكره الطبري ٢/ ٣٣٤، في تفسير سورة البقرة، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٥٨٢ في تفسير سورة البقرة آية «٢١٣» وقال: أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن جريج، والبزار وابن المنذر.

(٢)، (٣) ذكره الطبري (٢/ ٣٣٤) في تفسير سورة البقرة الآية «٢١٣»، وابن كثير ١/ ٢٥٠، في تفسير سورة البقرة الآية: «٢١٣».

دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع فغداً لليهود وبعد غد للنصارى»[١]. رواه عبدالرزاق، وهو في الصحيح من طرق بألفاظ.

وعن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله تعالى: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ فاختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد، فهدى الله أمة محمد ليوم الجمعة، واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى الشرق واليهود بيت المقدس، وهدى الله تعالى أمة محمد للقبلة. واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يتكلم، ومنهم من يصلي وهو يمشي، فهدى الله تعالى أمة محمد للحق من ذلك. واختلفوا في إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت اليهود كان يهوديًا وقالت النصارى نصرانيًا وجعله الله حنيفًا مسلمًا، فهدى الله أمة محمد إلى الحق من ذلك. واختلفوا في عيسى عليه الصلاة والسلام فكذبت به اليهود وقالوا لأمه بهتانًا عظيمًا، وجعلته النصارى إلهًا وولدًا، وجعله الله تعالى روحه وكلمته فهدى الله أمة محمد ﷺ إلى الحق من ذلك، وقال الربيع بن أنس في قوله عز وجل: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾: أي عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف، أقاموا على الإخلاص لله عز وجل وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف، وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون وأن رسلهم قد بلغوهم وأنهم كذبوا رسلهم، وفي قراءة أبيٍّ بن كعب وليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ وكان أبو العالية رحمه الله تعالى يقول: في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن[٢]. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا قام يصلي من

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٤١٢) ك: الجمعة، ب: فرض الجمعة،ح:٨٧٦، ومسلم (٢/ ٥٨٥) ك: الجمعة، ب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ح: ٨٥٥، وأخرجه أحمد في مسنده (١٦/ ٢٧) ح (٨١٠٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر: هذا الإسناد هو أول صحيفة همام بن منبه، وهو إسناد صحيح من أصح الأسانيد وهذا الحديث الأول رواه عبدالرزاق ـ نفسه ـ في تفسيره ص: ٢٣، (مخطوط مصور) بهذا الإسناد، وأخرجه ابن جرير ٢/ ٣٣٩، وقال السيوطي رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم ١/ ٥٨٣.

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ١/ ٥٨٤.

الليل قال: «اللـهم رب جبريل ومـيكائيل وإسرافيـل فاطر السمـاوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عـبادك فيما كانوا فيه يختلفـون. اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١)، وفي الدعاء المأثور «اللهم أرنا الحقَّ حقًّـا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطـلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبـسًا علينا فنضل، واجعلنا للمتقين إمامًا»(٢).

اختلاف الفرق الإسلامية

واعلم أنه كمـا أخبرنا الله تعـالى عن الأمم السابقة أنهم اخـتلفوا اختلافًـا شديدًا وافترقوا افتراقًا بعيدًا، وفي ذلك أعظم واعظ وأكبر زاجر عن الاختلاف والتفرق، ولم يقتصر سبـحانه في تذكيرنا بذلك عليه بل زجرنا عن الاختـلاف زجرًا شديدًا، وتوعد على ذلك وعيدًا أكيدًا فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥،١٠٦] قال ابن عـباس ﷺ: تبـيض وجوه أهل السنة والائتـلاف، وتسودّ وجـوه أهل البدع والاختلاف(٣). ثم فصل تعـالى مآل الفريقين، وأين توصل أهلـها كل من الطريقين فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمـران: ١٠٦،١٠٧] وحذرنا عن ذلك نبينا مـحمد ﷺ الذي هو أولى بنا من أنفسنا فـقال ﷺ: «ألا وإن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا علـى ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهم الجماعة»(٤)، وفي

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤) كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح: (٧٧٠).

أخرجه الترمذي ٩/ ٣٠٢، ك: الدعوات: باب: ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل ح/ ٣٤٢٠، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. ورواه أحمد ٦/ ١٥٦، وذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٢٥١.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٢٥١، وذكره الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» ٢/ ٣٦٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو نصر في الإبانة والخطيب في تاريخه واللالكائي في السنة عن ابن عباس والسيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٩١ في تفسير الآية ١٠٦ من سورة آل عمران.

(٤) إسناده حسن: أخرجـه أبو داود (٢/ ٥٠٣، ٥٠٤)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، وأحمـد (٤/ ١٠٢) وكذا الحـاكم (١/ ١٢٨) والآجري في الشريعة ص: ١٨. وقـال الحافظ في «تخـريج الكشاف ص: ٦٣»: إسنـاده حسن. وانظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني ح (٢٠٤) ١/ ٣٥٨.

بعض الروايات «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(١).

وقد حصل مصداق ما أخبر به الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق من الافتراق، وتفاقم الأمر وعظم الشقاق فاشتد الاختلاف ونجمت البدع والنفاق. فافترقوا في أسماء الله تعالى وصفاته إلى نفاة معطلة، وغلاة ممثلة.

وفي باب الإيمان والوعد والوعيد إلى مرجئة ووعيدية من خوارج ومعتزلة.

وفي باب أفعال الله وأقداره إلى جبرية غلاة وقدرية نفاة.

وفي أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى رافضة غلاة وناصبة جفاة، إلى غير ذلك من فرق الضلال، وطوائف البدع والانتحال، وكل طائفة من هذه الطوائف قد تحزبت فرقًا وتشعبت طرقًا، وكل فرقة تكفر صاحبتها وتزعم أنها هي الفرقة الناجية المنصورة.

الفرقة الناجية

وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه، وليس أحد من هؤلاء كذلك، بل إنهم قد ضلوا من قبل وأضلّوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل. وذلك لأنه لا يعرف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه إلا من طريق سننه المروية وآثاره المصطفوية التي هي الشريعة الغراء والمحجة البيضاء، وهؤلاء من أبعد الناس عنها وأنفرهم منها، وإنما تصلح هذه الصفة لحملتها وحفاظًا ونقادها المنقادين لها المتمسكين بها، الذابِّين عنها يقفون عندها ويسيرون بسيرها، لا ينحرفون عنها يمينًا ولا شمالاً، ولا يقدمون عليها لأحد مقالاً، ولا يبالون من خالفهم ولا من خذلهم، ولا يضرهم ذلك حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى. أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة وجيش دولتها، المرابطين على ثغورها الحافظين حدودها الحامين حوزتها، وفقهم الله عز وجل للاستضاءة بنورها والاهتداء بهديها القويم، وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فآمنوا بما أخبر الله

---

(١) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» ص: ٢٠٧، ٢٠٨، والطبراني في الصغير ص ١٥٠ وقال: ولم يروه عن يحيى إلا عبدالله بن سفيان، وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه، قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٢٠٤): وهي على كل حال خير من الأبرد بن أشرس فإنه روى هذا الحديث أيضًا عن يحيى بن سعيد به، فإنه قلب متنه ...، وروى الترمذي ٣٧٩/٧ حديثًا من طريق عبدالله بن عمرو بلفظ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني ... قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب مفسر، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

به من كتابه وأخبر به عبده ورسوله محمد ﷺ في سنته، وتلقوه بالقبول والتسليم إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل وتنزيهًا بلا تحريف ولا تعطيل، فهم الوسط في فرق هذه الأمة كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

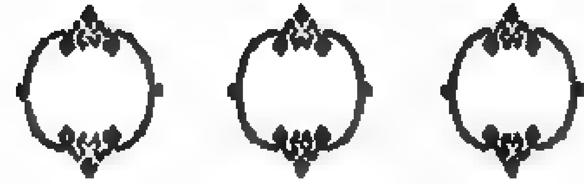
فهم والله (أهل السنة والجماعة)، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، الذين لم تزل قلوبهم على الحق متفقة مؤتلفة، وأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم على الوحي لا مفترقة ولا مختلفة. فانتدبوا لنصرة الدين دعوة وجهادًا، وقاوموا أعداءه جماعات وفرادى، ولم يخشوا في الله لومة لائم ولم يبالوا بعداوة من عادى، فقهروا البدع المضلة وشردوا بأهلها واجتثوا شجرة الإلحاد بمعاول السنة من أصلها، فبهتوهم بالبراهين القطعية في المحافل العديدة، وصنفوا في رد شبههم ودفع باطلهم وإدحاض حججهم الكتب المفيدة، فمنهم المتقصي للرد على الطوائف بأسرها، ومنهم المخلِّص لعقائد السلف الصالح من غيرها، ولم تنجم بدعة من المضلين الملحدين، إلا ويقيض الله لها جيشًا من عباده المخلصين، فحفظ الله بهم دينه على العباد، وأخرجهم بهم من ظلمات الزيغ والضلالة إلى نور الهدى والرشاد، وذلك مصداق وعد الله عز وجل بحفظه الذكر الذي أنزله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وإعلاءً لكلمته وتأييدًا لحزبه إذ يقول: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

سبب نظم المتن وتأليف الشرح

وقد سألني من لا تسعني مخالفته من المحبين، أن أنظم مختصرًا يسهل حفظه على الطالبين، ويقرب مناله للراغبين، ويفصح عن عقيدة السلف الصالح ويبين. فأجبته إلى ذلك مستعينًا بالله، راجيًا الثواب من الله، قائلاً لا حول ولا قوة إلا بالله. وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه على ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور، ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو أقبح

المحظور، وصرف جل العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والنذور، فيسر الله تعالى ذلك بمنِّه وإفضاله، وأعانني وله الحمد والمنة على إكماله.

وسميته (سُلَّم الوصول، إلى مباحث علم الأصول) فلما انتشر بأيدي الطلاب، وعظمت فيه رغبة الأحباب، سُئِل مني أن أعلق عليه تعليقًا لطيفًا، يحل مشكله ويفصل مجمله، مقتصراً على ذكر الدليل ومدلوله، من كلام الله تعالى وكلام رسوله، فاستخرت الله تعالى بعلمه، واستقدرته بقدرته، فعنّ لي أن أعزم على ذلك الأمر المسؤول، مستمداً من الله تعالى الإعانة على نيل السول، وسميته (معارج القبول، بشرح سلم الوصول، إلى علم الأصول). والله أسأل أن يعين على إكماله بمنه وفضله، وأن ينفعني وطلاب العلم به وبأصله، وأن يهدينا الصراط المستقيم، ويجعلنا من أنصار التوحيد وأهله، إنه سميع قريب مجيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



بسم الله الرحمن الرحيم

شرح مقدمة المنظومة

أبــدأ باســـم الله مســتعيـنًا　　　　راض بــه مــدبــراً مــعـيــنًا

(أبدأ) في جميع حركاتي وسكناتي وأقوالي وأعمالي وفي شأني كله ومنه هذا التصنيف (باسم الله) متبركًا و(مستعينًا) به أو إياه يتعدى بالباء وبدونه أي طالبًا منه العون على فعل طاعته وترك معصيته، كما قال تعالى معلمًا لنا في فاتحة الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقال النبي ﷺ لابن عمه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»(١). وهو خطاب شامل لجميع الأمة، وفي ضمن ذلك الأمر الواقع في جواب الشرط نهي لنا عن الاستعانة بغير الله عز وجل لأنه لا خالق للعباد وأفعالهم غيره تعالى، فإذا كان المخلوق لا يقدر على فعل نفسه إلا بما أقدرهُ الله تعالى عليه فكيف يجوز أن تطلب الإعانة منه على فعل غيره والعاقل يفهم ذلك بادئ بدء.

خلاصة القول في تفسير البسملة

والكلام على تفسير البسملة مستوفى في كتب المفسرين، ولنذكر خلاصة ذلك فنقول: الباء أداة تخفض ما بعدها، ومعناها في البسملة الاستعانة، وتطويلها في القرآن تعظيمًا لكتاب الله عز وجل، وإسقاط الألف من الاسم طلبًا للخفة لكثرة استعمالها، وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل على السقوط، ولذلك لما كتبت الألف في ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] ردت الباء إلى هيئتها.

(١) أخرجه الترمذي ٧/٢٢٨، ك: صفة القيامة، ب: رقم ٥٩، ح/٢٥١٦ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
أخرجه أحمد في مسنده ١/٤٨٢، ح٢٦٦٤، ٢٧٥٨.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٥٤١ ك: معرفة الصحابة، قال الحاكم هذا حديث كبير عال من حديث عبدالملك بن عمير رضي الله عنه إلا أن الشيخين رضي الله عنهما لم يخرجا شهاب بن خراش ولا القداح في الصحيحين، وقد روى الحديث بأسانيد عن ابن عباس غير هذا.

والاسم هو المسمى وعينه وذاته فإنك تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم، فتدعوه بأسمائه التي سمى بها نفسه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ولو كانت أسماء الله غيره لكان الداعي بها مشركًا إذ دعا مع الله غيره، ولكانت مخلوقة إذ كل ما سوى الله مخلوق، وهذا هو الذي حاوله الملحدون في أسماء الله تعالى وصفاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وسيأتي بسط القول في ذلك إن شاء الله تعالى في الكلام على الأسماء.

(الله) علم على ذاته تبارك وتعالى وكل الأسماء الحسنى تضاف إليه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] ألا ترى أنك تقول الرحمن من أسماء الله تعالى والرحيم من أسماء الله ونحو ذلك، ولا تقول الله من أسماء الرحمن، وقال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»[1]. واختلفوا في كونه مشتقًا أو لا، ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة والشافعي والخطابي وإمام الحرمين ومن وافقهم إلى عدم اشتقاقه لأن الألف واللام فيه لازمة فتقول يا الله ولا تقول يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام. وقال آخرون إنه مشتق، واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال أقواها أنه مشتق من أله يأله إلاهة، فأصل الاسم الإله. فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية وجوبًا فقيل الله، ومن أقوى الأدلة عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] مع قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] ومعناه ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا له، ومعنى أله يأله إلهة عبد يعبد عبادة فالله المألوه أي المعبود. ولهذا الاسم خصائص لا يحصيها إلا الله عز وجل، وقيل إنه هو الاسم الأعظم[2].

---

(١) أخرجه البخاري ١١/٢١٨، ك: الدعوات، ب: لله مائة اسم غير واحدة ح (٦٤١٠).

وأخرجه مسلم (٤/٢٠٦٢) ك: الذكر والدعاء، ب: أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ح (٢٦٧٧) من طريق أبي هريرة. وأخرجه الترمذي ٩/٣٨٣، ك: الدعوات، ب: ٨٦ من طريق أبي هريرة ح٣٥٠٦/، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة. ومسند أحمد ٢/٢٥٨، ٤٩٩، والبيهقي ١٠/٢٧. وابن كثير ٣/٥١٥.

(٢) ورد في أحاديث صحيحة ما هو الاسم الأعظم والأمر توقيفي لا اجتهادي، وستأتي هذه الروايات.

(الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم فالرحمن يدل على الرحمة العامة كما قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣] ذكره ابن جرير بسنده عن العزرمي بمعناه[١]. وفي الدعاء المأثور «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما»[٢].

والظاهر المفهوم من نصوص الكتاب والسنة أن اسمه الرحمن يدل على الصفة الذاتية من حيث اتصافه تعالى بالرحمة، واسمه الرحيم يدل على الصفة الفعلية من حيث إيصاله الرحمة إلى المرحوم، فلهذا قال تعالى: ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾، ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧] ولم يأت قط إنه بهم رحمن، ووصف نبيه محمدًا ﷺ بأنه رءوف رحيم فقال تعالى: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] ولم يصف قط أحدًا من خلقه أنه رحمن فتأمل ذلك، والله أعلم.

(راض) خبر لمبتدأ محذوف تقديره وأنا راض (به) أي بالله عز وجل (مدبرًا) حال من الضمير المجرور أي بتدبيره لي في جميع شؤوني، فإن أزمة الأمور بيده وهو الذي يعلم ما لا نعلم ويقدر ما لا نقدر، وهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢]. و (معينًا) لي على جميع أموري الدينية والدنيوية فإني لا أقدر إلا على ما أقدرني عليه ولا علم لي إلا ما

---

(١) انظر تفسير الطبري ١/ ٥٥، تفسير الفاتحة، والعزرمي هو عبدالملك بن أبي سليمان روى له مسلم والأربعة والبخاري تعليقًا وهو صدوق في الحديث.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠/ ١٥٤ من حديث سعيد بن المسيب عن معاذ بن جبل رقم ٣٢٣، قال في المجمع (١٠/ ١٨٦) وفيه نصير بن مرزوق ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات إلا أن سعيد بن المسيب لم يسمع من معاذ، قلت: نصر بن مرزوق هذا أورده ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤/ ١/ ٤٧٢، وقال كتبنا عنه وكان صدوقًا، وقال إنه يروي عن وهب الله بن راشد.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥١٥ كتاب الدعاء، وقال عنه قد احتج البخاري بعبدالله بن عمر النميري، وهذا حديث صحيح غير أنهما لم يحتجا بالحكم بن عبدالله الأيلي.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٨٩ باب الدعاء لقضاء الدين من طريق معاذ بن جبل، وروى من طريق آخر عن أنس بن مالك.

علمنيه فلا أعبد إلا إياه ولا أستعين إلا به ولا أتوكل إلا عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه.

القول في حمد الله وشكره والاستعانة به

والحمد لله كما هدانا   إلى سبيل الحق واجتبانا

أي (و) أثنى بحمده فأقول (الحمد لله) كما أثنى به على نفسه في كتابه فقال ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وأمر بذلك عباده فقال تعالى مخاطبًا لنبيه خطاباً يدخل فيه جميع أمته ﴿قُلِ الحَمْدُ لله﴾ [النمل: ٥٩] فله الحمد كالذي يقول وخيراً مما نقول سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، فله الحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العلى وله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة، وله الحمد في الأولى والآخرة. وعن الأسود بن سريع ﷺ قال: قلت يا رسول الله، ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى. فقال ﷺ: «أما إن ربك يحب الحمد» رواه أحمد والنسائي[١]، وعن الحكم بن عمير ﷺ وكانت له صحبة قال: قال رسول الله: «إذا قلت الحمد لله فقد شكرت الله فزادك»[٢] رواه ابن جرير. وعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»[٣] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن غريب. وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطى - يعني من هدايته للحمد - أفضل مما أخذ»[٤] رواه ابن ماجه، وللقرطبي عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٣٥، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ٤١٦/٤ كتاب النعوت، باب: الحب والكراهية ح (٧٧٤٥/ ٢) من طريق الأسود هو ابن سريع بلفظ «أما إن ربك يحب المحامد وما استزادني على ذلك» وانظر تحفة الأشراف ١/ ٧٠ من طريق الحسن البصري عن الأسود.

(٢) أخرجه ابن جرير ١/ ٦٠ في تفسير سورة الفاتحة من طريق الحكم بن عمير وكانت له صحبة، وذكره السيوطي ١/ ٣٠ وعزاه إلى الحاكم في تاريخ نيسابور والديلمي بسند ضعيف عن الحكم بن عمير.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦٤/٩، ك: الدعوات، باب ما جاء في أن دعوة المسلم مستجابة ح (٣٣٨٣) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسي بن إبراهيم، وقد روى علي بن المديني وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث.

وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٤٩) ك: الأدب، باب فضل الحامدين ح (٣٨٠٠) وأخرجه الحاكم ٤٩٨/١، ك الدعاء وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره البغوي في شرح السنة عن جابر بن عبدالله ٥/ ٤٩.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٢٥٠ (كتاب الأدب) باب: فضل الحامدين وسنده حسن ففيه شبيب بن بشر قال عنه =

«لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك»[١] قال القرطبي وغيره: أي لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا. لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٦][٢] وقال علي رضي الله عنه: الحمد لله كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن تقال[٣]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الحمد لله كلمة الشكر، وإذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي[٤]. وقال رضي الله عنه: الحمد لله كلمة كل شاكر[٥]. وقال رضي الله عنه: الحمد لله هو الشكر لله، هو استخذاء له والإقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك[٦]. وقال الضحاك: الحمد لله رداء الرحمن[٧]، وقال كعب الأحبار: الحمد لله ثناء الله[٨]. وفي معنى الحمد لله وفضلها آثار غير ما ذكرنا لا تحصى. ولما كان من أكبر نعم الله علينا، وأجل مننه الواصلة إلينا، هدايته إيانا إلى صراطه المستقيم، الذي هو دين الإسلام الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه ولا يقبل من أحد غيره، ناسب الثناء عليه بها فقلت (كما هدانا) أي على ما هدانا إرشاداً ودلالة بكتبه ورسله، وتوفيقاً وتسديداً بمشيئته وقدره (إلى سبيل الحق) وهو دين الإسلام والإيمان (واجتبانا) له، وبذلك قال تعالى ممتنًا علينا وله الحمد والمنة: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ

= الحافظ صدوق يخطئ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٢٨) عن أبي أمامة وفيه زيادة في آخره و«إن عظمت».

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ١/ ١٣١، وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

(٢) ذكره القرطبي في الجامع ١/ ١٣١ في تفسير سورة الفاتحة الآية «١».

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٠) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٠) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ذكره ابن الأثير (١/ ٢٤).

(٦) ذكره السيوطي في تفسيره (١/ ٣٠)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير (١/ ٦٠).

(٧) ذكره السيوطي في تفسيره الدر المنثور (١/ ٣١) في تفسير الفاتحة وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير.

(٨) انظر الدر المنثور للسيوطي ١/ ٣٠.

سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨] ولما كان الحمد الخبري أبلغ من الإنشائي لدلالته على الثبوت والاستمرار قدمته عليه أولاً ثم عطفت عليه الإنشائي جمعاً بينهما فقلت:

أحمده سبحانه وأشكره ... ومن مساويء عملي أستغفره

(أحمده) أي أنشيء له حمداً آخر متجدداً على توالي نعمه وتواتر فضله، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه (سبحانه) أي تنزيهًا له عما لا يليق بنعوت جلاله وصفات كماله، وهذه العبارة تتضمن معنى قوله في الحديث المتفق عليه «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»(١) (وأشكره) على ما أنعم وألهم امتثالاً لقوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

واختلف العلماء في معنى **الحمد والشكر** هل هما مترادفان أو لا، فذهب إلى ترادفهما ابن جرير الطبري صاحب التفسير وجعفر الصادق وغيرهما، وذهب جماعة من المتأخرين إلى التفرقة بينهما، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر. فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله تعالى يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١]. وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢١٠) ك: الدعوات، ب: فضل التسبيح، ح: (٦٤٠٦) ومسلم (٤/ ٢٠٧٢) ك: في الذكر والدعاء، ب: فضل التهليل والتسبيح ح ٢٦٩٤.

بالقلب واليد واللسان كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، والحمد يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه. وفي الحديث «الحمد لله رأس الشكر»[١]، فمن لم يحمد الله لم يشكره، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»[٢]، والله أعلم. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(ومن مساوىء) جمع مساءة (عملي) مضاف إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف. (أستغفره) السين للطلب أي أطلب منه مغفرة تلك المساوىء ما تقدم منها وما تأخر إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وأستعينه على نيل الرضا ... وأستمدُّ لطفه في ما قضى

(وأستعينه) أطلب منه العون (على نيل الرضا) أي على فعل الأعمال الصالحة التي بسببها ينال رضاه أن يرزقنيها وينيلني رضاه بفضله ورحمته. (وأستمد) أي أطلب منه الإمداد بأنه يرزقني (لطفه) بي (فيما قضى) وقدَّر من المصائب، وأن يجعلني راضيًا بذلك مؤمنًا به مستيقنًا أنه من عند الله وأن وقوعه خير عندي من كونه لم يقع، وأن يهدي قلبي كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، وكما قال ﷺ: «وأسألك الرضا بعد القضاء»[٣] الحديث، فإن ذلك أعلى درجات الإيمان بالقدر، وهو الرضا بالمصيبة.

القول في كلمة الشهادة

وبعد إني باليقين أشهدْ ... شهادة الإخلاص أن لا يعبدْ
بالحق مألوهٌ سوى الرحمن ... مَن جلَّ عن عيب وعن نقصان

---

(١) رواه البغوي في شرح السنة (٥/ ٥٠) ب: ثواب التحميد، من طريق عبدالله بن عمرو، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٩٧) باب في تعديد نعم الله عز وجل وشكرها.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٥) ك: الذكر والدعاء، ب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ح (٢٧٣٤)، والترمذي (٥/ ٤٥٠) كتاب: الأطعمة، باب ما جاء في الحمد إذا فرغ منه من حديث أنس بن مالك.

(٣) رواه الطبراني (١٨/ ٣١٩) من طريق أم الدرداء عن فضالة بن عبيد ح/ ٨٢٥، ورواه في الأوسط (٤٥٥ مجمع البحرين) قال في المجمع (١٠/ ١٧٧) رجالهما ثقات.

(وبعد) هو ظرف زماني يؤتى به للتنبيه على ما بعده وفصله عما قبله، ويبنى على الضم لقطعه عن الإضافة ويغني عن إعادة المضاف إليه (إني باليقين) القاطع الجازم بدون شك ولا تردد (أشهد شهادة) مصدر مؤكد (الإخلاص) مضاف إلى شهادة من إضافة الصفة إلى الموصوف (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن مستكن والتقدير أنه، والخبر (لا يعبد) بضم الياء وفتح الباء بالبناء للمفعول (بالحق) يتعلق بيعبد (مألوه) نائب الفاعل ليعبد ومعناه معبود (سوى) أداة استثناء بمعنى إلا (الرحمن) أي لا معبود بحق إلا الله عز وجل، والتقييد بحق يخرج به الآلهة المعبودة بباطل فإنها قد عبدت، والمنفي هو استحقاق العبادة عن غير الله عز وجل لا وقوعها، وهذه هي شهادة أن لا إله إلا الله، ولما لم يمكن في النظم الإتيان بلفظها نظمتها بمعناها، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط القول في تفسيرها (مَن جلَّ) في صفات كماله ونعوت جلاله (عن عيب وعن نقصان) وهما لفظان مترادفان فكل عيب يسمى نقصانًا وكل نقصان يسمى عيبًا والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك كله، بل له الجلال المطلق والكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وأن خير خلقه محمدًا ... من جاءنا بالبينات والهدى

رسوله إلى جميع الخلق ... بالنور والهدى ودين الحق

(و) أشهد (أن خير) أفضل (خلقه) هاء الضمير يعود على الرحمن (محمدًا) يدل من خير أو عطف بيان، ومعناه الكثير المحامد فهو أبلغ من محمود. (من جاءنا بالبينات والهدى) من عند الله عز وجل، هذه الجملة صلة من وهو محله النصب نعت لمحمد ﷺ والخبر (رسوله) الرسول بمعنى المرسل وهو من أوحى إليه وأمر بالتبليغ، فإن أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط، فكل رسول نبي ولا عكس (إلى جميع الخلق) كافة قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وفي الصحيح من حديث الخصائص «وكان الرسول يبعث في قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»(١). وفيه

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦٣٥) ح (٤٣٨) كتاب: الصلاة: باب: قول النبي ﷺ: «جعلت ليَ الأرض مسجدًا وطهورًا» من طريق جابر بن عبدالله. ومسلم (١/ ٣٧٠) ك: المساجد ومواضع الصلاة (ح: ٥٢١).

أيضًا: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(١). (بالنور) المبين وهو القرآن الذي قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣] الآية، وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] وغير ذلك من الآيات (والهدى) الإرشاد والدلالة إلى الصراط المستقيم، (ودين الحق) الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد غيره قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩] وكل من القرآن والرسول والإسلام يسمى نورًا وهدى وصراطًا مستقيمًا. وكل الثلاثة متلازمة تقول أرسل الله عز وجل رسوله وأنزل عليه كتابه بدين الإسلام، وتقول دين الإسلام هو الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه، وكل منها نور مبين، وهدى مستبين، وصراط مستقيم.

القول في الصلاة، والتعريف بالآل والأصحاب

صلى عليه ربنا ومجدا   والآل والصحب دواما سرمدا

(صلى عليه ربنا) قال أبو العالية: الصلاة من الله عز وجل ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، ذكره عنه البخاري(٢). ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣] وفي الصحيح من الحديث القدسي: «وإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»(٣). (ومجدا) بألف

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٣٤) ك: الإيمان، ب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ونسخ الملل بملة ح (٢٣٩) من طريق أبي هريرة.
ورواه البغوي في شرح السنة (١/ ١٠٤) باب من مات لا يشرك بالله شيئًا ح (٥٦).

(٢) انظر الفتح (٨/ ٣٩٢) ك: التفسير، ب: «إن الله وملائكته يصلون على النبي» وورد بلفظ «صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء».

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٥) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ح (٧٤٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٨) ك: الذكر والدعاء والاستغفار، باب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ح (٢٦٨٧)، والترمذي (١٠/ ٥٢) باب: في حسن الظن بالله تعالى ح (٣٦٠٣) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

الإطلاق أي شرفه وزاده تشريفًا وتمجيدًا (والآل) أي آله ﷺ وهم أتباعه وأنصاره إلى يوم القيامة كما قيل:

آل النبي همو أتباع ملته على الشريعة من عجم ومن عرب
لو لم يكن آله إلا قرابته صلى المصلي على الطاغي أبي لهب

ويدخل الصحابة في ذلك من باب أولى، ويدخل فيه أهل بيته من قرابته وأزواجه وذريته من باب أولى وأولى. (والصاحب) جمع صحابي وهو من رأى أو لقي النبي مؤمنًا به ولو لحظة ومات على ذلك ولو تخللت ردة في الأصح، وهم أفضل القرون في هذه الأمة، وسيأتي في آخر المتن الكلام على فضل بعضهم على بعض إن شاء الله تعالى.

التعريف بموضوع الكتاب

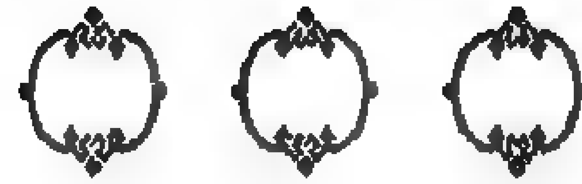
وبعد هذا النظم في الأصول لمن أراد منهج الرسول
سألني إياه من لا بد لي من امتثال سؤله الممتثل

(وبعد) تقدم الكلام عليه قريبًا، أي وبعد الشهادتين والصلاة والسلام على محمد ﷺ وآله وصحبه (هذا النظم) الألف واللام للعهد الحضوري، موضوعه (في الأصول) والمراد بها هنا أصول الدين من الإيمان بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وأركان الإسلام الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج وما يتعلق بكل منها، والكلام على رسالة نبينا محمد ﷺ وما يتعلق بها، والكلام في مسألة الخلافة، والاعتصام بالكتاب والسنة وما تحتوي عليه كل مسألة من ذلك، وسترى إن شاء الله تعالى تبيانها مفصلاً (لمن أراد) من المؤمنين (منهجِ الرسول) سبيله ومسلكه وهو ما عليه أهل السنة والجماعة. (سألني إلخ) البيت بيِّن واضح.

فقلت مع عجزي ومع إشفاقي معتمدًا على القدير الباقي

(فقلت) جواب سألني (مع عجزي) عدم قدرتي على ذلك (ومع إشفاقي) خوفي من الغلط في هذا الباب الذي المسألة منه أكبر من الدنيا وما فيها، وذلك

لقصــر باعي وقلة اطلاعي، والذي قوى عزمــي على ذلك هو كوني (معتـمدًا) أي متوكلاً (على القدير) الذي لا يعجزه شيء فـي السموات ولا في الأرض (الباقي) الذي كل شيء هالك إلا وجهـه له الحكم وإليه ترجعون، ومن يتـوكل على الله فهو حسـبه، وما توفـيقي إلا بالله عليـه توكلت وإليه أنيب، ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



مقـدمـة

تعرُّف العبد بما خلق له، وبأول ما فرض الله تعالى عليه وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم، وبما هو صائر إليه

اعلم بأن الله جل وعــلا — لم يترك الخلق سدى وهملا
بل خلق الخلق ليعبدوه — وبـــالإلهيـــة يـــفـــردوه

(اعلم) كلمة يأتى بها للاهتمام وللحث على تدبر ما بعدها، والخطاب بها في هذا الموضع لكل المكلفين. (بأن الله جل) شـأنه وتنزه عن كل نقص (وعلا) بكل مـعاني العلوّ (لم يترك الخـلق سدى) ولا (هملا) أي لا يأمـرهم ولا ينهاهم في الدنيـا ولا يبعثهم فـيجاريهم في الآخرة، لأنه تعالى ما خلقـهم إلا بالحق لا عبثًا ولا باطلاً، بل لحكمة بالـغة يستـحق عليها الحـمد، قـال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ أي الخلق ﴿بَاطِلاً﴾ لا بل بالحق، ليجزى الذين أساءوا بما عـملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فـقالوا ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي عن أن تخلق شـيئًا باطـلاً تباركت وتعالـيت. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٣، ٤] يخبر تـعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السـموات بما حوت، والعـالم السفلي وهو الأرض بما حوت، وأن ذلك مـخلوق بالحق لا للعبث، ثم نزّه تعالى نفسه عن شـرك من عبد معه غيره وهو المسـتقل بالخلق وحده لا شريك له، فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له. ثم نبه تعالى على خلق جنس الإنسان من نطفة أي مـهينة ضـعيفـة، فلما استـقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعـالى ويكذبه ويحارب رسله، وهو إنمـا خلق ليكون عبداً لا ضـداً، وهذا كقـوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٦ـ ٧٨] وقال تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثًا بلا قصد ولا إرادة منا ولا حكمة لنا، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ أي لا تعودون في الدار الآخرة، لا، ليس الأمر كذلك، إنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ثم نبعثكم ليوم لا ريب فيه فنجازي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهذا يقوله تعالى لأهل النار توبيخًا وتقريعًا وتبكيتًا بعدما رأوا الحقائق عين اليقين. ثم قال تعالى منزهًا نفسه عما حسبوه ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أي تقدس أن يخلق شيئًا عبثًا فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧] يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثًا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر، وليس الأمر كما يظنه الذين كفروا الذين لا يرون بعثًا ولا معاداً وإنما يعتقدون هذه الدار فقط ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم، ثم بيّن تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلابد من دار أخرى يثاب فيها هذا المتقي ويعاقب فيها هذا الفاجر. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لابد من معاد وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلابد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا المظلوم من هذا الظالم، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار، فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة(١).

وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨] يقول تعالى منبهًا على التفكر في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها وأنه لا إله غيره ولا رب سواه فقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾ يعني به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله عز وجل الأشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة فيعلموا أنها ما خلقت

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣) في تفسير سورة ص.

سدىً ولا باطلاً بل بالحق وأنها مـؤجلةٌ إلى أجلٍ مسمى وهو يوم القيامـة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨] وقال تعـالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [العنكبوت: ٤٤] أي للحق وإظهار الحق لا على وجـه العبث واللعب ﴿إن في ذلك﴾ أي في خلقها ﴿لآية﴾ أي لدلالة ﴿للمؤمنين﴾ على أنه تعالى المتفـرد بالقدر والخلق والتـدبير والإلهـية. وقـال تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [العنكبوت: ٤٤]. أي بالعدل ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي لا على وجه العبث واللعب ﴿وأجل مسمى﴾ أي وإلى مدة معـينة مضروبة يعني يوم القـيامة وهو الأجل الذي تنتـهي إليـه السـموات وهو الإشـارة إلى فنائهـمـا. وقال تعـالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيـامة: ٣٦] قال السـدى: يعني لا يبـعث. وقال مجاهد والشـافعي وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم: يعـني لا يؤمر ولا ينهى. قال ابن كثـير رحمه الله تعـالى: والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي ليس يتـرك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قـبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهى في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة[1].

(بل خلق) الله تعالى (الخلق ليعبدوه) عز وجل بما شرعه على ألسنة رسله وأنزل به كتـبه (و) مع عبـادتهم إياه لا يشركـون بعبـادته أحداً كائنـًا من كان بل (بالإلهـية يفردوه) دون ما سواه، فمن عبـدالله تعالى ألف سنة ثم أشرك به لحظة من اللحظات ومات على ذلك حبط جـميع عمله وصار هباءً منثوراً حيـث أشرك مع الله في عبادته من هو مثله مخلوق لعبـادة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] قال علي بـن أبي طالب رضي الله عنه: أي إلا لآمرهم أن يعـبدون وأدعوهم لعبادتي[2]. يؤيده قوله عز وجل ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] وقال علي بن أبي طلحـة عن ابن عباس رضي الله عنهما: إلا ليعبدون، إلا ليـقرُّوا بعبـادتي طوعًا أو كـرهًا[3]. وهذا اختيـار ابن جرير، وقال ابن جريج ومجـاهد: إلا ليعرفون، وقال الربيع بن أنس: أي إلا للعبـادة طوعًا أو كرهًا،

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٢) في تفسير سورة القيامة.

(٢) انظر معالم التنزيل للإمام البغوي (٤/ ٢٣٤).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٤).

وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوات وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] فهذا منهم عبادة ولا ينفعهم مع الشرك وقال الضحاك: المراد بذلك المؤمنون. اهـ. من تفسير ابن كثير. وقال الكلبي والضحاك وسفيان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين[1] يدل عليه قراءة ابن عباس: ﴿وما خلقت الجن والإنس - من المؤمنين - إلا ليعبدون﴾ ثم قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧] وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم إلا لمعصيتي. وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال: هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة، وقيل: معناه إلا ليخضعوا لي ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ومتذلل لمشيئته ولا يملك أحد لنفسه خروجًا عما خلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضر. وقيل: إلا ليعبدون، إلا ليوحدون. فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥][2] الآية ا.هـ. من تفسير البغوي رحمه الله تعالى. قلت: وهذه الأقوال في هذه الآية وإن كانت متقاربة والآية تسع جميعها، أرجحها الأول وهو قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: إلا لآمرهم وأدعوهم لعبادتي، يؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] الآية وغيرها من الآيات. ويؤيد ذلك أن الله تبارك وتعالى إنما شاء العبادة من جميع عباده وأرادها منهم وقضاها عليهم في الشرع لا في الكون فمن أطاع أمره وأتى بما أراده وشاءه منه فله رضاه والجنة ومن خالف في ذلك فله سخطه والنار. ولو شاء الله تعالى من جميعهم العبادة وأرادها في الكون لم يكن لهم بد من ذلك ولم يكن لأحد إلى معصية الله تعالى سبيل، ولا يخرج عن قضائه تعالى وقدره شيء من المخلوقات مثقال ذرة، فإنه لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد لأمره، ولا ناقض لما أبرمه، ولا دافع لما قدره، ولذلك قال المفسرون هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥١) في تفسير سورة لقمان الآية «٢٥».
(٢) معالم التنزيل (٤/ ٢١١) تفسير سورة العنكبوت آية (٦٥).

فقال ابن عباس وقتادة والحسن: وأمر ربك. وقال الربيع بن أنس: وأوجب ربك. وقال مجاهد: وأوصى ربك. وقرأ أبيّ بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم (ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)(١) ولو أنه تبارك وتعالى قضى في الكون أن لا يعبد إلا إياه لم يشرك به أحد من خلقه، وإنما قضى ذلك شرعًا ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. وهذه المشيئة منه للعبادة من عباده شرعًا عامة لمؤمنهم وكافرهم، وأما مشيئته للعبادة الكونية القدرية فخاصة للمؤمنين، فلهذا اتفقت فيهم المشيئتان فوافقوا المشيئة الشرعية لما سبق لهم في المشيئة القدرية الكونية، وأما الكافر فلم يوافق المشيئة الشرعية لما سبق عليه في المشيئة القدرية من الشقاوة. فتبين بهذا أن المشيئة الكونية القدرية لا خروج لأحد منها، ولا محيد له عنها، سواء سبقت له بالشقاوة أو السعادة. وأما المشيئة الشرعية فمن كان سبق له في القدرية أنه يوافقها كان كذلك، أو يخالفها كان كذلك.

وأما معنى **العبادة** فقال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله تعالى: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة ـ يعني الظاهرة ـ وكذلك حب الله ورسوله وخشيته والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله ـ يعني الباطنة ـ وجماع العبادة كمال الحب مع كمال الذل(٢). وسيأتي إن شاء الله تعالى زيادة بحثها في بابها من المتن.

أخرج فيما قد مضى من ظهر ... آدم ذريته كالذرّ
وأخذ العهد عليهم أنه ... لا ربَّ معبودَ بحقٍّ غيره

(أخرج) أي الله تبارك وتعالى **(فيما)** أي الزمن الذي **(قد مضى)** وذلك بعد خلقه

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤).
(٢) انظر فتاوى ابن تيمية (١٠/ ١٤٩) في كتاب (علم السلوك).

آدم عليه الصلاة والسلام (من ظهر آدم) أبي البشر عليه السلام (ذريته) كل من يوجد منهم إلى يوم القيامة (كالذر) أي كهيئته (وأخذ) عز وجل (العهد عليهم) وتفسير العهد (أنه) الضمير للشأن أو الحال هو ربهم (لا رب معبود) مستحق للعبادة ولذا قيد (بحق غيره) وإلا فكم قد اتخذ أعداؤه من أرباب وعبدوها بالباطل بدون حق بل بالظلم العظيم قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٤] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به؟ قال فيقول: نعم، فيقول قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي» أخرجاه في الصحيحين[1]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً - إلى قوله - الْمُبْطِلُونَ﴾ رواه أحمد والنسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه[2]، وقد روى من طرق كثيرة موقوفًا. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الآية - فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون» فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ: «إذا خلق

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤١٩) ك: الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته، ح (٣٣٣٣) ومسلم (٤/ ٢١٦١) كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، ب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا.

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٧٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٢٦، ٣٢٧) والحاكم (٢/ ٥٤٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وابن جرير في تفسيره (٩/ ١١٠، ١١١) وقد أورد الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة هذا الحديث (٤/ ١٥٨) فمن أراد الزيادة فليرجع إلى السلسلة الصحيحة.

الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمـال أهل النار فيدخل به النار» رواه أحـمد وأبو داود والنسائي والتـرمذي وابن أبي حاتم وابن جرير وابن حبـان في صحيحه وقال التـرمذي: هذا حديث حسن[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهـره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريتـه إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا[٢] من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك. فرأى رجلاً منهم أعجبه وبيص مـا بين عينيه فقال: أي رب، من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود. قال: رب وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة. قـال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة. فلمـا انقضى عمـر آدم جاءه ملك الموت فقال: أو لم يبق من عمـري أربعين سنة؟ قال: أو لم تعطها لابنك داود؟ قال: فجحد آدم، فجحدت ذريته. ونسي آدم، فنسيت ذريته» رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صـحيح. وقد روى من غيـر وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[٣]. ورواه ابن أبي حاتم في تفسـيره نحو ما تقـدم إلى أن قال: «ثم عرضهم على آدم فـقال يا آدم هؤلاء ذريتك، وإذا فيهم الأجـذم والأبـرص والأعمى وأنواع الأسقام، فقال آدم: يا رب لم فعلت هذا بذريتي؟ قال: كي تشكر نـعمتي. وقال آدم: يا رب من هـؤلاء الذين أراهم أظهر الناس

---

(١) أخرجه الترمذي (٨/ ٣٨٤) كتاب تفسـير القرآن، باب ومن سورة الأعراف. ح (٣٠٧٥) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، ومـسلم بن يسار لم يسمع من عـمر، وقد ذكر بين مسلم بن يسـار وبين عمر رجلاً مـجهولاً ورواه أحـمد (١/ ٤٤، ٤٥)، ورواه أبو داود (٤/ ٢٢٦، ٢٢٧) كتاب السـنة، باب: القدر ح (٤٧٠٣). وابن جرير (٩/ ١١٣)، والحـاكم (٢/ ٥٤٤) كتاب التـاريخ من طريق مسلم بن يسـار الجهني، وقـال الحاكم: هذا حديث صحـيح على شرط الشيخين ولم يخـرجاه، وابن كثير في تفـسير (٢/ ٢٦٢)، تفسـير سورة الأعراف الآية (١٧٢ـ١٧٤).

(٢) وبيص: بمعنى البريق، وقد وبص الشيء يبص وبيصًا، ومنه حديث «رأيت وبيص الطيب في مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم».

(٣) أخرجه الترمذي (٨/ ٣٨٨) ك: التفسير، ب: ومن سورة الأعراف. من طريق أبي هريرة ح (٣٠٧٦) قال أبو عيسى: هذا حديث حـسن صحيح وقـد روى من غير وجـه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ورواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٢٥) ك: التـفسير، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شـرط مسلم ولم يخرجاه. وانظر ابن كثير (٢/ ٢٦٣) في تفسير سورة الأعراف.

نورًا؟ قال: هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك»[1]. ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم.

وعن هشام بن حكيم ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أتبدأ الأعمال أم قد قضى القضاء؟ قال فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه، ثم قال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار. فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار» رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عنه[2].

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله فقال: يا أصحاب اليمين، فقالوا: لبيك وسعديك. قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قال: يا أصحاب الشمال، قالوا: لبيك وسعديك. قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. ثم خلط بينهم فقال له يا رب لم خلطت بينهم، قال: لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، ثم ردهم في صلب آدم» رواه ابن مردويه، وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف[3].

وعن ابن عباس ﷺ قال: أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في أذى من الماء. رواه ابن جرير[4]. وله عنه ﷺ قال: إن الله تعالى مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وتكفل لهم بالرزق. ثم أعادهم في صلبه. فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقربه لم ينفعه الميثاق الأول. ومن مات صغيرًا قبل أن يدرك الميثاق

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٣) في تفسير سورة الأعراف وعزاه إلى ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ١٦٨) من طريق هشام بن حكيم بن حزام، وابن جرير (٦/ ١١٧) من طريق هشام بن حكيم.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٩)، في تفسير سورة الأعراف، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٩٨) بلفظ «ثم أخرج ولده من ظهره كهيئة الذر، فأخذ مواثيقهم أنه ربهم، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم»، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ.

الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة[١]. وله عن عبدالله بن عمرو ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم قال: أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين»[٢].

وصحح ابن كثير وقفه. وعن أبيّ بن كعب ﭬ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الآيات، قال: فجمعهم له يومئذ جميعًا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم، ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى. الآية، قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئًا، وإني سأرسل إليكم رسلاً ليذكروكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي. قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال يا رب لو سويت بين عبادك قال إني أحببت أن أشكر. ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية وهو الذي يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] الآية ومن ذلك قال: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٦] ومن ذلك قال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢] الآية رواه عبدالله بن أحمد في مسند أبيه وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه[٣].

وفي البغوي قال مقاتل وغيره من أهل التفسير[٤]: إن الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم ألست

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٢).

(٢) ذكره الطبري (٦/ ١١٣) عن عبدالله بن عمرو.

(٣) ذكره ابن جرير (٦/ ١١٥) من طريق أبي بن كعب عن أبي العالية والحاكم (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤) (كتاب التفسير) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) انظر معالم التنزيل للإمام البغوي (٢/ ٢١٢) في تفسير سورة الأعراف (آية ١٧٢).

بربكم، قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أُبالي وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعًا في صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء، قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ وقال بعض أهل التفسير: إن أهل السعادة أقروا طوعًا وقالوا بلى. وأهل الشقاوة قالوا تقية وكرها. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا﴾.

واختلفوا في موضع الميثاق قال ابن عباس رضي الله عنهما: ببطن نعمان واد إلى جنب عرفة. وروى عنه أيضًا أنه بدهناء من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط آدم عليه السلام عليه، وقال الكلبي: بين مكة والطائف، وقال السدي: أخرج آدم عليه السلام من الجنة فلم يهبطه من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته، وروي أن الله تعالى أخرجهم جميعًا وصورهم وجعل لهم عقولاً يعلمون بها وألسنًا ينطقون بها ثم كلمهم قبلاً يعني عيانًا وقال: ألست بربكم؟ وقال الزجاج: وجائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذر فهمًا تعقل به كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] قال البغوي: فإن قيل ما معنى قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟ قيل إن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره. قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي أشهد بعضهم على بعض، قوله: ﴿شهدنا أن تقولوا﴾ قرأ أبو عمرو أن يقولوا، أو يقولوا، بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما. واختلفوا في قوله ﴿شهدنا﴾ قال السدي: هو خبر من الله عز وجل عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. وقال بعضهم هو خبر عن قول بني آدم أشهد الله بعضهم على بعض فقالوا بلى شهدنا. وقال الكلبي ذلك من قول الملائكة وفيه حذف تقديره لما قالت الذرية بلى قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا. قوله: ﴿أن يقولوا﴾ يعني وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا أي لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا. ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام أخاطبكم ألست بربكم لئلا تقولوا يوم القيامة، إنا كنا عن هذا غافلين، أي عن هذا الميثاق والإقرار، فإن قيل كيف يلزم الحجة واحدًا لا يذكر الميثاق؟ قيل قد

أوضح الله تعالى الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معاندًا ناقضًا للعهد ولزمته الحجة، وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر صاحب المعجزة، قوله: ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾ يقول إنما أخذ الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون إنما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم أي كنا أتباعًا لهم فاقتدينا بهم فتجعلوا هذا عذرًا لأنفسكم وتقولوا: ﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين؟ فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ أي نبين الآيات ليتدبرها العباد ﴿ولعلهم يرجعون﴾ من الكفر إلى التوحيد(١). ا.هـ البغوي.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى:(٢) وذهب طائفة من السلف والخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد، كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» في رواية «على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»(٣) أخرجاه. وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم»(٤). وعن الأسود بن سريع من بني سعد قال غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال: «ما بال أقوام يتناولون الذرية؟» فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: «إن خياركم أبناء المشركين. ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها

---

(١) انظر البغوي (٢/ ٢١٣) في تفسير سورة الأعراف في «معالم التنزيل».

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٧) في تفسير الأعراف.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٠) كتاب: الجنائز، ب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ ح (١٣٥٨) من طريق أبي هريرة، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧) ك: القدر، ب: معنى كل مولود يولد على الفطرة ح (٢٦٥٨).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧) ك: الجنة، ب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ح (٢٨٦٥) من طريق عياض بن حمار المجاشعي.

يهودانها وينصرانها»(١). قال الحسن ولقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وإِذْ أَخذ ربُّك من بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قالوا ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بَنِي آدَمَ﴾ ولم يقل من آدم ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهره ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي جعل نسلهم جيلاً بعد جيل وقرنًا بعد قرن كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقال: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ وقال تعالى: ﴿كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، ثم قال تعالى: ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالاً، قال والشهادة تكون بالقول كقوله تعالى: ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ الآية وتارة تكون حالاً كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧] كما أن السؤال تارة يكون بالمقال، وتارة يكون بالحال كقوله تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم ٣٤] قالوا: ومما يدل على أن المراد بهذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه. فإن قيل إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده، فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد، ولهذا قال تعالى: ﴿أن تقولوا﴾ أي لئلا تقولوا يوم القيامة ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾ أي عن التوحيد ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا﴾ الآية ا.هـ.

قلت: ليس بين التفسيرين منافاة ولا مضادة ولا معارضة، فإن هذه المواثيق كلها ثابتة بالكتاب والسنة، **الأول** الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ الآيات، وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمهم الله في هذه الآيات، وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثاني: ميثاق الفطرة، وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم

---

(١) أخرجه الطبراني (١/ ٢٨٤) ح (٨٢٩) من طريق الأسود بن سريع، ورواه أحمد (٣/ ٤٣٥، ٤/ ٢٤) والحاكم (٢/ ١٢٣) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقد تقدم أن الحسن سمع من الأسود كما هو قول الجمهور خلاف المديني. والبيهقي ٩/ ٧٧.

في الميثاق الأول كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] الآية. وهو الثابت في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار والأسود بن سريع ﷺ وغيرها من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثالث: هو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب تجديداً للميثاق الأول وتذكيراً به ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥] فمن أدرك هذا الميثاق وهو باق على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول فإنه يقبل ذلك من أول مرة ولا يتوقف، لأنه جاء موافقًا لما في فطرته وما جبله الله عليه، فيزداد بذلك يقينه ويقوى إيمانه فلا يتلعثم ولا يتردد. ومن أدركه وقد تغيرت فطرته وما جبله الله عليه، من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأول بأن كان قد اجتالته الشياطين عن دينه وهوّده أبواه أو نصّراه أو مَجّساه فهذا إن تداركه الله تعالى برحمته فرجع إلى فطرته وصدق بما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب نفعه الميثاق الأول والثاني، وإن كذب بهذا الميثاق كان مكذبًا بالأول فلم ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه حيث قال: ﴿بلى﴾ جوابًا لقوله تعالى: ﴿ألست بربكم﴾ وقامت عليه حجة الله وغلبت عليه الشقوة وحق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء.

ومن لم يدرك هذا الميثاق بأن مات صغيراً قبل التكليف مات على الميثاق الأول على الفطرة فإن كان من أولاد المسلمين فهم مع آبائهم، وإن كان من أولاد المشركين فالله أعلم بما كان عاملاً لو أدركه كما في الصحيحين عن ابن عباس ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال ﷺ: «الله تعالى إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين»[1]. وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين فقال ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[2].

وبعد هذا رسله قد أرسلا	لهم وبالحق الكتاب أنزلا
لكي بذا العهد يذكروهم	وينذروهم ويبشروهم
كي لا يكون حجة للناس بل	لله أعلى حجة عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٨٩) ك: الجنائز، ب: ما قيل في أولاد المشركين ح (١٣٨٣) من طريق ابن عباس، ومسلم (٤/ ٢٠٤٩) ك: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة ح (٢٦٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٥٠٢) ك: القدر، ب: الله أعلم بما كانوا يعملون، من طريق ابن عباس، ومسلم (٤/ ٢٠٤٩) ك: القدر، ب: معنى كل مولود يولد على الفطرة ح (٢٦٥٩).

فمن يصدقهم بلا شقاق فقد وفي بذلك الميثاق
وذاك ناجٍ من عذاب النار وذلك الوارث عقبى الدار
ومن بهم وبالكتاب كذبا ولازم الإعراض عنه والإبا
فذاك ناقض كلا العهدين مستوجب للخزي في الداريـن

(وبعد هذا) أي الميثاق الذي أخذه عليهم في ظهر أبيهم ثم فطرهم وجبلهم على الإقرار به وخلقهم شاهدين به (رسله) بإسكان السين للوزن مفعول أرسل مقدم (قد أرسلا) بألف الإطلاق (لهم) أي إليهم (وبالحق) متعلق بأنزل أي بدين الحق (الكتاب) جنس يشمل جميع الكتب المنزلة على جميع الرسل (أنزلا) بألف الإطلاق والأمر الذي أرسل الله تعالى به الرسل إلى عباده وأنزل عليهم به الكتاب هو (لكي بذا العهد) الميثاق الأول (يذكروهم) تجديداً له وإقامة لحجة الله البالغة عليهم (وينذروهم) عقاب الله إن هم عصوه ونقضوا عهده (ويبشروهم) بمغفرته ورضوانه إن هم وفوا بعهده ولم ينقضوا ميثاقه وأطاعوه وصدقوا رسله، والحكمة في ذلك لـ (كي لا يكون حجة) على الله عز وجل (للناس بل لله) على جميع عباده (أعلى حجة) أبلغها وأدمغها (عز) سلطانه (وجل) شأنه عن أن يكون لأحد عليه حجة، كما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ وهو خاتم الرسل والمصدق لما جاءوا به وكتابه مصدق لما بين يديه مما معهم من الكتب ومهيمن عليه ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥] وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج: ٤٩ ـ ٥١] وقال تعالى له ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٧] الآيات وقال تعالى له: ﴿إن أنت إلا نذير﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] الآيات. وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٤، ٢٥] الآية. وغير ذلك من الآيات التي يخبر الله تعالى فيها أنه ما أرسل من رسول إلا داعيًا إلى عبادة الله عز وجل لا شريك له والكفر بما سواه من الأنداد ومبشرًا لمن صدقه وأطاعه بالجنة ونذيرًا لمن كذبه وعصاه من النار. ثم أخبر تعالى أن المراد بذلك ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. وتقدير البحث في الرسالة واتفاق الرسل في دعوتهم يأتي في بابه إن شاء الله عز وجل. **(فمن يصدقهم)** يعني الرسل **(بلا شقاق)** تكذيب ولا مخالفة **(فقد وفى)** لربه عز وجل **(بذلك الميثاق)** العهد الأول، وهؤلاء هم القليل من الثقلين، ولكن هم جند الله الغالبون المنصورون في الدنيا، وحزبه المفلحون الفائزون في الآخرة، وجواب الشرط **(فذاك ناج من عذاب النار)** إذ لم يرتكب أسباب دخولها من معصية الله وتكذيب رسله كما ارتكب ذلك من خلق لها **(وذلك الوارث عقبى الدار)** وهي الجنة لفعله أسبابها التي أمره الله عز وجل بها من الوفاء بعهد الله وميثاقه وتصديق رسله وكتبه والعمل بجميع طاعته تبارك وتعالى. **(ومن بهم)** أي بالرسل **(وبالكتاب)** أي الكتب التي أنزل الله عليهم ليبلغوها إلى عباده ويبينوها ليعملوا بما فيها **(كذبًا)**، **(ولازم الإعراض عنه)** عما أرسل الله به رسله **(والإبا)** أي الامتناع، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠] الآيات وقال تعالى فيهم: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] الآيات وغيرها وهؤلاء أكثر الثقلين كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] وغير ذلك من الآيات. وجواب الشرط **(فذاك)** أي المكذب بالكتاب وبما أرسل الله تعالى به رسله الآبي منه المعرض عنه المصر على ذلك حتى مات عليه هو **(ناقض كلا العهدين)** الميثاق الذي أخذه الله عليه وفطره على الإقرار به وما جاءت به الرسل من تجديد الميثاق الأول وإقامة الحجة **(مستوجب)** بفعله ذلك **(للخزي في الدارين)** أي في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢] وقد وفى بذكر الفريقين الموفين بالعهد والناقضين له وما لكل منهم وما عليه في الدنيا والآخرة قول

الله عز وجل: ﴿للذين استجابوا لربهم﴾ أي فيما دعاهم إليه على ألسنة رسله وهم الفريق الأول ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وهم الفريق الثاني ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨] وتأويل ذلك ما ورد في الصحيحين من طرق عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بي»(١) وقد تقدم ذكره قريبًا.

﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق﴾ يعني الفريق الأول ﴿كمن هو أعمى﴾ يعني الفريق الثاني، لا والله ليسوا سواء ﴿إنما يتذكر أولو الألباب، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾ يتناول كل العهود والمواثيق التي أمر الله عز وجل بالوفاء بها مع الحق ومع الخلق وتناولها للميثاق المذكور من باب أولى ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ من صلة الأرحام ومن الإيمان بالله ورسله وعدم التفريق بين أحد منهم ﴿ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب* والذين صبروا﴾ على قدر الله وعلى ملازمة طاعته وعن معصيته ﴿ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾. فكأنه قيل: ما هي؟ فقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ثم ذكر الفريق الثاني بصفاتهم السيئة وبين جزاءهم عليها والعياذ بالله تعالى فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] فسبحان الله وبحمده ما أبلغ حكمته وأعدل حكمه ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل في انقسام التوحيد إلى نوعين
وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات

أول واجب على العبيد   معرفة الرحمن بالتوحيد

إذ هو من كل الأوامر أعظم   وهو نوعان أيا من يفهم

---

(١) تقدم تخريجه.

إثبات ذات الرب جل وعلا أسمائه الحسنى صفاته العلى
وأنه الرب الجليل الأكبر الخالق البارئ والمصور
باري البرايا منشئ الخلائق مبدعهم بلا مثال سابق

(أول واجب) فرضه الله عز وجل (على العبيد) هو (معرفة الرحمن) أي معرفتهم إياه (بالتوحيد) الذي خلقهم له وأخذ عليهم الميثاق به، ثم فطرهم شاهدين مقرين به، ثم أرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم. (إذ) حرف تعليل لأولية وجوب معرفة العباد ربهم تباك وتعالى بالتوحيد (هو من كل الأوامر) جمع أمر وهو خطاب الله عز وجل المتعلق بالمكلفين بصيغة تستدعي الفعل (أعظم) كما أن ضده من الشرك والتعطيل والتمثيل هو أعظم المناهي، ولهذا لا يدخل العبد في الإسلام إلا به ولا يخرج منه إلا بضده ولم يزحزح عن النار ويدخل الجنة إلا به. ولا يخلد في النار ويحرم الجنة إلا بضده ولم تدعُ الرسل إلى شيء قبله ولم تنه عن شيء قبل ضده. (وهو) أي التوحيد (نوعان):

الأول: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله عز وجل وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به ربا وإلهًا ووليًا وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء وهو توحيد الإلهية.

والقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير هذين التوحيدين، لأنه إما خبر عن الله عز وجل وما يجب أن يوصف به وما يجب أن ينزه عنه وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الطلبي الإرادي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد وما يكرمهم به في الآخرة وهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يفعل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم توحيده.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، اقرأ في الجمع بين التوحيدين ﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ١ـ ٨] وآية الكرسي وقل هو الله أحد وغيرها من القرآن. واقرأ في الأمر والنهي ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] واقرأ في إكرام أهل التوحيد في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] واقرأ في إخزاء أهل الشرك في الدنيا والآخرة ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٣٩ـ٤٢].

والكلام في هذا الفصل على النوع الأول، وهو **التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي** وهو **(إثبات)** بالرفع بدل بعض من قولنا «نوعان» أي الأول منهما **(إثبات ذات الرب جل وعلا)** فإن هذه العوالم العلويات والسفليات لابد لها من موجد أوجدها ويتصرف فيها ويدبرها. ومحال أن توجد بدون موجد، ومحال أن توجد أنفسها. قال الله تبارك وتعالى في مقام إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ أي من غير رب(١). ومعناه أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فلابد له من خالق فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق. ﴿أم هم الخالقون﴾ لأنفسهم وذلك في البطلان أشد لأن ما لا وجود له كيف يخلق فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقًا فليؤمنوا به ﴿أم خلقوا السموات والأرض﴾ وهذا في البطلان أشد وأشد فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد بنفسه فضلاً عن أن يكون موجدًا لغيره وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله عز وجل وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك له ﴿بل لا يوقنون﴾ أي ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك. وعن

---

(١) انظر معالم التنزيل للإمام البغوي (٤/ ٢٤١).

جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧] كاد قلبي أن يطير. أخرجاه في الصحيحين(١).

وكثيراً ما يرشد الله تبارك وتعالى عباده إلى الاستدلال على معرفته بآياته الظاهرة من المخلوقات العلوية والسفلية كما قال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠] أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه علم أنه إنما لينت مفاصله للعبادة، وكذا ما في ابتداء الإنسان من الآيات العظيمة إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا إلى أن ينفخ فيه الروح. وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ * وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧-٤٩] يقول تعالى منبهًا على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿والسماء بنيناها﴾ أي جعلناها سقفًا محفوظًا رفيعًا ﴿بأيد﴾ أي بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد(٢)، ﴿وإنا لموسعون﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لقادرون. وعنه أيضًا: لموسعون الرزق على خلقنا. وقيل: ذو سعة. وقال ابن كثير: أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي. ﴿والأرض فرشناها﴾ أي جعلناها فراشًا للمخلوقات ﴿فنعم الماهدون﴾ الباسطون نحن. قال ابن عباس: نعم ما وطأت لعبادي(٣). ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمر والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف،

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٨٩) ك: الأذان، ب: الجهر في المغرب، ح (٧٦٥) ومسلم (١/ ٣٣٨) ك: الصلاة، ب: القراءة في الصبح ح (٤٦٣).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٧) سورة الذاريات آية (٤٧).

(٣) انظر معالم التنزيل (٤/ ٢٣٤) سورة الذاريات آية (٤٧، ٤٨).

والجن الإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق والباطل، والحلو والمر، والدنيا والآخرة، والموت والحياة، والجامد والنامي، والمتحرك والساكن، والحر والبرد وغير ذلك ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي لتعلموا أن الخالق واحد فرد لا شريك له. اهـ ابن كثير والبغوي. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] قال أبو الضحى: لما نزلت ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ قال المشركون إن كان هكذا فليأتنا بآية، فأنزل الله عز وجل: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾(١) تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها، وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر. ويعقبه ولا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان، كما قال تعالى: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا ﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ أي في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ كما قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣] إلى قوله: ﴿ومما لا يعلمون﴾. ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ على اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كلٌّ في كتاب مبين﴾. ﴿وتصريف الرياح﴾ فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وهي الريح، وتارة تأتي مبشرات بين يدي السحاب، وتارة تسوقها، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، ثم تارة تأتي من الشمال وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمن، وتارة صبا وهي الشرقية، وتارة دبور وهي غربية وغير ذلك والله أعلم ﴿والسحاب المسخر بين

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٢) سورة البقرة آية (١٦٤) من رواية وكيع عن سفيان عن أبيه.

السماء والأرض﴾ أي سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن كما يصرفه تعالى ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ أي في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى ﴿لقوم يعقلون﴾(١) فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقًا وصانعًا غنيًا بذاته وكل ما سواه فقير إليه، قائم بذاته وكل ما سواه لا يقوم إلا به، قدير لذاته وكل ما سواه عاجز لا قدرة له إلا بما أقدره متصف بجميع صفات الكمال، وكل ما سواه فلازمه النقص وليس الكمال المطلق إلا له وهو الله تبارك وتعالى. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٠-٢٥] يقول تعالى: ﴿ومن آياته﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين، ثم تصور فكان علقة ثم مضغة ثم صار عظامًا شكله شكل إنسان ثم كسا الله تعالى تلك العظام لحمًا ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير، ثم أخرج من بطن أمه صغيرًا ضعيف القوى والحركة ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون ويسافر في أقطار الأقاليم ويركب متن البحور، ويدور أقطار الأرض ويكتسب ويجمع الأموال وله فكرة وغور ودهاء ومكر، ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكر والحسن والقبح والغنى والفقر والسعادة والشقاوة. وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب والسهل والحزن وغير ذلك» رواه أحمد وأبو داود والترمذي. وقال: حسن صحيح(٢).

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٢) سورة البقرة آية (١٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٨/ ٢٤٥) ك: تفسير القرآن، ب: ومن سورة البقرة ح (٢٩٥٥) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ أي خلق لكم من جنسكم إناثًا تكون لكم أزواجًا ﴿لتسكنوا إليها﴾ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] يعني بذلك حواء خلقها الله تعالى من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر، ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل الأزواج من جنسهم ﴿وجعل بينهم مودة﴾ وهي المحبة ﴿ورحمة﴾ وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ في عظمة الله وقدرته ﴿ومن آياته﴾ الدالة على قدرته العظيمة ﴿خلق السموات والأرض﴾ أي خلق السموات في ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات، وخلق الأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار ﴿واختلاف ألسنتكم﴾ يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج[1]، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء فرس، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء خزر، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله عز وجل من اختلاف لغات بني آدم ﴿وألوانكم﴾ أي واختلاف ألوانكم أبيض وأسود وأحمر، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة، وغير ذلك من اختلاف الصفات والحلى، فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدّان وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لابد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام ظاهراً كان أو خفيًا يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه أخرى، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لابد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر ﴿إن في ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ أي ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم في الليل فإن فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب،

= وأبو داود (٤/٢٢٢) ك: السنة، ب: القدر، ح (٤٦٩٣).

(١) كرج: وهي مدينة بين همذان أقرب، ويضاف إليها كورة، وأول من مصرها أبو دلف، انظر معجم البلدان ٤/٥٠٦.

وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار وهذا ضد النوم، ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر واعتبار ﴿ومن آياته﴾ الدالة على عظمته أنه ﴿يريكم البرق خوفا وطمعا﴾ أي تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق متلفة، وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها﴾ أي بعدما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥] وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٥، ٢٦] كقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١] وكان عمر بن الخطاب ﷺ إذا اجتهد في اليمين قال: والذي قامت السموات والأرض بأمره، أي هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسموات، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ أي من الأرض كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٥٢] وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤] وقال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

والآيات في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالقها وقدرته وعظمته أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى، وفيما ذكرنا كفاية وغنى يغني عن خرط المناطقة ومقدماتهم ونتائجهم وتناقضهم فيها، والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر وأجل وأعظم من أن يحتاج في معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات، فذات المخلوق نفسه شاهدة بوجود خالقه حيث أوجده ولم يكن من قبل شيئًا، فَلِمَ يذهب يستدل بغيره وفي نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم، وشأن الله تعالى أكبر من ذلك، ولم يجحد وجوده تعالى من جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة، ولهذا قال تعالى في كفرهم بآياته: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] فكيف بوجود الخالق تبارك وتعالى. ولهذا لما قال أعداء الله لرسله على سبيل المكابرة لما جاءوهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي

شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٩، ١٠] وهذا يحتمل شيئين: أحدهما أفي وجوده تعالى شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ولكن قد يعرض لغيرها شك واضطراب وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والاستهزاء، فيجب إقامة الحجة عليهم للإعذار إليهم، ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدهم إلى طريق معرفته فقالوا: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهرة عليهما فلابد لهما من خالق وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه. والمعنى الثاني في قولهم ﴿أفي الله شك﴾ أي أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالخالق ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم، والجواب لهذا الاستفهام على كلا المعنيين: لا، أي لا شك فيه.

ذكر مناظرة أخرى بين رسل الله وأعدائه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار: هذا المحاج هو ملك بابل واسمه نمرود بن كنعان، ذكروا أنه استمر في ملكه أربعمائة سنة وكان قد طغى وبغى وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الخالق جل وعلا عنادًا ومكابرة فحاجَّ إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية، فلما قال الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت﴾ قال قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق: يعني أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم قتلهما فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات هذا الآخر(١)، وهذا ليس بمعارضة للخليل عليه الصلاة والسلام بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة بل هو تشغيب محض

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٣١٣) سورة البقرة آية (٢٥٨).

وهو انقطاع في الحقيقة، فإن الخليل عليه الصلاة والسلام استدل على وجود الخالق جل وعلا بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وإماتتها على وجود فاعل ذلك الذي لابد من استنادها إليه في وجودها ضرورة لعدم قيامها بأنفسها ولابد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدة ثم إماتتها، ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ فقول هذا الجاهل أنا أحيي وأميت إن عني أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند، وإن عني ما ذكره قتادة والسدي ومحمد ابن إسحاق فلم يقل شيئًا يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مستلزمًا ولا عارض الدليل.

ولما كان انقطاع مناظرة هذا المحاجّ قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلاً آخر بين وجود الخالق وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة ﴿قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ أي هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيّرها وقاهرها وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، فإن كنت كما زعمت أنك تحيي وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب، فإن الذي يحيي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء ودان له كل شئ، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت، وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيء من هذا، بل أنت أعجز وأقل وأذل من أن تخلق بعوضة أو تتصرف فيها. فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه، ولم يبق له كلام يجيب الخليل عليه الصلاة والسلام به بل انقطع وسكت، ولهذا قال تعالى: ﴿فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

ذكر مناظرة أخرى من ذلك أيضًا

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[الشعراء: ٢٣ـ ٢٨] يذكر تعالى ما كان بين موسى وفرعون من المقاولة والمحاجّة والمناظرة، وما أقامه الكليم على فرعون اللئيم من الحجة العقلية المعنوية ثم الحسية، وذلك أن فرعون قبحه الله أظهر جحد الخالق تبارك وتعالى وزعم أنه الإله ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ

إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وهو في هذه المقالة معاند يعلم أنه عبد مربوب وأن الله هو الخالق البارئ المصور الإله الحق كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الإنكار لرسالته وإظهار أنه ما ثمَّ رب أرسله ﴿وما رب العالمين﴾ لأنهما قالا له ﴿إنا رسول رب العالمين﴾ فكأنه يقول لهما: ومن رب العالمين الذي تزعمان أنه أرسلكما وابتعثكما، فأجابه موسى قائلاً: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ أي خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لا شريك له هو الله الذي خلق الأشياء كلها العالم العلوي وما فيه من الكواكب النيرات الثوابت والسيارات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وأنهار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطير والسحاب المسخر والرياح والمطر وما يحتوي عليه الجو وغير ذلك من المخلوقات التي يعلم كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها ولابد لها من موجد ومحدث وخالق وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، الجميع مذللون مسخرون وعبيد له خاضعون ذليلون ﴿إن كنتم موقنين﴾ أي إن كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة ﴿قال﴾ أي فرعون ﴿لمن حوله﴾ من أمرائه ومرازبته[1] وكبرائه ورؤساء دولته على سبيل التهكم والتنقص والاستهزاء والتكذيب لموسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله ﴿ألا تستمعون﴾ أي ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلهًا غيري، فقال لهم موسى: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجداد والقرون السالفة في الآباد فإن كل واحد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولم يحدث من غير محدث، وإنما أوجده وخلقه رب العالمين، وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته ولا نزع عن ضلالته بل استمر على طغيانه وعناده وكفرانه ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧] أي ليس له عقل في دعواه أن ثم ربًا غيري. ﴿قال﴾ أي موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبه فأجاب موسى عليه السلام بقوله ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ أي هو الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب، والمغرب مغربًا تغرب فيه الكواكب ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها

---

(١) جماعته وجنوده وقوته.

وهو الله لا إله إلا هو خـالق الـظلام والضـيـاء ورب الأرض والسـمـاء رب الأولين والآخرين، خـالق الشمس والقمـر والكواكب السائرة والثوابت الحـائرة، خالق الليل بظلامه والنهـار بضيـائه والكل تحت قهره وتسـخيره وتسـييره سـائرون وكل في فلك يسبحون، يتعاقبون في سائر الأوقات ويدورون، فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقـه بما يشاء. فـإن كان هذا الذي يزعم أنه ربـكم وإلهكم صادقًـا فليعكس الأمـر وليجعل المشرق مغربًا والمغرب مشرقًـا، والثابت سائرًا والسائر ثابتًا كما قال تعالى عن الذي حاجَّ إبراهيم في ربه في الآية السـابقة. ولما قامت الحجج على فـرعون وذهبت شبهـه وغُلِبَ وانقطعت حجته ولم يبق له قـول سوى العناد عدل إلى استعـمال جاهه وقوته، وسلطانـه وسطوته، واعتقـد أن ذلك نافعًا له ونافـذًا في موسى عليـه الصلاة والسلام فقال وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] إلى آخر ما قص الله عز وجل عنه، حتى قصمه الله تعالى قاصم الجبابرة وأخذه أخذ عزيز مقتدر.

ومناظرة الرسل لأعداء الله في هذا الباب يطول ذكرها ومقامات نبينا محمد ﷺ مع هذه الأمة أشهر من أن تذكر، فمن شاءها فليقرأ المصحف من فاتحته إلى خاتمته، إلا أن أمته لم يكن فيهم من يجحد الخالق، بل هـم مُقِرُّون به وبربوبيته، غير أنهم لم يُقَدِّرُوه حق قدره بل عـبدوا معـه غيره، ولهـذا قال تعـالى في شأنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥/ الزمر: ٣٨] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] إلى غير ذلك من الآيات كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى.

ذكر ما نقل عن الأئمة وعن غيرهم في هذا الباب

عن الإمام مالك رحمـه الله تعالى أن الرشيد سأله عن ذلك فاسـتدل له باختلاف اللغات والأصـوات والنغمـات. وعن أبي حنيفة رحـمه الله تعالـى أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعـالى فقال لهم دعوني فإني مفكر في أمـر قد أخبرت عنه، ذكروا إلى أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقـها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسيـر بنفسهـا وتخترق الأمـواج العظام حتى تخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا شيء لا

يقوله عاقل. فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟ فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه. وعن الشافعي رحمه الله تعالى أنه سئل عن وجود الخالق عز وجل، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاء والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منه المسك، وهو شيء واحد. وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن ذلك فقال: ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح ا.هـ. يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الديك. وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمل في رياض الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجُين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز، ويروى لأبي العتاهية رحمهما الله تعالى:

فيا عجبًا كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحدُ

ولله في كل تحريكة ... وفي كل تسكينة شاهد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وسئل بعض الأعراب عن هذا وما الدليل على وجود الرب تعالى، فقال: يا سبحان الله، إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟!

ومن خطب قس بن ساعدة الإيادي وكان على ملة إبراهيم رحمه الله تعالى: أيها الناس، اجتمعوا فاسمعوا، وإذا سمعتم فعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأحياء وأموات. ليل داج. وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبر وآثام، إن في السماء خبرًا، وإن في الأرض عبرًا، يحار

فيهن البصر، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تغور، وبحار لا تفور، ومنايا دوان، ودهر خوان، كحد النسطاس ووزن القسطاس. أقسم قس قسمًا، لا كاذبًا فيه ولا آثمًا. لئن كان في هذا الأمر رضا ليكونن سخط، ثم قال: أيها الناس، إن لله دينًا هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه. وهذا زمانه وأوانه. ثم قال: مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تُركوا فناموا. وفي بعض ألفاظها قال: شرق وغرب، ويتم وحزب، وسلم وحرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، وشموس وأقمار، ورياح وأمطار، وليل ونهار، وإناث وذكور، وبرار وبحور، وحب ونبات، وآباء وأمهات، وجمع وأشتات، وآيات في إثرها آيات، ونور وظلام، ويسر وإعدام، ورب وأصنام. لقد ضل الأنام، نشو مولود، ووأد مفقود، وتربية محصود، وفقير وغنيّ، ومحسن ومسيء، تبًا لأرباب الغفلة، ليصلحن العامل عمله، وليفقدن الآمل أمله، كلا بل هو إله واحد ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى، وأمات وأحيا، وخلق الذكر والأنثى، رب الآخرة والأولى. أما بعد فيا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد، وأين العليل والعواد، كل له معاد. يقسم قس برب العباد وساطح المهاد لتحشرن على الانفراد، في يوم التناد، وإذا نفخ في الصور، ونقر في الناقور، ووعظ الواعظ، فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ. فويل لمن صدف عن الحق الأشهر والنور الأزهر والعرض الأكبر، في يوم الفصل، وميزان العدل، إذا حكم القدير، وشهد النذير، وبعد النصير، وظهر التقصير، فريق في الجنة وفريق في السعير.

أسماء الله الحسنى

وأسماء الله الحسنى هي التي أثبتها تعالى لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد ﷺ وآمن بها جميع المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»(١) أخرجاه في الصحيحين، ورواه الترمذي وزاد «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد، المحصي المبدئ المعيد، المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الفرد الصمد، القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف، مالك الملك ذو الجلال والإكرام، المقسط الجامع الغني المغني المعطي المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور» ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب. وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث اهـ. ورواه الدارمي وزاد: كلها في القرآن(٢).

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٥٠٧) وتقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (٩/ ٣٨٤) ك: الدعوات، ب رقم (٨٦)، ح (٣٥٠٧) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلم في كبير شيء من الروايات [له إسناد صحيح ذكر [لا] ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث، وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح.

وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٧٠) ك: الدعاء، ب: أسماء الله عز وجل في الزوائد: لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا من غيره، غير ابن ماجه والترمذي. مع تقديم وتأخير، وطريق الترمذي أصح شيء في الباب، وقال: إسناد طريق ابن ماجه ضعيف لضعف عبدالملك بن محمد.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٢/ ٤٨٢:

إن التسعة والتسعين اسمًا لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثان أضعف من هذا رواه ابن ماجه، وقد روى في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

وأخـرج ابن أبي الدنيا والطبـراني كلاهـما في الدعـاء وأبو الشيخ والحـاكم وابن مردويه وأبو نعـيم والبيهـقي عن أبي هريرة: إن لله تسعة وتسـعين اسمًا من أحـصاها دخل الجنة، أسأل الله الرحمن الرحيم الإله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجـبار المتكبر الخالق البـارئ المصور الحليم العليم السمـيع البصير الحي القـيوم الواسع اللطيف الخبيـر، الحنان المنان البديع الغفور الودود الشكور المجيـد المبدي المعيد النور الباريء - وفي لفظ الـقائم - الأول الآخر الظاهر البـاطن العفو الغـفار الوهاب الفرد - وفي لفظ القادر - الأحـد الصمد الوكيل الكافي الباقي المغـيث الدائم المتعال ذا الجـلال والإكرام المولى النصـيـر الحق المتين الوارث المنير الـباعث القـدير - وفي لفظ المجيب - المحـيى المميت الحميـد - وفي لفظ الجميل - الصـادق الحفيظ المحيط الكبـير القريب الرقـيب الفتاح التـواب القديم الوتر الفاطر الرزاق العـلام العلي العظيم الغني الملك المقتدر، الأكرم الرءوف المدبر المالك القاهر الهادي الشـاكر الكريم الرفيع الشهيد الواحد ذا الطول ذا المعارج ذا الفضل الخلاق الكفيل الجليل[1].

وأخرج أبو نعيم عن محـمد بن جعفر رحمه الله تعالى قال: سـألت أبا جعفر بن محمد الصـادق عن الأسماء التسعة والتسعين التي من أحـصاها دخل الجنة فقال: هي في القرآن، ففي الفاتحة خمـسة أسماء: يا الله يا رب يا رحمن يا رحيم يا ملك، وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسمًا: يا محيط يا قدير يا عليم يا حكيم يا علي يا عظيم يا تواب يا بصير يا ولي يا واسع يا كافي يا رءوف يا بديع يا شاكـر يا واحد يا سميع يا قابض يا باسط يا حي يا قيوم يا غني يا حـميد يا غفور يا حليم يا إله يا قـريب يا مجيب يا عزيز يا نصير يا قوي يا شديد يا سريـع يا خبير. وفي آل عمران: يا وهاب يا قائم يا صادق يا باعث يا منعم يا متفضل. وفي النساء: يا حسيب يا رقيب يا شهيد يا مقيت يا وكـيل يا علي يا كبـيـر. وفي الأنعام: يا فـاطر يا قاهـر يا لطيف يا برهان. وفي الأعراف: يا محيي يا مميت. وفي الأنفـال: يا نعم المولى ويا نعم النصير. وفي هود: يا حفـيظ يا مجيـد يا ودود يا فعال لما تريـد. وفي الرعد: يا كبـير يا متـعالي. وفي

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ١٧)، وقال: هذا حديث محفـوظ من حديث أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مختصـرًا دون ذكر الأسامي الزائدة فيها كلهـا في القرآن وعبدالعزيز بن الحصين بن التـرجمان ثقة ولم يخرجاه وإنما جعلته شاهدًا للحديث الأول، وضعفه الألباني في الضعيف الجامع ح (١٩٤٤)، وانظر تلخيص الحبير (٤/ ١٥٣٩).

إبراهيم: يا منان يا وارث. وفي الحجر: يا خلاق. وفي مريم: يا فرد. وفي طه: يا غفار. وفي قد أفلح: يا كريم. وفي النور: يا حق يا مبين. وفي الفرقان: يا هاد. وفي سبأ: يا فتاح. وفي الزمر: يا عالم. وفي غافر: يا قابل التوب يا ذا الطول يا رفيع. وفي الذاريات: يا رزاق يا ذا القوة يا متين. وفي الطور: يا بر. وفي اقتربت: يا مقتدر يا مليك. وفي الرحمن: يا ذا الجلال والإكرام يا رب المشرقين يا رب المغربين يا باقي يا معين. وفي الحديد: يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن. وفي الحشر: يا ملك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار يا متكبر يا خالق يا بارىء يا مصور. وفي البروج: يا مبدي يا معيد. وفي الفجر: يا وتر. وفي الإخلاص: يا أحد يا صمد انتهى[١].

وقد حررها الحافظ ابن حجر رحمه الله في (تلخيص الحبير) تسعة وتسعين اسمًا من الكتاب العزيز منطبقة على لفظ الحديث ورتبها هكذا: الله الرب الإله الواحد الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الأول الآخر الظاهر الباطن الحي القيوم العلي العظيم التواب الحليم الواسع الحكيم الشاكر العليم، الغني الكريم، العفو القدير اللطيف الخبير السميع البصير المولى النصير القريب المجيب الرقيب الحسيب القوي الشهيد الحميد المجيد المحيط الحفيظ الحق المبين. الغفار القهار الخلاق الفتاح الودود الغفور الرءوف الشكور الكبير المتعال المقيت المستعان الوهاب الحفي الوارث الولي القائم القادر الغالب القاهر البر الحافظ الأحد الصمد المليك المقتدر الوكيل الهادي الكفيل الكافي الأكرم الأعلى الرزاق ذو القوة المتين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول رفيع الدرجات سريع الحساب فاطر السموات والأرض بديع السموات والأرض نور السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام ا.هـ[٢].

وقد عدها جماعة غير من ذكرنا كسفيان بن عيينة وابن حزم والقرطبي وغيرهم، وعدها ابن العربي المالكي في (أحكام القرآن) مرتبًا لها على السور، لكنه أخطأ في بعض ما عده كما سنشير إليه قريبًا إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر فتح الباري (١١/ ٢٢٠) كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة على شرح حديث (٦٤١٠) بلفظ: «لله تسعة وتسعون اسمًا ـ مائة إلا واحدة ـ لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر».

(٢) تلخيص الحبير (٤/ ١٥٣٩).

واعلم أن أسماء الله عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين، لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدلٌ فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحًا». فقيل: يا رسول الله، أفلا نتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها»(١).

واعلم أن من أسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه إلا مقترنًا بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصًا تعالى الله عن ذلك، فمنها المعطي المانع، والضار النافع، والقابض الباسط، والمعز المذل، والخافض الرافع، فلا يطلق على الله عز وجل المانع الضار القابض المذل الخافض كلا على انفراده، بل لابد من ازدواجها بمقابلاتها، إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك، ومن ذلك المنتقم لم يأت في القرآن إلا مضافًا إلى ذو كقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] أو مقيداً بالمجرمين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

واعلم أنه قد ورد في القرآن أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء العدل والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال، لكن لا يجوز أن يشتق له تعالى منهما أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥] ونحو ذلك فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى مخادع ماكر ناس مستهزئ

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٣٩)، والحاكم (١/ ٥٠٩) وقال: صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبدالرحمن عن أبيه. وفي سماعه من أبيه كلام فقال ابن معين: سمع من أبيه: وقال البخاري في التاريخ: سمع أباه.
قال في المجمع: (١٠/ ١٣٦، ١٨٧) رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان، ورواه أبو يعلى ٢/ ٢٤٦، والبزار ١/ ٣٠٤.

ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، ولا يقال الله يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقًا، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى، ومن ظن من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه تعالى الماكر المخادع المستهزىء الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماؤه تعالى كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم، وهذا جهل عظيم فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقًا بل تمدح في موضع وتذم في موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى مطلقًا، فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى المريد والمتكلم ولا الفاعل ولا الصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد، فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ، ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي والآتي والجائي والذاهب والقادم والرائد والناسي والقاسم والساخط والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل. والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى.

قلت ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر في بعض ما عدّه ابن العربي، فإن الفاعل والزارع إذا أطلقا بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما فلا يفيدان مدحًا، أما في سياقها من الآيات التي ذكرت فيها فهي صفات كمال ومدح وتوحد كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤] الآيات بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سيقت فيه وله وأكبر مصيبة أن عد في الأسماء الحسنى رابع ثلاثة وسادس خمسة مصرحًا قبل ذلك بقوله: وفي سورة المجادلة اسمان فذكرهما. وهذا خطأ فاحش، فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه

بوجه لا منطوقًا ولا مفهومًا، فإن الله عز وجل قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] الآية، وأين في هذا السياق رابع ثلاثة سادس خمسة؟ وكان حقه اللائق بمراده أن يقول: رابع كل ثلاثة في نجواهم وسادس كل خمسة كذلك فإنه تعالى يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم كما هو مفهوم من صدر الآية، ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياق الآية. والله تعالى أعلم.

واعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقةً وتضمنًا والتزامًا، فدلالة اسمه تعالى «الرحمن» على ذاته عز وجل مطابقة وعلى صفة الرحمة تضمنًا وعلى الحياة وغيرها التزامًا، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى. وليست أسماء الله تعالى غيره كما يقوله الملحدون في أسمائه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فإن الله عز وجل هو الإله وما سواه عبيد، وهو الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وما سواه مخلوق، وهو الأول فليس قبله شيء وما سواه محدث كائن بعد أن لم يكن، وهو الآخر الباقي فليس بعده شيء وما سواه فان، فلو كانت أسماء الله تعالى غيره كما زعموا لكانت مخلوقة مربوبة محدثة فانية إذ كل ما سواه كذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

أسماء الله غير مخلوقة

وقال عثمان بن سعيد الدارمي ـ نقمة الله على بشر المريسي وذويه ـ: باب الإيمان بأسماء الله تعالى وأنها غير مخلوقة. قال: ثم اعترض المعترض ـ يعني ابن الثلجي ـ أسماء الله تعالى المقدسة فذهب في تأويلها مذهب إمامه المريسي فادعى أن أسماء الله غير الله وأنها مستعارة مخلوقة كما أنه قد يكون شخص بلا اسم فتسميته لا تزيد في الشخص ولا تنقص، يعني الخبيث أن الله تعالى كان مجهولاً كشخص مجهول لا يهتدي لاسمه ولا يدري ما هو حتى خلق الخلق فابتدعوا له أسماء من مخلوق كلامهم فأعاروه إياها من غير أن يعرف له اسم قبل الخلق، قال: ومن ادعى التأويل في أسماء الخلق، قال: ومن ادعى التأويل في أسماء الله فقد نسب الله تعالى إلى العجز والوهن والضرورة والحاجة إلى الخلق، لأن المستعير محتاج مضطر، والمعير أبدًا أعلى منه وأغنى، ففي هذه الدعوى استجهال الخالق إذ كان بزعمه هملاً لا يدري ما اسمه. والله المتعالي عن هذا الوصف المنزه عنه لأن أسماء الله تعالى هي تحقيق صفاته سواء

عليك قلت عبدت الله أو عبدت الرحمن أو الرحيم أو الملك العزيز الحكيم، وسواء على الرجل قال كفرت بالله، أو قال كفرت بالرحمن الرحيم أو بالخالق العزيز الحكيم، وسواء عليك قلت عبدالله أو عبدالرحمن أو عبدالعزيز أو عبدالمجيد. وسواء عليك قلت يا الله أو يا رحمن أو يا رحيم أو يا مالك يا عزيز يا جبار بأي اسم دعوته من هذه الأسماء أو أضفته إليه فإنما تدعو الله نفسه من شك فيه فقد كفر. وسواء عليك قلت ربي الله أو ربي الرحمن كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢] وقال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الصف: ١] وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢] كذلك قال في الاسم ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ كما قال تعالى: ﴿يسبح لله﴾ ولو كان الاسم مخلوقًا مستعارًا غير الله لم يأمر الله تعالى أن يسبح مخلوق غيره، وقال تعالى: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤] ثم ذكر الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل بأسمائها المخلوقة المستعارة فقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ [النجم: ٢٣] وكذلك قال هود لقومه حين قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠] فقال لهم نبيهم: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ [الأعراف: ٧١] يعني أن أسماء الله تعالى لم تزل كما لم يزل عز وجل وأنها بخلاف هذه الأسماء المخلوقة التي أعاروها الأصنام والآلهة التي عبدوها من دونه. فإن لم تكن أسماء الله بخلافها، فأي توبيخ لأسماء هذه الآلهة المخلوقة إذ كانت أسماؤها وأسماء الله تعالى مخلوقة مستعارة عندكم بمعنى واحد وكلها من تسمية العباد وتسمية آبائهم بزعمهم. ففي دعوى هذا المعارض أن الخلق عرَّفوا الله إلى عباده بأسماء ابتدعوها لا أن الله عرفهم بها نفسه، فأي تأويل أوحش في أسماء الله تعالى من أن يتأول رجل أنه كان كشخص مجهول أو بيت أو شجرة أو بهيمة لم يسبق لشيء منها اسم ولم يعرف ما هو حتى عرفه الخلق بعضهم بعضًا. ولا تقاس أسماء الله تعالى بأسماء الخلق لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم بل مخالفة لصفاتهم، وأسماء الله تعالى صفاته ليس شيء منها مخالفًا لصفاته ولا شيء من صفاته مخالفًا لأسمائه، فمن ادعى أن صفة من صفات الله مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر، لأنك إذا قلت الله فهو الله. وإذا قلت الرحمن فهو الرحمن وهو الله، فإذا قلت الرحيم فهو كذلك، وإذا قلت حكيم عليم حميد مجيد جبار

متكبر قاهر قادر فهو كذلك، وهو الله سواء لا يخالف اسم له صفته ولا صفته اسمًا. وقد يسمى الرجل حكيمًا وهو جاهل، وحكمًا وهو ظالم، وعزيزًا وهو حقير، وكريمًا وهو لئيم، وصالحًا وهو طالح، وسعيدًا وهو شقي، ومحمودًا وهو مذموم، وحبيبًا وهو بغيض، وأسدًا وحمارًا وكلبًا وجديًا وكليبًا وهرًا وحنظلة وعلقمة وليس كذلك. والله تعالى وتقدس اسمه كل أسمائه سواء لم يزل كذلك ولا يزال، لم تحدث له صفة ولا اسم لم يكن كذلك، كان خالقًا قبل المخلوقين ورازقًا قبل المرزوقين وعالمًا قبل المعلومين وسميعًا قبل أن يسمع أصوات المخلوقين وبصيرًا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤] وقال في موضع: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] لأنهما بمعنى واحد، ولو كان كما ادعى المعارض - يعني ابن الثلجي وإمامه المريسي - لكان الخالق والمخلوق استويا جميعًا على العرش إذ كانت أسماؤه مخلوقة عندهم إذ كان الله في دعواهم في حد المجهول أكثر منه في حد المعروف لأن لحدوث الخلق حدًا ووقتًا وليس لأزلية الله تعالى حد ولا وقت لم يزل ولا يزال، وكذلك أسماؤه لم تزل ولا تزال. ثم احتج المعارض لترويج مذهبه هذا بأقبح قياس فقال: أرأيت لو كتبت اسمًا في رقعة ثم احترقت الرقعة أليس إنما تحرق الرقعة ولا يضر الاسم شيئًا. فيقال لهذا التائه الذي لا يدري ما يخرج من رأسه: إن الرقعة وكتابة الاسم ليس كنفس الاسم، إذا احترقت الرقعة احترق الخط وبقي اسم الله له وعلى لسان الكاتب لم يزل قبل أن يكتب لم تنقص النار من الاسم ولا ممن له الاسم شيئًا، وكذلك لو كانت أسماء المخلوقين لم تنقص النار من أسمائهم ولا من أجسامهم شيئًا، وكذلك لو كتبت الله بهجائه في رقعة ثم أحرقت الرقعة لاحترقت الرقعة وكان الله سبحانه بكماله على عرشه، وكذلك لو صور رجل في رقعة ثم ألقيت في النار لاحترقت الرقعة ولم يضر المصور شيئًا. وكذلك القرآن لو احترقت المصاحف كلها لم ينقص من القرآن نفسه حرف واحد، وكذلك لو احترق القراء كلهم أو قتلوا أو ماتوا لبقي القرآن بكماله كما كان لم ينقص منه حرف واحد لأنه منه بدا وإليه يعود عند فناء الخلق بكماله غير منقوص. وقد كان للمريسي في أسماء الله مذهب كمذهبه في القرآن، كان القرآن عنده مخلوقًا من قول لبشر لم يتكلم الله بحرف منه في دعواه، وكذلك أسماء الله تعالى عنده من ابتداع

البشر من غير أن يقول تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] بزعمه قط، وزعم أني متى اعترفت بأن الله تعالى تكلم بـ ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾ لزمني أن أقول تكلم بالقرآن، ولو اعترفنا بذلك لانكسر علينا مذهبنا في القرآن. وقد كسره الله عليهم على رغم أنوفهم فقال: ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾ ولا يستحق مخلوق أن يتكلم بهذا فإن فعل ذلك كان كافرًا كفرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] فهذا الذي ادعوا في أسماء الله عز وجل أصل كبير من أصول الجهمية التي بنوا عليها محنتهم وأسسوا بها ضلالتهم غالطوا بها الأغمار والسفهاء وهم يرون أنهم يغالطون بها الفقهاء، ولئن كان السفهاء وقعوا في غلط مذاهبهم فإن الفقهاء منهم لعلى يقين.

أرأيتم قولكم إن أسماء الله مخلوقة، فمن خلقها: وكيف خلقها؟ أجعلها أجسامًا وصورًا تشغل أعيانها أمكنة دونه من الأرض والسماء أم موضعًا دونه في الهواء؟ فإن قلتم لها أجسام دونه فهذا ما تنقمه عقول العقلاء، وإن قلتم خلقها في ألسنة العباد فدعوه بها وأعاروها إياه فهو مما ادعينا عليكم أن الله تعالى كان بزعمكم مجهولاً لا اسم له حتى أحدث الخلق فأحدثوا له أسماء من مخلوق كلامهم، فهذا هو الإلحاد في أسماء الله والتكذيب بها، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٤] كما يضيفه إلى رب العالمين، ولو كان كما ادعيتم لقيل الحمد لله رب العالمين. المسمى الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وكما قال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٢، ٣] كما قال: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ [الزمر: ١] كذلك قال: ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾، ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦] كلها بمعنى واحد وكلها هي الله، والله هو أحد أسمائه ـ إلى أن قال ـ وكما قال تعالى في كتابه: ﴿أنا الله رب العالمين﴾ كذلك قال على لسان نبيه ﷺ: «أنا الرحمن» ثم روى بسنده حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: أنا الرحمن، وهي الرحم شققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته»[1]

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ١٩٤)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٥٣، ١٥٤) والحاكم (٤/ ١٥٩) وأورد أحاديث مختلفة الإسناد من طرق مختلفة وقال عنها صحيحة، وأبو داود (١٦٩٤)، والترمذي (١/ ٣٤٨)، وقال الترمذي: حديث سفيان عن الزهري حديث صحيح، ومعمر كذا يقول، وتعقبه المنذري بقوله (٣/ ٢٢٥): وفي تصحيح الترمذي له نظر، فإن أبا سلمة بن عبدالرحمن لم يسمع من أبيه شيئًا، قاله يحيى بن معين وغيره .... انظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني ح (٥٢٠).

فيقول الله تعالى: «أنا شققت لها من اسمي» وادعت الجهمية مكذبين لله ولرسوله أنهم أعاروه الاسم الذي شقها منه. ومن أين علم الخلق أسماء الخالق قبل تعليمه إياهم فإنه لم يعلم آدم ولا الملائكة أسماء المخلوقين حتى علمهم الله تعالى من عنده وكان بدء علمها منه فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣] وقال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها وحفظها دخل الجنة»(١) وساق الأسماء الحسنى كما قدمنا ثم قال: فهذه كلها أسماء الله تعالى لم تزل له كما لم يزل بأيها دعوت فإنما تدعو الله نفسه. قال: ولن يدخل الإيمان قلب رجل حتى يعلم أن الله تعالى لم يزل إلهًا واحدًا بجميع أسمائه وجميع صفاته لم يحدث له منها شيء كما لم تزل وحدانيته(٢). انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

واختلف العلماء في معنى قوله ﷺ «من أحصاها» فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها وأن إحدى الروايتين مفسرة للأخرى(٣). وقال الخطابي: يحتمل وجوهًا: أحدها: أن يعدها حتى يستوفيها، بمعنى أن لا يقتصر على بعضها فيدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها، فيستوجب الموعود عليها من الثواب. وثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بمواجبها فإذا قال: «الرزاق» وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء. ثالثها: المراد بها الإحاطة بجميع معانيها، وقيل أحصاها عمل بها فإذا قال «الحكيم» سلم لجميع أوامره وأقداره وأنها جميعها على مقتضى الحكمة، وإذا قال «القدوس» استحضر كونه مقدسًا منزهًا عن جميع النقائص واختاره أبو الوفاء بن عقيل. وقال ابن بطال: طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها - يعني فيما يقوم به، وما كان يختص

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص٧-١٣.

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٢٢٠) ك: الدعوات، ب: باب لله مائة اسم غير واحدة ح (٦٤١٠) بلفظ «لله تسعة وتسعون اسمًا ...» ومسلم (٤/ ١٠٦٢) ح (٢٦٧٧) ك: الذكر والدعاء، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

به نفسه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة ا.هـ[1] والظاهر أن معنى حفظها وإحصائها هو معرفتها والقيام بعبوديتها كما أن القرآن لا ينفع حفظ ألفاظه من لا يعمل به، بل جاء في المرّاق من الدين أنهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام طويل على أولية الله تعالى وما في ذلك الشهود من الغنى التام قال: وليس هذا مختصًا بأوليته تعالى فقط بل جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها وقيامه بعبوديتها، فمن شهد مشهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته لعباده واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق وتعبد بمقتضى هذه الصفة، بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجيًا له مطرقًا واقفًا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلمه وعلمه صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به. وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال بل أحاط بذلك علمه علمًا تفصيليًا ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإرادته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية بادية لا يخفى عليه منها شيء. وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها وسواء عنده من أسرّ القول ومن جهر به لا يشغله جهر من جهر عن سمعه صوت من أسر ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه الأصوات على

(١) انظر فتح الباري على شرح حديث (٦٤١٠).

كثـرتها واختلافـها واجتمـاعها بل هي عنده كلهـا كصوت واحد كـما أن خلق الخلق جميـعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة. وكـذلك إذا شهد معنى اسمه البـصير جل جلاله الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخـرة الصماء في حندس الظلماء ويرى تفاصيل خلق الذرة الصـغيرة ومخهـا وعروقها ولحمهـا وحركتها ويرى مد البـعوضة جناحها في ظلمة الليل وأعطى هذا المشهد حـقه من العبودية بحرس حركاته وسكناته وتيقن أنهـا بمرأى منه سبحـانه ومشاهدة لا يغـيب عنه منها شيء. وكذلك إذا شـهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس بما كسبت، وأنه تعـالى هو القائم بنفسه المقـيم لغيره القائم عليـه بتدبيره وربوبيتـه وقهره وإيصال جزاء المحـسن وجزاء المسيء إليه وأنه بكمـال قيوميتـه لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفـعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهـار وعمل النهار قبل علم الليل لا تأخذه سنـة ولا نوم ولا يضل ولا ينسى. وهذا المشهد من أرفع مـشاهد العارفين وهو مشهد الربوبية وأعلى منه مشهـد الإلهية الذي هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن إلهية ما سـواه باطل ومحال كما أن ربوبية ما سواه كذلك فـلا أحد سواه يستحق أن يؤله ويعـبد ويصلى له ويسجد ويسـتحق نهاية الحب مع نهاية الذل لكمال أسـمائه وصفاته وأفعـاله، فهو المطاع وحده على الحقـيقة والمألوه وحده وله الحكم فـكل عبودية لغـيره باطلة وعناء وضلال وكل مـحبة لغـيره عذاب لصاحـبها وكل غنى بغيـره فقر وفاقة، وكل عـز بغيره ذل وصغـار وكل تكثير بغيره قـلة وذلة، فكما استحـال أن يكون للخلق رب غيره فكذلك استـحال أن يكون لهم إله غيره، فـهو الذي انتهت إليه الرغبـات وتوجهت نحوه الطلبات ويسـتحيل أن يكون معه إله آخر فإن الإله على الحقيقـة هو الغني الصمد الكامل في أسمائه وصفاته الذي حاجة كل أحد إليه ولا حاجة به إلى أحد وقيام كل شيء به وليس قيامه بغيره ـ إلى أن قال ـ فمشهـد الألوهية هو مشهد الحنفاء وهو مشهد جـامع للأسماء والصفات وحظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات، ولذلك كان الاسم الدال على هذا المعنى هو اسم الله جل جـلاله، فإن هذا الاسم هو الجـامع، ولهذا تـضاف الأسماء الحسنى كلها إليـه فيقال الرحمن الرحيم العزيز الغفـار القهار من أسماء الله، ولا يقال الله من أسماء الرحمن، قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها وكل مشهد سـواه فإنما هو مشهد لصفة من صفاته، فمن اتسع قلبه لمشهد الإلهية وقام بحقه من التعبد هو كمال الحب مع كمال الذل والتعظيم والقيام

بوظائف العبـودية فقد تم له غناه بالإله الحق وصـار من أغنى العباد ولسـان مثل هذا يقول:

غنيـت بلا مـالٍ عن النّاس كلهـم وإنَّ الغنى العالي عن الشيء لابـه ا.هـ[1]

[تفسير قوله تعالى: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾]

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال ابن عـباس وابن جريج ومجاهد: هم المشركون عدلوا بأسمـاء الله تعالى عما هي عليه فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقـصوا، فاشـتقوا اللات من الله والعزى مـن العزيز ومناة من المنان. وقيل هي تسمـيتهم الأصنام آلهة، وروي عن ابن عباس ﷺ يلحـدون في أسمائه أي يكذبون. وقال قتادة: يلحدون يشركون في أسمائه. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب[2]، وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمة الحفر ا.هـ. وهذه الأقوال متقاربة، والإلحاد يعمها وهو ثلاثة أقسام:

الأول: إلحاد المشركين وهو ما ذكره ابن عـباس وابن جريج ومجـاهد من عدولهم بأسماء الله تعالى عما هي عليه وتسميـتهم أوثانهم بها مضاهاة لله عز وجل ومشاقة له وللرسول ﷺ.

الثاني: إلحاد المشبهة الذين يكيفون صفات الله عز وجل ويشـبهونها بصفات خلقه مضادة له تعالى وردًا لقوله عز وجل ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿ولا يحيطون به علما﴾ وهو مقابل لإلحاد المشركين فأولـئك جعلوا المخلوق بمنزلة الخالق وسووه به، وهؤلاء جعلوا الخالق بمنزلة الأجسام المخلوقة وشبهوه بها تعالى وتقدس عن إفكهم.

الثالث: إلحاد النفاة وهم قسمان:

قسم أثبتوا ألفاظ أسـمائه تعالى دون ما تضمنته من صفات الكمـال فقالوا رحمن رحيم بلا رحمة، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر. واطردوا بقية الأسماء الحسنى هكذا وعطلوها عـن معانيها وما تقتضيه

---

(١) انظر ابن القيم في طريق الهجرتين ص٣٣ـ ٤٦.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٥) في تفسير سورة الأعراف آية (١٨٠).

وتتضـمنه من صفات الكمـال لله تعالى، وهم في الحـقيقـة كمن بعدهم وإنما أثبـتوا الألفاظ دون المعاني تستراً وهو لا ينفعهم.

وقسم لم يتستروا بما تستر به إخوانهم بـل صرحوا بنفي الأسماء وما تدل عليه من المعاني واستراحوا من تكلف أولئك وصـفوا الله تعالى بالعدم المحض الذي لا اسم له ولا صفة وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى مكذبون بالكتاب وبما أرسل الله به رسله. وكل هذه الأربعة الأقسام كل فريق منهم يكفر مقابله، وهم كما قالوا كلهم كفـار بشهادة الله ومـلائكته وكتـبه ورسله والناس أجمـعين من أهل الإيمان والإثبات الواقفين مع كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

(صفاته العلى) أي وإثبات صفـاته العُلى التي وصف بها نفسه تعالى ووصـفه بها نبيه ﷺ من صفات الكمال ونعوت الجلال، من صـفات الذات وصفات الأفعال، مما تضمنته أسـماؤه بالاشتقاق كالعلم والـقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحـمة والعزة والعلو وغيرها، ومما أخبر به عن نفسه وأخبر بها عنه رسوله ﷺ ولم يشتق منه اسمًا كحبه المؤمنين والمتقين والمحسنين ورضـائه عن عباده المؤمنين ورضاه لهم الإسلام دينًا، وكراهتـه انبعاث المنافـقين وسخطه على الكافـرين وغضبـه عليهم وإثبات وجـهه ذي الجلال والإكرام ويديه المبـسوطتين بالإنفاق وغيـر ذلك مما هو ثابت في الكتاب والسنة والفطر السليمة، وسيأتي الكلام على مـا ذكر من ذلك في المتن في محله وما لم يذكر في المتن ففي خاتمة الباب إن شاء الله تبارك وتعالى.

إثبات ربوبية الله تعالى

وأنَّـهُ الـرَبُّ الجلـيلُ الأكْبَرُ ... الخالقُ الباريءُ والمصوِّرُ

باري البرايا منشيءُ الخلائقِ ... مبدِعُهم بلا مثالٍ سابقِ

(وأنه الرب) أي وإثبات ربوبيتـه بأنه رب كل شيء ومليكه رب الأولين والآخرين رب المشرقـين ورب المغربين، رب السـموات والأرضين وما بـينهما رب الـعالمين رب الآخرة والأولى، مالك الملك فلا شريك له في ملكه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشـاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشـاء ويسعد من يشاء ويشقـي من يشاء ويخفض من يشاء ويرفع من يشـاء ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء ويصل من يشـاء ويقطع من يشاء ويبـسط الرزق لمن يشاء ويقـدره على من يشاء

يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون، خلق فسوى وقدر فهدى، وأضحك وأبكى وأمات وأحيا وخلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى، وأغنى وأقنى وأوجد وأفنى، يبدي ويعيد ويفعل ما يريد، رفع سمك السماء فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، وبسط الأرض ودحاها، فراشًا لعباده ومهادًا، ونصب الجبال عليها أوتادًا، سخر الفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فالق الإصباح وجعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون. خالق الكون وما فيه، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه. مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخًا وحجرًا محجورًا، وأسبغ على عباده نعمه الظاهرة والباطنة وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، علم وألهم، ودبر فأحكم وقضى فأبرم لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه ولا شريك له في ملكه ولا إله غيره ولا رب سواه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(الجليل) أي المتصف بجميع نعوت الجلال وصفات الكمال، المنزه عن النقائص والمحال، المتعالي على الأشباه والأمثال، له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، وله الحمد في الآخرة والأولى.

(الأكبر) الذي السموات والأرض وما فيهن وما بينهما في كفه كخردلة في كف آحاد عباده له العظمة والكبرياء وهو أكبر كل شيء شهادة لا منازع له في عظمته وكبريائه ولا ينبغي العظمة والكبرياء إلا له ومن نازعه في صفة منهما أذاقه عذابه وأحل عليه غضبه ومن يحلل عليه غضبه فقد هوى.

(الخالق) أي المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره كما قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي

بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ [الزمر: ٦] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج: ٥] الآية. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] وقال تعالى: ﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧] وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وقال تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ وقال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فالله تبارك وتعالى الخالق وكل ما سواه مخلوق له مربوب له لا خالق غيره، فجميع السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما وحركات أهلها وسكناتهم وأرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم كلها مخلوقات له محدثة كائنة بعد أن لم تكن، وهو خالق ذلك كله وموجده ومبدئه ومعيده، فمنه مبدأها وإليه منتهاها ﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

(البارىء) أي المنشيء للأعيان من العدم إلى الوجود، والبرء هو الفرى وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل كما قيل:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ... ـض القوم يخلق ثم لا يفري

أي أنت تنفذ ما خلقت أي قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع كل ما يريد فالخلق التقدير، والفري التنفيذ.

(المصور) الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها، يقال هذه صورة الأمر أو مثاله فأولاً يكون خلقًا ثم برءًا ثم تصويرًا، وهذه الثلاثة الأسماء التي في سورة الحشر في خاتمتها ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨].

(باري البرايا) جميع الموجودات (منشيء الخلائق) أي جميع المخلوقات (مبدعهم)

أي خالقهم ومنشئهم ومحدثهم، يفسر ذلك (**بلا مثال سابق**) أي بلا نظير سالف، ومنه سميت البدعة بدعة لأنها على غير مثال سبق في الشرع، وقال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أي محدثها وموجدها على غير مثال سبق. وهذا مفسر للبيت الذي قبله وقد تقدم الكلام عليه ولله الحمد والمنة.

الأول المبدي بلا ابتداء والآخر الباقي بلا انتهاء

(**الأول**) فليس قبله شيء (**المبدئ**) الذي يبدئ الخلق ثم يعيده (**بلا ابتداء**) لأوليته تعالى (**والآخر**) فليس بعده شيء (**الباقي**) وكل ما سواه فان (**بلا انتهاء**) لآخريته تعالى قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠] وقال تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] وقال رسول الله ﷺ: «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر» رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ[1]. وفي الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: «اقبلوا البشرى يا بني تميم» قالوا: قد بشرتنا فأعطنا. مرتين. ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٤) ح (٢٧١٣) ك: الذكر والدعاء، ب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. والترمذي (٩/ ٢٧٩) ك: الدعوات، من طريق أبي هريرة بلفظ: «اللهم رب السموات والأرضين وربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة...»، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٢٧٤) ح (٣٨٧٣) ك: الدعاء، باب ما يدعو إذا أوى إلى فراشه.

تميم» قالوا: قبلنا يا رسول الله، قالوا: جـئناك نسألك عن أول هذا الأمر، قال: «كان الله ولم يكن شيء غـيره وكـان عـرشه على الماء وكـتب في الذكـر كل شيء وخلق السموات والأرض»[١] الحديث. وقال عمر ﷺ: قام فينا النبي ﷺ مقامًا فأخبرنا عن بدء الخلق حـتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلـهم، حفظ ذلك من حـفظه ونسيـه من نسيه. رواه البـخاري[٢]. وفي حديث ابن عمـر ﷺ: «أنه تعالى يطوي السمـوات بيده ثم يقول: أنـا الملك أنا الملك أنا الجبار المتكـبر، أين ملوك الأرض أين الجبارون أين المتكبرون»[٣]. وفي حديث الصور: «أنه عز وجل إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحـده لا شريك له حينئذ يقـول لمن الملك اليوم ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه قـائلاً: «لله الواحد القهار» أي الذي هو وحده قد قـهر كل شيء وغلبه. ولابن أبي حاتم عن ابن عـباس ﷺ قال: «ينادي مناد بين يدي الساعـة يا أيها الناس أتتكم الساعة، فيسمعه الأحياء والأموات. قال: وينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول: لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار[٤].

قال ابن القـيم رحمـه الله تعالى في أثناء كلامـه على هذه الأسمـاء الأربعة وهي الأول والآخر والظاهر والباطن: هي أركان العلم والمعرفـة، فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه. واعلم أن لك أنت أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا بل كل شيء فله أول وآخـر وظاهر وباطن، حتى الخـطرة واللحظة والنفس وأدنى من ذلك وأكثـر، فأولية الله عز وجل سـابقة على أولية كل مـا سواه، وآخريته ثابتـة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته سبـقه لكل شيء، وآخريته بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٣١) ح (٣١٩١) ك: بدء الخلق، ب: ما جاء في قول الله تعالى ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ وأحمد (٢/ ٤٣١) وابن ماجه والطبراني (١٨/ ٢٠٤) ح (٥٠٠).

(٢) أخرجـه البخاري (٦/ ٣٣١) ح (٣١٩٢) ك: بدء الخلـق، ب: ما جاء في قـول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾، ورواه معلقًا ووصله الحـافظ في (تعليق التغليق) (٤/ ٤٨٨) قال ابن منده: هذا حديث صحيح، غريب، تفرد به، عيسى بن موسى.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٠٤) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾. ومسلم (٤/ ٢١٤٨) ح (٢٧٨٨) ك: صفات المنافقين وأحكامهم، صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) رواه الحاكم (٢/ ٤٣٧) ك: التـفسير، وقال: هـذا حديث صحـيح على شرط مـسلم ولم يخرجـاه. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٧٩) وعزاه إلى عبـد بن حميد في زوائد الزهد وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس.

ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون، فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة وهي إحاطتان زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله وما من آخر إلا والله بعده، فالأول قدمه والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه، فسبق كل شيء بأوليته وبقي بعد كل شيء بآخريته وعلا على كل شيء بظهوره ودنا من كل شيء ببطونه، فلا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضًا، ولا يحجب عنه ظاهر باطنًا بل الباطن له ظاهر والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب والسر عنده علانية، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد فهو الأول في آخريته، والآخر في أوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا. ثم ساق الكلام على التعبد بهذه الأسماء فشفى وكفى رحمه الله تعالى[1]، ولكن قد أحاط بذلك المعنى تفسير رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة المتقدم قريبًا بأوجز عبارة وأخصرها فسبحان من خصه بجوامع الكلم ﷺ.

الأحدُ الفَرْدُ القديرُ الأزلي — الصَّمدُ البَرُّ المهيمنُ العَـلِيّ
علـوّ قهـرٍ وعلـوّ الشَّأنِ — جَلَّ عَنِ الأضدادِ والأعوانِ
كـذا لـه العُـلوُّ والفوقيّـهْ — علـى عبادهِ بـلا كيفيَّـهْ

(الأحد الفرد) الذي لا ضد له ولا ند له ولا شريك له في إلهيته وربوبيته ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاته. فهو أحد في إلهيته لا معبود بحق سواه ولا يستحق العبادة إلا هو ولذا قضى ألا نعبد إلا إياه، وهو أحد في ربوبيته فلا شريك له في ملكه ولا مضاد ولا منازع ولا مغالب. أحد في ذاته وأسمائه وصفاته فلا شبيه له ولا مثيل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا. فكما أنه الأحد الفرد في ذاته وإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته فهو المتفرد في ملكوته بأنواع التصرفات ـ من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والخلق والرزق والإعزاز والإذلال

(١) ابن القيم في طريق الهجرتين ص٢٤.

والهداية والإضلال والإسعاد والإشـقاء والخفض والرفع والعطاء والمنع والوصل والقطع والضر والنفع ـ فلو اجتمع أهل السموات السـبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما على إماتة من هو محييه أو إعـزاز من هو مذله أو هداية من هو مضله أو إسعاد من هو مشقيه، أو خفض من هو رافعه أو وصل من هو قاطعه، أو إعطاء من هو مانعه أو ضر من هو نافعه أو عكس ذلك لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم، وأنَّى لهم ذلك والكل خلقه وملكه وعبـيده وفي قبضته وتحت تصرفـه وقهره، ماض فيهم حكمـه عدل فيهم قضاؤه نافذة .فيهم مـشيئته لا امتناع لهم عما قضاه ولا خـروج لهم من قبضته ولا تحرك ذرة في السـموات والأرض ولا تسكن إلا بإذنه، فـما شاء كـان وما لم يشـأ لم يكن.

فسحقًا لأصحاب السعير كيف جحدوا بآياته وأشركوا في إلهيته وربوبيته من هو مخلوق مربوب مثلهم لا يملك لنفـسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حـياة ولا نشورًا، واتخذوهم من دونه أربابًا وأندادًا سووهـم به وعدلوهم به واعتقدوا أنهم مـتصرفون معه في ملكوته وعبدوهم من دونه. وهم يرون ويعلمـون أنهم محدثون بعد أن لم يكونوا، مسـبوقون بالعدم عـاجزون عن القيـام بأنفسهم فقـراء إلى من يقوم بهم. وألحدوا في أسـماء الله وصفاته وآياته على اخـتلافهم في صناعة الإلحـاد فبين مشبه له تعـالى بالعدم وهم نفاة أسمائه وصـفاته بل هم نفاة وجود ذاته، وبين مـشبه له بالمخلوقات ممثل صـفاته تعالى بصفات الحـادثات المحدثات حاكمين عليـه بعقولهم واصفين له بما لم يصـف به نفسه.

وآخرون جحدوا إرادته ومشيئته النافذة وقدرته الشاملة وأفعاله وحكمته وحمده وجعلوا أنفسهم هم الفاعلين لما شاءوا الخالقين لما أرادوا مـن دون مشيئة لله ولا إرادة، وجحدوا أن يكون الله خلقهم ومـا يعملون. وآخرون جـعلوا قضاءه وقدره حـجة لهم على ترك أوامره ونواهيه وأنهم لا قدرة لهم ولا اختيـار، وأنه كلفهم بفعل ما لا يطاق فعله وترك ما لا يطاق تركـه، وجعلوا معاصـيه طاعات إذ وافقت مشـيئته الكونيـة وقدره الكوني فخاصموه بمشيئته وأقداره، وعطلوا أوامره ونواهيه ونسبوه إلى الظلم تعالى، وأن تعذيبه من لم يشهـد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولم يقم الصـلاة ولم يؤت الزكاة ولم يصم ولم يحج ولم يعمل الطاعات ولم يترك المعاصي كتعذيب الذكر لم يصر أنثى والأنثى لم تصر ذكرًا، وأن أمرهم بالصلاة وغيرها كأمر الآدمي بالطيران والأعمى بنقط المصاحف، أولئك خصمـاء الله يوم القيامة، تعالى الله عمـا يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبـيرًا. ورضي الله عن المؤمنين إذ عرفوه حق مـعرفته وقـدروه حق قدره ووحدوه بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأثبتـوا له ما أثبته لنفسه، ونفوا عنه التمثيل، وآمنوا

بقضائه وقدره وتلقوه بالرضا والتسليم، وأن ذلك موجب ربوبيته ومقتضى إلهيته واللائق بحكمته وحمده، وتلقوا أمره بالسمع والطاعة والامتثال والانقياد، ووقفوا عند نواهيه وحدوده فلم يعتدوها، ونزلوا كلا من القدر والشرع منزلته ولم ينصبوا الخصام بينهما، فالقضاء والقدر يؤمن به ولا يحتج به، والأمر والنهي يطاع ويمتثل، فالإيمان بالقدر من كمال التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بالأمر والنهي موجب شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ. فمن لا يؤمن بالقضاء والقدر وينقاد للأمر والنهي فهو مكذب بالشهادتين ولو نطق بهما بلسانه. وهذا البحث سيأتي تفصيله عن قريب إن شاء الله في موضعه، وإنما ساقنا إليه ها هنا الكلام على كمال أحدية الله عز وجل في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وقدره وشرعه، وأنه لا معارض لمشيئته ولا معقب لحكمه، وأن المخلوق لا تصرف له في نفسه فضلاً عن غيره ولا قدرة له على ما لم يقدره الله تعالى عليه، فكيف يسوى به ويعدل به ويشرك معه في إلهيته أو ينسب إليه التصرف في شيء من ملكوته، وكم يقيم الحجة تبارك وتعالى على من أشرك معه إلهاً غيره بأحديته في الربوبية والأسماء والصفات وإقرار المشرك بها، وأن آلهته التي أشرك لا تتصف بشيء منها ويلزمه إفراده بالألوهية الملازمة للربوبية كما قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٤، ٣٥] إلى غير ذلك من الآيات.

(القدير) الذي له مطلق القدرة وكمالها وتمامها الذي ما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء الذي ما خلق الخلق ولا بعثهم في كمال قدرته إلا كنفس واحدة الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون. الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه. الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما، أي لا يكرثه ولا يثقله، الفعال لما يشاء إذا شاء كيف شاء في أي وقت شاء، قال الله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى

ذلكَ قَديراً﴾ [النساء: ١٣٣] وقال تعالى بعد الكلام على البدء والإعادة ﴿ذَلكَ بأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ من دُونه هُوَ الْبَاطلُ﴾ [الحج: ٦٢] الآية وقال تعالى بعد الكلام على هذا المعنى: ﴿ذَلكَ بأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦] وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] وقال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨١، ٨٢] وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] وقال تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤٠، ٤١] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩] وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت: ٢٠-٢٢] والآيات في هذا الباب كثيرة يطول ذكرها، بل كل آيات الله الظاهرة والمعنوية وجميع مخلوقاته العلوية والسفلية تدل على كمال قدرته الشاملة التي لا يخرج عنها مثقال ذرة كما أنه لا يعزب عن عمله مثقال ذرة، وعبارة العبد تقصر عن ذلك المعنى العظيم، وكفى العبد دليلاً أن ينظر في خلق نفسه كيف قدره أحكم الحاكمين وخلقه في أحسن تقويم، وشق له السمع فسمع والبصر فأبصر واللسان فنطق والفؤاد فعقل إلى غير ذلك، فكيف إذا سرح قلبه في عجائب الملكوت، ونظر بعين

بصيرتـه إلى مبدعات الحي الذي لا يموت ورأى الآيات البـاهرة والبراهين الظاهرة على كمال قدرة ذي العزة والجبروت ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وفي حديث الاستخارة المتفق عليه «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم»(١). الحديث.

(الأزلي) بذاته وأسمائه وصفاته الذي لا ابتداء لأوليته ولا انتهاء لآخريته وليس شيء من أسمائه وصفاته متجددًا حادثًا لم يكن قبل ذلك، كذلك له كمال الربوبية ولا مربوب، واسم الخالق ولا مخلوق، وهو العليم قبل إيجاده المعلومات والسميع قبل إيجاده المسموعات، والبصير قبل إيجاده المبصرات، وكذلك سائر أسمائه وصفاته أزلية بأزلية ذاته، باقية ببقاء ذاته، لم يزل متصفًا بها في أوليته وكذلك لم يزل متصفًا بها في سرمديته، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، بل هو سبحانه الخالق قبل خلق المخلوقين والرزاق قبل وجود المرزوقين، وهو المحيي المميت قبل خلقه الموت والحياة، وكذلك وصف نفسه تبارك وتعالى فقال: ﴿إنه كان عليما قديرا ـ وكان الله غفورا رحيما ـ وكان الله عزيزا حكيما ـ وكان الله سميعا بصيرا ـ إن الله كان لطيفا خبيرا ـ إن الله كان عليا كبيرا﴾ إلى غير ذلك، قال ابن عباس: أي لم يزل كذلك ا.هـ. ولا يجوز أن يعتقد أن الله تعالى وصف بصفة لم يكن متصفًا بها لأن صفاته سبحانه كلها صفات كمال وفقدانها صفة نقص، ولا يجوز كونه قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده، وتقدم في الأزلية حديث عمران بن حصين ﷺ في بدء الخلق «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء»(٢).

(الصمد) قال عكرمة عن ابن عباس: يعني الذي يُصمد إليه الخلائقُ في حوائجهم ومسائلهم. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو

---

(١) أخرجه البخاري (١١/١٨٧) ح (٦٣٨٢) ب: الدعاء عند الاستخارة، ك: الدعوات، والترمذي (٢/٥٠٦) ك: الصلاة، ب: ما جاء في صلاة الاستخارة ح (٤٨٠) قال أبو عيسى: حديث جابر حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن أبي الموالي وهو شيخ مديني ثقة روى عنه سفيان حديثًا وقد روى عن عبدالرحمن غير واحد من الأئمة.

(٢) تقدم تخريجه.

الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفؤ وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار. وعن أبي وائل: «الصمد» الذي قد انتهى سؤدده. ورواه عن ابن مسعود رضي الله عنه. وعن زيد بن أسلم الصمد السيد. وقال الحسن وقتادة: هو الباقي بعد خلقه. وقال الحسن أيضًا: الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له[1]. وقال عكرمة: الصمد الذي لم يخرج منه شيء ولم يطعم. وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبدالله بن بريدة وعكرمة أيضًا وسعيد ابن جبير وعطاء بن أبي رباح وعطية العوفي والضحاك والسدي: الصمد الذي لا جوف له. وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب. وقال عبدالله بن بريدة أيضًا: الصمد نور يتلألأ. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: روى ذلك كله وحكاه ابن أبي حاتم والبيهقي والطبراني، وكذا أبو جعفر ابن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده. وقال الطبراني في كتاب السنة له بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير الصمد: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل، وهو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك[2]. وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا أبو سعد هو الصنعاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبيّ ابن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ والصمد الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث. ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء[3]، حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبيدالله ابن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أن النبي ﷺ ذكر آلهتهم فقالوا: انسب لنا ربك، قال فأتاه جبريل عليه السلام بهذه السورة ﴿قل هو الله أحد﴾ فذكر نحوه ولم يذكر فيه أبيّ بن كعب، وهذا أصح من حديث أبي سعيد. ا. هـ[4].

---

(١) ذكره ابن كثير (٤/ ٥٧٠) تفسير سورة الإخلاص، والطبري (١٥/ ٣٤٣).

(٢) ذكره ابن كثير (٤/ ٥٧٠) تفسير سورة الإخلاص، والطبري (١٥/ ٣٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٩/ ٢٤٢) ح (٣٣٦٤)، ك: التفسير، ب: ومن سورة الإخلاص، ورواه أحمد في مسنده (٥/ ١٣٤) والحاكم (٢/ ٥٠٤) ك: التفسير، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وابن أبي عاصم في السنة (٦٦٣) وذكره ابن جرير (١٥/ ٣٤٣)، وقال الألباني: (حسن دون قوله الصمد الذي...).

(٤) أخرجه الترمذي (٩/ ٢٤٤). ك: التفسير، ب: ومن سورة المعوذتين ح (٣٣٦٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦٦٧).

قلت: وهذه السورة العظيمة التي قال فيها النبي ﷺ: «إنها تعدل ثلث القرآن»[١] مشتملة على توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات، جامعة بين الإثبات لصفات الكمال وبين التنزيه له تعالى عن الأشباه والأمثال، متضمنة الرد على جميع طوائف الكفر من الدهرية والوثنية والملاحدة من المشبهة والمعطلة وأهل الحلول والاتحاد ومن نسب له الصاحبة والولد وغيرهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. والله أعلم.

(البَرّ) وصفًا وفعلاً، قال ابن عباس: اللطيف[٢]. وقال الضحاك: الصادق فيما وعد[٣].

(المهيمن) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل: هو الشهيد على عباده بأعمالهم، يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبًا على الشيء كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩] وقوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦] وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] وقال الحسن: الأمين، وقال الخليل هو الرقيب الحافظ، وقال ابن زيد: المصدق. وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي. وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله في الكتب[٤]، والله أعلم بتأويله ا.هـ.

(العلي) فكل معاني العلو ثابتة له، (علو قهر) فلا مغالب له ولا منازع، بل كل شيء تحت سلطان قهره ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]. ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤] وقد جمع الله تعالى بين علو الذات والقهر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] أي وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله كل شئ، وذل لعظمته وكبريائه كل شيء، وعلا بذاته على عرشه فوق كل شيء.

(وعلو الشان) فتعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى. تعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصير،

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦٧٦) ح (٥٠١٣) ك: فضائل القرآن، ب: فضل سورة الفتح، والترمذي (٨/ ١٧٨) ح (٢٩٠٠) ك: فضائل القرآن ب: ما جاء في سورة الإخلاص، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. صحيح غريب من هذا الوجه، وأبو حازم الأشجعي اسمه سلمان وأحمد (٣/ ٣٥، ٤٣).

(٢)، (٣) معالم التنزيل للبغوي (٥/ ٢٣٦).

(٤) معالم التنزيل للبغوي (٥/ ٢٣٦).

وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده بدون إذنه والمجير. وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفؤ والنظير. وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسِّنَة والنوم والتعب والإعياء، وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان وعن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء، وتعالى في كمال حكمته وحمده عن الخلق عبثًا وعن ترك الخلق سدى بلا أمر ولا نهى ولا بعث ولا جزاء، وتعالى في كمال عدله عن أن يظلم أحدًا مثقال ذرة أو أن يهضمه شيئًا من حسناته، وتعالى في كمال غناه عن أن يُطعَم أو يُرزق أو أن يفتقر إلى غيره في شيء، وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل. قال الله تعالى: ﴿وما من إله إلا الله﴾ وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ من دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الأحقاف: ٤] وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١] وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣] وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣] وقال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] وقال تعالى: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧] وقال تعالى: ﴿وما كان ربك نسيا﴾ وقال تعالى عن موسى

لما قال له فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١، ٥٢] وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص: ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩] وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] وقال تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً، وهذان المعنيان من العلوّ لم يخالف فيهما أحد ممن يدعي الإسلام وينتسب إليه، وإنما ضل منهم وأخطأ في التنزيه الذي هو مقصوده حيث لم يسلك الطريق الموصلة إليه، وأحسن الظن بنفسه وعقله ومتبوعه، وأساءه بالكتاب والسنة، وكثير منهم اغتر بقول كان مقصود قائله الزيغ والفساد والكفران، فحسب ـ لإحسان الظن به ـ أن مقصوده التحقيق والإيمان والعرفان. واتبعوا السبل المضلة فتفرقت بهم عن صراط الرحمن، فمنهم من نزهه تعالى عن فوقيته على عرشه بائنًا من خلقه ووقع في أعظم من ذلك حيث اعتقد أنه في كل مكان، ولم ينزهه حتى عن الأماكن الخسيسة. ومنهم من نزهه عن العلو والفوقية وجعله هو الوجود بأسره، ومنهم من نزهه عن وجود ذاته ووصفه بالعدم المحض، ومنهم من نزهه عن أفعاله ومشيئته فراراً من وصفه بالظلم، ووقع في تعطيله عن قدرته ونسبته إلى العجز، وغلا بعضهم في ذلك حتى أنكر علمه السابق ووصفه بضده، ومنهم من غلا في مسألة القدر وإثباته وخاصم به الأمر والنهي فراراً مما وقع فيه الأولون ووقع في أعظم ذلك تعطيل الشريعة

ونسبته تعالى إلى الظلم وإلى تكليف عباده ما لا يطاق تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ففروا من الهـدى إلى الضلالة ومن الرشد إلى الغي ومن الإسـلام إلى الكفر ومن السنة إلى البدعـة ومن النور إلى الظلمات وضل سعـيهم في الحيـاة الدنيا وهم يحسـبون أنهم يحسنون صـنعًا، وهدى الله الذين آمنوا لما اختـلف فيه من الحق بإذنه فـجعلوا إمـامهم وقدوتهم الكتاب والسنة وساروا معهما حيث سارا ووقفوا حيث وقفا. فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأثبـته له رسوله ﷺ من الأسماء الحـسنى والصفات العلا، وآمنوا بالقـدر خيره وشره وتلقـوه بالرضا والتسليم، وانقـادوا للشريعة فـقابلوا أوامرها ونواهيـها بالامتـثال والتعظيم، فما أثبت الله لنفسه أثبتوه، وما نفاه عن نفسه نفوه، فإذا سمعوا آيات الصفات وأحاديثها قالوا آمنا به كل من عند ربنا، وإن أحسنوا قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهـتـدي لولا أن هدانا الله، وإن أساءوا قـالوا ربنا ظلمنـا أنفسنا وإن لم تـغفـر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وإذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإن إليه راجعون.

(كذا) ثابت (له العلوّ والفوقية) بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة والأنبياء والمرسلين وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة والجماعة (على عباده) فوقهم مستويًا على عرشه عاليًا على خلقـه بائنًا منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالـهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى علـيه منهم خافـية، والأدلة في ذلك من الكتـاب والسنة أكثـر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى، والفطر السليمة، والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك لا تنكره. ولنشر إلى بعض ذلك إشارة تدل على ما وراءها وبالله التوفيق.

فمن ذلك أسـماؤه الحسنى الدالة على ثبوت جـميع معاني العلوّ له تبـارك وتعالى كاسمه الأعلى واسمه العلي واسمه المتعـالي واسمه الظاهر واسمه القاهر وغيرها. قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ولما نزلت قال النبي ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ [النساء: ٣٤] وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢] وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١] وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٥٥) من حديث عقبة بن عامر الجهني، ورواه أبو داود (١/ ٢٣٠) ح (٨٦٩) ك: الصلاة، ب: ما يقول الرجل في ركوعه، وابن ماجه (١/ ٢٨٧) ح (٨٨٧)، والحاكم (١/ ٢٥٥) وصححه.

وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] وقال تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وقال النبي ﷺ في دعائه: «وأنت الظاهـر فليس فوقك شيء»(١). وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] وهذه الأسماءُ تدل على ثبـوت جميع معاني العلو له تبارك وتعالى ذاتًا وقهرًا وشأنًا.

ومن ذلك التصريح بالاستواء على عرشه كما قال تعالى في سورة الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ [يونس: ٣] وقال تعالى في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]. وقال تعالى في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال تعـالى في سورة الفـرقان: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال تعالى في سورة الم تنزيل السجدة ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ۞ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ [السجدة: ٤، ٥] الآية وقال تعالـى في سورة الحديد ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وفي حديث أنس في فضل الجـمعة وتسميتـه في الآخرة يوم المزيد الحديث بطوله وفي آخره قال: «وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش» وقد رواه الشافعي في مسنده وعبدالله بن أحمد في كتـاب السنة وابن خزيمة وغيرهم، وقد جمع أبو بكر بن أبي داود طرقـه في جزء وسـيأتي إن شـاء الله تعالـى بطوله وألفاظه في إثبـات رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى. وعن أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله تعالى الخـلائق حاسـبهم فيـميز بين أهل الجنة وأهل النار وهو تعالى في جنـته على عرشه» قال مـحمد بن عثمان الحافـظ هذا حديث صحيح(٢). وعن قتادة بن النعمان ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما فرغ الله من خلقه استـوى على عرشه»

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر اجتماع الجيوش ص٥٥ لابن القيم.

رواه الخلال في كتـاب السنة بإسناد صحيح على شـرط البخاري[١]. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن اليهود أتوا النبي ﷺ فسألوه عن خلق السموات والأرض، فذكر حديثًا طويلاً، قالوا: ثم ماذا يا مـحمد؟ قال: «ثم استوى على العرش». قالوا: أصبت يا محـمد، لو أتممت: ثم استراح، فـغضب غضبًا شـديدًا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] رواه ابن منده والحـاكم وصحـحه، وفي إسناده البـقال ضـعفه ابن مـعين[٢]. وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «كان في عماء مـا فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق العرش فـاستوى عليه» رواه أبو داود وابن ماجـه، وقال الذهبي إسنـاده حسن[٣]، ورواه الترمـذي وحسنه لكن لفظه «وخلق عرشـه على الماء» قال يزيد بن هارون: العماء، أي ليس مـعه شيء[٤]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مـسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قال إن الله تعالى كـان عرشه على الماء ولم يخلق شيئًا قبل الماء فلمـا أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانًا فـارتفع فوق الماء فسمـا عليه فسماه سـماء ثم أيبس الماء فجعله أرضًا ثم فـتقها فجـعلها سبع أرضين. الحديث. إلى أن قال: فلما فرغ الله عز وجل من خلق ما أحب استوى على العرش. رواه السدي وابن جرير الطبري فـي تفسيره والبيهقي في الأسـماء والصفات[٥]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخـذ بيـده فـقال: «يـا أبا هريرة، إن الله تعـالى خلق السـموات والأرضين ومـا بينهمـا في ستـة أيام ثم استـوى على العرش يوم السـابع» الحديث بطوله رواه النسائي في تفسير سورة السجدة من سننه الكبرى[٦]. وفيه أخضر

---

(١) إسناده صحيح: رواه أبو بكر الخـلال في كتاب السنة، وذكره ابن القيم في اجتـماع الجيوش ص٣٤، وإسناده صحيح على شرط البخاري، ومختصر العلو ح (٣٨) ص (٩٨).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٥٤٣)، وقـال الحاكم: هذا حديث صـحيح الإسناد ولم يخـرجاه ولم يوافقـه الذهبي وقال: وأنى ذلك والبقال قد ضعفه ابن معين والناس، العلو ص ٧٦.

(٣)،(٤) أخرجه التـرمذي (٣٠٩١) ك: التفسـير، ب: ومن سورة هود، من حديث أبي رزين العـقيلي، وقال: حديث حـسن، والمسند (٤/ ١١) ح (١٦١٣٢) قال مـحقق المسند: إسناده صحـيح بنحوه، ورواه ابن مـاجه (٢/ ٦٤) ح (١٨٢) في المقدمة ما أنكرت الجهمية، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٤).

(٥) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٧٩، ٣٨٠)، وأخرجه ابن خزيمة ص ٢٤٣، انظر مختصر العلو ح (٥٤)، وابن جرير (١/ ١٩٤) في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٠٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) ذكره مسلم مختصراً بلفظ (خلق الله التـربة . .) ح (٢٧٨٩) والذهبي في مختصر العلو ح (٧١) وقال الشيخ الألباني: أخرجه في تفسير (السجدة) والأخضر بن عجلان وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه،=

ابن عجلان قال الذهبي وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم يكتب حديثه، ولينه الأزدي، وحديثه في السنن الأربعة وهذا الحديث غريب من أفراده.

ومن ذلك التصريح بالفوقية لله تعالى قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وتغنم أموالهم قال له النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة» وفي لفظ «من فوق سبع سموات»[1] وأصله في الصحيحين وهذا سياق ابن إسحاق. وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوَّجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات[2]. وفي سنن أبي داود من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «ويحك أتدري ما تقول» وسبح رسول الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك. ويحك أتدري ما الله، إنَّ عرشه على سمواته لهكذا» وقال بإصبعه مثل القبة عليه «وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب» قال ابن بشار في حديثه: «إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته»[3] وساق الحديث. وله عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: «ما تسمون هذه» قالوا: السحاب. قال: «والمزن» قالوا: والمزن قال: «والعنان» قالوا: والعنان. قال أبو داود: ولم أتقن العنان جيداً، قال: «هل تدرون ما بُعد ما بين السماء

= ولينه الأزدي وحديثه في السنن الأربعة.

(١) رواه البخاري (٧/ ١٥٤) ك: مناقب الأنصار، ب: مناقب سعد من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ «حكمت بحكم الله أو بحكم الملك» وأخرجه مسلم رقم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد مختصراً، وأخرجه البيهقي في الأسماء ح (٤٢٠) وقال الشيخ الألباني في مختصر العلو ح (١٥) إسناده حسن فيه محمد بن صالح التمار، قال الحافظ: «صدوق يخطئ» . . . والمقدسي في إثبات صفة العلو ح (٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٤١٥٩) ك: التوحيد، ب: وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم، من حديث أنس، والترمذي (٥/ ٣٥٤) ح (٣٢١٣) ك: تفسير القرآن، ب: ١٤، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه أبو داود (٤/ ٢٣٢) ح (٤٧٢٦) ك: السنة، ب: في الجهمية من حديث جبير بن مطعم عن أبيه عن جده، وابن خزيمة ص ١٠٣، ١٠٤، والإمام البغوي في شرح السنة (١/ ١٧٥، ١٧٦) ب: في الرد على الجهمية.

والأرض؟ قالوا: لا ندري، قال: «إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك ـ حتى عد سبع سموات ـ ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك» زاد أحمد «وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»[(١)]. وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. قال: وذلك قول الله عز وجل: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»[(٢)]. وفي إسناده الرقاشي ضعيف، ومعناه ثابت في الكتاب والسنة. وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «فأدخل على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه»[(٣)] وذكر الحديث، وفي بعض ألفاظ البخاري في صحيحه «فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه»[(٤)]، قال عبد الحق في الجمع بين الصحيحين: هكذا قال «في داره» في المواضع الثلاثة يريد مواضع الشفاعات الثلاث التي يسجد فيها ثم يرفع رأسه. وعن عمير بن عبدالملك قال: خطبنا علي ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ حدثني عن ربه عز وجل فقال: «وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي فتحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٧) ح (١٧٧٠) من حديث العباس بن عبدالمطلب بنحوه وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف، لأن يحيى بن العلاء الرازي البجلي قال البخاري في الكبير ٤/ ٢/ ٢٩٧: «كان وكيع يتكلم فيه» وقال النسائي في الضعفاء ٣١ «متروك الحديث».

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٦) ح (١٨٤) في المقدمة. قال السيوطي في مصباح الزجاجة: والذي رأيته أنا في كتاب العقيلي ما نصه: عبدالله بن عبيدالله أبو عاصم العباداني، منكر الحديث، وكان «الفضل» يرى القدر. كاد أن يغلب على حديثه الوهم، والموضوعات لابن الجوزي (٣/ ٢٦٢) وقال حديث موضوع، ومدار طرقها كلها على الفضل بن عيسى الرقاشي، قال ابن حبان: كان يضع الحديث.

(٣) رواه الذهبي (ص٣٢) وقال الشيخ الذهبي في العلو ص (٨٧) فيه زائدة بن أبي الرقاد ضعيف. وأخرجه أبو أحمد العسال في كتاب المعرفة بإسناد قوي عن ثابت عن أنس، والمقدسي في إثبات العلو ح (٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٣٠) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وأحمد (٣/ ٢٤٤) وابن ماجه (٤٣١٢).

عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي» رواه ابن أبي شيبة في كتاب «العرش» والعسال في المعرفة وضعفه الذهبي(١). وعن جابر بن سليم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين فتبختر، فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته، فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها»(٢) رواه الدارمي، وله شاهد في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي حديث عمران بن حصين في بدء الخلق: «كان الله عز وجل على العرش وكان قبل كل شيء، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون»(٣) حديث صحيح أصله في البخاري. وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى ييسر له نظر الله له من فوق سبع سموات فيقول للملائكة اصرفوه عنه فإن يسرته له أدخلته النار» رواه البغوي وسكت الذهبي عنه(٤). وعنه رضي الله عنه قال: «العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم» قال الذهبي رواه عبدالله بن أحمد في السنة وأبو بكر بن المنذر وأبو أحمد العسال وأبو القاسم الطبراني وأبو الشيخ وأبو القاسم اللالكائي وأبو عمرو الطلمنكي وأبو بكر البيهقي وأبو عمر بن عبد البر في تواليفهم، وإسناده صحيح(٥). وأخرج ابن أبي شيبة أن حسان بن ثابت رضي الله عنه أنشد النبي ﷺ:

شهدت بإذن الله أن محمداً ... رسول الذي فوق السموات من علُ

وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهمو ... يقول بذات الله فيهم ويعدل

وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل من ربه متقبل(٦)

ومن ذلك التصريح بأنه تعالى في السماء قال الله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن

---

(١) ذكره الذهبي في العلو ص (٥٣)، وعزاه إلى ابن القيم في اجتماع الجيوش ص (٤١). العرش لابن أبي شيبة ح (١٩).

(٢) رواه الذهبي في العلو (٣٦) وقال في إسناده لين وانظر العلو لابن قدامة ح (٣٦) والدارمي في الرد على المريسي ص (٤٩).

(٣) تقدم ذكره.

(٤) ذكره الذهبي في العلو ص (١٠٤) بإسناد قوي، وابن القيم في اجتماع الجيوش ص ١٠٠، بإسناد صحيح، وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» ص (٢٦) بنحوه.

(٥) ذكره الذهبي في العلو ص ١٠٣، وصحح إسناده الذهبي، والأسماء والصفات ص ٤٠١، وابن خزيمة ص ٧٠، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٩١/٢) واجتماع الجيوش ص ١٠٠.

(٦) انظر ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/٥٠٧) والمقدسي في العلو ح(٣٧)، والذهبي في العلو ص (٤٠) وقال الذهبي: وهذا مرسل.

يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾ [الملك: ١٦، ١٧] وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروض: لم تحصل من ترابها قال فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً» قال فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يا رسول الله اتق الله. فقال ﷺ: «ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟» قال فلما ولي الرجل قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا، لعله أن يكون يصلي» فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. قال رسول الله ﷺ: «إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم» قال ثم نظر إليه وهو مقف فقال: «إنه يخرج من ضئضئي هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وأظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»(١).

وعن معاوية بن الحكم في حديث طويل قال: وكانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة. فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها» فأتيته بها فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله ﷺ. قال: «اعتقها فإنها مؤمنة» أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم(٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا

---

(١) أخرجه البخاري (٦/٤٣٣) ك: حديث الأنبياء، ب: قول الله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ من ح (أبي سعيد) ح (٣٣٤٤) ومسلم (٢/٧٤١) ح (١٠٦٤) ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٢) أخرجه مسلم (١/٣٨١) ح (٥٣٧) ك: المساجد ومواضع الصلاة ب: تحريم الكلام في الصلاة من حديث معاوية بن الحكم السلمي، والنسائي (٣/١٤) ك: الصلاة، ب: الكلام في الصلاة، والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٢٢)، والذهبي في العلو ص ١٦.

وخطايانا أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ»[١] رواه أبو داود. عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله» رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح[٢]. وله عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي «يا حصين كم تعبد اليوم إلهًا» قال أبي: سبعة، ستة في الأرض وواحداً في السماء. قال ﷺ: «فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك» قال الذي في السماء. قال: «يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك» قال فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني. فقال ﷺ: «قل: اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي» قال الترمذي هذا حديث حسن غريب، وقد روى هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه[٣]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها» رواه مسلم في صحيحه[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا جلوسًا ذات يوم بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت امرأة من بناته، فقال أبو سفيان: ما مثل محمد في بني هاشم إلا كمثل الريحانة في وسط الزبل. فسمعت فأبلغته رسول الله ﷺ فخرج فصعد على منبره وقال: «ما بال أقوال

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ١٢) ح (٣٨٩٢) ك: الطب، ب: كيف الرقى، ورواه أحمد (٦/ ٢٠) من رواية فضالة ابن عبيد الأنصاري ح (٢٣٨٣٩) وقال محقق المسند: إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن فضالة، ورواه الحاكم (١/ ٣٤٤)، وقال الحاكم: قد احتج الشيخان بجميع رواته غير زيادة بن محمد وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث، قال الذهبي: زيادة منكر الحديث. واللالكائي في (السنة) رقم: ٦٤٨، وابن قدامة في إثبات العلو رقم: ١٨. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٤٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٦/ ٢٩) ح (١٩٢٤) ك: البر والصلة، ب: ما جاء في رحمة الناس، من حديث عبدالله بن عمر، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود (٤/ ٢٨٥) ح (٢٩٤١) ك: الأدب، ب: الرحمة، والحاكم (٤/ ١٥٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في الصحيح الجامع (٣٥٢٢) (١/ ٦٦١).

(٣) أخرجه الترمذي (٩/ ٣٦٤) ح (٣٤٨٣) من حديث عمران بن حصين، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وقد روى هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٧٤) والنسائي في الكبرى (١٠٨٣٠) وأحمد (٤/ ٤٤٤)، وضعفه الألباني في الضعيف الجامع (٤٠٩٨) ص (٥٩٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٦٠) ح (١٤٣٦) ك: النكاح، ب: تحريم امتناعها عن الفراش.

تبلغني عن أقوام، إن الله خلق سموات سبعًا فاختار العليا فسكنها، وأسكن سمواته من شاء من خلقه، ثم اختار خلقه فاختار بني آدم فاختار العرب فاختار مضر فاختار قريشًا فاختار بني هاشم فاختارني، فلم أزل خيارًا من خيار، فمن أحب قريشًا فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم»[1] قال الذهبي: هو حديث منكر رواه جماعة في كتب السنة وأخرجه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد». وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل» وذكر باقي الحديث رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير واللفظ له[2]، وفي الباب أحاديث تأتي إن شاء الله تعالى في ذكر الموت وفتنة القبر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن رسول الله ﷺ قال: «لما أسري بي مررت برائحة طيبة، فقلت يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ قال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها كانت تمشطها فوقع المشط من يدها، فقالت بسم الله تعالى، فقالت ابنته: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله. فقالت: أخبر بذلك أبي؟ قالت: نعم. فأخبرته فدعا بها فقال: من ربك، هل لك رب غيري؟ قالت: ربي وربك الله الذي في السماء. فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم دعا بها وبولدها فألقاهما فيها»[3] وساق الحديث بطوله، رواه الدارمي وأبو يعلى الموصلي وقال الذهبي: هذا حديث حسن الإسناد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال: اللهم إنك واحد في السماء وأنا واحد في الأرض أعبدك» رواه الدارمي في النقض وقال الذهبي: حسن الإسناد[4]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٧٣) بلفظ (فاختار العليا، فاسكنها من شاء من خلقه)، والطبراني في الكبير رقم (١٣٦٥٠) وابن عدي في كامله (٦/ ٢٢٠٧)، وضعفه الألباني في الضعيف الجامع ح (١٥٣٤) والسلسلة الضعيفة (٣٠٣٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٤) ح (٨٧٥٤) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند، ورواه النسائي في الكبرى رقم (١١٤٤٢) وقال الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٩٦٨) (١/ ٢٩٦) والترغيب (٤/ ١٨٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٠٩) ح (٢٨٢٢) من رواية ابن عباس وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر حيث أبو عمر الضرير هو حفص بن عمر البصري، وهو ثقة ذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم: صدوق صالح الحديث، والحديث في مجمع الزوائد (١/ ٦٥)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٥/ ١٢٧).

(٤) ذكره ابن كثير (٥/ ٣٤٥) وأبو نعيم في الحلية وحسن إسناده الذهبي في العلو ص (٢١).

«إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبرائيل في أهل السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» رواه البخاري(١). وعن النواس بن سمعان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفًا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدًا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»(٢) رواه ابن جرير وابن خزيمة والطبراني وابن أبي حاتم واللفظ له.

ومن ذلك التصريح باختصاص بعض الأشياء بأنها عنده، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ [التحريم: ١١] الآية. وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي»(٣). ولمسلم عنه في حديث طويل: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٦٩) ح (٧٤٨٥) ك: التوحيد، ب: كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ....، ومسلم (٤/ ٢٠٣٠) ح (٢٦٣٧) ك: البر والصلة، ب: إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده، والترمذي ح (٣١٦١)، وأحمد (٢/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في (التوحيد وإثبات صفات الرب) ص ١٤٤ من حديث النواس بن سمعان، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٦٣، ٢٦٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٩٨) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه، والوليد بن مسلمة ثقة ولكنه كثير التدليس.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٥) ك: التوحيد، ب: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ح (٧٤٠٤) من حديث أبي هريرة ح (٧٤٠٤)، ومسلم (٤/ ٢١٠٧) ح (٢٧٥١) ك: التوبة، ب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، وأحمد (٢/ ٣٨١، ٤٣٣) وابن ماجه ح (١٨٩).

ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتـهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده»(١). وفيـهما عنه ﷺ قـال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي فأنا معه إذا ذكرني فـإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته فـي ملأ خير منه وإن تقرب إلـيّ شبراً تقربت إليه ذراعًـا وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»(٢) وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمـرة ﷺ قال: خرج عـلينا رسول الله ﷺ، وذكر الحديث إلـى أن قال: ثم خرج علينا فقـال: «ألا تصفـون كما تصف الملائكة عند ربهـا» فقلنا: يا رسـول الله وكيف تصف الملائكة عند ربهـا؟ قال: «يتـمون الصـفوف الأول ويتراصـون في الصف»(٣). ولهما عن أبي هريرة ﷺ قـال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى عـند ربهما عز وجل، فحج آدم موسى»(٤) وذكر الحديث، وسيأتي إن شاء الله بتمامه.

ومن ذلك الرفع والصعود والعروج إليه وهو أنواع:

منها رفعه عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨] وقال تبارك وتعالى ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر الأحاديث الواردة في نزوله إلى الأرض حكمًا عدلاً في آخر هذه الأمة بشريعة نبيهم محمد ﷺ في أشراط الساعة.

ومنها صعـود الأعمال إليه كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] وفي صحـيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قـال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ـ فإن الله

(١) أخرجه مسلم (١٦/ ١٩٢) ح (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة ك: الذكر والدعاء، ب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، والترمذي ح (٢٩٤٥) وأحمد (٢/ ٢٥٢) وابن ماجه (٢٢٥).

(٢) سبق تخريجه في (القول في الصلاة والتعريف بالآل والأصحاب).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٣٢٢) ح (٤٣٠) ك: الصلاة، ب: الأمر بالسكون في الصلاة، والنهـي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام من حديث جابر بن سمرة، وأبو داود (٦٣١)، وابن ماجه (٩٢٢).

(٤) أخرجه البـخاري (٦/ ٥٠٨) ك: أحاديث الأنبيـاء، ب: وفاة موسى وذكره بعـد ح (٣٤٠٩) من حديث أبي هريرة، ومسلم (١٦/ ١٥٠) ح (٢٦٥٢) ك: القدر: ب: كيفيـة خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، والنسائي في الكبرى (١١٤٣).

تعالى يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» ورواه مسلم أيضًا والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه[١]. وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الذين يذكرون من جلال الله عز وجل من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دويّ كدويّ النحل يذكرن بصاحبهن. ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به» رواه أحمد وابن ماجه[٢]. وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى الله عز وجل كأنها شرارة» قال الذهبي غريب وإسناده جيد[٣]. وفي الصحيحين من حديث معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٤]. وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[٥] وفي ذلك أحاديث لا تحصى في الصحيحين وغيرهما.

ومنها صعود الأرواح إلى الله عز وجل أعني أرواح المؤمنين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣٢٦) ح (١٤١٠) ك: الزكاة، ب: لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا يقبل إلا من كسب طيب لقوله ﴿قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى﴾ من حديث أبي هريرة، ومسلم (٢/ ٧٠٢) ح (١٠١٤) ك: الزكاة، ب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وأحمد (٢/ ٣٣١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٨) من حديث النعمان بن بشير ح (١٨٢٧٨) قال محقق المسند موسى بن مسلم الطحان وعون بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود هو وأبوه ثقتان فاضلان، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٢) رقم (٣٨٠٩) وقال في الزوائد رجاله ثقات، وذكره الذهبي في العلو وقال الشيخ الألباني في مختصر العلو صحيح رقم (٣٢).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٩) وقال الحاكم: قد احتج مسلم بعاصم بن كليب والباقون من رواة هذا الحديث متفق على الاحتجاج بهم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيح الجامع ح (١١٨) (١/ ٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٦٦١) ك: المغازي، ب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، من حديث ابن عباس ح (٤٣٤٧)، ومسلم (١/ ٥٠) ح (١٩) ك الإيمان، ب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام وأبو داود (١٥٢٢)، والترمذي (٦٢٥).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ١٦١) ح (١٧٩) ك: الإيمان، ب: في قوله عليه السلام إن الله لا ينام، من حديث أبي موسى، وابن ماجه رقم (١٩٥) وأحمد (٤/ ٣٩٥، ٤٠١) وابن منده في الإيمان رقم (٧٧٥).

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. وروى الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح ـ وفيه قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض، قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة، فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا فيستفتحون له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى»[١] وذكر الحديث، وسيأتي إن شاء الله بطوله. وقد تقدم حديث أبي هريرة في ذلك وفيه أحاديث جمة سنذكر منها ما يسره الله تعالى في بابه إن شاء الله.

ومنها عروج الملائكة والروح إليه قال الله تبارك وتعالى: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣، ٤] وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم، وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي، فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[٢]. وعنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم. قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال فيسألهم ربهم عز وجل

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧) ح (١٨٤٤٣) من حديث البراء بن عازب، قال محقق المسند: المنهال بن عمرو الأسدي موثق وحديثه عند البخاري، وزاذان الكندي أبو عمر موثق أيضًا وحديثه عند الشيخين، وأبو داود ٤/ ٢٣٩ رقم (٤٧٥٣)، والترمذي ٣/ ٣٧٤ والهيثمي (٥/ ٤٩، ٥٠) رجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٤١) ك: مواقيت الصلاة، ب: فضل صلاة العصر ح (٥٥٥) من حديث أبي هريرة، ومسلم (١/ ٤٣٩) ح (٦٣٢) ك: المساجد، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي. قال يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال فيقول تعالى: هل رأوني؟ قال: فيقولون لا والله ما رأوك. قال فيقول وكيف لو رأوني، قال يقولون لو رأوك كانوا لك أشد عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحًا قال يقول فما يسألوني؟ قال يسألونك الجنة، قال يقول: وهل رأوها؟ قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها، قال يقول: فكيف لو أنهم رأوها، قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة، قال فمم يتعوذون؟ قال يقولون: من النار، قال يقول: وهل رأوها، قال يقولون: لا والله ما رأوها، قال يقول: فكيف لو رأوها، قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم» متفق عليه[1]، وهذا لفظ البخاري. وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كان ملك الموت يأتي الناس عيانًا، فأتى موسى عليه الصلاة والسلام فلطمه فذهب بعينه، فعرج إلى ربه عز وجل فقال: يا رب بعثتني إلى موسى فلطمني فذهب بعيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه. قال ارجع إلى عبدي فقل له فليضع يده على ثور فله بكل شعرة وارت كفه سنة يعيشها، فأتاه فبلغه ما أمره فقال ثم ماذا بعد ذلك، قال الموت، قال الآن، فشمه شمة قبض فيها روحه، ورد الله على ملك الموت بصره» وفي لفظ «فلطم عينه ففقأها فرجع فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل له إن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور». وفيه: «قال يا ربِ فالآن، وقال ربِ ادنني من الأرض المقدسة رمية بحجر»، قال رسول الله ﷺ: «لو كنت ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر» متفق عليه[2].

ومن ذلك معراج نبينا محمد ﷺ إلى سدرة المنتهى وإلى حيث شاء الله عز وجل كما ثبتت به الأحاديث الصحيحة المشهورة في الصحيحين وغيرهما، قال البخاري

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٢١٢) ح (٦٤٠٨) ك: الدعوات، ب: فضل ذكر الله عز وجل، من حديث أبي هريرة، ومسلم (٤/٢٠٦٩) ح (٢٦٨٩) ك: الذكر والدعاء، ب: فضل مجالس الذكر.

(٢) أخرجه البخاري (٦/٥٠٨) ك: الأنبياء، ب: وفاة موسى عليه السلام، ح (٣٤٠٧) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٤/١٨٤٢) ح (٢٣٧٢) ك: الفضائل، ب: من فضائل موسى عليه السلام، والنسائي (٤/٩٦)، وأحمد (٢/٢٦٩).

رحمـه الله تعالى: باب المعراج. حـدثنا هُدبةُ بن خالد حـدثنا همام بن يحـيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك ﷺ عن مالك بن صعصعة ﷺ أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري بـه قال: «بينما أنا نائم فـي الحطيم ـ وربما قال في الحجـر مضطجـعًا ـ إذ أتاني آت فقد قال وسمعتـه يقول فشق ما بين هذه إلى هذه. فقلت للجارود وهو إلى جنبي قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا فـغسل قلبي ثم حشي ثم أعـيد. ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمـار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمـزة فقال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه. فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه، قال نعم قيل مرحبًـا به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت فإذا فيـها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثـم قال مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم صعـد حتى أتى السمـاء الثانية فاسـتفتح، قـيل من هذا، قال جبـريل، قيل ومن معك، قال مـحمد ﷺ، قيل وقد أرسل إليه، قال نعم، قـيل مرحبًا به فنعم المجيء جاء. ففتح فلمـا خلصت إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قـال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردًا ثم قالا مـرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعدت إلى السماء الثالثة فـاستفتح، قيل من هذا، قال جبريل، قيل ومن مـعك، قال محمد ﷺ، قيل وقـد أرسل إليه، قال نعم، قـيل مرحبًـا به فنعم المجيء جاء. ففـتح فلما خلصت إذا يوسف، قال هذا يوسف فسلـم عليه، فسلمت عليه فرد، ثم قال مـرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك، قال محمد ﷺ، قيل وقد أرسل إليه، قال نعم، قيل مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا إدريس، قال هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه فرد، ثم قال مرحبـًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامـسة فاستفتح، قيل من هذا، قال جـبريل، قيل ومن معك، قال محمد ﷺ، قيل وقد أرسل إليـه، قال نعم، قيل مرحبًـا به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا هارون، فقال هذا هارون فسلم عليه، فـسلمت عليه فرد، ثم قال مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثـم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا، قال جبريل، قيل ومن معك، قال محمد ﷺ، قيل وقد أرسل إليه، قال نعم، قيل مـرحبًا به فنعم المجيء جـاء. فلما خلصت فـإذا موسى، قال هذا مـوسى فسلم

عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى، قيل له ما يبكيك، قال أبكي لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي. ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيل من هذا، قال جبريل، قيل ومن معك، قال محمد، قيل وقد أرسل إليه، قال نعم، قال مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك فسلم عليه، قال فسلمت عليه فرد السلام. قال مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت ما هذان يا جبريل، قال أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع إلى البيت المعمور، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك. ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت، قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله. فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال بما أمرت، قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم، قال فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»[1].

ومن ذلك التصريح بنزوله تبارك وتعالى كما في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٢٤١) ك المناقب، ب: المعراج في الإيمان ح (٣٨٨٧)، من حديث مالك بن صعصعة، ومسلم (٢٦٨٩)، والترمذي (٣٦٠٠) وأحمد (٢/ ٢٥١).

فأغفر لـه»(١). وقد ثبت في ذلك أحاديث كثيرة عن نـحو ثلاثين صحابيًا، وقد ثبت أيضًا نزوله تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان(٢)، وعشية عرفة(٣)، وعند فناء الخلق «حين ينزل إلى السماء الدنيا فينادي: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»(٤) وكذا نزوله تعالى لفصل القضاء بين عباده كما يشاء وعلى ما يليق بجلاله وعظمته، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط ذلك كله في آخر هذا الفصل من المتن.

ومن ذلك تنزل الملائكة، ونزول الأمر من عنده، وتنزيل الكتاب منه تبارك وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ [النحل: ٢] وقال حكاية عنهم: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ**﴾ [مريم: ٦٤] وقال تعالى: ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ**﴾ [السجدة: ٥] الآية، وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ**﴾ [الطلاق: ١٢] وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**﴾ [النساء: ١٣٦] وقال تعالى: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾ [آل عمران: ٣] ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ**﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿**وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ**﴾ [الأنبياء: ٥٠]، ﴿**تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [السجدة: ٢]، ﴿**تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الزمر: ١]، ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر: ٢]، ﴿**تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [غافر: ٢]، ﴿**تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [فصلت: ٢]، ﴿**تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً**﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩٢]، ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ**

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٣٣) ك: الدعوات، ب: الدعاء نصف الليل ح (٦٣٢١) من حديث أبي هريرة، بنحوه، ومسلم (١/ ٥٢١) ح (٧٥٨) ك: صلاة المسافرين، ب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، وابن ماجه رقم: (١٣٦٦)، وأحمد (٢/ ٤٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٨٠) ك: الصوم، ب: ما جاء في صلاة ليلة النصف من شعبان ح (٧٣٩) من حديث عائشة، قال أبو عيسى: حديث عائشة لا نعرفهُ إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج، وسمعت محمداً يقول: يضعف هذا الحديث. وقال يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة. قال محمد: والحجاج لم يسمع من يحيى بن أبي كثير، وصححه الألباني وقال: وجملة القول أن الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب، والصحة تثبت بأقل منها عددًا، انظر السلسلة الصحيحة ح (١١٤٤).

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه رقم (٢٨٤٠) والبيهقي في «الشعب» ح (٣٧٧٤).

(٤) تقدم ذكره.

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] وغير ذلك من الآيات. وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: «بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال لأخيه: اعلم لي هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء[1]. وقد تقدم في حديث الذهبية قوله ﷺ: «يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً»[2]. وفي الصحيح قال المغيرة رضي الله عنه: «أخبرنا نبينا محمد ﷺ عن رسالة ربنا تبارك وتعالى أنه من قتل منا صار إلى الجنة»[3]. وفيه: قالت عائشة رضي الله عنها من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئًا من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[4]. وفيه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: قال رجل يا رسول الله أي الذنب أعظم - وذكر الحديث إلى أن قال - فأنزل الله تصديقها: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾[5] الآيات، وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة.

ومن ذلك رفع الأيدي إليه والأبصار كما في أحاديث القنوت[6] وأحاديث الاستسقاء[7]. وحديث دعائه ﷺ على النفر الذين طرحوا على ظهره الشريف سلا الجزور وهو ساجد[8]، وحديث استغاثته ربه ببدر ومناشدته إياه حتى سقط رداؤه[9]،

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٦٣٥) ك: المناقب، ب: قصة إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ح (٣٥٢٢) من حديث ابن عباس، ومسلم (٤/ ١٩٢٣) ح (٢٤٧٣) ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ ب: من فضائل أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) تقدم ذكره.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٥١٢) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾، ح (٧٥٣٠) من حديث المغيرة.

(٤) أخرجه البخاري (١٣/ ٥١٢) ح (٧٥٣١) من حديث عائشة، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾، ومسلم (١/ ١٩٥) ح (١٧٧) ك: الإيمان، ب: معنى قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾.

(٥) أخرجه البخاري (١٣/ ٥١٢) ح (٧٥٣٢) ك: التوحيد، ب: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ من حديث عبدالله، ومسلم (١/ ٩٠) ح (٨٦) ك: الإيمان، ب: الشرك أعظم الذنوب وبيان أعظمها بعده.

(٦) وذلك من حديث أنس في مسند أحمد أن الرسول رفع يديه في القنوت في صلاة الغداة والبيهقي (٢/ ٢١١).

(٧) أخرج البخاري حديث الاستسقاء (٢/ ٥٨١) ك: الاستسقاء، ب: الاستسقاء في المسجد الجامع ح (١٠١٣). ومسلم (٢/ ٦١٢) ح (٨٩٧) ك: الاستسقاء، ب: الدعاء في الاستسقاء وغيرهم.

(٨) أخرجه البخاري (١/ ٤١٦) ح (٢٤٠) ك: الوضوء، ب: إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، ومسلم (٣/ ١٤١٩) ح (١٧٩٤) ك: الجهاد والسير، ب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

(٩) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٨٣) ح (١٧٦٣) ك: الجهاد والسير، ب: الإمداد بالملائكة.

وكذا في أحد والخندق وحنين واستغفاره لرفيق أبي موسى يومئذ وغير ذلك[١]، فكتب السنة مملوءة بهذا النوع، وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثر من مائة حديث في وقائع متفرقة، وذلك معلوم بالفطر، فكل من حزبه أمر من المؤمنين رفع يديه إلى العلو يدعو الله عز وجل. وكذلك رفع البصر ثبت في الدعاء بعد الوضوء في سنن أبي داود[٢] وهو في الصحيح بدون رفع البصر[٣]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما طرف صاحب الصور من وكل به مستعداً ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان» أخرجه الحاكم وصححه[٤]. وأخرج البغوي عن ثابت البناني قال: كان داود عليه السلام يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول: «إليك رفعت رأسي يا عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء» قال الذهبي إسناده صالح[٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: يُحشر الناس حفاة عراةً مشاةً قياماً أربعمائة سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء. قد ألجمهم العرق من شدة الكرب، وينزل الله تعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي أخرجه أبو أحمد العسال في كتاب «المعرفة»[٦]. وعن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي» الحديث بطوله، قاله الذهبي إسناده حسن[٧]. وفيه أحاديث غير ما ذكرنا.

ومن ذلك إشارة النبي ﷺ إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بإصبعه وبرأسه، كما في حديث جابر الطويل عند مسلم وفيه: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن

---

(١) أخرجه البخاري (٧/٦٣٧) من حديث أبي موسى ك: المغازي، ب: غزوة أوطاس، واسمه عبيد بن سليم.

(٢) رواه أبو داود (١/ ٤٤) ح (١٧٠) ك: الطهارة، ب: الذكر ما يقول الرجل إذا توضأ، والدارمي ك: الطهارة، ب: القول بعد الوضوء ح (٧١٦)، وأحمد (٤/ ١٥١)، وقال الألباني في الضعيف الجامع ضعيف ح (٥٥٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٩، ٢١٠) ح (٢٣٤) ك: الطهارة، ب: (٦) الذكر المستحب عقب الوضوء.

(٤) رواه الحاكم (٤/ ٥٥٨، ٥٥٩) وقال هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي على شرط مسلم، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١١/ ٣٦٨).

(٥) أخرجه ابن قدامة في «صفة العلو» رقم ٥٨، والذهبي في «العلو» ص (٩٦) وصححه.

(٦) ذكره الذهبي في العلو ص ٦٥، وسنده صحيح.

(٧) سبق تخريجه وقال الحاكم (٤/ ٥٨٩) صحيح وقال الذهبي في العلو: إسناده حسن ص ٧٣.

اعتـصمتم به كتـاب الله، وأنتم تسألون عني فمـا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهـد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السـماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات. وذكر الحديث[(١)]. وللبخاري من حديث ابن عباس في خـطبته ﷺ يوم النحر ـ وفـيه ـ ثم رفع رأسه فـقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت»[(٢)] الحديث.

ومن ذلك النصوص الواردة في ذكر العرش وصفته وإضافته غالبًا إلى خالقه تبارك وتعالى وأنه تعـالى فوقه، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦] وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦] وقال تعـالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] وقال تعـالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البـروج: ١٤، ١٥] إلى غير ذلك. وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العليـم الحليم. لا إله إلا الله رب العـرش العظيم. لا إله إلا الله رب السمـوات ورب الأرض رب العرش الكريم»[(٣)] وفيـه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفـوقه عرش الرحـمن ومنه تفجـر أنهار الجنة»[(٤)]. وفيه عن أبي سعيد الخـدري رضي الله عنه عن النبـي ﷺ قال: «فـإن الناس يصـعقون يوم القيامـة فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقـائـمة من قوائم العـرش»[(٥)] الحديث. وفيـه عن

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٩٠) ح (١٢١٨) ك: الحج، ب: حجة النبي ﷺ من حديث جابر بن عبدالله، وأبو داود (١٨٢٥)، والنسائي في الكبرى رقم (٤٠٠١).

(٢) أخـرجـه البـخـاري (٢/ ٦٧٠) ك:الحج، ب: الخطبـة أيام منى ح ١٧٣٩،من حديـث ابن عـباس، وأحـمـد (١/ ٣٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ١٤٩) ك: الدعوات، ب: الدعـاء عند الكرب ح (٦٣٤٥) من حديث ابن عباس، ومسلم (٤/ ٢٠٩٢) ح (٢٧٣٠) ك: الذكر والدعاء، ب: دعاء الكرب، والترمذي ح (٣٤٣٥)، وابن ماجه (٣٨٨٣).

(٤) أخـرجـه البـخاري (١٣/ ٤١٥) ك: التـوحـيد، ب: «وكـان عرشـه على الماء، وهو رب العـرش العظيم» ح (٧٤٢٣) من حديث أبي هريرة والترمذي (٢٥٣٠)، وابن ماجه (٤٣٣١).

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٥) ك: أحـاديث الأنبياء، ب: قول الله تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ من حديث أبي هريرة ح (٣٣٩٨)، ومسلم (٤/ ١٨٤٤) ح (٢٣٧٣) ك: الفضائل، ب: من فضائل موسى عليه السلام.

أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار» وقال: «أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض، يرفع ويخفض» وفي رواية «وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[1]. وفيه عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله»[2] قال الذهبي: إسناده صحيح. وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» رواه أبو داود وابن أبي حاتم ولفظه «أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام» وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات[3]، وفيه جملة أحاديث غير ما ذكرنا وقد تقدم منها جملة وافية.

ومن ذلك ما قصه الله تعالى عن فرعون لعنه الله في تكذيبه موسى عليه السلام في أن إلهه الله عز وجل العلي الأعلى خالق كل شيء وإلهه. قال الله تعالى في سورة القصص: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] وقال تعالى في سورة غافر: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] ففرعون لعنه الله تعالى كذب موسى في أن رب السموات والأرض ورب المشرق والمغرب وما بينهما هو الله الذي في السماء فوق جميع خلقه مباين لهم لا تخفى عليه منهم خافية، فكل جهمي ناف لعلو الله عز وجل فهو فرعوني وعن فرعون أخذ دينه. وكل سني يصف الله تعالى بما وصف به نفسه أنه استوى على عرشه بائن من خلقه فهو موسوي محمدي متبع لرسل الله وكتبه.

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٤١٥) ح (٧٤٢٠) من حديث أنس ك: التوحيد، ب: وكان عرشه على الماء ومسلم (٢/ ٦٩٠) ح (٩٩٣) ك: الزكاة، ب: الحث على النفقة وتبشير المنفق.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٦٨) ح (٦٦٠) من حديث أبي هريرة، ك: الأذان، ب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ومسلم (٢/ ٧١٥) ح (١٠٣١) ك: الزكاة، ب: فضل إخفاء الصدقة.

(٣) رواه أبو داود (٤/ ٢٣٢) ح (٤٧٢٧) ك: السنة، ب: في الجهمية وإسناده صحيح، والطبراني في الأوسط ح (١٧٣٠)، وعزاه الحافظ في (٨/ ٦٦٥) لابن أبي حاتم، وقال: إسناده على شرط الصحيح.

ومن ذلك ما قصه الله تعالى في قصة تكليمه موسى حين تجلى للجبل فاندك الجبل قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية. قال الترمذي في جامعه في تفسير سورة الأعراف: حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن أخبرنا سليمان بن حرب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾ قال حماد: هكذا ـ وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى ـ قال فساخ الجبل وخر موسى صعقًا. هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة(١). ورواه أيضًا من طريق معاذ بن معاذ العنبري عن حماد نحوه، ومن طريق معاذ أيضًا رواه أحمد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ قال قال هكذا ـ يعني أنه أخرج طرف الخنصر ـ قال أحمد: أرانا معاذ، فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد؟ يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ وتقول ما تريد إليه؟(٢) ورواه أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية من طريق هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ﷺ قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾ قال: «ووضع الإبهام قريبًا من طرف خنصره» قال فساخ الجبل، قال حميد لثابت: يقول هكذا؟ فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال يقوله رسول الله ﷺ ويقول أنس وأنا أكتمه ورواه الحاكم في مستدركه من طرق عن حماد بن سلمة وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواه الخلال من طريق هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة فذكره وقال هذا إسناد صحيح لا علة فيه، ورواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» من طريق عبدالوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا حماد بن سلمة ومن طريق عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة، ومن طريق الهيثم بن جميل قال حدثنا حماد بن سلمة، ومن طريق مسلم بن إبراهيم قال حدثنا حماد،

---

(١) أخرجه الترمذي (٨/ ٣٨٣) ح (٣٠٧٤) من حديث أنس، ك: تفسير القرآن، ب: ومن سورة الأعراف، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة. وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) وأحمد (٣/ ١٢٥)، والحاكم (٢/ ٣٢٠)، وابن جرير (٩/ ٥٣) وابن خزيمة ١٦٢، ١٦٦.

ومن طريق حجاج يعني ابن منهال عن حماد بن سلمة، ومن طريق سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة، قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله تعالى على هذه الآية قبل سياق الحديث بهذه الطرق: أفليس العلم محيطًا يا ذوي الألباب أن الله عز وجل لو كان في كل موضع ومع كل بشر وخلق كما زعمت المعطلة لكان متجليًا لكل شيء، وكذلك جميع ما في الأرض لو كان الله تعالى متجليًا لجميع أرضه سهلها ووعرها وجبالها وبراريها ومفاوزها ومدنها وقراها وعمارتها وخرابها وجميع ما فيها من نبات وبناء لجعلها دكًا كما جعل الله الجبل الذي تجلى له دكًا قال الله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾ انتهى وبالجملة فجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام وجميع كتبه المنزلة وجميع أهل السموات ومؤمني أهل الأرض من الجن والإنس أتباع رسل الله وجميع الفطر السليمة والقلوب المستقيمة التي لم تجتلها الشياطين عن دينها جميعها شاهدة حالاً ومقالاً أن خالقها وفاطرها ومعبودها الذي تألهه وتفزع إليه وتدعوه رغبًا ورهبًا هو فوق كل شيء عال على جميع خلقه استوى على عرشه بائنًا من مخلوقاته وهو يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم وجميع تقلباتهم وأحوالهم لا يخفى عليه منهم خافية، ولهذا ترى جميع المؤمنين عالمهم وعاميهم وحرهم ومملوكهم وذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم كل منهم إذا دعا الله تبارك وتعالى في جلب خير أو كشف مكروه إنما يرفع يديه ويشخص ببصره إلى السماء إلى جهة العلو إلى من يعلم سره ونجواه متوجهًا إليه بقلبه وقالبه يعلم أن معبوده فوقه وأنه إنما يدعى من أعلى، لا من أسفل كما يقوله الجهمية قبحهم الله تعالى وتنزه عما يقولون علوًا كبيرًا.

ذكر أقوال أصحاب رسول الله ﷺ في صفة العلو

روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضي الله عنه: أيها الناس، إن كان محمد إلهكم الذي تعبدونه فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الله الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت. ثم تلا: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ حتى ختم الآية[1]. وللبخاري في تاريخه رضي الله عنه قال: لما قبض رسول

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٦) ك: الجنائز، ب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه ح (١٢٤١، ١٢٤٢)، والذهبي في العلو ص ٦٢.

الله ﷺ دخل أبو بكر ؓ عليه فأكب عليه وقبل جبهته وقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيًا وميتًا. وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت[١]. ولابن أبي شيبة عن قيس بن أبي حازم قال: لما قدم عمر ؓ الشام استقبله الناس وهو على بعيره، فقالوا لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر ؓ: ألا أراكم ههنا، إنما الأمر من ههنا فأشار بيده إلى السماء. قال الذهبي إسناده كالشمس[٢]. وروى الزهري عن سالم أن كعبًا قال لعمر: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: إلا من حاسب نفسه. فكبر عمر ثم خر ساجداً[٣]. وعن عبدالرحمن بن غنم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقضى بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ولا على رغبة ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه، قال ابن غنم: فحدثت بهذا عُثمان ومعاوية ويزيد وعبدالملك. رواه أبو نعيم[٤]. وعن أبي يزيد المدني قال: لقيتْ عمرَ امرأة يقال له خولة بنت ثعلبة، فقال عمر: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات. قال الذهبي هذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر ؓ، وفي لفظ عن عمر ؓ أنه مرَّ بعجوز فاستوقفته فوقف يُحدثها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز، فقال: ويلك أتدري من هي؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة التي أنزل الله فيها: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ وهذا الحديث رواه عثمان بن سعيد الدارمي، وقال ابن عبد البر: حُدثنا من وجوه عن عمر ؓ، فذكره[٥]. ومن شعر عبدالله بن رواحة ؓ:

شهدتُ بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

---

(١) رواه البخاري في التاريخ (١/١/٢٠١) وابن قدامة في إثبات العلو رقم: ٧٠.

(٢) ذكره الذهبي في العلو وقال: إسناده كالشمس وقال الألباني في مختصر العلو: إسناده صحيح على شرط الشيخين ص (١٠٣)، وأخرجه الدارمي ص ١٠٥، والرد على الجهمية ص٢٦.

(٣) ذكره أبو نعيم في الحلية (٥/٣٨٩) بنحوه، والدارمي في الرد على الجهمية ح (٨٩).

(٤) ذكره الذهبي في العلو وعزاه إلى سمويه في فوائده، وقال الألباني: إسناده صحيح، ورجاله ثقات انظر مختصر العلو ص (١٠٣)، وأخرجه الدارمي ص ١٠٤.

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٤/٣٠٧) وعزاه لابن أبي حاتم، ورواه الذهبي في العلو (٦٣) وحكم بانقطاعه، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٢٠).

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام ملائكة الإله مسومينا[١]

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: رويناه من وجوه صحاح. وروى الدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»[٢]. وروى الأعمش عن خيثمة عنه: «إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات فيقول للملائكة: اصرفوه عنه، فإنه إن يسرته له أدخلته النار» أخرجه اللالكائي بإسناد قوي[٣]. وعنه رضي الله عنه قال: «إن الله تعالى يبرز لأهل جنته في كل جمعة وكثب من كافور أبيض فيحدث لهم من الكرامة ما لم يروا مثله ويكونون في الدنو منه كمسارعتهم إلى الجمع» أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى بإسناد جيد[٤]. وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: البحر المسجور يجري تحت العرش. وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «وينزل الله تعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي»[٥]. وعن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ قالت: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان والجحود به كفر. قال الذهبي: هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه[٦] وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قالت الملائكة يا ربنا منا الملائكة المقربون ومنا حملة العرش ومنا الكرام الكاتبون وذكر الحديث، قال الذهبي إسناده صالح[٧]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخه ص ٣٤٠، والذهبي في السير (١/ ٢٣٨) والذهبي في العلو ص (٤٢). وقال هو منقطع.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ذكره الذهبي في العلو ص (٦٥) وقال أخرجه ابن بطة بإسناد جيد، ورواه الخطيب في تاريخه (٧/ ٢٢٠)، وقال الألباني في الضعيف الجامع: موضوع ح (١٦٩٤) ص (٢٤٥).

(٥) تقدم تخريجه، وذكره الذهبي ص (٦٥).

(٦) ذكره الذهبي ص ٦٥، واللالكائي في السنة (ح٦٦٣)، والصابوني في «عقيدة السلف» (١/ ١١٠).

(٧) ذكره الذهبي في العلو ص ٦٦، وقال: إسناده صالح.

«وايم الله إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلته - يعني عثمان ﷺ - ولكن علم الله من فوق عرشه أني لم أحب قتله» رواه الدارمي(١). وعن أسماء بنت عميس أن جعفراً ﷺ جاءها إذ هم بالحبشة يبكي فقالت ما شأنك قال: «رأيت فتى مترفًا من الحبشة شابًا جسيمًا مر على امرأة فطرح دقيقًا كان معها فنسفته الريح فقالت أكلك إلى يوم يجلس الملك على الكرسي فيأخذ للمظلوم من الظالم» رواه ابن ماجه وغيره(٢).

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: «لما لعن الله إبليس وأخرجه من سمواته وأخزاه قال: رب أخزيتني ولعنتني وطردتني عن سمواتك وجوارك، فوعزتك لأغوين خلقك ما دامت الأرواح في أجسادهم، فأجابه الرب تبارك وتعالى فقال: وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي لو أن عبدي أذنب حتى ملأ السموات والأرض خطايا ثم لم يبق من عمره إلا نفس واحد فندم على ذنوبه لغفرتها وبدلت سيئاته كلها حسنات»(٣) وقد روى عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قال: وعزتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني، لا أزال أغفر ما استغفروني»(٤). وعن ابن عباس ﷺ قال: «إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع قدميه، وما يقدر قدر العرش إلا الذي خلقه، وإن السموات في خلق الرحمن عز وجل مثل قبة في صحراء» رواه عبدالله بن أحمد في كتاب السنة(٥). وللدارمي عنه ﷺ أنه استأذن على عائشة ﷺ وهي تموت فقال: «كنت أحب نساء النبي ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيبًا، وأنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين،

---

(١) ذكره الذهبي ص٦٦، وصحح إسناده الألباني في مختصر العلو ص (١٠٤)، وأخرجه الدارمي (ص٢٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠) وأخرجه ابن حبان (١٥٥٤) والخطيب في التاريخ (٧/ ٣٩٦) والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٣٢/ ٢) وله شاهد من حديث أبي سعيد في قصة أخرى مخرج في المشكاة (٣٠٠٤) والأسماء والصفات، وصحح إسناده الشيخ الألباني في مختصر العلو ص١٠٧.

(٣) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٦٦.

(٤) حسن: رواه أحمد (٣/ ٢٩) ح (١١١٧٢) من حديث أبي سعيد الخدري، وأبو داود (٤/ ١٨٢) ح (٤٥٣٦) ك: الديات، ب: القود من الضربة، والنسائي (٨/ ٣٢) ح (٤٧٧٣)، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) ح (١٦٥٠) والسلسلة الصحيحة (١٠٤).

(٥) ذكره الذهبي في العلو وقال رجاله ثقات، وقال الشيخ الألباني في مختصر العلو (ص١٠٢) صحيح موقوف، وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٧١، ٧٢) والدارمي في الرد على المريسي ص ٧١، ٧٣، ٧٤ وأبو جعفر بن أبي شيبة في العرش (٢/ ١١٤).

فأصبح ليس مسجد من مساجد الله تعالى يذكر فيها إلا وهو يتلى فيها آناء الليل وآناء النهار». وذكر الطبراني في شرح السنة عن مجاهد قال: قيل لابن عباس إن ناسًا يكذبون بالقدر، قال: «يكذبون بالكتاب، لئن أخذت شعر أحدهم لا ينبتونه، إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا فخلق الخلق فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه». ولإسحق بن راهويه عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يستطع أن يقول من فوقهم، علم أن الله تعالى من فوقهم. وليحيى ابن سعيد الأموي عن عدي بن عميرة رضي الله عنه قال: خرجت مهاجرًا إلى النبي ﷺ، فذكر قصة طويلة وقال فيها: فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم في السماء، فأسلمت وتبعته. وأقوال الصحابة في هذا الباب وتفاسيرهم أكثر من أن تحصر، وفيما ذكرنا كفاية.

ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة في صفة العلو

عن كعب الأحبار رضي الله عنه قال: قال الله عز وجل في التوراة: «أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي. ولا يخفى عليَّ شيء في السماء ولا في الأرض» قال الذهبي رواته ثقات[(١)]. وعنه رحمه الله قال: إن الله تعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ثم جعل بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وجعل كثفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه. وذكر الأثر. رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة، قال الذهبي إسناده نظيف، وأبو صالح لينوه وما هو بمتهم بل سيىء الإتقان[(٢)]. وعن مسروق رحمه الله تعالى أنه كان إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله المبرأة من فوق سبع سموات، قال الذهبي: إسناده صحيح[(٣)]. وروى عن عطاء بن يسار رحمه الله أن

---

(١) ذكره الذهبي في العلو ص (٩٢) وقال رواته ثقات، وابن القيم في اجتماع الجيوش (١٢٥) والألباني في مختصر العلو ص ١٢٨.

(٢) ذكره الذهبي في العلو ص (٩٢) وفيه: أبو صالح، وهو صدوق، كثير الغلط كما في التقريب.

(٣) قال عنه الذهبي في (العلو) إسناده صحيح وصحح إسناده الألباني في مختصر (العلو) ص١٢٨ وصححه ابن القيم في (الجيوش الإسلامية) ص١٠٢ ولم يعز أيضًا لمصدر وفيه رجل لم يسم ولكنه وصف بالثقة والله أعلم.

موسى عليه السلام قال: يا رب من أهلك الذين هم أهلك الذين تظلهم في ظل عرشك؟ قال: هم الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النسور إلى أوكارها[١]. وعن عبيد بن عمير قال: ينزل الرب عز وجل شطر الليل إلى سماء الدنيا فيقول: من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له، حتى إذا كان الفجر صعد الرب عز وجل. أخرجه عبدالله ابن الإمام أحمد في رده على الجهمية[٢]. وعن شريح بن عبيد الله أنه كان يقول: ارتفع إليك ثغاء التسبيح، وصعد إليك وقار التقديس، سبحانك ذا الجبروت، بيدك الملك والملكوت والمفاتيح والمقادير. إسناده صحيح[٣]. وعن أبي قلابة رحمه الله تعالى قال: «أهبط الله تعالى آدم. قال: يا آدم إني مهبط معك بيتًا يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي» وذكر الأثر، قال الذهبي هو ثابت عن أبي قلابة[٤]. وعن عمرو بن ميمون قال: «لما تعجل موسى إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً يغبطه، فسأل الله تعالى أن يخبره باسمه فقال: لا ولكني أحدثك بشيء من فعله، كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة» قال الذهبي: إسناده قوي[٥]. وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال: ما أخذت السموات والأرض من العرش إلا كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة[٦]. وعنه رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**﴾ قال: يجلسه أو يقعده على العرش[٧]. قال الذهبي لهذا القول طرق خمسة. وأخرجه ابن جرير في تفسيره، وعمل فيه المروزي مصنفًا. وعن نوف البكالي: «أن موسى عليه السلام لما سمع الكلام قال: من أنت الذي يكلمني قال: أنا ربك الأعلى» قال الذهبي: إسناده صحيح[٨]. وعنه قال: إني أجد في التوراة لو أن

(١) ضعفه الذهبي في العلو ص (٩٣).

(٢) رجاله ثقات. ذكره الذهبي في العلو ص (٩٣).

(٣) إسناده صحيح: ذكره الذهبي في العلو (٩٣) ومختصر العلو للألباني بإسناد صحيح ص (١٢٩) وابن القيم (١٠٥).

(٤) ذكره الذهبي في العلو (ص٩٣، ٩٤). ونزول الرب ثابت ـ مرفوعًا ـ وقد سبق تخريجه.

(٥) إسناده صحيح: ذكره الذهبي في العلو ص (٩٣) وقال: إسناده صحيح وكذا صحح إسناده ابن القيم في اجتماع الجيوش ص (١٢٨).

(٦) ذكره الذهبي في العلو ص (٩٤).

(٧) ذكره الذهبي في العلو ص (٩٤)، وابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٤٥).

(٨) ذكره الذهبي في العلو ص (٩٤).

السموات والأرض كن طبقًا من حديد فقال رجل لا إله إلا الله لخرقتهن حتى تنتهي إلى الله عز وجل» رواه حماد بن سلمة[١]. وعن أبي عيسى يحيى بن رافع رحمه الله تعالى أن ملكًا لما استوى الرب على كرسيه سجد فلا يرفع رأسه حتى تقوم الساعة فيقول: لم أعبدك حق عبادتك[٢]. وعن قتادة رحمه الله تعالى قال: قالت بنو إسرائيل: «يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم» قال الذهبي هذا ثابت عن قتادة[٣]. وعن عكرمة رحمه الله تعالى قال: بينما رجل في الجنة اشتهى الزرع، فيقول للملائكة ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول الرب عز وجل من فوق عرشه: «كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع» قال الذهبي: إسناده ليس بذاك[٤]. وصح في السنة للالكائي عن ثابت البناني قال: كان داود عليه السلام يطيل الصلاة، ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول إليك رفعت رأسي نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء[٥]. وفي الحلية بإسناد صحيح عن مالك بن دينار أنه كان يقول: خذوا، فيقرأ ثم يقول: اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه[٦]. وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وقربناه نجيا﴾ قال: بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب، فلما رأي مكانه وسمع صريف القلم قال: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ هذا ثابت عن مجاهد إمام التفسير أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات[٧]. وعن سفيان قال: كنت عند ربيعة بن أبي عبدالرحمن فسأله رجل فقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول. ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق»[٨]. وعن حسان بن عطية قال: حملة العرش أقدامهم

---

(١) ذكره الذهبي في العلو ص (٩٥).

(٢) ذكره الذهبي في العلو ص (٩٥).

(٣) الذهبي في العلو معلقًا (ص٩٦)، والدارمي ص (١٠٦) ومختصر العلو ص (١٣٠).

(٤) ابن قدامة في صفة العلو رقم : ٨٤، وقال الذهبي في العلو (٩٦) إسناده ليس بذاك.

(٥) المقدسي في العلو (ح٥٨)، والذهبي (ص٥٥).

(٦) صحح إسناده الذهبي (٩٧) وابن القيم في اجتماع الجيوش ص١٢٨.

(٧) صحح إسناده الذهبي في العلو ص (٩٦).

(٨) سبق تخريجه. وإسناده ثقات الذهبي في العلو ٩٨.

ثابتة في الأرض السابعة ورءوسهم قد جاوزت السماء السابعة وقرونهم مثل طولهم عليها العرش[١]. وذكر أيوب السختياني المعتزلة وقال: إنما مدار القوم على أن يقولوا ليس في السماء شيء. قال الذهبي: هذا إسناد كالشمس وضوحًا وكالأسطوانة ثبوتًا عن سيد أهل البصرة وعالمهم رحمه الله تعالى[٢]. وقرأ ابن محيصين رفيق ابن كثير بمكة ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾[٣]. وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ قال: هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا، وفي لفظ: هو فوق العرش وعلمهم معهم أين ما كانوا. أخرجه العسال وابن بطة وابن عبدالبر بإسناد جيد[٤]. وعن سليمان التيمي رحمه الله تعالى قال: لو سألت أين الله لقلت في السماء[٥]. وعن حبيب بن أبي حبيب قال شهدت خالد بن عبدالله القسري وخطبهم بواسط فقال: «أيها الناس ضحّوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليمًا سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا» ثم نزل فذبحه[٦]. قال الذهبي والمعتزلة تقول هذا وتحرف نص التنزيل في ذلك، وزعموا أن الرب منزه عن ذلك. وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في التمهيد: وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم أحد في ذلك يحتج به[٧].

---

(١) ذكره الذهبي في العلو ص (٩٨) معلقًا.

(٢) إسناده صحيح: ذكره الذهبي (٩٨) وقال: إسناده كالشمس.

(٣) ذكره الذهبي ص (٩٨).

(٤) قال الذهبي في العلو (٩٨) إسناده جيد، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٣٠ .

(٥) المقدسي في العلو (٩١)، واجتماع الجيوش (٤٢).

(٦) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ح (٣) وفي التاريخ الكبير (١/ ١/ ٦٤) والدارمي في الرد على الجهمية (٧/ ١١٣، ١١٤) والذهبي في العلو ص١٣٣، قال الألباني في مختصر العلو: لكنه يتقوى بالذي بعده، فإن إسناده خير منه، ولعله لذلك جزم العلماء بهذه القصة.

(٧) التمهيد لابن عبدالبر (٧/ ١٣٨، ١٣٩).

ذكر أقوال طبقة أخرى في صفة العلو

عن نوح الجامع قال: كنت عند أبي حنيفة أول ما ظهر جهم، إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهمًا فدخلت الكوفة فأظنني أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس، فقيل لها: إن ههنا رجلاً قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة، فأتيه، فأتته فقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك، أين إلهك الذي تعبده؟ فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ثم خرج إلينا وقد وضع كتابًا إن الله عز وجل في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله عز وجل: ﴿وهو معكم﴾ قال: هو كما تكتب إلى الرجل أني معك، وأنت غائب عنه. رواه البيهقي ثم قال: لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفي عن الله عز وجل من الكون في الأرض. وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية وتبع مطلق السمع بأن الله تعالى في السماء[(١)]، قلت وإنما أراد بقوله هو كما تكتب إلى الرجل إلخ نفي الحلول، وإلا فربنا تبارك وتعالى سواء عنده الغيب والشهادة والسر والعلانية. وعن أبي مطيع الحكم بن عبدالله البلخي قال: «سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، قال: إذا أنكر أنه في السماء أو في الأرض فقال قد كفر، لأن الله تعالى يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وعرشه فوق سمواته. فقلت إنه يقول: أقول على العرش استوى، ولكن قال لا يدري العرش في السماء أو في الأرض، قال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر» رواه شيخ الإسلام الأنصاري في الفاروق[(٢)]. وروى المقدسي عنه رحمه الله تعالى أنه قال: من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر[(٣)].

وعن ابن جريج رحمه الله تعالى قال: كان عرشه على الماء قبل أن يخلق الخلق[(٤)]. وروى الحاكم عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: «كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إن الله عز وجل فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات[(٥)]. وللثعلبي عنه في قوله تعالى: ﴿ثم استوى

---

(١) البيهقي في الأسماء والصفات (ص٥٣٩، ٥٤٠) فتوح الجامع متهم بالوضع وفيها نعيم بن حماد وقد تكلم في حفظه، وضعفه الألباني في مختصر العلو ص (١٧١).

(٢) ذكره الذهبي في العلو ص (١٠١).

(٣) ذكره ابن قدامة في إثبات صفة العلو رقم ٩٧، وذكره الذهبي في العلو ص (١٠١).

(٤) الذهبي في العلو (١٠٢).

(٥) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص٥١٥).

على العرش﴾ قال: هو على عرشه كما وصف نفسه[١]. وسئل رحمه الله تعالى عن أحاديث الصفات فقال: أمرّها كما جاءت[٢]. وعن مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ قال: هو على عرشه وعلمه معهم، رواه عبدالله ابن أحمد في السنة[٣]. وللبيهقي عنه قال: بلغنا والله أعلم في قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾: هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل شيء والباطن أقرب من كل شيء، وإنما قربه بعلمه وهو فوق عرشه[٤]. وعن سفيان الثوري في قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ قال علمه. وقال في جميع أحاديث الصفات أمرّوها كما جاءت[٥]. وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء[٦]. وسأله رجل فقال: يا أبا عبدالله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه. وفي رواية قال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضالاً وأمر به فأخرج وقال سلام بن أبي مطيع: ويلكم ما تنكرون هذا الأمر، والله ما في الحديث شيء إلا وفي القرآن ما هو أثبت منه، قول الله تعالى: ﴿إن الله سميع بصير - ويحذركم الله نفسه - تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - ثم استوى على العرش - والسموات مطويات بيمينه - ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي - وكلم الله موسى تكليما - يا موسى إني أنا الله﴾ فما زال في ذلك من العصر إلى المغرب وصح عن ابن الماجشون أنه سئل عما جحدت به الجهمية فقال: أما بعد فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتابعته الجهمية في صفة الرب العظيم الذي فاتت عظمته الوصف والتقدير، وكلت الألسن عن تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدره، فلم تجد العقول مساغًا فرجعت خاسئة حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق، وإنما يقال:

---

(١) الذهبي في العلو (١٠٢).

(٢) الذهبي في العلو (١٠٢).

(٣) المقدسي ح (١٠٣) والذهبي (١٠٢).

(٤) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٣٠) ومختصر العلو (١٣٩).

(٥) الآجرى في الشريعة ص (٢٨٩) واللالكائي ح (٦٧٢)، والذهبي في العلو ص١٠٤.

(٦) أخرجه عبدالله في السنة (ح١١) واللالكائي (ح٦٧٣).

«كيف» لما لم يكن مرة ثم كان، أما من لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كـيف هو إلا هو. وساق فـصـلاً طويلاً في هذا المعنى[١]، وذكر جـملة من نصوص الصفات رحمه الله. وقال حماد بن زيد: إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله، يعني الجهـمية، رواه ابن أبي حاتم الرازي. وقال محمـد بن إسحاق إمام أهل المغازي: كـان الله تعالى كمـا وصف نفسه إذ ليس إلا الماء عليـه العرش، وعلى العرش ذو الجـلال والإكرام، الظاهر في علوه على خلقـه فليس شيء فوقـه، الباطن لإحـاطته بخلقـه فليس شيء دونه، الدائم الذي لا يبـيـد، وكان أول مـا خلق النور والظلمـة ثم السمـوات السبع من دخـان، ثم دحى الأرض، ثم استـوى إلى السـماء فحبكهن وأكـمل خلقهن في يومين، ففرغ من خلق السمـوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش[٢].

طبقـة أخـــرى

روى ابن أبي حاتم عن جرير بن عبـدالحميد قال: كلام الجهـمـية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولـوا ليس في السماء إله[٣]. وصح عن علي بن الحسن بن شقـيق قال: قلت لعـبدالله بن المبارك كـيف نعرف ربنا عـز وجل؟ قال: في السـماء السابعة على عـرشه، ولا نقول كما تقـول الجهمية إنه هـا هنا في الأرض. فقيل هذا لأحـمـد بـن حنبل فـقـال: هكـذا هو عندنا. وعنه ﷺ أن رجـلاً قـال له: يا أبا عبـدالرحمن قـد خفت الله من كثـرة ما أدعـو على الجهمـية، قال: لا تـخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السمـاء ليس بشيء. رواه عبدالله بن أحمد[٤]. وقال نوح الجامع وسأله رجل عن الله عز وجل في السـماء هو؟ فحدث بحديث النبي ﷺ حين سأل الأمة أين الله قالت في السماء قال «اعتقها فإنها مؤمنة» ثم قال: سماها النبي ﷺ مؤمنـة أن عـرفت أن الله عز وجل في السمـاء. رواه عبدالله بن أحمـد أيضًا[٥]. وقال عباد بن العوام كلمت بشرًا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس

---

(١) ذكره الذهبي في العلو (ص١٠٥، ١٠٦).

(٢) ذكره الذهبي في العلو (١٠٦، ١٠٧)، وعبدالله في السنة (ح٤١) وإسناده صحيح.

(٣) انظر الذهبي في العلو (ص١٠٨).

(٤) عبدالله في السنة (١٨،٢٤).

(٥) ذكره الذهبي في العلو (ص١١١).

في السماء شيء، أرى أن لا ينكاحوا ولا يوارثوا. وثبت عن أبي يوسف رحمه الله قال: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن تتبع غريب الحديث كذب. وقد ضرب عليًا الأحول وطوف به في شأن الكلام وضرب آخر كان معه. وقال محمد بن الحسن: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئًا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء. وكتب بشر المريسي قبحه الله تعالى إلى منصور بن عمار رحمه الله تعالى يسأله عن قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فكتب إليه: استواؤه غير محدود والجواب فيه تكلف ومسألتك عن ذلك بدعة والإيمان بجملة ذلك واجب قال الله تعالى: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾[1]. وقيل ليزيد بن هارون: من الجهمي؟ قال: من زعم أن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي رواه عبدالله بن أحمد[2]. وقال سعيد بن عامر الضبعي وذكر الجهمية فقال: هم شرٌ قولاً من اليهود والنصارى، قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله عز وجل على العرش، وقالوا هم ليس على العرش. وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: حدثنا وكيع عن إسرائيل بحديث: «إذا جلس الرب جل جلاله على الكرسي» فأقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع وقال: أدركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها[3]. وقال مرة: نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول كيف كذا ولا لم كذا[4]. وقال عبدالرحمن بن مهدي: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله تعالى كلم موسى وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم. وقال وهب بن جرير: إياكم ورأي جهم فإنهم يحاولون أنه ليس شيء في السماء، وما هو إلا من وحي إبليس، ما هو إلا الكفر. وقال الأصمعي لما قدمت امرأة جهم فقال رجل عندها: الله على عرشه،

---

(١) رواه الخطيب في تاريخه (١٣/ ٧٥،٧٦).

(٢) عبدالله بن أحمد في السنة (٥٤) ورواه البخاري في خلق أفعال العباد تعليقًا (٦٣) وأبو داود في المسائل مسندًا (ص٢٦٨، ٢٦٩).

(٣) عبدالله بن أحمد في السنة (٥٨٧)، ورواه الدارمي في الرد على المريسي (٧٤).

(٤) رواه عبدالله بن أحمد في السنة (٤٩٥) وسنده إليه صحيح.

فقالت: محدود على محدود. قال الأصمعي: هي كافرة بهذه المقالة. وقال الخليل بن أحمد في قوله: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ يقول ارتفع[١]. وقال الفراء صعد. وعن عبدالله ابن أبي جعفر الرازي أنه ضرب رأس قرابة له كان يرى رأي جهم وكان يضرب بالنعل على رأسه ويقول: لا حتى تقول الرحمن على العرش استوى، بائن من خلقه[٢].

طبقة الشافعي وأحمد رضي الله عنهما

روى الحافظ المقدسي عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما إقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء، وذكر سائر الاعتقاد. وقال عبدالله بن مسلمة القعنبي: من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما يقر في قلوب العامة فهو جهمي. وقال عاصم بن علي شيخ البخاري رحمهما الله تعالى: ناظرت جهمًا فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء ربًا. وقال عبدالله بن الزبير الحميدي: نقف على ما وقف عليه القرآن والسنة، نقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي[٣]. وقال هشام بن عبيدالله الرازي وحُبس رجل في التجهم فجيء به إليه ليمتحنه فقال له: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: لا أدري ما بائن من خلقه، فقال: ردوه فإنه لم يتب بعد. وقال محمد بن مصعب العابد: من زعم أنك لا تتكلم ولا ترى في الآخرة فهو كافر بوجهك، أشهد أنك فوق العرش فوق سبع سموات، ليس كما تقول أعداء الله الزنادقة. وقال أبو عمران الطرسوسي قلت لسنيد بن داود: هو عز وجل على عرشه بائن من خلقه؟ قال نعم. وقال نعيم بن حماد في قوله: ﴿وهو معكم﴾ قال معناه أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ الآية، وقال رحمه الله تعالى: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا. وقال بشر الحافي: والإيمان بأن الله تعالى على عرشه استوى كما شاء وأنه عالم بكل ما كان وأنه

---

(١) ذكره الذهبي في العلو (ص١١٨)، والمختصر (١٩٠).

(٢) ذكره الذهبي معلقًا ص (١١٩).

(٣) رواه الذهبي في العلو (ص ١٢٢، ١٢٣).

يقول ويخلق، فقوله كن ليس بمخلوق، ومن دعائه: اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلي من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أني لا أؤثر على حبك شيئًا، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في أحاديث الرؤية، والكرسي موضع القدمين، وضحك ربنا، وحديث أين كان ربنا. فقال: هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل لنا كيف وضع قدمه وكيف يضحك قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحدًا يفسره. وقال أحمد بن نصر وسئل عن علم الله ـ فقال: علم الله معنا وهو على عرشه. وقال مكي بن إبراهيم: دخلت امرأة جهم على وزوجتي فقالت يا أم إبراهيم هذا زوجك الذي يحدث عن العرش من نجره؟ قالت: نجره الذي نجر أسنانك. قال وكانت بادية الأسنان. وقال قتيبة بن سعيد: قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة ـ نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال جل جلاله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. وقال أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم القطيعي: آخر كلام الجهمية أنه ليس في السماء إله. وقال يحيى بن معين: إذا قال لك الجهمي وكيف ينزل؟ فقل كيف يصعد؟ قلت: الكيف في الحالين منفي عن الله تعالى لا مجال للعقل فيه. وعن علي بن المديني أنه سئل: ما قول أهل الجماعة؟ قال يؤمنون بالرؤية وبالكلام وأن الله عز وجل فوق السموات على عرشه استوى. فسئل عن قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ فقال: اقرأ ما قبله ﴿ألم تر أن الله يعلم﴾. وسئل أبو عبدالله أحمد بن حنبل إمام أهل السنة: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم هو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه. وقيل له: ما معنى: ﴿وهو معكم﴾ قال: علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة. وقال حرب بن إسماعيل الكرماني: قلت لإسحاق بن راهويه قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ كيف تقول فيه؟ قال: حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد وهو بائن من خلقه، ثم ذكر عن ابن المبارك قوله هو على عرشه بائن من خلقه، ثم قال: أعلى شيء في ذلك وأبينه قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ رواه الخلال في السنة[1] وقال إسحاق بن راهويه: دخلت على ابن طاهر فقال: ما هذه الأحاديث

---

(١) ذكره الذهبي في العلو ص ١٣١.

يروون أن الله تعالى يـنزل إلى السماء الدنيـا؟ قلت: نعم رواها الثقـات الذين يروون الأحكام. فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت يقدر أن ينزل من غير إن يخلو منه العرش؟ قال نعم. قلت فلم تتكلم في هذا؟ وروى الخلال عنه قال: قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ إجمـاع أهل العلم أنه فوق العـرش استـوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعـة. وقال رجل لابن الأعرابي رحمه الله تعالى: يا أبا عـبدالله ما معنى قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؟ قال: هو على عرشـه كما أخبـر. فقال الرجل: ليس كذاك، إنما معنـاه استولى. فقال: اسكت مـا يدريك ما هذا، العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب قيل استولى، والله تعالى لا مضاد له وهو على عـرشه كما أخبر، ثم قال: الاستيـلاء بعد المغالبة، قال النابغة:

إلا لمثلك أو مـا أنـت سابقـــه ... سبق الجواد إذا استولى على الأمد

وقال ذو النون المصـري رحمه الله: أشـرق لنور وجهـه السموات، وأنار لوجـهه الظلمات، وحجب جلاله عن العيون، وناجاه على عرشه ألسنة الصدور.

طبقة أخـــرى

وقال المزنـي في عقيـدته: الحمـد لله أحق ما بدى وأولى من شكر وعليـه أُثني، الواحد الصـمد، ليس له صاحـبة ولا ولد، جل عن المثل فـلا شبيـه له ولا عديل، السميع البـصير العليم الخبير المنيع الـرفيع عال على عرشه فهـو دان بعلمه من خلقه، والقرآن كلام الله ومن الله، ليس بمخلوق فيبيد، وقـدرة الله ونعته وصفاته كلمات غير مخلوقات. دائمات أزليـات، ليس محدثات فتبيد، ولا كان ربنا ناقـصًا فيزيد، جلت صفـاته عن شبه المخلوقين، عـال على عرشه، بائن من خلقـه. وذكر ذلك المعتـقد. وقال: لا يصح لأحـد توحيد حتى يعلم أن الله عـلى عرشه بصفـاته. قلت: مثل أي شيء؟ قال: سميع بصير عليم قدير، رواه ابن منده. وسئل محـمد بن يحيى الذهلي رحمه الله تعـالى عن حديث عبدالله بن مـعاوية عن النبي ﷺ: «ليعلم العبد أن الله معه حيث كان»(١). فقال: يريد أن الله علمه محـيط بكل ما كان والله على العرش. وقال أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى في آخر الجامع الصحيح

---

(١) رواه أبو داود رقم: ١٥٢٠، والطبراني في «الصغير» (١/ ٢٠١) والبيهقي في السنن (١/ ٩٥).

في كتاب الرد على الجهمية: باب قول الله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ قال أبو العالية: استوى على عرشه ارتفع، وقال مجاهد في استوى: علا على العرش. وقالت زينب أم المؤمنين ﵂: زوجني الله من فوق سبع سموات[١]. ثم إنه بوب رحمه الله تعالى على أكثر ما تنكره الجهمية من الصفات محتجًا بالآيات والأحاديث. وقال أبو زرعة الرازي وسئل عن تفسير ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فغضب وقال: تفسيره كما تقرأ، هو على عرشه، وعلمه في كل مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله. وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا. وقال محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي. ونعتقد أن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. رواه أبو القاسم الطبري. وقال يحيى ابن معاذ الرازي: إن الله على العرش بائن من خلقه أحاط بكل شيء علمًا، لا يشذ عن هذه المقالة إلا جهمي يمزج الله بخلقه رواه صاحب الفاروق. وعن محمد بن أسلم الطوسي رحمه الله تعالى قال: قال لي عبدالله بن طاهر: بلغني أنك لا ترفع رأسك إلى السماء. فقلت: وهل أرجو الخير إلا ممن هو في السماء. رواه الحاكم في ترجمته. وقال عبدالوهاب الوراق: من زعم أن الله ههنا فهو جهمي خبيث، إن الله عز وجل فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة. وكتب حرب الكرماني إلى عبدالرحمن بن محمد الحنظلي: إن الجهمية أعداء الله، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله لم يكلم موسى، ولا يرى في الآخرة، ولا يعرف لله مكان، وليس على العرش، ولا كرسي، وهم كفار فاحذرهم. وقال عثمان بن سعيد الدارمي الإمام في كتاب النقض: قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته يعلم ويسمع من فوق العرش لا تخفى عليه خافية من خلقه ولا يحجبهم عنه شيء[٢]. وقال أبو محمد بن قتيبة رحمه الله تعالى: كيف يسوغ لأحد أن يقول إن الله سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله ﴿الرحمن على العرش﴾ ومع قوله ﴿إليه يصعد الكلم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) عثمان الدارمي: في الرد على المريسي (ص٢٥).

الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ كيف يصعد إليه شيء هو معه، وكيف تعرج الملائكة والروح إليه وهو معه، قال: لو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرتهم وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله عز وجل هو العلي الأعلى وأن الأيدي ترفع بالدعاء إليه والأمم كلها عجميها وعربيها تقول إن الله في السماء ما تركت على فطرها[(١)].

وقال أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني: جميع ما في كتابنا ـ كتاب السنة الكبير ـ من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها، ويجب التسليم لها على ظاهرها، وترك تكلف الكلام في كيفيتها. فذكر من ذلك النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش. وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي رحمه الله في جامعه لما روى حديث أبي هريرة وهو خبر منكر عند أهل الحديث «لو أنكم أدليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله» فقال: قال أهل العلم أراد لهبط على علم الله وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه[(٢)]. وقال أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في كتاب السنة من سننه ـ باب في الجهمية ـ وساق في ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل آمنت بالله»[(٣)] وفي رواية: «فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم ليتفل عن يساره ثلاثًا وليستعذ من الشيطان»[(٤)] وذكر حديث الأوعال وحديث جبير بن مطعم وحديث أذن لي أن أحدث عن ملك، الحديث وقد ترجم قبل ذلك وبعده على معتقدات أهل السنة وما ورد فيها من الأحاديث رحمه الله تعالى كالرؤية والنزول وطي السموات والأرض وتكلم الله عز وجل والشفاعة والبعث وخلق الجنة والنار وفتنة القبر وعذابه والحوض والميزان وغير ذلك وردّ على طوائف الجهمية والمرجئة والخوارج والروافض رحمه الله تعالى. وقال ابن ماجه رحمه الله تعالى في سننه: باب ما أنكرت الجهمية، فساق حديث الرؤية وحديث أبي رزين وحديث جابر:

---

(١) ابن قتيبة: مختلف الحديث (ص٣٤٤).

(٢) رواه الترمذي (٥/٤٠٣) ح (٣٢٩٨) ك: التفسير، ب: من سورة الحديد، والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٣٩٩) بنحوه، وأحمد (٢/ ٣٧٠) ح (٨٨١٣) وحكم الشيخ أحمد شاكر بضعف إسناده لأجل الحكم بن عبدالملك والحديث حسن فهو عند الترمذي وقال: حسن غريب.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٣٨٧) ح (٣٢٧٦) ك: بدء الخلق، ب: صفة إبليس وجنوده من حديث أبي هريرة. ومسلم (١/ ١٢٠/ح١٣٥) ك: الإيمان، ب: بيان الوسوسة في الإيمان.

(٤) تقدم ذكره.

بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، الحديث تقدم[١]، وحديث الأوعال وغيرها. وكذلك مسلم في صحيحه والنسائي في سننه وغيرهم من أهل السنن ساقوا أحاديث الصفات وأمرّوها كما جاءت لم يتعرضوا لها بكيف ولا تأويل. وقال ابن أبي شيبة رحمه الله تعالى: ذكروا أن الجهمية يقولون ليس بين الله وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش وأن يكون الله فوقه وقالوا إنه في كل مكان ففسرت العلماء (وهو معكم) يعني علمه ثم تواترت الأخبار أن الله خلق العرش فاستوى عليه فهو فوق العرش متخلصًا من خلقه بائنًا منهم. وقال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى: لا يجوز لمؤمن أن يقول كيف الاستواء لمن خلق الاستواء ولنا عليه الرضا والتسليم لقول النبي ﷺ: «إنه تعالى على العرش» قال: وإنما سمى الزنديق زنديقًا لأنه وزن دق الكلام بمخبول عقله، وترك الأثر وتأول القرآن بالهوى فعند ذلك لم يؤمن بأن الله تعالى على عرشه.

طبقة أخرى

قال زكريا بن يحيى الساجي رحمه الله: القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم إن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء. وساق سائر الاعتقاد. وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري إمام المفسرين رحمه الله في عقيدته: وحسب امرىء أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر. ونقل في تفسير ﴿ثم استوى على العرش﴾ في المواضع كلها أي علا وارتفع، وتفسيره مشحون بأقوال السلف على الإثبات. وقال حماد بن هناد البوشنجي: هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار وما دلت عليه مذاهبهم فيه وإيضاح منهاج العلماء وصفة السنة وأهلها، إن الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وعلمه وسلطانه وقدرته بكل مكان. وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: مَنْ لم يقر بأن الله على عرشه فوق سبع سمواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقى على مزبلة لئلا يتأذى برائحته أهل القبلة وأهل الذمة. وقال أبو العباس بن سريج: قد صح عن جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا أن جميع الآي والأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الإيمان بكل واحد منها كما ورد أن السؤال عن معانيها بدعة، والجواب كفر وزندقة، مثل قوله

---

(١) تقدم ذكره.

﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وذكر الاعتقاد. وقال ثعلب إمام العربية ﴿على العرش استوى﴾: علا. وقال أبو جعفر الترمذي وسأله سائل عن حديث نزول الرب: فالنزول كيف هو يبقى فوقه علو؟ فقال: النزول معقول والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. وقال الطحاوي الإمام في عقيدته: والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه[1]. وقال أبو الحسن الأشعري في ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث: وأن الله على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. قال: ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش[2]. وقال أبو محمد البربهاري رحمه الله تعالى: الكلام في الرب محدثة وبدعة وضلالة، فلا يتكلم في الله إلا بما وصف به نفسه، ولا نقول في صفاته لم ولا كيف، يعلم السر وأخفى وعلى عرشه استوى وعلمه بكل مكان.

طبقة أخرى من أئمة الإسلام وعلماء السنة

قال أبو أحمد العسال في باب تفسير قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فساق ما ورد من أقوال السلف وأئمتهم وحديث ابن مسعود وقد مر. وقال أبو بكر الصبغي في قوله تعالى: ﴿من في السماء﴾ أي من على العرش كما صحت الأخبار عن رسول الله ﷺ. وقال أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة: باب ما جاء في استواء الله على عرشه بائنًا من خلقه، فساق في الباب حديث أبي رزين العقيلي وحديث الأوعال وغيرهما من أحاديث العلو. وقال أبو بكر الآجري: الذي يذهب إليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى وبجميع ما خلق في سبع أرضين يرفع إليه أعمال العباد[3]. وقال أبو الشيخ في كتاب العظمة له: ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظم خلقهما وعلو الرب فوق عرشه. وساق جملة أحاديث في ذلك. وقال أبو بكر الإسماعيلي: استوى على العرش بلا كيف فإنه انتهى إلى أنه استوى على

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٧٧.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين (ص٢٩٠).

(٣) الآجري في الشريعة ص٢٨٥.

العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه. وقال الأستاذ أبو منصور الأزهري: الله تعالى على العرش. وقال أبو الحسن بن مهدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: اعلم أن الله تعالى في السماء فوق كل شيء مستو على العرش بمعنى أنه عال عليه، ومعنى الاستواء الاعتلاء. وإنما أمرنا الله تعالى برفع أيدينا قاصدين إليه برفعها نحو العرش الذي هو مستو عليه. وقال ابن بطة رحمه الله: باب الإيمان بأن الله تعالى على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه، أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه. وقال الدارقطني رحمه الله تعالى:

حديث الشفاعة في أحمد ... إلى أحمد المصطفى نسنده
وأما حديث بإقعاده ... على العرش أيضًا فلا نجحده
أمرُّوا الحديث على وجهه ... ولا تدخلوا فيما يفسده[(١)]

وقال ابن منده رحمه الله تعالى: فهو تعالى موصوف غير مجهول، وموجود غير مدرك، ومرئي غير محاط به كأنك تراه، وهو يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، وعلى العرش استوى، فالقلوب تعرفه والعقول لا تكيفه وهو بكل شيء محيط. وقال محمد بن أبي زيد المغربي: وإنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه. قلت: وقد أطلق هذه العبارة أعني قوله: «بذاته» أبو جعفر بن أبي شيبة والدارمي ويحيى بن عمار وأبو نصر السجزي وابن عبد البر وشيخ الإسلام الأنصاري وأبو الحسن الكرجي وأحمد بن ثابت الطرقي وعبد العزيز القحيطي، وعبد القادر الجيلي وطائفة. وقال ابن فورك رحمه الله: استوى بمعنى علا. وقال في قوله ﴿أأمنتم من في السماء﴾ أي من فوق السماء. وقال ابن الباقلاني في إبانته: فإن قيل فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ وقال ﴿أأمنتم من في السماء﴾ إلى آخر كلامه. وقال أبو أحمد القصاب في

---

(١) حديث إقعاد النبي على العرش باطل وهو بلفظ: (يجلسني على العرش) ذكره الذهبي في العلو ص (٥٥)، وقال الذهبي: «هذا حديث منكر لا يفرح به»؛ أما بالنسبة للشعر الذي نسب إلى الدارقطني فهذا إسناد لا يصح، انظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني ح (٨٦٥).

عقيدته: كان ربنا عز وجل وحده لا شيء معه ولا مكان يحويه، فخلق كل شيء بقدرته وخلق العرش لا لحاجة إليه فاستوى عليه استواء استقرار كيف شاء وأراد، لا استقرار راحة كما يستريح الخلق. قلت: تفسير الاستواء بالاستقرار لم يرد في الكتاب ولا السنة، ونحن لا نصف الله إلا بما ثبت في الكتاب والسنة، لا نزيد عليه ولا ننقص منه. وقال الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى: طريقنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول لم يزل عالمًا بعلم بصيرًا ببصر سميعًا بسمع متكلمًا بكلام. إلى أن قال: وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه. وقال معمر بن زياد في أثناء وصيته: وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف مجهول، وأنه بائن من خلقه والخلق بائنون منه. وذكر سائر الاعتقاد. وقال أبو القاسم اللالكائي في قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ وأن الله على عرشه: قال الله عز وجل: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾ وقال: ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾ وقال: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ فدلت هذه الآيات أنه في السماء وعلمه في كل مكان، روي ذلك عن عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة، ومن التابعين ربيعة وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان، وبه قال مالك والثوري وأحمد. وقال يحيى ابن عمار: هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ فهذا الذي قلناه هو كما قال الله تعالى وقاله رسول الله ﷺ، قلت لفظة «بذاته» مستغنى عنها بصريح النصوص الكافية الوافية. وقال القادر بالله أمير المؤمنين في معتقده المشهور: وأنه خلق العرش لا لحاجة، واستوى عليه كيف شاء لا استواء راحة، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ فهي صفة حقيقة لا صفة مجاز. وقال أبو عمرو الطلمنكي رحمه الله تعالى: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كما نطق به كتابه، وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه فوق سمواته. وقال أبو نصر السجزي: أئمتنا كسفيان الثوري ومالك وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة

والفضيل وابن المبارك وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش وعلمه بكل مكان. وقال أبو عمرو الداني في أرجوزته التي في عقود الديانة:

كلامــه وقولـه قديـم وهو فوق عرشه العظيـم

وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح حديث النزول: هذا حديث صحيح لم يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل أن الله تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات كما قالت الجماعة. وقال أيضًا: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله. وقال أبو يعلى رحمه الله بعد أن ذكر حديث الجارية: الكلام في هذا الخبر في فصلين أحدهما جواز السؤال عن الله سبحانه بأين هو؟ والثاني جواز الإخبار عنه بأنه في السماء. وقد أخبرنا تعالى أنه في السماء فقال: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ وهو على العرش. وقال أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى في كتاب «المعتقد» له: باب القول في الاستواء، قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقال: ﴿ثم استوى على العرش﴾، ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾، ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾، ﴿أأمنتم من في السماء﴾ وأراد من فوق السماء كما قال تعالى: ﴿في جذوع النخل﴾ وقال: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ أي على الأرض، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السموات، فمعنى الآية أأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الآيات.

طبقة أخرى

قال أبو الفتح نصر المقدسي: وأن الله مستو على عرشه بائن من خلقه كما قال في كتابه. وقال شيخ الإسلام الأنصاري صاحب منازل السائرين في التصوف، قال في كتاب له: باب استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة بائنًا من خلقه من الكتاب والسنة، فساق الحجة من الآيات والأحاديث إلى أن قال: وفي أخبار شتى أن الله سبحانه وتعالى في السماء السابعة على العرش بنفسه وهو ينظر كيف تعملون، وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان. وقال البغوي رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل: ﴿ثم استوى على العرش﴾ قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة:

صعد. وأوّلت المعتـزلة الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنة فـإنهم يقولون: الاستواء على العرش صـفة لله تعالى بـلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فـيه إلى الله عـز وجل. ثم ذكر قـول مالك المتـقدم، وقـال: وروى عن سفـيان الثـوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفـيان بن عيينة وعبدالله بن المبـارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جـاءت في الصفات المتـشابهـات: أمرّوها كمـا جاءت بلا كيف[1]. وقال أبو الحسن الكرجي في بائيته:

عـقائـدهم أن الإلـه بـذاتـه ... على عرشـه مع علمـه بالغوائـب

وأن استواء الرب يعقل كونه ... ويجهل فيه الكيف جهل الشهارب

وقال الشيـخ عبد القادر الجيلـي رحمه الله تعالى في كـتاب «الغنية»: أما مـعرفة الصانع بالآيات والدلائل على وجه الاختصار فـهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد إلى أن قال: وهو مستو على العرش، محتـو على الملك، محيط بالأشياء، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، وينبغي إطلاق ذلك من غير تأويل. وكـونه تعالى على العرش مذكور في كـل كتاب أنزل، على كل نبي أرسل، بلا كيف.

وقال أبو عبدالله القرطبي: وقـد كان السلف الأول ﷺ لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافـة بإثباتها لله تعالى كما نطق كـتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على عرشه حقيقة، وخص عرشه بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا يعلم حقيقة كيفيته[2]. قلت: أراد بالجهة إثبـات العلو لله تعالى، أما لفظ الجهـة فلم يرد في الكتاب ولا في السنة، ولا يلزم من إثبات العلـو إثباتها، لأن العرش سـقف جميع المخلـوقات فما فـوقه لا يسمى جـهة، ولو سلمنا أنه يلزم من إثبات العلو إثبـات الجهة فلازم الحق حق، فـما استلزمـه صريح الآيات والأحـاديث فهو حـق بلا خوف عند أهل السنة. وقـال شيخ الإسلام ابن تيميـة رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطيـة بعد سرد الآيات والأحاديث

---

(١) البغوي: معالم التنزيل (١/ ٤٨١).

(٢) الطبري: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢١٩).

في الصفات: فصل وقد دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به في كتابه وتواتر عن رسول الله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ وليس معنى قوله: ﴿وهو معكم﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، والله سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وكل هذا الكلام الذي ذكر الله تعالى من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله ﴿في السماء﴾ أن السماء تقله أو تظله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله تعالى قد وسع كرسيه السموات والأرض، وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ا.هـ. ومصنفات هذا الإمام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى في الانتصار لمعتقد أهل السنة والجماعة قد طبقت المشارق والمغارب، ولو ذهبنا نذكر أقوال أهل العلم والدين من السلف والخلف لاحتجنا إلى عدة أسفار بل إلى عدة أحمال، وفيما ذكرناه كفاية.

ونحن نشهد الله تعالى وحملة عرشه وجميع ملائكته وأنبياءه ورسله وجميع خلقه أنا نثبت لربنا عز وجل ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته رسوله ﷺ وأجمع عليه أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا ممن ذكرنا وممن لم نذكر من أن ربنا وإلهنا فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وهو يعلم ما هم عليه لا يخفى عليه منه خافية، واستواؤه على عرشه كما أخبر وعلى الوجه الذي عناه وأراده كما يليق بجلال ربنا وعظمته، لا نتكلف لذلك تأويلاً ولا تكييفًا بل نقول آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ، ولا نطلب إمامًا غير الكتاب والسنة، ولا نتخطاهما إلى غيرهما ولا نتجاوز ما جاء فيهما، فننطق بما نطقا به ونسكت عما سكتا عنه ونسير سيرهما حيث سارا ونقف معهما حيث وقفا،

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومع ذا مطلع إليهمو بعلمه مهيمنٌ عليهمُ
وذكره للقرب والمعيَّهْ لم ينف للعلو والفوقيهْ
فإنه العليُّ في دنوِّه وهو القريب جلَّ في علوِّه

(ومع ذا) الاتصاف بالعلو والاستواء على العرش والمباينة منه لخلقه تبارك وتعالى فهو (مطلع) سبحانه وتعالى (إليهمو) الواو للإشباع (بعلمه) المحيط بجميع المعلومات لا تخفى عليه منهم خافية، كما جمع تبارك وتعالى بين ذلك في قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٥-٧] فجمع تعالى بين استوائه على عرشه وبين علمه السر وأخفى، وكذلك جمع عز وجل بينهما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] وهو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء، هكذا فسره رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة عند مسلم. وكذلك جمع تعالى بينهما في الآية التي تليها فقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] وكذلك جمع النبي ﷺ بين هذين المعنيين في حديث الأوعال إذ يقول: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه»[1] وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وهو إجماع المؤمنين.

(مهيمن) رقيب (عليهمو) بواو الإشباع (وذكره) تبارك وتعالى (للقرب) في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله تعالى: ﴿إنه سميع قريب﴾ وقول النبي ﷺ في حديث الصحيحين: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[2]. (و) كذلك ذكره (المعية) العامة في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١١/١٩١) ك: الدعوات ب: الدعاء إذا علا عقبة ح (٦٣٨٤)، ومسلم (٤/٢٠٧٦) ح (٢٧٠٤) ك: الذكر والدعاء، ب: باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾ [المجادلة: ٧] وقوله عز وجل: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ [الحديد: ٤] وكذا المعية الخاصة في قوله عز وجل: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢٨] وقوله: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ [الأنفال: ٤٦] وقوله لموسى وهارون: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦] وقوله في قصة نبينا ﷺ مع الصديق رضي الله عنه: ﴿إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠] كل ذلك (لم ينف العلو) المذكور في النصوص السابقة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة من أنه تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه ـ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ـ تعرج الملائكة والروح إليه ـ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض.

(والفوقية) عطف على العلو وهو رديفه في المعنى أي ولم ينف قوله عز وجل: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] وقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠] وقول النبي ﷺ: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه»[١] بل كل ذلك حق على حقيقته ولا منافاة بين قربه عز وجل وبين علوه (فإنه) هو (العلي) المتصف بجميع معاني العلو ذاتًا وقهرًا وشأنًا (في دنوه) فيدنو تعالى من خلقه كيف شاء.

وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية عرفة وغير ذلك كيف شاء ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف شاء، وليس ذلك منافيًا لفوقيته فوق عباده واستوائه على عرشه فإنه ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله ومعيته العامة في قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ معناها إحاطته بهم علمًا وقدرة كما يدل عليه أول السياق وآخره، وهو إجماع الصحابة والتابعين كما تقدم نقل إجماعهم على ذلك.

وأما معيته الخاصة لأحبابه وأوليائه فتلك غير المعية العامة، فهو معهم بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق والتسديد وغير ذلك مما تجفو عبارة المخلوق عنه، ويقصر تعريفه دونه، وكفاك قول الله عز وجل فيما رواه عنه نبيه ﷺ إذ يقول: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»[٢]. وفي بعض الروايات «وقلبه الذي يعقل به، ولسانه الذي ينطق به»[٣] وليس معنى ذلك أن يكون

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١١/٣٤٨) ك: الرقاق، ب: التواضع ح (٦٥٠٢) من رواية عطاء.

(٣) انظر كلام الشيخ الألباني على الحديث السابق ٤/١٨٣ ح (١٦٤٠).

جوارح للعبد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وإنما المراد أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عز وجل بالفرائض ثم بالنوافل قربه إليه ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة. وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بقوله: «أحبوا الله من كل قلوبكم»[1] فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريد منه مولاه. فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به، فهذا هو المراد بقوله عز وجل: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها». ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد، والله ورسوله بريئان منه.

(وهو القريب جل في علوه) فهو سبحانه وتعالى مستو على عرشه عالٍ على جميع خلقه وهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه. ويعلم سره ونجواه، وهو أقرب إلى داعيه من عنق راحلته. ويعلم ما توسوس به نفس الإنسان وهو أقرب إليه من حبل الوريد، فإن الذي عند عنق راحلته أو عند حبل وريده لا يعلم ما خفي عليه من كلامه، والله عز وجل على عرشه ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما يلج في الأرض، وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو مع خلقه بعلمه وقدرته لا تخفى عليه منهم خافية وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فهو على كل شيء شهيد وبكل شيء محيط، فهو سبحانه القريب في علوه، العلي في دنوه وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

حيّ وقيوم فلا ينام وجل أن يشبهه الأنام

لا تبلغ الأوهام كنه ذاته ولا يكيف الحجا صفاته

(حيّ) لا يموت كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] وقال تعالى: ﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾ فهو الحي الذي لم تسبق

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٢٥) وفيه إرسال.

حياته بالعدم ولم تعقب بالفناء، هو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء، وفي الصحيحين عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»(١).

(وقيوم) فهو القيوم بنفسه القيم لغيره فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها إلا به ولا قوام لها بدون أمره كما قال تعالى: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ وهو القائم على كل شيء والقائم بجميع أمور عباده والقائم على كل نفس بما كسبت.

وفي الصحيحين من دُعائه ﷺ في صلاة الليل: «اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض»(٢). الحديث. وقد جمع تعالى بين هذين الاسمين: «الحي القيوم» في ثلاثة مواضع من كتابه: الأول آية الكرسي من سورة البقرة: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الثاني: أول سورة آل عمران ﴿الٓمٓ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢]، الثالث: في سورة طه ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١] وروى ابن مردويه عن أبي أمامة مرفوعًا قال: «اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب في ثلاث سور: سورة البقرة وآل عمران وطه»(٣) (فلا ينام) أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٨١) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ من رواية ابن عباس، ومسلم (٤٠/ ٢٠٨٦) ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، من رواية ابن عباس مع اختلاف في اللفظ وزيادة في أوله.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٨٣) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾ من طريق ابن عباس، ومسلم (١/ ٥٣٢) ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه. من طريق ابن عباس مع اختلاف في اللفظ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٦٧) ح (٣٨٥٦) ك: الأدب، ب: اسم الله الأعظم، من رواية أبي أمامة عن ابن القاسم، وفي الزوائد: رجال إسناده ثقات، وهو موقوف، وأما إسناد المرفوع، ففيه غيلان لم أر لأحد فيه كلامًا لا بجرح ولا توثيق، وباقي رجال الإسناد ثقات، رواه الدارمي (٢/ ٤٥٠) عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ و﴿وإلهكم إله واحد﴾. =

عن خلقه فإن ذلك نقص في حياته وقيـوميته، ولهذا أردف هذين الاسمين بنفي السنة والنوم فـقال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البـقرة: ٢٥٥] أي لا تغلبه سنة وهو الوسن والنعاس، ولا نوم ونفيه من باب أولى لأنه أقوى من السِّنة، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء ولا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية. وفي الصحيحين عن أبي موسى ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهـار قبل عمل الليل، حجابه النور ـ أو النار ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»(١).

(وجل) عن (أن يشبهه الأنام) في ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله لأن الصفات تابعـة لموصوفـهـا فكما أن ذاتـه لا تشبـه الذوات فكذلك صـفاته لا تشبـه صفـات المخلوقات، ولو اهتدى المتكلمون لهذا المـعنى الذي هدى الله إليه أهل السنة والجماعة لما نفوا عن الله مـا وصف به نفسه ووصفـه به رسول الله ﷺ ولما عطلوه عن صفات كمالـه ونعوت جلاله فراراً بزعـمهم من التشبـيه فوقعـوا في أعظم من ذلك ولزمهم أضداد مـا نفوه من الصـفات الثابتة بالكتـاب والسنَّة وإجـماع سلف الأمـة، وسبب ضلالهم أنهم تقـدموا بين يدي الله ورسوله واتهمـوا الوحيين فيما نطقـا به ووزنوهما بعقـولهم السخيـفة وأذهانهم البـعيدة وقـوانينهم الفاسدة التي هـي ليست من الله في شيء، ولا من علوم الإسـلام في ظل ولا فيء، وإنما هي أوضـاع مـختلفـة أدخلهـا الأعادي على أهل الإسلام لقصد إظهار الفســاد، ولغرس شجرة الإلحاد المثمرة تعطيل الباري عز وجل عن صفات كماله وعلوه واعتقاد الحلول والاتحاد.

جـاءوا بهـا فـي قالـب التنزيــه ... لله كـي يغـوون كـل سفـيـهِ
قـالوا صفـات كمـالــه منـفـيـة ... عنـه مخافة موجب التشبـيـهِ
تعطيلـهـم سـمـوه «تنزيهًـا» لـه ... ليروّجوا فاعجب لذا التمويه

= والحاكم (١/ ٥٠٦) من رواية أبي أمـامة، بلفظ «إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القـرآن في سورة البقرة وآل عمران وطه . . .».

ورواه أحمـد (٦/ ٤٦١) بلفظ: «في هذين الآيتين الله لا إله إلا هو الحي القيـوم، الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم، إن فيها اسم الله الأعظم» قال محقق المسند: إسناده حسن.

(١) تقدم.

والوحي قالوا نصه لا يوجب العلم اليقين فأي دين فيه
ما الدين إلا ما عند اليونان قد جئنا به طوبى لمن يحويه
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم وبقوا حيارى في ضلال التيه

فسموا النور الذي أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ تفصيل كل شيء وتبيانًا لكل شيء ولم يفرط فيه من شيء وبيان النبي ﷺ من جوامع كلمه التي اختصه الله بها، فسموا ذلك كله «آحاداً ظنية لا تفيد اليقين»، وسموا زخارف أذهانهم ووساوس شيطانهم «قواطع عقلية»، لا والله ما هي إلا خيالات وهمية ووساوس شيطانية، هي من الدين بريئة وعن الحق أجنبية، توجب الحيرة وتعقب الحسرة كثيرة المباني قليلة المعاني كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، ويا ليته إذا جاءه لم يجده شيئًا لكن وجده السم النقيع والداء العضال، فخاخ هلكة نصبها الأعداء لاصطياد الأغبياء، وخدعة ماكر في صورة ناصح فعل عدو الله اللعين في قصته مع الأبوين عليهما السلام في دلالتهما على الشجرة التي نهاهما ربهما عنها: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢١، ٢٢] إلى آخر الآيات، وكذلك كتب الكلام والمنطق اليوناني أدخله الأعداء علينا وسموه علم التوحيد تلبيسًا وتمويهًا وما هو إلا سلم الإلحاد والزندقة، وجحدوا صفات الباري عز وجل وسموا ذلك تنزيهًا ليغروا الجهال بذلك، وإنما هو محض التعطيل. وسموا أولياء الله المؤمنين الذين عرفوه بأسمائه وصفاته مشبهة لينفروا الناس عنهم مكرًا وخديعة، فأصبح المغرور بقولهم المخدوع بمكرهم حائرًا مخذولاً لأنهم لما عزلوا كتاب الله عن البيان وحكموا عقولهم السخيفة في نصوص صفات الأديان لم يفهموا منها إلا ما يقوم بالمخلوق من الجوارح والأدوات التي منحه الله إياها ومتى شاء سلبه، ولم ينظروا المتصف بها من هو، فلذلك نفوها عن الله عز وجل لئلا يلزم من إثباتها التشبيه، فشبهوا أولاً وعطلوا ثانيًا، فلما نفوا عن الله صفات كماله لزمهم إثبات ضدها وهو النقائص، فمن نفى عن الله كونه سميعًا بصيرًا فقد شبهه بما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئًا وكذلك سائر الصفات وماذا عليهم لو أثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ كما شاء الله تعالى وعلى الوجه الذي أراد، فجميع صفاته صفات كمال وجلال تليق بعظمة ذاته ونفيها ضد ذلك، ولا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق المسميات فإن الله تعالى قد سمى نفسه سميعًا بصيرًا، وأخبرنا أنه جعل الإنسان سميعًا بصيرًا، وسمى نفسه الرءوف الرحيم، وأخبر أن نبيه ﷺ بالمؤمنين

رءوف رحيم، وسمى نفسـه الملك فقال: ﴿ملك يوم الدين ـ ملك الناس﴾ وسمى بعض خلقه ملكًا فـقال: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٤] وهو العزيز وسمى بـعض عباده عـزيزًا وغيـر ذلك، فلا يلزم من اتفـاق التسـميـة اتفاق الأسـماء ومقتضـياتها، فليس السمع كالسمع ولا البـصر كالبصر ولا الرأفة كـالرأفة ولا الرحمة كالرحمة ولا العزة كالعزة، كما أنه ليس المخلوق كالخالق ولا المحدث الكائن بعد أن لم يكن كالأول الآخر الظاهر الباطن، وليس الفـقير العاجز عن القيام بنفسـه كالحي القيوم الغني عما سـواه وكل ما سواه فقـير إليه، فصفـات الخالق الحي القيوم قـائمة به لائقة بجلاله أزلية بأزليته دائمة بديموميته، لم يزل متصفًا بها ولا يزال كذلك، لم تسبق بضد ولم تعقب به، بل له تعـالى الكمال المطلق أولاً وأبدًا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فمن شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه.

(**لا تبلغ الأوهام كنه ذاته**) أي نهاية حقيقتـها كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وإنما نعرفه تعـالى بما وصف به نفسه في كتـبه المنزلة على رسله بأنه أحـد صمـد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى آخر الآية، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشـر: ٢٤]، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] إلى غير ذلك من آيات الأسماء والصفات. (**ولا يكيف الحجا**) أي العقل (**صفاته**) لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو، فالواجب علينا أيهـا العبيد الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وإمـرارها كما جاءت واعتقاد أنها حق كـما أخبر الله عز وجل، فصفات ذاته تعالى من الحياة والعلم والسـمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها وكذلك صفـات أفعـاله من الاستـواء على العرش والنزول إلى سـماء الدنيا والمجـيء لفصل القضاء بين عباده وغير ذلك كلها حق على حقيقتها، علمنا اتصافه تعالى بها بما علمنا في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وغاب عن جميع المخلوقين كيفيتها ولم يحيطوا بها علمًا

كما قالت أم سلمة رضي الله عنها وربيعة الرأي ومالك بن أنس وغيرهم رحمهم الله تعالى: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق والتسليم، وكذلك القول في جميع صفاته عز وجل، وإنا والله لكالون حائرون في كيفية سراية الدم في أعضائنا وجريان الطعام والشراب فينا وكيف يدبر الله تعالى قوت كل عضو فيه بحسب حاجته، وفي استقرار الروح التي هي بين جنبينا وكيف يتوفاها الله في منامها وتعرج إلى حيث شاء الله عز وجل ويردها إذا شاء، وفي كيفية إقعاد الميت في القبر وعذابه ونعيمه، وكيفية قيام الأموات من القبور حفاة عراة غرلاً وكيفية الملائكة وعظم خلقهم فكيف العرش الذي لا يقدر قدره إلا الله عز وجل، كل ذلك نجهل كيفيته ونحن مؤمنون به كما أخبرنا الله عز وجل عنه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام إيمانًا بالغيب وإن لم نعلم الكيفية، فكيف بالخالق عز وجل وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون، آمنا به كل من عند ربنا، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.

انفراده عز وجل بالإرادة والمشيئة

باق فلا يفنى ولا يبيد	ولا يكون غير ما يريد
منفرد بالخلق والإرادة	وحاكم - جل - بما أراده

(باق) كما أنه الأول بلا ابتداء فهو الباقي بلا انتهاء، كما لا ابتداء لأوليته كذلك لا انتهاء لآخريته (فلا يفنى ولا يبيد) بل هو المفني المبيد، وهو المبدئ المعيد، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. (ولا يكون) في الكون (غير ما يريد) والمراد بالإرادة هنا الإرادة القدرية الكونية التي لابد لكل شيء منها ولا محيص ولا محيد لأحد عنها وهي مشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة، فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه الفعال لما يريد، ولا نفوذ لإرادة أحد إلا أن يريد، وما من حركة ولا سكون في السموات ولا في الأرض إلا بإرادته ومشيئته، ولو شاء عدم وقوعها لم تقع، وورود ذلك في نصوص الكتاب والسنة معلوم كقوله تبارك وتعالى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا

يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] وهذا الأمر القدري الكوني غير الأمر الشرعي، فإن الله لا يأمر بالفسق شرعًا ولا يحب الفاسقين وإنما هو أمر تكوين، ألا ترى أن الفسق علة ﴿حق القول عليهم﴾ و﴿حق القول عليهم﴾ علة لتدميرهم وهكذا الأمر سبب لفسقهم ومقتض له وذلك هو أمر التكوين، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] وقول نوح لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١] وقوله تعالى: ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧] ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧] وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ [الفتح: ١١] وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٧٦] وقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] وقول صاحب يس: ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨] وقول النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[1]، «من يرد الله به خيرًا يصب منه»[2]، «إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأقرّ عينه بهلاكها»[3]، «إذا أراد الله بعبد خيرًا عجل له العقوبة في

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٠) ك: فرض الخمس، ب: قول الله تعالى: ﴿فإن لله خمسه وللرسول﴾ ح(١٣١٦)، من رواية معاوية، ومسلم (٢/ ٧١٨) ك: الزكاة، ب: النهي عن المسألة.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٨) ك: المرض، ب: ما جاء في كفارة المرض، ح (٥٦٤٥) من رواية أبي هريرة، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٤١) ك: العين، ب: ما جاء في أجر المريض.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٩١) ك (الفضائل)، ب: (إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها) «من رواية أبي موسى الأشعري».

الدنيا وإذا أراد الله بعبد شرًا أمسك عنه بذنوبه حتى يوافى به يوم القيامة»[(١)]، «إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة»[(٢)]، «إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم باب الرفق»[(٣)] «إذا أراد الله بقوم عذابًا أصاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم»[(٤)]. والآثار النبوية في ذلك كثيرة، وكذلك لفظ «المشيئة» في الكتاب والسنة وروده معلوم كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠] وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]، ﴿ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [محمد: ٤]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]، ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ﴾ [هود: ٣٣] وقوله عن إمام الحنفاء: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ٨٠] وقوله عن الذبيح: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] وقوله عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩] وقوله عن يوسف: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠١) ك (الزهد) ب (ما جاء في الصبر على البلاء) ح (٢٣٩٦) من طريق أنس بن مالك، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والحاكم في مستدركه (٤/ ٦٠٨) من طريق أنس بن مالك، ورجال إسناده ثقات.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٥٣) ك: القدر، ب: ما جاء أن النفس تموت حيث ما كتب لها، من رواية أبي عزة، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح، وأبو عزة كانت له صحبة واسمه يسار بن عبد، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٢) من رواية عبدالله بن مسعود، وإسناده صحيح عن أبي عزة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد ح (٢٤٣٠٨) من حديث عائشة، قال محقق المسند: إسناده صحيح، وقال الهيثمي (٨/ ٤٣) رقم (١٢٦٤٩) رجال أحمد رجال الصحيح بنحوه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣/ ٦٤) ك: الفتنة، ب: إذا أنزل الله بقوم عذابًا. ح (٧١٠٨) من رواية ابن عمر، ومسلم (٤/ ٢٢٠٦) ك: في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الله آمنين﴾ [يوسف: ٩٩] وقوله عن موسى: ﴿ستجدني إن شاء الله صابرا﴾ [الكهف: ٦٩] وقوله عن قـوم موسى: ﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ [البقرة: ٧٠]، وقوله لنبـيه ﷺ: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا * إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]، ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقال: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ [هود: ١٠٧] وعن أهل النار مثل ذلك، وقال: ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم﴾ [الإسراء: ٥٤] وقال: ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ [آل عمران: ١٢٩] وقال: ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ [الشورى: ٢٧] وقال: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ [الإسراء: ٣٠] وقال: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [الرعد: ٣٩] وقال: ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به﴾ [يونس: ١٦] وقال: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا﴾ [الإنسان: ٢٨] وقال: ﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ [المدثر: ٥٦] وقال: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ [الإنسان: ٣٠] فأخبر أن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا. وقال: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ [آل عمران: ٢٦] وقال: ﴿ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم﴾ [الأحزاب: ٢٤] وقال: ﴿يختص برحمته من يشاء﴾ [آل عمران: ٧٤] وقال: ﴿ولكن الله يزكي من يشاء﴾ [النور: ٢١] وقال: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ [البقرة: ٢٦١] وقال: ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ [يوسف: ٥٦] وقال: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: ٧٦] وقال: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ [المائدة: ٥٤] وقال: ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ [إبراهيم: ١١] وقال: ﴿فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ [يوسف: ١١٠] وقال: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء﴾ [الروم: ٤٨] وقال: ﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾ [يوسف: ١٠٠] وقال: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ [البقرة: ٢٩٩] وقال: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ [يس: ٦٦] ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ [البقرة: ٢٠] وقال: ﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾ [الشورى: ٣٣] وقال: ﴿لو نشاء لجعلناه حطاما﴾ [الواقعة: ٦٥]، ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا﴾ [الواقعة: ٧٠] وقال: ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ [التوبة: ٢٨] وقال: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ [فاطر: ١٦] ﴿إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ [الأنعام: ١٣٣] ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ [البقرة: ٢٢] ﴿الله يجتبي إليه من

يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٣] ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨] ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٩] ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٨٢] وغير ذلك من الآيات.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بعد أن ساق نحواً من هذه الآيات: وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال نفاة المشيئة بالكلية ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم، وهو سبحانه يخبر تارة أن كل ما في الكون بمشيئته، وتارة أن ما لم يشأ لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه وأنه لو شاء ما عصى وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة، فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه ﴿رب العالمين﴾ وكونه القيوم القائم بتدبير أمور عباده، فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا ضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه إذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره ا. هـ.

والأحاديث من السنة النبوية في إثبات المشيئة كثيرة جدًا، منها قوله ﷺ في شأن الجنين: «فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك»[(١)] وقوله: «اشفعوا تأجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء»[(٢)]، «إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٣٧) ك: القدر، ب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، من حديث ابن مسعود ح(٢٦٤٥)، والطبراني في الكبير (٣/ ١٧٥) من حديث حذيفة (٣٠٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٥٦) ح (٧٤٧٦) ك: التوحيد، ب: «في المشيئة والإرادة» من حديث أبي موسى، ومسلم (٤/ ٢٠٢٦) ك: البر والصلة، ب: استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، ح (٢٦٢٧). والترمذي (٢٦٧٢)، والنسائي (٥/ ٥٨) وأحمد (٤/ ٤٠٩).

حين شاء»(١)، «إن الله لو شـاء لم تنامـوا عنهـا، ولكنه أراد ليكون لمن بعـدكم»(٢)، «قولوا مـا شاء الله وحده»(٣)، «قلوب العبـاد بين إصبعين من أصابع الرحـمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء»(٤)، «ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامـه وإن شاء أزاغـه». وكان ﷺ يقول: «اللهم يا مـقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»(٥) وقوله عن الله عـز وجل: «فذلك فضلي أوتيـه من أشاء»(٦) وقوله: «مثل الكافر كمـثل الأرزة صماء معتـدلة حتى يقصمـها الله إذا شاء»(٧)، وقوله: «تعرَّضوا لنفحـات رحمة الله، فإن لله عـز وجل سحائب من رحـمته يصيب بهـا من يشاء من عباده»(٨)، وقوله في حديث البيـعة: «ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فهو إلى الله عز وجل، إن شاء عذبـه وإن شاء غفر له»(٩)، وفي حديث احتـجاج الجنة والنار

---

(١) رواه البخـاري (١٣/ ٤٥٥) ك: التوحيد، ب «في المشيـئة والإرادة» ح (٧٤٧١)، من حديث أبي قـتادة عن أبيه، وأبو داود (٤١٢)، وأحمد (٥/ ٣٠٧).

(٢) رواه أحمـد (١/ ٣٩١) والبيـهقي في السنن الكبـرى (٢/ ٢١٨) ك: الصلاة، ب: لا تفـريط على من نام عن صلاة أو نسيـها، ومسند أبي يعلى (٩/ ١٨٧) من حديث عبـدالله بن مسعود، وصحح إسناده الشيـخ أحمد شاكر.

(٣) أخرجـه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٤٥) ح (١٠٨٢٥) من حـديث ابن عباس، ك: عـمل اليوم والليلة، ب: النهي أن يقال: «ما شاء الله وشاء فـلان»، وابن ماجه (٢/ ٦٨٤) ح (٢١١٧) ك: الكفارات، ب: النهي أن يقال ما شاء الله وشئت، في الزوائد: في إسناده الأجلح بن عبدالله، مختلف فيه ضعفه الإمام أحمد وأبو حاتم والنسـائي وأبو داود وابن سعـد، ووثقه ابن معين ويعـقوب بن سفـيان والعجلـيّ وباقي رجال الإسناد ثقات، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر (١/ ٢١٤، ٢٨٣) في تحقيق المسند.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥) ك: القدر، ب: تصريف الله تعالى للقلوب كيف شاء من حديث عبدالله بن عمرو ابن العاص بنحوه. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٧٧٣٩) ك: النعوت، ب: قوله: ﴿ولتصنع على عيني﴾.

(٥) رواه ابن ماجه (١/ ٧٢) في المقـدمة ح (١٩٩) من حديث النواس بن سمعـان الكلابي بنحوه، وفي الزوائد: إسناده حـسن، وأحمد (٤/ ١٨٢)، والحـاكم (١/ ٥٢٥) وقال: هذا حـديث صحـيح على شرط مـسلم ولم يخرجاه.

(٦) أخرجه البـخاري (٢/ ٤٦) ح (٥٥٧) ك: مواقيت الصـلاة، ب: من أدرك ركعة من العصـر قبل الغروب من حديث سالم بن عبدالله عن أبيه.

(٧) أخرجه البـخاري (١٣/ ٤٥٥) ح (٧٤٦٦) من حديث أبي هريرة بلفظ «مثل المؤمن كمـثل خامة الذرع ...» ومسلم (٤/ ٢١٦٣) ك: صفات المنافقين وأحكامهم، ب: مثـل المؤمن كالزرع، ومثل الكافر كشجر الأرز من حديث أبي هريرة.

(٨) رواه ابن أبي الدنيا فـي الفرج بعد الشـدة ص٢٤، وذكره الهندي في كنز العـمال (٢/ ٧٤) ح (٣١٨٩) ورواه الطبراني في الكبير ح (٧٢٠) ص (٢٥٠) من حديث أنس بن مالك.

(٩) أخرجـه البخـاري ٧/ ٢٦٠ ك: مناقب الأنصار، ب: وفود الأنصـار إلى النبي ﷺ وبيعـة العقبـة. ومسلم (٣/ ١٣٣٣) ك: الحدود ب: الحدود كفارات لأهلها. ح (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت.

قوله تعالى للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء» وللنار: «أنت عذابي أعذب بك من أشاء»[١] وقوله ﷺ: «لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت وارزقني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله تعالى لا مكره له»[٢] وقوله: «ولكن قل قدر الله وما شاء فعل»[٣]، وقوله عن الله عز وجل: «ذلك بأني جواد أفعل ما أشاء، عطائي كلام وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون»(٤) وقوله: «ما أنعم الله على عبد من نعمة من أهل وولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آية دون الموت»[٥] وفي حديث الشفاعة: «فيدعني ما شاء الله أن يدعني»[٦] وفي حديث آخر أهل الجنة دخولاً الجنة: «فيسكت ما شاء الله أن يسكت»[٧] وفيه قوله تعالى: «لا أهزأ بك ولكني علي ما أشاء قدير»[٨] .وقال: «فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي»[٩] وقال: «لا يدخل النار إن شاء

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٦٠) ح (٤٨٥٠) ك: التفسير، ب: ﴿وتقول هل من مزيد﴾ من حديث أبي هريرة، ومسلم (٤/ ٣١٨٦) ك: الجنة وصفة نعيمها، ب: النار يدخلها الجبارون.

(٢) أخرجه البخاري (٨٣/ ٤٥٦) ح (٧٤٧٧) من حديث همام سمع أبا هريرة، ومسلم (٤/ ٢٠٦٣) ح (٢٦٧٩) ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: العزم بالدعاء، ولا يقل إن شئت، والترمذي (٣٤٩٧)، والنسائي في الكبرى ح (١٠٤١٩) وابن ماجه (٣٨٤٥) أحمد (٢/ ٢٤٣) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٢) ح (٢٦٦٤) ك: القدر، ب: الأمر بالقوة وترك العجز من حديث أبي هريرة. وابن ماجه (١/ ٣١) ح (٧٩) وأحمد (٢/ ٢٤٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥٦) ح (٢٤٩٥) ك: صفة القيامة. ب (٤٨) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٢) ح (٤٢٥٧) من حديث أبي ذر، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (١١٨/٥) ح(٦٤٥٤).

(٥) رواه الطبراني في الصغير (١/ ٢٢٧) ح (٥٧٩) تفرد به أنس بن مالك، وفيه عبدالملك بن زرارة وهو ضعيف، ومجمع الزوائد (١٠/ ١٤٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع حديث (٥٠٢٦)، والسلسلة الضعيفة (٢٠١٢).

(٦) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٠٣) ح (٧٤١٠) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ من حديث أنس بن مالك. ومسلم (١/ ١٨٠) ح (١٩٣) ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة من حديث أنس أيضًا، وأحمد (٣/ ١١٦) بنحوه، والنسائي في الكبرى ح (١١٤٢٣).

(٧) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٣٠) ح (٧٤٣٧) من حديث أبي هريرة، ك: (التوحيد)، ب: قول الله عز وجل: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾.

(٨) أخرجه مسلم (١/ ١٧٤) ح (١٨٧) ك: الإيمان، ب: «آخر أهل النار خروجًا» من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

(٩) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٥٦) ح (٧٤٧٤) من حديث أبي هريرة (ك: التوحيد، ب: في المشيئة والإرادة) ومسلم (١/ ١٨٨) ح (١٩٨) ك: الإيمان ب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته من حديث أبي هريرة، والترمذي بنحوه ح (٣٦٠٢)، وابن ماجه ح(٤٣٠٧) وأحمد (٢/ ٤٢٦).

الله من أصحاب الشـجرة الذين بايعوا تحتـها أحد»[١]، وقال: «إني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء الله ما بين أيلة إلى كذا»[٢] وقال في المدينة: «لا يدخلها الطاعون ولا الدجال إن شاء الله تعالى»[٣]، وفي زيارة القبور: «وإنا إن شـاء الله بكم لاحقون»[٤] وفي حصار الطائف: «إنا قـافلون غداً إن شاء الله»[٥]، وفي قدومه مكة: «منزلنا غداً إن شاء الله بخـيف بني كنانة»[٦] وفي قصـة بدر: «هذا مصـرع فلان غـداً إن شاء الله وهذا مصـرع فلان إن شاء الله»[٧] وفي بعض أسـفاره: «إنكم تأتون الماء غـداً إن شاء الله»[٨] وقال: «من حلف فقال إن شاء الله فإن شاء مضى وإن شاء رجع غير حنث»[٩]

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٤٢) ح (٢٤٩٦) ك: في فضائل الصحابة، ب: من فـضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ﷺ من حديث أم مبشر ﷺ، وأحـمد (٦/ ٤٢٠) والطبراني في الكبير (٢٥/١٠٣) من حديث أم بشر.

(٢) رواه البيـهقي في الأسـماء والصـفات (ص١٦٥، ١٦٦) من حـديث أبي هريرة بلفظ: «إني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء الله تعالى أوسع ما بين أيلة إلى دمشق وإن فيه من الأباريق لأكثر من عدد الكواكب».

(٣) أخرجـه البخاري (١٤٣/١٠٩) ك: التـوحيد، ب: لا يدخل الدجال المدينة ح (٧١٣٤) من حديث أنس بن مالك والترمذي ح (٢٢٤٢) وأحمد (٢/ ١٢٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢/٦٦٩) ح (٩٧٤) ك: الجنائز، ب: ما يقال في المشيئة والإرادة من حديث عائشة، وأبو داود ح (٣١٠٧) والنسائي (١/ ٧٩) وابن ماجه ح (٤٣٠٦) وأحمد (٢/ ٣٠٠) من حديث أبي هريرة بنحوه.

(٥) أخرجه البخاري (١٣/٤٥٧) ح (٧٤٨٠) من حديث عبدالله بن عمر، ك: التوحيد، ب: في المشيئة والإرادة، ومسلم (٣/ ١٤٠٢) ح (١٧٧٨) ك: في الجهاد والسير، ب: غزوة الطائـف، والنسائي في الكبرى ح(٨٥٩٩) مختصراً وأحمد (٢/ ١١) عن عبدالله بن عمر أيضاً.

(٦) أخرجه البخاري (١٣/٤٥٧) ح (٧٤٧٩) من حديث أبي هريرة بنحوه، ك: التوحيد ب: في المشيئة والإرادة، ومسلم (٢/ ٩٥٢) ح (١٣١٤) من حديـث أبي هريرة بنحوه ك: الحج، ب: استحبـاب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به، وأبو داود (١٩٢٨) مـختصرًا، والنسائي في الكبـرى ح (٤٢٠٢)، وأحمد (٢/ ٢٦٣) من رواية أبي هريرة.

(٧) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٢) ح (٢٨٧٣) ك: في الجنة وصـفة نعيمها وأهلها، ب: عـرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه من حديث عمر بن الخطاب. والنسائي (٤/٨٩) وأحمد (١/ ٢٦) من حديث عمر.

(٨) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٤) ح (٧٠٦) ك: في الفضائل، ب: معجزات النبي ﷺ من حديث رجاء بن حيوة. وأحمد (٥/ ٢٣٧، ٢٣٨) والنسائي: (١/ ٢٢٩) وابن ماجه ح (١٠٧).

(٩) أخرجـه أبو داود (٣/ ٢٢٥) ك: الأيمان والنذور، ب: الاستـثناء في اليمين ح (٣٢٦٢) من طريق ابن عـمر، وأخرجـه الترمذي (٤/١٠٨) ح (١٥٣١) من حـديث ابن عمـر بلفظ: «من حلف على يمين فقـال: إن شاء الله، فقد استثنى فلا حنث عليه» قال أبو عيسى: حـديث ابن عمر حديث حسن وقد رواه عبيدالله بن عمر، ﷺ موقوفًا، ولا نعلم أحـداً رفعه غير أيوب السختياني. والنسـائي (٧/ ١٢) وابن ماجه رقم (٢١٠٥) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح في تحقيق المسند (٢/ ١٥٣).

وقال: «لأغزون قريشًا» ثم قال في الثانية: «إن شاء الله»[١]. وقال: «ألا من مشمّر للجنة» فقال الصحابة: نحن المشمرون لها يا رسول الله، فقال: «قولوا إن شاء الله» قالوا: إن شاء الله[٢]، وغير ذلك من الأحاديث الثابتة.

(منفرد) ربنا عز وجل (بالخلق) فما من مخلوق في السموات والأرض إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه فهو خالق كل صانع وصنعته وخالق الكافر وكفره والمؤمن وإيمانه والمتحرك وحركته والساكن وسكونه كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢] ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم: ٤٠] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨٠، ٨١] وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ * أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٣١) ك: الأيمان والنذور، ب: الاستثناء في اليمين بعد السكوت ح (٣٢٨٥) رواية عكرمة مرسلاً، وقال: وقد أسند هذا الحديث غير واحد عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس، والطبراني (١١/ ٢٨٢) ح (١١٧٤٢) عن عكرمة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٤٨) ك: الزهد، ب: صفة الجنة من حديث أسامة بن زيد، في الزوائد: في إسناده مقال: والضحاك المعافري الدمشقي ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي في طبقات التهذيب: مجهول وسليمان بن موسى مختلف فيه، وباقي رجال الإسناد ثقات، والطبراني في الكبير (١/ ١٦٢) ح (٣٨٨) من حديث أسامة، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١/ ٢٥١) ح (٢١٧٩) وانظر تخريج الترغيب (٤/ ٢٥٣)، والسلسلة الضعيفة (٣٣٥٨) للشيخ الألباني.

أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين * فسبح باسم ربك العظيم﴾ [الواقعة: ٥٨ ـ ٧٤] وفي الصحيح من حديث الأشعريين ما أنا أحملكم ولكن الله حملكم[1]. وفيه من حديث المصورين «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرا»[2]. وفيه «من صور كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»[3] وغير ذلك من الأحاديث الثابتة الصحيحة، فلله الخلق والأمر وله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. (والإرادة) أي ومنفرد بالإرادة فلا مراد لأحد معه ولا إرادة لأحد إلا بعد إرادته عز وجل ومشيئته كما قال تعالى: ﴿كلا إنه تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ [المدثر: ٥٤ ـ ٥٦] وقال تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين * لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ [التكوير: ٢٧ ـ ٢٩] وقال تعالى: ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا * وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما * يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما﴾ [الإنسان: ٢٩ ـ ٣١] فللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة والله خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم، ولا قدرة لهم ولا مشيئة إلا بإقدار الله عز وجل لهم إذا شاء وأراد.

(وحاكم جل بما أراده) فلا معقب لحكمه ولا راد لإرادته ولا مناقض لقضائه وقدره «وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، بل هو، فعال لما يريد ـ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ـ بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ـ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ـ إن الله يحكم ما يريد ـ ويفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء» لا ناقض لما أبرم ولا معارض لما حكم ولا يقال لم فعل كذا وهلا كان كذا لأنه ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣] وفي حديث أبي ذر

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٥٢٥) ح (٦٦٢٣) ك: الأيمان والنذور ب: قول الله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ من حديث أبي بردة عن أبيه، ومسلم (٣/١٢٦٨) ح (١٦٤٩) ك: في الأيمان، ب: ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، والنسائي (٧/٩) وأحمد (٤/٤٠٤) والبيهقي (١٠/٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٠/٣٩٨) ك: اللباس، ب: نقض الصور ح (٥٩٥٣) من حديث أبي زرعة، ومسلم (٣/ ١٦٧١) ك: في اللباس والزينة، ب: تحريم تصوير صورة الحيوان، وأحمد (٢/ ٥٠٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (١٢/٤٤٦) ك: التعبير، ب: من كذب في حلمه، ح (٧٠٤٢) من حديث ابن عباس، ومسلم (٣/ ١٦٧١) ك: في اللباس والزينة، ب: تحريم تصوير صورة الحيوان.

عند الترمذي وغيره وفي آخره قال: «ذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون»(١).

فمن يشأ وفقه بفضله ومن يشأ أضله بعدله

فمنهم الشقي والسعيد وذا مقرب وذا طريد

قال الله عز وجل: ﴿مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩] وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨] وقال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ [الإسراء: ٩٧] وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨] وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨] وقال النبي ﷺ في خطبته: «من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له»(٢) وقال ﷺ: «اللهم آت نفسي تقواها، زكها أنت خير من زكاها. إنك أنت وليها ومولاها»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٣) ك: في الجمعة، ب: تخفيف الصلاة والخطبة من حديث جابر ﷺ، والنسائي (٦/ ٧٤)، وابن ماجه رقم (١٨٩٣) وأحمد (١/ ٣٥٠) من حديث ابن عباس.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٨) ح (٢٧٢٢) ك: في الذكر والدعاء ب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم =

(**فمنهم**) أي من عباده (**الشقي**) وهو من أضله بعدله (**و**) منهم (**السعيد**) وهو من وفقه وهداه بفضله، فـالسعيد من سعد بقضاء الله والشـقي من شقي بقضاء الله، فلله الحمد على فـضله وعدله (**وذا مقرب**) بتقريب الله إياه إليـه وهو السعيد (**وذا طريد**) بإبعاد الله إياه وهو الشقي البعيد، فبيـده تعالى الهداية والإضلال والإشقاء والإسعاد، فهدايته العـبد وإسعاده فضل ورحمة، وإضلاله وإبـعاده عدل منه وحكمة، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، وهو الحكيم العليم الذي يضع الأشيـاء مواضعها. وهو أعلم بمن هو محل الهداية فـيهديه، ومن هو محل الإضلال فيـضله وهو أحكم الحاكمين، وهو عليم بالمتقين، وعليم بـالظالمين، وعليم بالمهتدين، وهو أعلم بالشـاكرين وأعلم بما في صدور العالمين، وهو أعلم حيث يجعل رسـالته، وهو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بمن اهتدى، وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولذا نقول:

لحكمــة بالغــة قـضاهــا   يستوجب الحمد على اقتضاها

أي إن جميع أفعاله من هدايته من يشاء وإضلاله من يشاء وإسعاد من يشاء وإشقاء من يشاء وجعله أئمـة الهدى إلى الحق بأمره وأئمة الضلالة يهـدون إلى النار، وإلهامه كل نفس فجورها وتقواها، وجعله المؤمن مؤمنًا والكافر كـافرًا عاصيًا مع قدرته التامة الشاملة وأنه لو شاء لجـعل الناس أمة واحدة ولو شاء لجمعـهم على الهدى، ولو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميـعًا ولكن هذا الذي فـعله بهم من قسمتـهم إلى ضال ومهـتد وشقي وسـعيد ومـقرب وطريد وطائع وعاص ومـؤمن وكافر وغـير ذلك هو مقتضى حكـمته وموجِب ربوبيته، وحكمتـه حكمة حق وهي صفته القائـمة به كسائر الصـفات، وهي مـتضمـن اسمـه «الحكيم»، وهي الغاية المحـبوبة له ولأجلهـا خلق فسـوى، وقدر فـهدى، وأسـعد وأشـقى، ومنع وأعطى، وخلق السـموات والأرض والآخرة والأولى، فـهو سبـحانه الحكيم في خلقـه وتكوينه الحكيم في قضـائه وقدره الحكيم في أمره ونهـيه وجميع شرعـه، فإن أسمائه وصـفاته صفات كـمال وجلال، وأفعاله كلها عـدل وحكمة، والفعل لغير حكمه عبـث، والعبث من صفات النقص، والله تعالى منزه بجميع أسمائه وصفاته وأفعـاله عن جميع النقائص، فجميع ما خلقه وقضاه وقدره خـير وحكمة من جهة إضافتـه إليه سبحانه وتعالى، وكـذلك جميع ما شرعه وأمر به كله حكمة وعدل، وما كان من شرّ في قـضائه وقدره فمن جهة إضافته

= يعمل من حديث زيد بن أرقم، والنسائي (٨/ ٢٢٨)، وأحمد (٤/ ٣٧١) من حديث زيد بن أرقم أيضًا.

إلى فعل العبد لأنها معصية مذمومة مكروهة للرب غير محبوبة، وأما من جهة إضافته إلى الرب عز وجل فخير محض وحكمة بالغة وعدل تام وغاية محمودة لا شر فيها ألبتة، ولهذا قال تعالى فيما قصه عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] فبنى الفعل في إرادة الشر للمفعول لأنه لا شر في حقه تعالى وقال النبي ﷺ في دعاء الافتتاح في صلاة الليل «لبيك اللهم وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك»(١) فنفى أن يضاف الشر إلى الله بوجه من الوجوه وإن كان هو خالقه، لأنه ليس شراً من جهة إضافته إليه عز وجل، وإنما كان شراً من جهة إضافته إلى العبد. وذلك لأن الشر ليس إلا السيئات وعقوبتها، وموجب السيئات شر النفس وجهلها، ولهذا قال النبي ﷺ: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»(٢) وقال ﷺ في سيد الاستغفار الذي علمه أمته: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»(٣)، وقال تعالى في حكايته استغفار الملائكة للمؤمنين: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٩] ومن وقاه السيئات وأعاذه منها فقد وقاه عقوباتها من باب الاستلزام، فإذا علم أن موجب السيئات هو الظلم والجهل وذلك من نفس العبد وهي أمور ذاتية لها، وأن السيئات، هي موجب العقوبة والعقوبة من الله عدل محض، وإنما تكون شراً في حق العبد لما يلحقه من ألمها، وذلك بما كسبت يداه جزاء وفاقاً كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤] فأفعال الله عز وجل كلها خير بصدورها عن علمه وحكمته وعدله وغناه التي هي من صفات ذاته، فإذا أراد بعبده الخير أعطاه من

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٥) ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب، وأبو داود (٧٢٥)، والترمذي (٣٤٢١)، والنسائي (٢/ ١٠٠) وابن ماجه رقم (٨٦٤) وأحمد (١/ ٩٤، ١٠٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ١٠٠) ك: الدعوات، ب: أفضل الاستغفار ح (٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس، والترمذي ح (٣٣٩٣) والنسائي (٨/ ٢٤٦)، وأحمد (٤/ ١٢٢) من نفس الطريق.

فضله علمًا وعدلاً وحكمة فيصدر منه الإحسان والطاعة والبر والخير، وإذا أراد به شراً أمسكه عنه وخلاه ودواعي نفسه وطبعه وموجبها، فصدر منه موجب الجهل والظلم من كل شر وقبيح، وليس منعه لذلك ظلمًا منه سبحانه فإنه فضله يؤتيه من يشاء، وليس من منع فضله ظالمًا ولا سيما إذا منعه عن محل لا يستحقه ولا يليق به، وأيضًا فإن هذا الفضل هو توفيقه وإرادته تعالى أن يلطف بعبده ويعينه ويوفقه ولا يخلي بينه وبين نفسه، وهذا محض فعله وفضله وهو أعلم بمن يصلح لذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٣] وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٠، ١١] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٦، ١١٧] وقال تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [النحل: ٣٧] وقال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠] وقال تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: ٧، ٨] وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران: ٧٣، ٧٤] وقال تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [النجم: ٣٢] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢٨، ٢٩] اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم أن تهدينا الصراط

المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السموات والأرض برحمتك نستغيث، اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

(يستوجب) يستحق **(الحمد على اقتضاها)** الضمير للحكمة، فله الحمد على مقتضى حكمته في جميع خلقه وأمره، فجميع ما يفعله ويأمر به هو موجب ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته وله الحمد على جميع أفعاله وله الحمد على خلقه وأمره وهو المحمود على طاعة العباد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلقه الأبرار والفجار، وعلى خلقه الملائكة والشياطين، وعلى خلقه الرسل وأعداءهم، وهو المحمود على عدله وحكمته في أعدائه، كما هو المحمود على فضله ورحمته على أوليائه، وكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحكمته وحمده كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١] وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٦٩، ٧٠] وعلمنا النبي ﷺ في ذكر الاعتدال من الركوع: «ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد»[(١)] وفي الذكر عقب الصلوات: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»[(٢)]، وفي التلبية: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»[(٣)]، وفي الدعاء المأثور: «اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤) ك: صلاة المسافرين، ب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه وك: الصلاة، ب: اعتدال أركان الصلاة. ح (٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٣٧٨) ح (٨٤٤) من حديث المغيرة بن شعبة، ك: الأذان، ب: الذكر بعد الصلاة.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٤٧٧) ك (الحج)، ب (رفع الصوت بالإهلال) ح (١٥٤٩) من حديث عبدالله بن عمر، ومسلم (٢/ ٨٤١) ك: الحج، ب: التلبية وصفتها ووقتها، وأبو داود ح (١٧٣٨)، الترمذي ح (٨٢٥)، وأحمد (٢/ ٢٨) من طريق عبدالله بن عمر.

وإليك يرجع الأمـر كله، أسألك الخيـر كله وأعوذ بك من الشـر كله»[1] وفي دعاء الافتتـاح من صلاة الليل: «اللهم لك الحمد أنت رب السمـوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيـوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمـد أنت نور السموات والأرض ومن فيـهن، ولك الحمد أنت الحق ووعـدك الحق ولقاؤك حق والسـاعة حق والجنة حق والنـار حق والنبيـون حق ومـحـمـد ﷺ حق»[2] الحـديث، والآيات والأحاديث في هذا البـاب كثيرة، والمقـصود أن الرب عز وجل لا يكون إلا محـموداً كما لا يكون إلا ربًا وإلهًـا، فله الحمد كله وله الملك كله لا شريك له في حمـده كما لا شريك له في ملكه، وإن كان بعض خلـقه محموداً كالرسل والعلمـاء فمرجع ذلك الحمد إليه، كما أن مصدره وموجبه منه تعالى وهو الذي جعلهم كذلك، وهذا كما أنه الملك لا شـريك له في ملكه ويرزق بعض عبـاده إذا شاء ملكًا وهو مـالكه وكمـا أنه العليم ولا يحيطون بشيء من علمـه إلا بما شاء فيعلم بعض عباده من علمـه ما شاء. وقال في ذكـر عبده يعـقوب عليـه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨]، وكذلك ما من محمود في السموات ولا في الأرض إلا وذلك الحمد راجع إلى الله عز وجل في الحقيـقة، فحمد كل مـحمود داخل في حمده، كـما أن كل مُلك داخل في ملكه، وكل شيء فمنه وله وإليه، فله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

(مسألة): فإن قيل قد أخبرنا الله عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله وبما علمنا من صفاته أنه يحب المحسـنين، ويحب المتقين، ويحب الصابرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعـملوا الصالحـات، ولا يحب الكافـرين ولا يحب الظالمين ولا يرضى لعبـاده الكفر ولا يحب الفساد مع كون ذلك بمشيئته وإرادته وأنه لو شاء لم يكن ذلك فإنه لا يكون في ملكه مـا لا يريد، فما الجـواب؟ قلنا: إن الإرادة والقضاء والأمـر كل منها ينقسم إلى كوني وشـرعي، ولفظ المشيئة لم يرد إلا في الكوني كـقوله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾، ومثال الإرادة الكونية قوله تعالى: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٩٧) ح (٤٤٠٠) من حديث أبي سعيد الخدري، ب: في تعديد نعم الله عز وجل وشـكرها، بلفظ (اللهم لك الحمـد كله ولك الملك كله، ولك الخلق كله، وإليك يرجع الأمـر كله وأعوذ بك من الشر كله)، قال أبو عبدالله: تفرد به خالد بن يزيد العمري عن ابن أبي ذئب، وخالد بن يزيد منكر الحديث جدًا، لا يشتغل بذكره لأنه يروي الموضوعات عن الأثبات (المجروحين: ٢/ ٢٨٠).

(٢) سبق تخريجه.

مردَّ له﴾ وقوله تعالى: ﴿إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾. ومثال القضاء الكوني قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ فهذا القسم من الإرادة والقضاء والأمر هو مشيئته الشاملة وقدرته النافذة وليس لأحد خروج منها ولا محيد عنها. ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا، بل يدخل فيها الكفر والإيمان والسيئات والطاعات، والمحبوب المرضي له والمكروه المبغض كل ذلك بمشيئته وقدره وخلقه وتكوينه، ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقال ذرة. ومثال الإرادة الشرعية قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ وقوله تعالى: ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم﴾ وقوله تعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾. ومثال القضاء الشرعي قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ ومثال الأمر الشرعي قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ وهذه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القدري هو المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه. ولا ملازمة بين هذا القسم وما قبله إلا في حق المؤمن المطيع، وأما الكافر فينفرد في حقه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القدري، فالله سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى طاعته ومرضاته وجنته ويهدي لذلك من يشاء في الكون والقدر هدايته ولهذا قال تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ فعمم الدعوة إلى جنته التي هي دار السلام وأنه يدعو إلى ذلك جميع عباده وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجيب، وخص الهداية بمن يشاء هدايته كما قال تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾.

(مسألة): فإن قيل أليس بممكن في قدرته تعالى أن يجعلهم كلهم طائعين مؤمنين مهتدين؟ قلنا: بلى وقد قدمنا لك جملة وافية من الآيات والأحاديث في ذلك، ولكن قدمنا لك أيضًا أن هذا الذي فعله بهم هو مقتضى حكمته وأسمائه وصفاته وموجب ربوبيته وإلهيته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، فحينئذ قول القائل لم كان من عباده الطائع والعاصي؟ كقول من قال لم كان من أسمائه الضار النافع والمعطي المانع والخافض الرافع والمنعم والمنتقم ونحو ذلك إذ أفعاله تعالى هي مقتضى أسمائه وآثار

صفاته، فـالاعتراض عليه في أفـعاله اعتراض على أسـمائه وصفاته بل وعلى إلهـيته وربوبيته، فسبحان رب العرش عما يصفون، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

(مسألة): واعلم أنه قد يوسـوس الشيطان لبعض الناس فـيقول: مـا الحكمة في تقدير السيئات مع كراهة الله تعـالى إياها، وهل يأتي المكروه بمحبوب؟ فنقول: الحمد لله إيمانًا بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفـاته، واستسلامًا لأقداره وإرادته، وتسليمًا لعدله وحكمـته. اعلـم يا أخي وفقنا الله وإيـاك أن الواجب على العـبد أمـر أهم من ذلك البحث وهو الإيمان بالله وأسـمائه وصفـاته والتسليم لأقـداره واليقين بعدله وحكمـته والفرح بفضله ورحـمته، ونحن لا نعلم من حكمة الله وسائر أسمـائه وصفاته إلا ما علمناه ولا يحيط بكنه شيء منها ونهـايته إلا الذي اتصف بها وهو الله الذي لا إله إلا هو، ومما علمناه من ذلك بما علمنا الله تبارك وتعالى أن السيئة لذاتها ليست محبوبة لله ولا مرضية كـما قال تعالى بعد أن نهى عباده من الكبـائر المذكورة في سورة الإسراء: ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾ ولكن يترتب عليـها من محابه ومـرضاته ما هو أعلم به إما فـي حق فاعلها من التـوبة والإنابة والإذعان والاعـتراف بقـدرة الله عليه والخوف من عـقابه ورجـاء مغـفرته ونفي العـجب المحبط للحـسنات عنه ودوام الذل والانكسار وتمحض الافـتقار وملازمـة الاستغـفار وغير ذلك من الفـرائض والطاعات المحـبوبة للرب عـز وجل التي أثنى في كـتـابه على المتـصفين بهـا غـاية الثناء. وفي الصحيـحين: «لله أشدُّ فرحًا بتوبة عـبده حين يتوب إليه من أحـدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتـت منه وعليها طعامه وشـرابه فأيس منها فأتى شـجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بهـا قائمة عنده فأخذ بخطامها فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» أخرجاه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ[1]. فالواجب على العبد كراهة ما يكرهه ربه وإلهه وسيده ومولاه من السيئات وعدم محبتها والنفرة منها، والاجتهاد في كف النفس عنها، وأطرها على محـابّ الله وأن لا يصدر عنها شيء يكرهه الله عـز وجل، فإن غلبتـه نفسه بجـهلها

---

(١) أخرجه البـخاري (١١/ ١٠٥) ك: الدعوات، ح (٦٣٠٩) ب: التوبة ولفظ الحديث (لله أفرح بتـوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة) من حديث أنس بن مالك، وقد أخرجه البخاري بطوله من حديث الحارث بن سويد في الدعوات، ومسلم (٤/ ٢١٠٤) ح (٢٧٤٧) ك: التوبة، ب: الحض على التوبة.

وشرارتها فصدر عنه شيء من ذلك المكروه فليبادر إلى دواء ذلك وليتداركه بمحابّ الله عز وجل ومرضاته من التوبة والإنابة والاستغفار والادّكار وعدم الإصرار، فإن الله تعالى قد أرشد إلى ذلك وأثنى على من اتصف به، قال الله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦] وغير ذلك من الآيات. وفي الحديث: «لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»[1] أو كما قال. فإن ترتب على فعل السيئة من فاعلها هذه الأمور المحبوبة للرب عز وجل فذلك غاية مصلحة العبد وسعادته وفلاحه، وإن لم يقع منه ذلك فلخبث نفسه وعدم صلاحيتها للملأ الأعلى ومجاورة المولى والله أعلم بالمهتدين، وحينئذ يترتب عليها فرائض الله عز وجل على أوليائه المؤمنين من الدعوة إلى الله عز وجل التي هي من وظائف الرسل عليهم السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من أعظم فرائض الله تعالى والجهاد في سبيله الذي هو ذروة سنام الإسلام، وعليه يترتب لأوليائه الفتح أو الشهادة ويكفيك في فضل ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١، ١١٢] ولو سردنا ما في هذا الباب من الآيات والأحاديث لطال الفصل، ونحن نستغفر الله العظيم من الخوض في هذا الباب ولسنا من الراسخين في العلم، وسيأتي إن شاء الله مزيد بحث في هذا في باب الإيمان بالقدر، وهناك نذكر مراتبه ومذاهب من خالف فيه أهل السنة والجماعة إن شاء الله تعالى والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٠٦/٤) ك: التوبة، ب: سقوط الذنوب بالاستغفار ح (٢٧٤٩) من حديث يزيد ابن الأصم، وأحمد (٣٠٩/٢) من حديث أبي هريرة.

إثبات البصر والسمع لله عز وجل

وهو الذي يرى دبيب الـذرِّ   في الظلمات فوقَ صم الصخرِ
وسامع للجهر والإخفات   بسمعه الواسع للأصوات

في هذين البيتين إثبات البصر لله تعالى المحيط بجميع المبصرات، وإثبات السمع له المحيط بجميع المسموعات، وهاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى وهما متضمن اسميه «السميع البصير» قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١] وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦] قال ابن جرير وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه، وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليّ من ذلك شيء، ثم روى عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أبصر به وأسمع﴾ فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع، وقال ابن زيد﴿أبصر به وأسمع﴾: يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم إنه كان سميعًا بصيرًا[1]، وقال البغوي رحمه الله تعالى: أي ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء[2]. وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما[3]. وقال تعالى لهما في موضع آخر﴿كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] وقال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢١٨ ـ ٢٢٠] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١] وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٢٣٢) للطبري.
(٢) معالم التنزيل (٣/ ٥٦٢) للبغوي.
(٣) معالم التنزيل (٤/ ١٥) للبغوي.

﴿تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ رواه البخاري في كتاب «التوحيد» تعليقًا وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم[1]، وفي رواية له عنها رضي الله عنها أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي عليّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾ قالت: وزوجها أوس بن الصامت. وقال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب «التوحيد»: باب قول الله تعالى: ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ وذكر خبر عائشة هذا معلقًا[2]. وروى عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال: «اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، تدعون سميعًا بصيراً قريبًا» ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: «يا عبد الله بن قيس، قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة»[3] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إن جبريل عليه السلام ناداني قال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك»[4]. وروي في باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢] عن عبدالله رضي الله عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثيرة الشحم بطونهم قليلة الفهم قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٣٨٤) ك: التوحيد تعليقًا، ب: ﴿وكان الله سميعًا بصيراً﴾، وصححه الحاكم في مستدركه .(٢/ ٤٨١) ووافقه الذهبي، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٣٧) وصححه الحافظ في التغليق (٥/ ٣٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٨٤) انظر تخريج الحديث السابق.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٨٤) ك: التوحيد، ب: ﴿وكان الله سميعًا بصيراً﴾ ح (٧٣٨٦)من حديث أبي موسى، ومسلم (٤/ ٢٠٧٦) ك: التوحيد، ب: استحباب خفض الصوت بالذكر. ح (٢٧٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٨٥) ح (٧٣٨٩) من حديث عائشة ك: التوحيد، ب: ﴿وكان الله سميعًا بصيراً﴾، ومسلم (٤/ ٢٠٧٦) ك: التوحيد، ب: استحباب خفض الصوت بالذكر.

الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ الآية(١). وروى أبو داود عن أبي هريرة ﷺ أنه قرأ هذه الآية: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سميعا بصيرا﴾ قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع إصبعيه. قال ابن يونس قال المقرئ يعني: ﴿إن الله سميع بصير﴾ يعني أن لله سمعًا وبصرًا: قال أبو داود رحمه الله تعالى، وهذا رد على الجهمية ا.هـ(٢).

قلت: يعني أبو داود رحمه الله أن الجهمية لا يثبتون لله تعالى اسمًا ولا صفة مما سمى ووصف نفسه تعالى به وأثبته له رسول الله ﷺ فلا يثبتون أن الله هو السميع البصير، ولا أنه يسمع ويرى بسمع وببصر، فرارًا بزعمهم من التشبيه بالمخلوقين فنزهوه عن صفات كماله التي وصف بها نفسه وهو أعلم بنفسه وبغيره، وشبهوه بالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم عليه السلام في دعوته أباه إلى الله عز وجل: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢] وقد أثبت الجهمية قبحهم الله حجة لعباد الأصنام وجوابًا لإنكار خليل الله وجميع رسله عليهم، فكان للكفار أن يقولوا: ومعبودكم أيضًا لا يسمع ولا يبصر، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا، وقالت المعتزلة: سميع بلا سمع بصير بلا بصر واطردوا جميع أسمائه هكذا فأثبتوا أسماء ونفوا ما تتضمنه من صفات الكمال وهو عبارة عن إثبات الألفاظ دون المعاني، وقولهم في الحقيقة راجع إلى قول الجهمية مخالف كل منهما للكتاب والسنة والعقول الصحيحة والفطر السليمة. وهدى الله تعالى بفضله أهل السنة لفهم كتابه وآمنوا بما وصف به نفسه

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٥٠٤) ح (٧٥٢١) ك: التوحيد، ب: قوله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ...﴾ من حديث عبدالله، ومسلم (٤/ ٢١٤١) ح (٢٧٧٥) في صفات المنافقين.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٣) ح (٤٧٢٨) من حديث أبي هريرة، والحاكم (١/ ٢٤) من حديث أبي هريرة بنحوه ك: الإيمان، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بحرملة بن عمران وأبي يونس والباقون متفق عليهم.

وأقروا به كما أخبر ونفوا عنه التشبيه، كما جمع تعالى بينهما في قوله عز وجل: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾

العلم الإلهي

وعلمه بما بدا وما خفى   أحاط علمًا بالجلي والخفي

أي ومما أثبته الله عز وجل لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ أنه عليم بعلم وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات وهو من صفاته الذاتية، وعلمه أزلي بأزليته، وكذلك جميع صفاته، فقد علم تعالى في الأزل جميع ما هو خالق وعلم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم، وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار، وعلم عدد أنفاسهم ولحظاتهم وجميع حركاتهم وسكناتهم أين تقع ومتى تقع وكيف تقع كل ذلك بعلمه وبمرأى منه ومسمع لا تخفى عليه منهم خافية سواء في علمه الغيب والشهادة والسر والجهر والجليل والحقير لا يغرب عن علمه مثال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا في الدنيا ولا في الآخرة قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥] وقال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥] وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] وقال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ

بالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ٨ ـ ١٠] وقال عن نبيه شعيب: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩] وقال تعالى عن خليله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨] وقال تعالى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: ٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٠] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] وقال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٤، ٧٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦] وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٦] وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤] وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤] وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وقال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ

اهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠] وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] وقال تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤] وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٣] وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: ١٨] وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣، ١٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: ٧] وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠] الآية وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: ٧] وقال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦] وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: ٤٧] وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤] وقال تعالى: ﴿إن الله سميع عليم ـ إن الله عليم حكيم ـ إن الله عليم خبير ـ إن الله كان عليمًا حكيمًا ـ إن الله كان عليمًا خبيراً ـ إنه عليم بذات الصدور﴾ ولو ذهبنا نسوق جميع الآيات في إثبات علم الله عز وجل لطال الفصل وفيما ذكرنا كفاية.

وفي الصحيحين عن جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلّم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضل العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر (ثم يسميه بعينه) خيراً لي في عاجل أمري وآجله - أو قال في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه. اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به»(١) وفيهما من حديث تعاقب الملائكة بأطراف النهار «فيسألهم وهو أعلم بهم»(٢) وفيهما من دعاء الكرب «لا إله إلا الله العليم الحليم»(٣) وفيهما من حديث الذي أوصى أن يحرق ويذرى ثم قال: «لم فعلت؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم»(٤) وفيهما من حديث قصة موسى والخضر «إنّ موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله» وفي رواية «إليه» وفيه قول الخضر عليه السلام: «يا موسى إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه» إلى أن قال: «فركبا في السفينة قال: ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره» وفي رواية: «إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر»(٥). وفيهما عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٤١) ك: مواقيت الصلاة، ب: فضل صلاة العصر من حديث أبي هريرة، ومسلم (١/ ٤٣٩) ك: المساجد، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (١١/ ٣١٩) ك: الرقاق، ب: الخوف من الله، ح (٦٤٨١) بلفظ (ما حملك على ما فعلت؟ قال: مخافتك. أو فرق منك). ومسلم (٤/ ٢١٠٩) ح (٢٧٥٦) ك: التوبة، ب: في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه.

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٢٦٣) ك: العلم، ب: ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، من حديث أبي بن كعب، ومسلم (٤/ ١٨٤٧) ح (٢٣٨٠) ك: الفضائل، ب: فضل الخضر عليه السلام.

ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»(١) وفيهما من حديث أبي موسى الأشعري «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني»(٢) إلى غير ذلك من الأحاديث. وكما أخبر الله تعالى عن علمه بما كان وما سيكون كذلك أخبر عما لم يكن من الممكنات والمستحيلات لو كان كيف يكون فقال تعالى في الممكن على تقدير وقوعه ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٨، ٩] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] الآية، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩، ١١٠] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨، ١٩٩] إلى غير ذلك. وقال تعالى في المستحيلات لو قدر إمكانها: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢] وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٢، ٤٣] إلى غير ذلك. وأنكرت الجهمية والمعتزلة أن يكون لله علم أضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى الموصوف، فأنكروا أن يكون أنزل القرآن بعلمه، وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، وجحدوا أن يكون قد أحاط بكل شيء علمًا، وحاربوا نصوص الكتاب والسنة وجميع سلف الأمة، فليس معبودهم هو العليم الخبير الذي هو بكل شيء عليم، وإنما يعبدون العدم المحض الذي لا حقيقة له ولا وجود، فليصفوه بما شاءوا فبعدًا للقوم الظالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٦٠٩) ك: الاستسقاء، ب: لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، من حديث ابن عمر ح(١٠٣٩)، والنسائي في الكبرى ح (٧٧٢٨) وأحمد (٢/ ٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (١١/ ٢٠٠) ح (٦٣٩٩) من حديث أبي موسى ك: الدعوات، ب: الدعاء للمشركين، ومسلم (٤/ ٢٠٨٧) ح (٢٧١٩) ك: الذكر والدعاء، ب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل. وفي الأدب: رقم ٦٨٨، وأحمد (٤/ ١٧).

وهو الغني بذاته سبحانه　　جل ثناؤه تعالى شأنه

وكل شيء رزقـه عليـه　　وكلنـا مفتـقـر إليــه

(وهو الغني بذاته) فله الغني المطلق فلا يحتاج إلى شيء (سبحانه) وبحمده تنزيهًا له وتحميدًا (جل ثناؤه تعالى شأنه) تعظيمًا له وتمجيدًا (وكل شيء رزقه عليه) لا رازق له سواه ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله (وكلنا) معشر المخلوقات (مفتقر إليه) لا غنى لنا عنه طرفـة عين، فكما أن جمـيع المخلوقات مفـتقرة إليـه تعالى في وجودها فلا وجود لها إلا به فهي مفتقرة إليـه في قيامها فلا قوام لها إلا به فلا حركة ولا سكون إلا بإذنه فهو الحي القيـوم القائم بنفسه فلا يحتـاج إلى شيء، القيم لغيره فلا قوام لشيء إلا به، فللخالق مطلق الغني وكـماله، وللمخلوق مطلق الفقر إلى الله وكماله، قـال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٥ ـ ١٧] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٥، ٦] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٣، ٦٤] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١] وقال تعالى ردًا على اليهود: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١] وقال ردًا عليـهم أيضًا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال تعالى ردًا على المنافقين: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧] وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]. والآيات في هذا الباب كثيرة جدًا، يخبـر تعالى بكمـال غناه عن خلقه وأنه لا يزيد فـي غناه طاعة من أطاع ولا ينقـصه

معصية من عصى، وأنه لم يخلق الخلق لحاجة إليهم وأنه لو شاء لم يخلقهم ولو شاء لذهب بهم وجاء بغيرهم ويخبر أنهم كلهم فقراء إليه لا غنى لهم عنه في نفس من الأنفاس، وهم يعلمون ذلك من أنفسهم، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم، ولا قدرة لهم على شيء من أنفسهم ولا غيرها إلا بما أقدرهم عليه الغني الحميد الفعال لما يريد.

وقال تعالى فيما رواه عنه رسول محمد ﷺ: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» رواه مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه[1] وفي رواية الترمذي: «يقول الله عز وجل: يا عبادي كلكم ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهدكم. وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم. وكلكم مذنب إلا من عافيت، فمن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا أبالي. ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة. ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان

---

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٩٤) ح (٢٥٧٧)، ك: البر والصلة، ب: تحريم الظلم، من حديث أبي ذر، والترمذي (٢٤٩٥) وابن ماجه ح (٤٢٥٧)، وأحمد (٥/ ١٦٠)، والحاكم (٤/ ٢٤١).

منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كـل سائل منكم ما سـأل ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحـدكم مر بالبحر فـغمس فيه إبرة ثـم رفعها إليه، ذلك بـأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد، عطائي كلام وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون»[(١)] وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يد الله ملأى لا تغيـضها نفـقة، سحّـاء الليل والنهار، أفـرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السـموات والأرض، فـإنه لم يغض مـا في يمينه»[(٢)] وروى أبو داود بإسناد جـيـد من حـديث عائشة، ﷺ في الاستسقاء وفيه قول رسول الله ﷺ: «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفـقراء أنزل علينا الغـيث واجعل مـا أنزلت علينا قوة وبـلاغًا إلى حين»[(٣)]. وفي بعض الإسرائيليات يقول الله عز وجل: أيؤمل غيري للشدائد والشدائد بيدي وأنا الحي الـقيوم، ويرجى غـيري ويطرق بابه بالبكرات وبيـدي مفـاتيح الخزائن وبابي مفتوح لمن دعاني. من ذا الذي أملني لنائبة فقـطعت به، أو من ذا الذي رجاني لعظيم فـقطعت به، أو من ذا الذي طرق بابي فلم أفتـحه له، أنا غايـة الآمال فكيف تنقطع الآمال دوني، أبخيل أنا فيبخلـني عبدي، أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي فما يمنع المؤملين أن يؤملوني، لو جـمعت أهل السموات والأرض ثم أعطيت كل واحـد منهم ما أعطيت الجـمـيع وبلغت كل واحد منـهم أمله لم ينقص ذلك من ملكي عضـو ذرة. كيف ينقص ملك أنا قيـمه، فيـا بؤسًا للقانطين من رحـمتي، ويا بؤسًـا لمن عصـاني وتوثب على محـارمي. انتـهى. وجاء في بعـض ألفـاظ حـديث الـنزول: «من يقـرض غير عـديم ولا ظلـوم»[(٤)].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا لو أردنا استـقصاءها لطال الفصل وفيما ذكرنا

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٦٥٦) ح (٢٤٩٥) ك: صفة القيامة، ب: رقم ٤٨، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن وروى بعضهم هذا الحديث عن شهر بن حوشب عن معد يكرب عن أبي ذر عن النبي ﷺ نحوه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه أبو داود (١/٣٠٤) ح (١١٧٣) من حديث عائشة ك: الصـلاة، والحاكم (١/٣٢٨) من حديث عائشة، ك: الاستسقاء وقـال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٣١٠.

(٤) أخرجـه مسلم (١/٥٢٢) ح (٧٥٨) ك: صـلاة المسافـرين، ب: الترغيب فـي الدعاء والذكر في آخـر الليل والإجابة رقم (١٧١) من حديث أبي هريرة، والبيهقي ح الأسماء والصفات ص (٤٤٩) بلفظ: «ينزل الله في السماء الدنيا لشطر الليل».

كفاية، فسبحان من وسع خلقه بغناه، وافتقر كل شيء إليه وهو الغني عما سواه ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

كلام الله عز وجل

كلم موسى عبده تكليما ولم يزل بخلقه عليما

أي ومما أثبته ربنا عز وجل لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ تكليمه عبده ورسوله موسى ابن عمران بدون واسطة رسول بينه وبينه بل أسمعه كلامه الذي هو صفته اللائقة بذاته كما شاء وعلى ما أراد، قال الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] فأكده بالمصدر مبالغة في البيان والتوضيح، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣ ـ ١٤٥] وقال تعالى في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١ ـ ٥٣] وقال تعالى في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ * وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ـ إلى قوله ـ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ـ إلى قوله ـ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٩ ـ ٢١] إلى آخر الآيات. وقال في سورة الشعراء: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠، ١١] الآيات. وقال تعالى في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ [النمل: ٧ ـ ١٢] الآيات. وقال تعالى في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٢٩ ـ ٣٢] الآيات. والقرآن ممتلىء بذلك.

وفي الصحيحين من حديث احتجاج آدم موسى عليهما السلام عند ربهما وفيه قول آدم لموسى: «أنت موسى الذي اصطفاك الله تعالى برسالاته وبكلامه»(١) الحديث. وفيهما من حديث الشفاعة قول إبراهيم عليه السلام: «ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله»(٢) وفي رواية: ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه تكليمًا، وفي رواية: «ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقرّبه نجيًا». فقد أخبرنا الله عز وجل أنه اصطفى عبده موسى بكلامه واختصه بإسماعه إياه بدون واسطة وأنه ناداه وناجاه وكلمه تكليما. وأخبرنا تعالى بما كلمه به، وبالموضع الذي كلمه فيه، وبالميقات الذي كلمه فيه. وأخبر عنه رسوله محمد ﷺ بذلك في أصح الروايات، فأي كلام أفصح من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وأي بيان أوضح من بيان الله ورسوله، وبأي برهان يقنع من لم يقنع بذلك: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦] وفي هذا أعلى دلالة وأبينها وأوضحها على ثبوت صفة الكلام لربنا عز وجل وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يسمعه من يشاء، أسمعه موسى عليه السلام كيف شاء

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٩) ك: أحاديث الأنبياء، ب: ٣١ وفاة موسى وذكره بعد ومسلم ٢٦٥٢ واللفظ له. وأبو داود رقم ٤٥٣٧، والترمذي رقم ٢١٣٤، والنسائي في الكبرى ١١٤٤٣، وابن ماجه رقم ٨٠ وأحمد (١٤٨/٢) و(٢٦٤).

(٢) رواه البخاري في ك: التوحيد، ب: ٢٤ قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة ...﴾ ح رقم ٧٤٤٠ عن أنس ومسلم رقم ١٩٣، والنسائي في الكبرى رقم ١١٤٣٣ وابن ماجه رقم ٤٣١٢، وأحمد بلفظ: يجمع الله الناس يوم القيامة (١١٦/٣).

وعلى ما أراد، وقد ثبت بالكتاب والسنة نداؤه الأبوين عليهما السلام إذ يقول: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢] وأن الملائكة تسمع كلام الله بالوحي كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير»[(١)] الحديث وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل. ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض»[(٢)] وثبت بالكتاب والسنة كلامه مع الرسل والملائكة وغيرهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٣ - ٨٥] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] وأنه يقول لأهل الجنة سلام عليكم كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] وأنه يقول لأهل النار: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] والقرآن ممتلىء بذلك.

وفي الصحيح عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من

---

(١) رواه البخاري (٧٤٨١) ك: التوحيد، ب: قول الله ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...﴾ وأخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب: من سورة سبأ ح رقم (٣٢٢٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح وأبو داود رقم ٣٨٣٣ وابن ماجه رقم ١٩٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب: التوحيد، ب: كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ...» رقم ٧٤٨٥ من حديث أبي هريرة.

وأخرجه مسلم في ك: الأدب والبر والصلة، ب: «إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده» رقم (٤/ ٢٠٣٠/ح ٢٦٣٧) ورواه الترمذي في ك: تفسير القرآن، ب: ومن سورة مريم رقم (٣١٦١).

أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»[1] الحديث. وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار»[2] وفيه تعليقًا عن جابر عن عبدالله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بعدكما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان»[3] وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[4] وفيه عنه رضي الله عنه قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا أنا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»[5] وفيه من حديث الشفاعة: «يقول الله عز وجل: من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فأخرجوه»[6] الحديث، وفيه من حديث آخر أهل الجنة

---

(١) رواه البخاري في ك: التوحيد، ب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. رقم ٧٥١٢ من حديث عدي بن حاتم ورواه مسلم من حديث عدي أيضًا (٢/٧٠٣،٧٠٤ / ح ١٠١٦) في الزكاة: باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.

وأخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة والورع عن رسول الله ﷺ، باب: في القيامة ح رقم (٢٤١٥) وأخرجه ابن ماجه في المقدمة وفي الزكاة.

(٢) رواه البخاري في ك: أحاديث الأنبياء، ب: قصة يأجوج ومأجوج (ح ٣٣٤٨) وأخرجه أيضًا ك: الرقاق، ب: قول الله: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ ح (٦٥٣٠) وأخرجه أيضًا في ك: التفسير، باب: ﴿وترى الناس سكارى﴾ (ح ٤٧٤١) وأخرجه أيضًا في كتاب: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه...﴾ (ح ٧٤٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري ومسلم (١/٢٠١،٢٠٢ / ح ٢٢٢) في ك: الإيمان باب: قوله: «يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين» عن أبي سعيد.

(٣) أخرج البخاري تعليقًا في ك: التوحيد باب: رقم ٣٢ قول الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...﴾ عن جابر عن عبدالله بن أنيس ووصله في خلق أفعال العباد (ح ٤٦٣) وفي الأدب المفرد (ح ٩٧٠) ومسلم مختصرًا ٤/ ٢١٩٤ رقم ٢٨٥٩ عن عائشة في ك: صفة الجنة باب: فناء الدنيا وبيان الحشر.

ورواه أحمد مطولاً ح (٣/ ٤٩٥) وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الأسماء والصفات ص٧٨.

(٤) البخاري كتاب بدء الخلق: ب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٤) وك: التفسير، سورة السجدة، ب: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم﴾ (ح٤٧٧٩) عن أبي هريرة و(ح ٤٧٨٠) أيضًا.

ومسلم ٤/ ٢١٧٤) ح ٢٨٢٤ في الجنة وصفة نعيمها عن أبي هريرة أيضًا.

(٥) رواه البخاري ك: الرقاق، ب: العمل الذي يبتغى به وجه الله من حديث أبي هريرة.

ورواه النسائي بمعناه في ك: الجنائز، باب: ثواب من صبر واحتسب من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٦) رواه البخاري ك:الإيمان، ب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال رقم (٢٢) عن أبي سعيد الخدري وفي الرقاق ب: صفة الجنة والنار (ح٦٥٦٠) ومسلم ك: الإيمان، ب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ح رقم ١٢٥.

دخولاً الجنة: «فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»[١] وفيه من كلامه تعالى مع أهل الموقف قوله تعالى: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد»[٢] وقوله عز وجل للمؤمنين: «أنا ربكم»، وفيه في باب كلام الرب عز وجل مع أهل الجنة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[٣] وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الله تعالى: «أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه»[٤] وفيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: يقول الله عز وجل: «إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها»[٥] الحديث. وفيهما من حديثه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال: مه؟ قالت: هذا مقام العائذ

---

(١) البخاري (١١/ ٤٢٦) ك: الرقاق ب: صفة الجنة والنار (ح ٦٥٧١) وفي ك: التوحيد (١٣/ ٤٨١) ك: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (ح ٧٥٠٩) ومسلم (١/ ١٧٣ /ح١٨٦) في ك: الإيمان، ب: آخر أهل النار خروجًا من حديث عبدالله بن مسعود.

(٢) البخاري (١٣/ ٤٣٠) و(١٣/ ٤٣١) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (ح ٧٤٣٧) عن أبي هريرة و(ح٧٤٣٩) عن أبي سعيد الخدري وهما حديثان مطولان.

ومسلم (١/ ١٦٣، ١٦٧ ح١٨٢) في ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية من حديث أبي هريرة، وأخرجه النسائي في ك: التطبيق، ب: موضع السجود (ح ١١٣٩) مختصرًا.

(٣) البخاري (١١/ ٤٢٣) ك: الرقاق، ب: صفة الجنة والنار (ح ٦٥٤٩) و(١٣/ ٤٩٦) ك: التوحيد، ب: كلام الرب مع أهل الجنة (ح ٧٥١٨) ومسلم (٤/ ٢١٧٦ /ح ٢٨٢٩) في ك: صفة الجنة ونعيمها، ب: إحلال الرضوان على أهل الجنة.

(٤) البخاري تعليقًا (١٣/ ٥٠٨) ك: التوحيد ب: قول الله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ من حديث أبي هريرة.

ورواه مسلم ك: الدعوات والذكر، ب: الحث على ذكر الله تعالى (٩/ ٥) ح ٦٧٤٦ وأحمد (٢/ ٢٥١) و(٢/ ٣٩١) و(٢/ ٥١٧) و(٢/ ٥٤٠) وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه إسناده صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٦) ح٣٧٩٢ في الأدب ب: فضل الذكر، والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٣ /ح١٢٤٢).

(٥) البخاري (١٣/ ٤٧٣) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ من حديث أبي هريرة (ح ٧٥٠١).

ومسلم (١/ ١١٧ /ح١٢٨) في ك: الإيمان، ب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، والنسائي في ك: التفسير، باب: ٧ ومن سورة الأنعام (ح ٣٠٧٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

بك من القطيعة، فقال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك»[١] الحديث. وفيه من حديثه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه»[٢]. وفيه من حديثه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي»[٣] وفيه من حديثه أيضًا في قصة المذنب المستغفر الحديث وفيه: «فقال ربه: أعلمَ عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي»[٤] وذكر الحديث وفيه من حديث عبدالله بن زيد ﷺ قال: مطر النبي ﷺ فقال: «قال الله عز وجل: أصبح من عبادي كافر بي ومؤمن بي»[٥]. وفيه من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ في ذكر طي الله تعالى السموات والأرض، وفيه: ثم يهزهن ثم يقول: «أنا الملك، أنا الملك»[٦] الحديث. وفيه من حديث عبدالله عن عمر ﷺ أن رجلاً سأله كيف سمعت النبي ﷺ يقول في النجوى؟ قال: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقول تعالى أعملت كذا وكذا؟ فيقول نعم، ويقول أعملت كذا وكذا؟ فيقول نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»[٧] وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ عن

---

(١) البخاري (٨/ ٤٤٣) ك: التفسير ب: ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾ (ح ٤٨٣٠) من حديث أبي هريرة وانظره في ح ٤٨٣١، ٤٨٣٢، وذكره في ك: التوحيد ب: قول الله ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ (ح ٥٩٨٧) ومسلم ك: البر والصلة (٤/ ١٩٨٠، ١٩٨١ /ح٢٥٥٤) ب: صلة الرحم وتحريم قطعها.

(٢) البخاري (١٣/ ٤٧٤) في ك: التوحيد ب: قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ (ح ٧٥٠٤) من حديث أبي هريرة ومسلم (٤/ ٢٠٦٦ /ح ٢٦٨٥) في ك: الذكر والدعاء ب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، والترمذي في ك: الجنائز ب: ما جاء فمن أحب لقاء الله .. ح(١٠٦٦) وفي ك: الزهد ح (٢٣٠٩) والنسائي في ك: الجنائز ح (١٨٣٥، ١٨٣٦).

(٣) تقدم تخريجه وهو صحيح الإسناد.

(٤) البخاري (١٣/ ٤٧٤) ك: التوحيد ب: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ (ح ٧٥٠٧) من حديث أبي هريرة. ومسلم (٤/ ٢١١٢ /ح ٢٧٥٨) في ك: التوبة، ب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة. من حديث أبي هريرة أيضًا.

(٥) البخاري (٢/ ٣٨٨) ك: الأذان ب: «يستقبل الإمام الناس إذا سلم» (ح ٨٤٦) عن خالد بن زيد الجهني، وانظره في (ح ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣) ومسلم (١/ ٨٣ /ح ٧١) في ك: الإيمان ب: «بيان كفر من قال مطرنا بالنوء» وأبو داود في ك: الطب ب: في النجوم (ح ٣٩٠٦) والنسائي في ك: الاستسقاء (ح ١٥٢٤).

(٦) تقدم تخريجه وهو صحيح.

(٧) البخاري (١٣/ ٤٨٣) ك: التوحيد ب: كلام الله يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ح (٧٥١٤) من حديث صفوان بن محرز، ومسلم (٤/ ٢١٢٠ /ح ٢٧٦٨) في ك: التوبة ب: توبة القاتل وإن كثر قتله، وابن ماجه في المقدمة ب: في ما أنكرت الجهمية (ح ١٨٣).

النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابًا لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديًا بها؟ فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم ألا تشرك ـ أحسبه قال ولا أدخلك النار ـ فأبيت إلا الشرك»(١). وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول لا، فيقول له اليوم أنساك كما نسيتني» رواه مسلم والترمذي وقال هذا حديث صحيح غريب، ومعنى قوله: «اليوم أنساك كما نسيتني» اليوم أتركك في العذاب ا. هـ(٢).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قالت: ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي وحيًا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك﴾ العشر الآيات(٣). ولو ذهبنا ننقل الأحاديث في قال الله ويقول ويتكلم وينادي ونحو ذلك لطال الفصل، وفيما ذكرنا كفاية.

وهذه الآيات والأحاديث مما ذكرنا ومما لم نذكر شاهدة بأن الله تعالى لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته، يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقة يسمعه من يشاء من خلقه وأن كلامه قول حقيقة كما أخبر وعلى ما يليق بعظمته كما قال تعالى: ﴿والله يقول الحق﴾ وقال: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ وقال: ﴿إنه لقول فصل * وما هو بالهزل﴾ والقرآن كلامه تعالى تكلم به حقيقة كما شاء وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك، وسيأتي إن شاء الله تعالى بحثه قريبًا، وكلامه تعالى صفة من صفاته

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) البخاري (٦/ ٤١٩) ك: أحاديث الأنبياء ب: «خلق آدم وذريته» من حديث أنس (ح ٣٣٣٤) وانظره في (ح ٦٥٣٨، ٦٥٥٧) ومسلم (٤/ ٢٢٧٩ /ح٢٩٦٨) في التوبة ب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا من حديث أنس.

(٣) البخاري (٥/ ٢٩٤) في ك: الشهادات ب: «إذا عدل الرجل رجلاً ...» من حديث عائشة (ح ٦٢٣٧) وانظره في (ح ٤٠٢٥) و (ح ٤٦٩٠) و(ح ٤٧٥٠، ٦٦٦٢، ٦٦٧٩، ٧٣٦٩، ٢٨٧٩، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥)، ومسلم (٤/ ٢١٢٩، ٢١٣٦ /ح ٢٧٧٠) في ك: التوبة ب: حديث الإفك وقبول توبة القاذف، من حديث أنس مطولاً.

من لوازم ذاته والصفة تابعة لموصوفها، فصفات الباري تبارك وتعالى قائمة به أزلية بأزليته باقية ببقائه لم يزل متصفًا بها ولا يزال كذلك لم تجدد له صفة لم يكن متصفًا بها، ولا تنفد صفة كان متصفًا بها، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

كلامه جل عن الإحصاء والحصر والنفاد والفناء
لو صار أقلامًا جميع الشجر والبحر تلقى فيه سبعة أبحر
والخلق تكتبه بكل آن فنت وليس القول منه فان

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول الله تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1] فقال تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ أي ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلامًا وجعل البحر مداداً وأمده سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله تعالى الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحر ولو جاء أمثالها مدداً، وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر، ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الإسرائيليات التي لا تصدَّق ولا تكذَّب بل كما قال تعالى في الآيات الأخرى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ فليس المراد بقوله ﴿بمثله﴾ آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ثم هلم جراً لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته، قال الحسن

---

(١) مسلم (١/٣٥٢ /ح ٤٨٦) في ك: الصلاة، ب: ما يقال في الركوع والسجود من حديث عائشة ﷺ.
وأبو داود في ك: الصلاة ب: في الركوع والسجود (ح ٨٧٩).
والنسائي في ك: الطهارة، ب: ترك الوضوء من مس الرجل امرأته من غير شهوة (ح ١٦٩) وفي التطبيق باب: نصب القدمين في السجود (ح ١٠٩٩). وابن ماجه في ك: الدعاء ب: ما تعوذ منه رسول الله (ح٣٨٤١).

البصري: لو جعل شجر الأرض أقلامًا وجعل البحر مدادًا، وقال الله تعالى: إن من أمري كذا ومن أمري كذا، لنفد ماء البحر وتكسرت الأقلام. وقال قتادة: قال المشركون إنما هذا كلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ أي لو كان شجر الأرض أقلامًا ومع البحر سبعة أبحر ما كانت لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه، وقال الربيع بن أنس رحمه الله: إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها، وقد أنزل الله ذلك: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآية يقول: لو كان البحر مدادًا لكلمات الله والأشجار كلها أقلامًا لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء لأن أحدًا لا يستطيع أن يقدره قدره ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول. قال وقد روى أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود، قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير ـ أو عكرمة ـ عن ابن عباس ﷺ أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد أرأيت قولك: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم»[1] وأنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآية. وهكذا روي عن عكرمة وعطاء بن يسار[2]، وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية لا مكية والمشهور أنها مكية والله أعلم. وقوله: ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ أي عزيز قد عز كل شيء وقهره وغلبه، فلا مانع لما أراد ولا مخالف لأمره ولا معقب لحكمه، حكيم في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شؤونه انتهى[3]. وعن جويرية ﷺ أن النبي ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال الذي فارقتك عليها؟» قالت نعم، قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما

---

(١) رواه البخاري مختصرًا (٨/ ٢٥٣) ك: التفسير ب: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ من حديث عبدالله بن مسعود (ح٤٧٢١).

وذكره ابن كثير في التفسير (الإسراء: ٨٥) وعزاه للإمام أحمد ثم قال وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به.

ورواه ابن جرير الطبري (٢١/ ٨١)، وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم وانظر السيوطي (الدر المنثور ٦/ ٥٢٦، ٥٢٧).

(٢) رواه ابن جرير كسابقه وهو مرسل وفي حديث عطاء مجهول.

(٣) انظر تفسير ابن كثير تفسير سورة الإسراء آية ٨٥ ج٣.

قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» رواه مسلم والأربعة(١). وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ قال: «أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر»(٢) والأحاديث في الباب كثيرة، والمقصود أن كلمات الله باقية لا تنفد أبدًا تامة لا تنقص أبدًا، وذلك لأن كلامه صفته وليس من صفاته شيء ينفد، ولذا أخبرنا تعالى أن جميع أشجار الأرض لو كانت أقلامًا والبحار وأضعافها مدادًا يكتب بها كلماته لنفدت كلها وكلماته باقية لا تنفد، وذلك لأن الأشجار والبحار مخلوقة والمخلوقات من لازمها النفاد والفناء، وكلمات الله صفته وليس من صفاته شيء يفنى، بل هو الباقي بأسمائه وصفاته أزلاً وأبدًا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ {القصص: ٨٨}.

كلام الله الذي في كتابه عين كلامه ليس بمخلوق

والقـــول فـــي كتابـــه المفـــصـــل ... بـــأنـــه كـــلامـــه المنـــزل

على الرسول المصطفى خير الورى ... ليـــس بمخلـــوق ولا بمفترى

(والقول) الذي نعتقده وندين الله به (في) شأن (كتابه المفصل) بسكون اللام للروى وهو القرآن وصفه الله تعالى بذلك فقال: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ

(١) مسلم (٤/ ٢٠٩٠ /ح ٢٧٢٦) في ك: الذكر والدعاء ب: التسبيح أول النهار وعند النوم، من حديث جويرية.
والترمذي في ك: الدعوات، باب: ١٠٤ (ح٣٥٥٥).
والنسائي في ك: السهو، ب: نوع آخر من عدد التسبيح (ح ١٣٥١).
وابن ماجه في ك: الأدب ب: فضل التسبيح (ح ٣٨٠٨).
وأحمد ١/ ٢٥٨، ٣٥٣، ٦/ ٣٢٥، ٤٣٠، وابن حبان (الإحسان ٢/ ٩٩).

(٢) هذا اللفظ مخالف لما في مسلم والسنن في قوله «... التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر» وإنما الذي ورد هو «... من شر ما خلق» فقد رواه مسلم (٤/ ٢٠٨١ /ح ٢٧٠٩) في ك: الذكر والدعاء، ب: التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.
وأبو داود (٤/ ١٣/ ٣٨٩٩) في الطب، ب: كيف الرقى.
والترمذي في ك: الدعوات، ب: ما يقول إذا جاء منزلا (ح ٣٤٣٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة (ح٥٨٥) وابن ماجه ك: الطب ب: الفزع والأرق.. (ح ٣٥٤٧) ومالك في الموطأ (٢/ ٩٥١) في الشعر.

حكيم خبير﴾ [هود: ١] وقال تعالى: ﴿كتاب فُصِّلت آياته قرآنًا عربيًا﴾ [فصلت: ٣] وقال تعالى: ﴿أفغير الله أبتغي حكمًا وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾ [الأنعام: ١١٤] وغير ذلك من الآيات (بأنه كلامه) حقيقة حروفه ومعانيه ليس كلامه الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف قال الله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦] وقال تعالى: ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل﴾ [الفتح: ١٥] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه» يعني القرآن. رواه أبو داود والحاكم وصححه[(١)]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب[(٢)]. وروى ابن خزيمة عن نيار ابن مكرم الأسلمي صاحب رسول الله ﷺ رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ إلى آخر الآيتين خرج رسول الله ﷺ فجعل يقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين﴾ [الروم: ١- ٤] فقال رؤساء مشركي مكة: يا ابن أبي قحافة، هذا مما أتى به صاحبك؟ قال: لا والله، لكنه كلام الله وقوله، وذكر الحديث[(٣)]. وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقبل المصحف ويقول: كلام ربي،

---

(١) رواه أبو داود في المراسيل (٣/١٠٣).
والترمذي (٥/ ١٧٧ /ح٢٩١٢) في ك: فضائل القرآن، ب: ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن.
وله طريق موصولة عند الحاكم (١/ ٥٥٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٢٣٦) من حديث أبي ذر، وقال الحاكم: صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وله شاهد آخر عند أحمد في المسند (٥/٢٦٨) والترمذي (٥/ ١٧٦ /ح ٢٩١١) والخطيب في تاريخه (٧/ ٨٨) و(١٢/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢/١٥٣) وقال: حسن غريب والدارمي (٢/ ٤٤١) وابن نصر في قيام الليل (ص ٧١) والعقيلي في الضعفاء (٣٧٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٢٣٨).
وقال ابن أبي حاتم في العلل: هذا حديث منكر، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٣٣٥) وفي ضعيف الجامع (٦٤٣٥).

(٣) رواه الترمذي في ك: القراءات، ب: من سورة الروم (ح٢٩٣٥) وقال: حسن غريب من هذا الوجه.
ورواه من وجه آخر في ك: التفسير، ب: من سورة الروم (ح ٣١٩٤) وقال: هذا حديث صحيح حسن =

كلام ربي[(١)]. وعن عمر رضي الله عنه قال: إن هذا القرآن كلام الله فضعوه على مواضعه[(٢)]. وقال خباب صاحب رسول الله ﷺ: تقرب إلى الله بما استطعت فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه[(٣)]. وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: القرآن كلام الله، فمن رد منه شيئًا فإنما يرد على الله[(٤)]. وعنه رضي الله عنه قال: إن أحسن الكلام كلام الله[(٥)]. ويروي ذلك عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ وهو صحيح في الصحيح وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه: ما أحب أن يأتي على يوم وليلة ولا أنظر في كلام الله[(٦)]. يعني القراءة في المصحف. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله، فإنما القرآن كلام الله. فهذه النصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن القرآن كلام الله تكلم به حقيقة وأنه هو الذي قال تبارك وتعالى: ﴿الم، المص، الر، المر، كهيعص، طه، طس، طسم، حم، عسق﴾ وليس كلام الله المعاني دون الحروف ولا الحروف دون المعاني، بل حروفه ومعانيه عين كلام الله.

(المنزل) من عند الله عز وجل (على الرسول المصطفى خير الورى) محمد ﷺ قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ

= غريب، وابن خزيمة في التوحيد رقم ٢٣٧ والبيهقي في الاعتقاد (ص ٣٧) وفي الأسماء والصفات وصحح إسناده، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (١٠/١٩٧): رجال السند ثقات ا.هـ وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم ٦٢٤، وفي الضعيفة تحت الحديث رقم ٣٣٥٤.

(١) ذكره عبدالله بن أحمد بنحوه ح (١٢١). بلفظ القرآن كلام الله، وذكر عن أبي الربيع وعكرمة بن أبي جهل بلفظ «كتاب ربي كتاب ربي» عبدالله بن أحمد ص٢٦ السنة.

(٢) ذكره عبدالله بن أحمد ح (٩٣) والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣١٢.

(٣) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (ح٣٤١)، وعبدالله بن أحمد في ك: السنة ح (١٠٨) ص٢٦.

(٤) ذكره عبدالله بن أحمد في كتاب السنة ح (١١٥) ص (٢٧) والبيهقي في الأسماء ص (٢٤١).

(٥) البخاري (١٠/٥٢٥) ك: الأدب، ب: الهدى الصالح. من حديث ابن مسعود بلفظ «إن أحسن الحديث كتاب الله» (ح ٦٠٩٨) وفي (١٣/٢٦٣) ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: الاقتضاء بسنن رسول الله ح (٧٢٧٧) ورواه بلفظه عبدالله في السنة (ح١٢١) والبيهقي عنه في الأسماء والصفات (ص٢٤١) وسنده صحيح.

(٦) أخرجه الحاكم (٢/٥٠٦) وقال: صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في الدلائل (٢/١٩٨، ١٩٩).

هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ [النساء: ٤٧] الآية وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] الآية وقال تعالى: ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: ١٦٢] وقال تعالى: ﴿لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: ٥٩] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢] وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤] وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥] وقال تعالى: ﴿المص * كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١ ـ ٣] وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا

بسورة من مثله﴾ [البقرة: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم﴾ [التوبة: ٨٦] وقال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا﴾ [التوبة: ١٢٤] وقال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا﴾ [التوبة: ١٢٧] وقال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ [هود: ١٤] وقال تعالى: ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ [إبراهيم: ١] وقال تعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ [يوسف: ١، ٢] وقال تعالى: ﴿المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ [الرعد: ١] وقال تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا﴾ [الرعد: ٣٧] وقال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩] وقال تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ [النحل: ٢] وقال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ [النحل: ٨٩] وقال تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ [النحل: ٦٤] وقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: ٤٤] وقال تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾ [النحل: ١٠١، ١٠٢] وقال تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا * وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾ [الإسراء: ١٠٥،١٠٦] وقال تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيما﴾ [الكهف: ١،٢] وقال تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ [الانبياء: ١٠] وقال تعالى: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون﴾ [الانبياء: ٥٠] وقال تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد﴾ [الحج: ١٦] وقال تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد﴾ [طه: ١١٣] وقال تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين﴾ [النور: ٣٤] وقال تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [النور: ٤٦] وقال تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ [الفرقان: ١] وقال تعالى: ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما﴾ [الفرقان: ٦] وقال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به

الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥] الآيات وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦] وقال تعالى: ﴿طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ١ ـ ٣] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠] وقال تعالى: ﴿الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ١ ـ ٣] وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الأحزاب: ٢] وقال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦] وقال تعالى: ﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [يس: ٥] وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٤١] وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥] وقال تعالى: ﴿حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١، ٢] وقال تعالى: ﴿حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ١ ـ ٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥] وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وقال تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ١ ـ ٣] وقال تعالى: ﴿حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ١، ٢] وقال تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٠] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الحديد: ٩] وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] وقال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ

بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٣] وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ يعني به محمداً ﷺ، وفي سورة التكوير يعني به جبريل. ومعنى الإضافة في كلا الآيتين إنما هو التبليغ لأن من حق الرسول أن يبلغ عن المرسِل. لا أن القرآن كلام الرسول الملكي ولا البشرى كما بين تعالى ذلك بقوله: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١، ٢] وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣] وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. والآيات في هذا الباب كثيرة جداً بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته يشهد بأنه كلام الله وتنزيله وقصصه وتعليمه وألفاظه ومعانيه، وإيجازه وإعجازه يرشد إلى أنه كلام الخالق عز وجل وصفته، وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بسورة من مثله، وقد أقر بذلك كل عاقل حتى المشركون كما قال أكفر قريش الوليد بن المغيرة لما قرأ عليه رسول الله ﷺ القرآن، فرجع إلى قومه فقال أبو جهل: قل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: قف حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ [المدثر: ١١ - ١٣] الآيات رواه البيهقي وغيره[١]. ويروى عن عتبة حين قرأ عليه رسول الله ﷺ حم السجدة نحو ذلك[٢] وكذا أبو جهل قبحهم الله. فتبين بهذا أن قولهم فيه: سحر، شعر، كهانة، وغير ذلك من مفترياتهم إنما قالوه عناداً ومكابرة، وإلا فقد استيقنوا أنه لا يدخل تحت طوق أحد من البشر.

ونحن وجميع أهل السنة والجماعة نشهد الله الذي أنزله بعلمه وشهد به،

---

(١) ذكره عبدالله بن أحمد في ك السنة ح (١١٨) ص٢٧.

(٢) ذكره عبدالله بن أحمد في ك السنة، ح (١٢١) ص ٢٨. وفي إسناده إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة ابن كهيل ضعيف من الحادية عشرة مات سنة ثمان وخمسين.

ونشهد ملائكته الذين شهدوا بذلك، ونشهد رسوله الذي أنزل عليه وبلغه إلى الأمة، ونشهد جميع المؤمنين الذين صدقوه وآمنوا به أنا مؤمنون مصدقون شاهدون بأنه كلام الله عز وجل وتنزيله، وأنه تكلم به قولاً وأنزله على رسوله وحيًا. ولا نقول إنه حكاية عن كلام الله عز وجل أو عبارة بل هو عين كلام الله حروفه ومعانيه، نزل به من عنده الروح الأمين، على محمد خاتم المرسلين، وكل منهما مبلغ عن الله عز وجل. والكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨] ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ [الجن: ٢٢، ٢٣] والآيات في هذا كثيرة جدًا، يخبر تعالى عن رسوله أنه مبلغ عنه مؤدٍّ لما أرسله به، وهذا يعرفه كل أحد يعقل لفظة «رسول»، فإن الرسول لابد له من مرسل برسالته. فالمرسل الله عز وجل، والرسالة هي القرآن، والمرسَل محمد ﷺ المبلغ رسالة ربه. وقال أنس: بعث النبي ﷺ خاله حرامًا إلى قومه وقال أتؤمنوني أبلغ رسالة رسول الله ﷺ؟ فجعل يحدثهم[1]. وقال المغيرة رضي الله عنه: أخبرنا نبينا عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة»[2]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئًا من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾[3]. وفي خطبته في موقف الحج الأكبر قال ﷺ: «وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت» وفيها إشارته ﷺ بيده إلى السماء قائلاً: «اللهم هل بلغت؟ اللهم

---

(١) البخاري (٧/ ٤٤٥) في ك: المغازي، ب: غزوة الرجيع (ح ٤٠٩١) من حديث أنس، ومسلم ك: الجهاد ب: ثبوت الجنة للشهيد وأحمد في المسند (٣/ ٢١٠).

(٢) البخاري (٦/ ٢٩٧) في ك: الجزية والموادعة، ب: الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، (ح ٣١٥٩) من حديث جبير بن حية و(١٣/ ٥١٢) في ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: «يا أيها الرسول بلغ ...» من حديث جبير عن المغيرة (ح ٧٥٣٠).

(٣) سبق تخريجه وهو في الصحيحين.

اشهد» قـالها مراراً[١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قـام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكـر الغلول فعظمـه وعظم أمره ثم قال: «لا ألفين أحـدكم يجيء يوم القيـامة على رقبته بعيـر له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك شيـئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامـة على رقبته فرس له حمحمـة فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك شيئًا قـد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لهـا ثغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك شيـئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القـيامة على رقبتـه نفس لها صياح فيـقول: يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك شيئًا قـد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبتـه رقاع تخفق فيـقول:يا رسول الله أغثني، فـأقول لا أملك لك من الله شيـئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القـيامة على رقبته صامت فـيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك» متفق عليه[٢]. وكان ﷺ يعرض نفسـه على القبـائل في المواسم ويقول: «إني رسـول الله وآتيكم لتمنعونـي حتى أبلغ رسالة ربي»[٣] وغير ذلك من الأحاديث، يخبر ﷺ أنه مخبر عن الله ومـبلغ رسالته وأن ما أمر به ونهى عنه وأخـبر به هو تبليغ لأمر الله ونهيه وخبره، وأنـه لم يقل شيئًا من عند نفسه فيـقول هو من عند الله،ومن اعتقد ذلك فهو كـافر من حزب أبي جهل والوليد بن المغيـرة وملإهم،قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٥٢].

(ليس بمخلوق) كمـا يقول الزنـادقة من الحلوليـة والاتحادية والجـهمـية والمعتـزلة وغيـرهم تعالى الله عـز وجل عن أن يكون شيء من صـفاته مـخلوقًا، قـال الله عز

---

(١) سبق تخريجه وهو صحيح.

(٢) البخاري (٦/ ٢١٥) في ك: الجهاد والسير ب: الغلول (ح ٣٠٧٣) من حديث أبي هريرة.
ومسلم (٣/ ١٤١٦ /ح١٨٣١) في ك: الإمارة، ب: غلظ تحريم الغلول.

(٣) حسنه الحافظ في الفتح (٧/ ٢٦٠) في ك: مناقب الأنصار ب: وفود الأنصار.
ورواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٢) و (٣/ ٣٩٠) وقال محققه: إسناده صحيح.
والترمذي في ك: فضـائل القرآن، ب: ٢٤، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسـن صحيح غريب، وأبو داود (٤/ ٢٣٤ /ح٤٧٣٤) في السنة، ب: في فضائل القرآن الكريم.

وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٣] فأخبر تعالى أن الخلق غير الأمر وأن القرآن من أمره لا من خلقه وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فكن من كلامه الذي هو صفته ليس بمخلوق، والشيء المراد المقول له «كن» مخلوق، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٩] فعيسى وآدم مخلوقان بكن و«كن» قول الله صفة من صفاته، وليس الشيء المخلوق هو كن، ولكنه كان بقول الله له كن.

وقد انعقد إجماع سلف الأمة الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون على تكفير من قال بخلق القرآن، وذلك لأنه لا يخلو قوله من إحدى ثلاث: إما أن يقول إنه خلقه في ذاته، أو في غيره، أو منفصلاً مستقلاً وكل الثلاث كفر صريح، لأنه إن قال خلقه في ذاته فقد جعل ذاته محلاً للمخلوقات. وإن قال إنه خلقه في غيره فهو كلام ذلك الغير فيكون القرآن على هذا كلام كل تال له وهذا قول الوليد بن المغيرة فيما حكى الله عنه حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ١٨ - ٢٩] الآيات. وإن قال إنه خلقه منفصلاً مستقلاً فهذا جحود لوجوده مطلقًا إذ لا يعقل ولا يتصور كلام يقوم بذاته بدون متكلم، كما لا يعقل سمع بدون سميع ولا بصر بدون بصير ولا علم بدون عالم ولا إرادة بدون مريد ولا حياة بدون حي إلى غير ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيرًا، فهذه الثلاث لا خروج لزنديق منها ولا جواب له عنها فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

أصل القول بخلق القرآن

وأول ما اشتهر القول بخلق القرآن في آخر عصر التابعين لما ظهر جهم بن صفوان شقيق إبليس لعنهما الله وكان ملحدًا عنيدًا وزنديقًا زائغًا مبتغيًا غير سبيل المؤمنين لم يثبت أن في السماء ربًا ولا يصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفسه وينتهي قوله إلى

جحـود الخالق عـز وجل. ترك الصلاة أربعين يومًـا يزعم يرتاد دينًا، ولما ناظره بعض السمنية في معبوده قال قبحه الله: هو هذا الهواء في كل مكان، وافتتح مرة سورة طه فلما أتى على هذه الآية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] قال: لو وجدت السبيل إلى حكها لحككتـها، ثم قـرأ حتى أتى على آية أخرى فـقال مـا كان أظرف محـمداً حين قالها، ثم افـتتح سورة القـصص فلما أتى على ذكر مـوسى جمع يديه ورجليه ثم رفع المصحف ثم قال: أي شيء هذا ذكره ههنا فلم يتم ذكره، وذكره ههنا فلم يتم ذكره. وقد روى عنه غير هذا من الكفـريات، وهو أذل وأحقر من أن نشتغل بترجمته. وقد يسر الله تعالى ذبحـه على يد سالم بن أحوز بأصبهان وقيل بمرو، وهو يومئذ نائبها رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين خيراً.

وقد تلقى هذا القول عن الجعد بن درهم لكنه لم يشتهـر في أيام الجعد كما اشتهر عن الجهم، فإن الجعـد لما أظهر القول بخلق القرآن تطلبه بنو أميـة فهرب منهم فسكن الكوفة فلقيه فيها الجهم بن صفوان فـتقلد هذا القول عنه ولم يكن له كثير أتباع غيره، ثم يسر الله تعالى قتل الجـعد على يد خالد بن عبدالله القسري الأميـر، قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة، وذلـك لأن خالدًا خطب الناس فقال في خطبتـه تلك: أيها الناس ضحوا تـقبل الله ضحاياكم، فـإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يـتخذ إبراهيم خليلاً ولـم يكلم مـوسى تكليمًا، تعالى الله عـما يقول الجعد علواً كـبيراً. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر، روى ذلك البخاري في كـتابه خلق أفعال العباد[(١)]، ورواه ابن أبي حاتم في كتاب السنة له وغيرهما، وهو مشهور في كتب التواريخ، وذلك سنة أربع وعشرين ومائة.

وقد أخذ الجعد بدعته هذه عن بيـان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالون ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن خاله لبـيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ وأنزل الله تعـالى في ذلك سورة المعـوذتين[(٢)]. ثم تقلد هذا المذهب المخـذول عن الجهم بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي المـتكلم، شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون

---

(١) البـخاري في خلق أفـعال العـباد رقـم ٣ ص٨، وهو في التاريـخ الكـبـير للبـخـاري (١/ ١/ ٦٤) والدارمي (١٣/ ٣٨٨).

والذهبي في العلو (ص١٣٣) وقال الألبـاني في تحقيقه لمخـتصر العلو: لكنه يتقـوى بالذي بعده، فإن إسناده خير منه، ولعله لذلك جزم العلماء بهذه القصة.

(٢) سيأتي سحر النبي ﷺ وحديثه قريبًا.

وجدد القول بخلق القرآن ويقال إن أباه كان يهوديًا صباغًا بالكوفة وروى عنه أقوال شنيعة في الدين من التجهم وغيره مات سنة ثماني عشرة ومائتين. ثم تقلد عن بشر ذلك المذهب الملعون قاضي المحنة أحمد بن أبي دُؤَاد وأعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بالقول بخلق القرآن وعلى أن الله لا يرى في الآخرة، وكان بسببه ما كان على أهل الحديث والسنة من الحبس والضرب والقتل وغير ذلك، وقد ابتلاه الله تعالى بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى أهلكه الله تعالى سنة أربعين ومائتين. ومن أراد الاطلاع على ذلك وتفاصيله فليقرأ كتب التواريخ ير العجب.

ذكر ما قاله أئمة السنة في مسألة القرآن وحكم الجهمية

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من علم الله وفيه أسماء الله، وقال: إذا قال الرجل العلم مخلوق فهو كافر لأنه يزعم أنه لم يكن لله علم حتى خلقه، وقال رحمه الله تعالى من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من علم الله قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] وقال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [هود: ١٧] قال أحمد قال سعيد بن جبير: والأحزاب الملل كلها: ﴿فالنار موعده﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧] وقال رحمه الله تعالى: من قال ذاك القول لا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها فإن صلى خلفه أعاد الصلاة. يعني من قال القرآن مخلوق. وقال رحمه الله تعالى: إذا كان القاضي جهميًا فلا تشهد عنده، وقال إبراهيم بن طهمان: الجهمية كفار والقدرية كفار. وقال سليمان التيمي رحمه الله تعالى: ليس قوم أشد

بغضًا للإسلام من الجهمية والقدرية، فأمـا الجهمية فقد بارزوا الله، وأما القدرية فإنهم قالـوا في الله، وقال سـلام بن أبي مطيع: الجهـميـة كفـار لا يصلى خلفهـم، وقال خارجـة: الجهمـية كفـار بلغوا نساءهم أنهن طوالق وأنهـن لا يحللن لأزواجهن. لا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم. ثم تلا: ﴿**طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى**﴾ إلى قوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ وقال مالك رحمه الله: من قال القرآن مخلوق يوجع ضـربًا ويحبس حتى يتوب وقال سفيـان الثورى رحمه الله: من زعم أن قول الله ﴿**يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم**﴾ مخلـوق كافر زنديـق حلال الدم، وقال أيضًا: من قال إن ﴿**قل هو الله أحد * الله الصمد**﴾ مخلوق فهو كافر. وقال أبو يوسف القاضي: صنفان ما على وجه الأرض شر منهما الجهمية والمقاتلية.

قلت: وأظنه يعني بالمقـاتلية أتباع مـقاتل بن سليمـان البلخي فإنه رمـاه الإمام أبو حنيفة بالتـشبيه فإنه قال أفـرط جهم في نفي التشبيه حـتى قال إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مـقاتل في معنى الإثبـات حتى جعله مـثل خلقه، وتابع أبا حنيـفة على ذلك جماعة من أئمـة الجرح والتعديل من أقرانه كأبي يوسف وغيره فـمن بعدهم حتى قال ابن حبان: كان يأخـذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كـتبهم، وكان يشبه الرب بـالمخلوق، وكذبه وكيع وغيـره والله أعلم بحاله، قال وكيع: مـات مقاتل ابن سليمان سنة خمسين ومائة ا.هـ.

وقال عبدالله بن المبارك: الجهمية كفار، وقال: ليس تعبد الجهمية شيئًا. وقال: من قال القرآن مـخلوق فهو زنديق. وقال: إنا نسـتجيز أن نحكي كلام اليـهود والنصارى ولا نستجير أن نحكى كلام الجهمية. وقال سفيان بن عيينة: القرآن كلام الله، من قال مخلوق فـهو كافـر، ومن شك في كفره فـهو كافـر. وقال: من قال القـرآن مخلوق يحتـاج أن يصلب على ذياب، يعني جـبل. وقال عبـدالله بن إدريس رحمـه الله وقد سئل: ما تقول في الجهمية يصلي خلـفهم؟ فقال: أمسلمون هؤلاء، أمسلمون هؤلاء؟ لا ولا كرامـة، لا يصلى خلفهم. وقال له رجل: يا أبا مـحمد إن قبلنا ناسًـا يقولون القرآن مـخلوق. فقـال من اليهود؟ قـال لا، قال فمن النـصارى؟ قال لا، قـال فمن المجوس؟ قـال لا، قال فـمن؟ قـال من الموحدين. قـال كذبوا ليس هؤلاء بموحـدين هؤلاء زنادقة هؤلاء زنادقـة، وقرأ ابن إدريس ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ فقال: الله مخلوق؟ والرحمن مخلوق؟ والرحيم مـخلوق؟ هؤلاء زنادقة. وسئل عن قوم يقولون

القرآن مخلوق، فاستشنع ذلك وقال: سبحان الله، شيء منه مخلوق؟ وقال وكيع فإني أستتيبه، فإن تاب وإلا قتلته، وقال من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث، ومن زعم أنه محدث فقد كفر، وقيل له: إن فلانًا يقول إن القرآن محدث. فقال: سبحان الله، هذا الكفر. قال السويدي وسألت وكيعًا عن الصلاة خلف الجهمية، فقال: لا تصل خلفهم. وقال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه. وقال زهير بن حرب: اختصمت أنا ومثنى فقال مثنى: القرآن مخلوق. وقلت أنا: كلام الله. فقال وكيع وأنا أسمع: هذا كفر، وقال من قال القرآن مخلوق هذا كفر. فقال مثنى: يا أبا سفيان قال الله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فأيش هذا؟ فقال وكيع: من قال القرآن مخلوق هذا كفر، وقال: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، وقال رحمه الله: القرآن كلام الله أنزله جبريل على محمد ﷺ، كل صاحب هوى يعرف الله ويعرف من يعبد، إلا الجهمية لا يدرون من يعبدون، بشر المريسي وأصحابه. وقيل لوكيع في ذبائح الجهمية، قال لا تؤكل هم مرتدون. وقال: من قال إن كلامه ليس منه فقد كفر، وقال: من قال إن منه شيئًا مخلوقًا فقد كفر.

وقال فطر بن حماد سألت معتمر بن سليمان فقلت: يا أبا محمد إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ فقال: ينبغي أن تضرب عنقه. قال فطر: وسألت حماد ابن زيد فقلت يا أبا إسماعيل إمام لنا يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ فقال صل خلف مسلم أحب إلي. وسألت يزيد بن زريع فقلت: يا أبا معاوية إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ قال لا ولا كرامة. وقال عبدالرحمن بن مهدي: من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه. وقال مرة: لا أرى أن أستتيب الجهمية. وقال رحمه الله: لو كان لي من الأمر شيء لقمت على الجسر فلا يمر بي أحد من الجهمية إلا سألته عن القرآن فإن قال مخلوق ضربت رأسه ورميت به في الماء. وقال أبو بكر بن الأسود: لو أن رجلاً جهميًا مات وأنا وارثه ما استحللت أن آخذ من ميراثه. وقال أبو يوسف القاضي: جيئوني بشاهدين يشهدان على المريسي، والله لأملأن ظهره وبطنه بالسياط، يقول في القرآن، يعني مخلوق. وقال يزيد بن هارون وذكر الجهمية فقال: هم والله زنادقة، عليهم لعنة الله. وقال رحمه الله: والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة من قال القرآن مخلوق فهو

زنديق. وسئل عن الصلاة خلفهم قالا لا. وقال معاذ بن معاذ: من قال القرآن مخلوق فهو كافر. وقال شبابة بن سوار: اجتمع رأيي ورأي أبي النضر هاشم بن القاسم وجماعة من الفقهاء على أن المريسي كافر جاحد نرى أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه. وكان أبو توبة الحلبي ونعيم بن حماد وإبراهيم بن مهدي يكفرون الجهمية. وقال بشر بن الحارث: لا تجالسوهم ولا تكلموهم، وإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، كيف يرجعون وأنتم تفعلون بهم هذا؟ قال يعني الجهمية. وقال ابن أبي مريم: من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر. وقال أبو الأسود النضر بن عبدالجبار: القرآن كلام الله، من زعم أنه مخلوق فهو كافر. هذا كلام الزنادقة. وقال عباد بن العوّام: كلمت بشر المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهى أن يقولوا: ليس في السماء شيء. وقال عمرو بن الربيع بن طارق: القرآن كلام الله من زعم أنه مخلوق فهو كافر. وقال هارون أمير المؤمنين: بلغني أن بشرًا المريسي يزعم أن القرآن مخلوق، لله عليَّ إن أظفرني الله به إلا قتلته قتلة ما قتلها أحدًا قط. وقال هارون بن معروف: من قال القرآن مخلوق فهو يعبد صنمًا. وقال يحيى بن معين رحمه الله: من قال القرآن مخلوق فهو كافر. وقال رجل لهشيم: إن فلانًا يقول القرآن مخلوق، فقال: اذهب إليه فاقرأ عليه أول الحديد وآخر الحشر، فإن زعم أنهما مخلوقان فاضرب عنقه. وقال أبو هاشم الغساني مثله. وقال أبو عبيد: من قال القرآن مخلوق فقد افترى على الله وقال عليه ما لم تقله اليهود والنصارى. وقال إسحاق بن البهلول لأنس بن عياض أبي ضمرة: أصلي خلف الجهمية؟ قال لا ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وسئل عيسى بن يونس رحمه الله عمن يقول: القرآن مخلوق، فقال: كافر، أو كفر فقيل له: تكفرهم بهذه الكلمة؟ قال: إن هذا من أيسر أو أحسن ما يظهرون وكان يحيى بن معين رحمه الله يعيد صلاة الجمعة منذ أظهر عبدالله بن هارون المأمون ما أظهر. يعني القول بخلق القرآن.

وقال الحسين بن إبراهيم بن أشكاب وعاصم بن علي بن عاصم وهارون الفروي وعبدالوهاب الوراق وسفيان بن وكيع: القرآن كلام الله وليس بمخلوق. وسئل جعفر ابن محمد رحمه الله عن القرآن فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله. وروى عن أبيه علي بن الحسين أنه قال في القرآن: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه

كلام الله. وقال الزهري: سألت علي بن الحسين عن القرآن فقال: كتاب الله وكلامه. وعن إبراهيم بن سعد وسعيد بن عبدالرحمن الجمحي ووهب بن جرير وأبي النضر هاشم بن القاسم وسليمان بن حرب قالوا: القرآن كلام الله ليس بمخلوق. وقال سفيان ابن عيينة: لا نحسن غير هذا، القرآن كلام الله ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾، ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ وقال الإمام مالك بن أنس وجماعة من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن فقالوا: كلام الله وهو منه، وليس من الله شيء مخلوق. وقال حماد بن زيد رحمه الله: القرآن كلام الله أنزله جبريل من عند رب العالمين. وقال أبو بكر ابن عياش: من زعم أن القرآن مخلوق فقد افترى على الله. وقال وكيع: القرآن من الله، منه خرج وإليه يعود. وقال يحيى بن سعيد: كيف يصنعون بقل هو الله أحد، كيف يصنعون بهذه الآية ﴿إني أنا الله﴾ يكون مخلوقًا؟ وقال وهب بن جرير ومحمد بن يزيد الواسطي وابن أبي إدريس وأبو بكر بن أبي شيبة وأخوه عثمان بن أبي شيبة وأبو عمر الشيباني ويحيى بن أيوب وأبو الوليد وحجاج الأنماطي ويحيى بن معين وأبو خيثمة وإسحاق بن أبي إسرائيل وأبو معمر: القرآن كلام الله ليس بمخلوق. وقال أبو عمرو الشيباني لإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ـ وقال القرآن مخلوق ـ فقال الشيباني: خلقه قبل أن يتكلم به أو بعدما تكلم به؟ قال فسكت. وقال حسن بن موسى الأشيب أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فقال حسن: مخلوق هذا؟ وقال محمد بن سليمان لوين: القرآن كلام الله غير مخلوق، ما رأيت أحدًا يقول القرآن مخلوق، أعوذ بالله ا.هـ من كتاب السنة(١).

وقال الشافعي رحمه الله تعالى في وصيته: القرآن كلام الله غير مخلوق. وقال عفان ابن مسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله ـ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ـ قل هو الله أحد﴾ أم مخلوق هذا؟ أدركت شعبة وحماد بن سلمة وأصحاب الحسن يقولون: القرآن كلام الله ليس مخلوقًا. وقال يحيى بن يحيى: من زعم أن من القرآن من أوله إلى آخره آية مخلوقة فهو كافر. وقال هشام بن عبيدالله: القرآن كلام الله غير مخلوق. فقال له رجل: أليس الله تعالى يقول: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾؟ فقال: محدث إلينا، وليس عند الله بمحدث. وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي رحمه الله: ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فكيف يكون شيء

(١) السنة للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل (١/ ١٠٢ـ ١٦).

خرج من الرب عز وجل مخـلوقًا. وقال أبو جعفر النفيلي: مـن قال إن القرآن مخلوق فهو كافر، فقيل له: يا أبا جعفر الكفـر كفران، كفر نعمة وكفر بالرب عز وجل؟ قال لا بل كفر بالرب عز وجل، مـا تقول فيمن يقول: ﴿الله أحد، الله الصمد﴾ مخلوق، أليس كافرًا هو؟ وقال عبدالله بن محمد العيشي: يستحيل في صفة الحكيـم أن يخلـق كـلامًا يدعي الربوبـيـة، يعـني قولـه تعالى: ﴿إنني أنا الله﴾ وقولـه: ﴿أنا ربك﴾.

قلت: والمعتـزلة يقولون إن كلام الله لموسى خـلقه في الشجـرة، فعلى هذا تكون الشجرة هي القائلة: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ قبحهم الله في الدنيا والآخرة.

وقال محـمد بن يحيى الذهلي: الإيمان قول وعمل، يـزيد وينقص. والقرآن كلام الله غير مـخلوق بجميع صفاته وحيـث تصرف. وأما كلام البخاري رحـمه الله تعالى ومتانتـه في هذه المسألة فأشهـر من أن يحتاج إلى تعريف، وله في ذلـك (كتاب خلق أفعال العـباد) وقد بوَّب في صحيـحه على جملة وافية تدل على غـزارة علمه وجلالة شأنه. وقال أبو حاتم وأبو زرعة: أدركنا العلماء في جـميع الأمصار فكان مذاهبهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، والقدر خيره وشره من الله تعالى، وأن الله تعالى على عرشـه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كـيف، أحاط بكل شيء علمًا، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وقال محمد بن أسلم الطوسي: القرآن كلام الله غير مخلوق أينما تلي وحيثما كتب لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل ا.هـ. من العلو للذهبي(١).

وقال إمام الأئمة محـمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى في كـتاب التوحيد بعد تبويبه على تكليم الله موسى عليـه السلام: وتكلم الله بالوحي وصفة نزول الوحي وتكليم الله عبـاده يوم القيامـة وتقرير البـحث في ذلك، ثم قال: باب ذكر البـيان في كتاب ربنا المنزل على نبيه المصطفى ﷺ ومن سنة نبينا محمد ﷺ على الفرق بين كلام الله عـز وجل الذي به يكون خلقه وبين خلقـه الذي يكون بكلامـه وقـولـه، والدليل علـى نبـذ قـول الجهمـية الذين يزعمـون أن كـلام الله تعـالى مـخلـوق، جـل ربـنا وعـز عن ذلك. قـال الله سبـحانـه وتعـالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرق الله تعالى بين الخلق والأمر الذي به يخلق الخلق بواو

(١) انظره في مختصر العلو للشيخ الألباني (ص: ١٧٦-٢١٠) ففيه ذلك وكلام غـير هؤلاء ... وانظر تعليقات الشيخ الألباني عليه فإنها جد مفيدة.

الاستئناف وأعلمنا الله جل وعلا في محكم تنزيله أنه يخلق الخلق بكلامه وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فأعلمنا جل وعلا أنه يكون كل مكون من خلقه بقوله كن فيكون وقوله «كن» هو كلامه الذي به يكون الخلق، وكلامه عز وجل الذي به يكون الخلق غير الخلق الذي يكون مكونًا بكلامه فافهم ولا تغلط ولا تغالط، ومن عقل عن الله خطابه علم أن الله سبحانه لما أعلم عباده المؤمنين أنه يكون الشيء بقوله كن أن القول الذي هو كن غير المكون بكن المقول له كن، وعقل عن الله أن قوله كن لو كان خلقًا على ما زعمت الجهمية المفترية على الله أنه إنما يخلق الخلق ويكونه بخلق لو كان قوله كن خلقًا، فيقال لهم: يا جهلة، فالقول الذي يكون به الخلق على زعمكم لو كان خلقًا بم يكونه؟ أليس قود مقالتكم التي تزعمون أن قوله كن إنما يخلقه بقول قبله وهو عندكم خلقه وذلك القول يخلقه بقول قبله وهو خلق حتى يصير إلى ما لا غاية له ولا عدد ولا أول، وفي هذا إبطال تكوين الخلق وإنشاء البرية وإحداث ما لم يكن قبل، بحدث الله الشيء ونشئه[1]. وهذا قول لا يتوهمه ذو لب لو تفكر فيه ووفق لإدراك الصواب والرشاد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فهل يتوهم مسلم أن الله تعالى سخر الشمس والقمر والنجوم مسخرات بخلقه، أليس مفهومًا - عند من يعقل عن الله خطابه - أن الأمر الذي سخر به غيرُ المسخَّر بالأمر وأن القول غيرُ المقول له؟ فتفهموا يا ذوي الحجا عن الله خطابه، وعن النبي المصطفى ﷺ بيانه، لا تصدوا عن سواء السبيل فتضلوا كما ضلت الجهمية عليهم لعائن الله، فاسمعوا الآن الدليل الواضح البين غير المشكل من سنة النبي ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه على الفرق بين خلق الله وبين كلام الله تعالى[2]. ثم ساق الأحاديث في ذكر كلمات الله تعالى إلى حديث: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»[3] ثم قال: أفليس العلم محيطًا يا ذوي الحجا أنه غير جائز أن يأمر النبي ﷺ بالتعوذ بخلق الله من شر خلقه، هل سمعت عالمًا يجيز أن يقول أعوذ بالكعبة من شر خلق الله، أو يجيز أن يقول أعوذ بالصفا والمروة أو أعوذ بعرفات ومنى من شر ما خلق الله، هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه[4]. ثم ساق

---

(١) سقطت كلمة «وبخلقه».

(٢) التوحيد لابن خزيمة (ص ١٦١، ١٦٢).

(٣) تقدم ذكره وهو صحيح.

(٤) التوحيد لابن خزيمة (ص ١٦٥، ١٦٦).

بحثًا طويلاً فليراجع منه.

وقال أبو معاوية بن خازم الضرير رحمه الله: الكلام فيه بدعة وضلالة: ما تكلم فيه النبي ﷺ ولا الصحابة ﵃ ولا التابعون ولا الصالحون رحمهم الله تعالى. يعني قول القرآن مخلوق. وذكر عند أبي نعيم هو الفضل بن دكين من يقول القرآن مخلوق، فقال: والله والله ما سمعت بشيء من هذا حتى خرج ذاك الخبيث جهم. وكلام أئمة السنة في هذا الباب يطول ذكره ولو أردنا استيعابه لطال الفصل. وقد تكرر نقل الإجماع منهم على إثبات ما أثبت الله عز وجل لنفسه وأثبته رسوله ﷺ والصحابة فمن بعدهم ونفى التكييف عنها، لاسيما في مسألة العلو وفي هذه المسألة مسألة القرآن وتكليم الله تعالى موسى، لأنها أول ما جحده الزنادقة قبحهم الله تعالى، وفي ذكر من سمينا كفاية، ومن لم نسم منهم أضعاف ذلك، ولم يختلف منهم اثنان في أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، من الله بدأ وإليه يعود. وتقلدوا كفر من قال بخلق القرآن ومنعوا الصلاة خلفه وأفتوا بضرب عنقه وبتحريم ميراثه على المسلمين وحرموا ذبيحته وجزموا بأنها ذبيحة مرتد لا تحل للمسلمين. فانظر أيها المنصف أقوالهم ثم اعرضها على نصوص الكتاب والسنة هل تجدهم حادوا عنها قيد شبر، أو قدموا عليها قول أحد من الناس كائنًا من كان؟ حاشا وكلا ومعاذ الله، بل بها اقتدوا ومنها تضلعوا، وبنورها استضاءوا وإياها اتبعوا، فهداهم الله بذلك لما اختلفت فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

هذا مقالُ المؤمنين جميعهم ... وعصابةُ التوحيد أعلامُ الهدى
الكاشفينَ عوارَ كل مشبه ... والقامعين لكل مَن قد ألحدوا
زِنْ قَولَهم بالوحي، وانظر هل ترى ... ميلاً لهم عمّا إليه أرشدا
حَاشاهُم عن أن يميلوا خطوة ... عما إليه الله إياهم هدى
بل أثبتوا لله ما قد أثبتت ... آي الكتاب وكلُّ نصٍّ أسندا
ومن النفاة تبرأوا وكذاك من ... قول الممثل إذ تغالى واعتدى
جعلوا إمامهم الكتاب وسنة المختار ... يا طوبى لمن بهما اهتدى
ولذاك أعلى الله جل منارَهم ... والملحدون بناءهم قد هددا
وأتم نورهم الإله وغيرهم ... في ظلمة إذ لم يكن بهم اقتدى
يا رب ألحقنا بهم واجعل لنا ... نوراً نميزُ به الضلال من الهدى

وقضى السلف الصالح رحمهم الله تعالى على الطائفة الواقفة وهم القائلون: لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، بأنَّ من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي ومن لم يحسن الكلام منهم بل عُلم أنه كان جاهلاً جهلاً بسيطًا فهو تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلام الله تعالى، وإلا فهو شر من الجهمية، وسيأتي إن شاء الله الكلام على اللفظية قريبًا وسنذكر إن شاء الله تعالى في آخر الفصل سائر الفرق المخالفين للسنة في القرآن وغيره من الصفات لأنا أحببنا تجريد مذهب أهل السنة على حدته لقصد التيسير وبالله التوفيق.

(ولا بمفترى) أي وليس القرآن بمفترى كما قاله كفار قريش وغيرهم من أعداء الله تعالى حيث قالوا فيه: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]، وقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾ [الفرقان: ٤]، ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾ [الفرقان: ٥]، و﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] وقالوا شعر، وقالوا كهانة، وقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ [ص: ٧] وقالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١]، وغير ذلك من مفترياتهم وإفكهم، وكل ذلك إنما قالوه عنادًا ومكابرة ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] وقد كشف الله تعالى شبههم وأدحض حججهم وبهتهم وقطعهم وفضحهم على رءوس الأشهاد وبين عجزهم وكشف عوارهم في جميع ما انتحلوا فقال تعالى لمن قال: ﴿إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر * إن هذا إلا قول البشر﴾ قال الله تعالى: ﴿سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر﴾ إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾ فرد الله ذلك عليهم بقوله: ﴿فقد جاءوا ظلما وزورا﴾، ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ فرد الله ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما﴾ وقال تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر﴾ فرد الله ذلك عليهم بقوله عز وجل: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمؤمنين. ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ قال المفسرون إن المشركين يشيرون بهذا إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش قيل اسمه بلعام، وقيل يعيش وقيل عائش، وقيل جبر وقيل يسار وقيل غير ذلك[1]، وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه

---

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/٤٤٨). وتفسير ابن كثير (٢/٦٠٨).

بعض الشيء، فرد الله عز وجل عليهم ذلك الافتراء بقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من عقل، وقال في رد قولهم شعر وكهانة ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٩، ٧٠] وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ * أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور: ٢٩ ـ ٣٣] الآيات وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤١ ـ ٤٨] إلى آخر الآيات. وقال تعالى لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ * أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٧، ٨] فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص: ٨، ٩] إلى آخر الآيات. ورد عليهم تعالى في قولهم: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ بقوله عز وجل: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] وقد تحداهم تعالى على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك كله وبان كذبهم قال الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤] وقال تعالى وتقدس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤] وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤] فعجزوا عن ذلك كله ولم يطمعوا في شيء منه، مع أنهم فحول اللغة وفرسان الفصاحة وأهل البلاغة وأعلم الناس بنثر الكلام ونظمه وهجزه ورجزه، مع شدة معاندتهم لرسول الله ﷺ وما جاء به وحرصهم على معارضته بكل ممكن، ولكن جاءهم ما لا قبل لهم به وأتاهم ما لا

يطيقون، كلام ذي الملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء والعزة والجلال والكمال رب الأرض والسماء ورب الآخرة والأولى من له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، الذي لا سمي له ولا كفو له وليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فلما رأوا وجوه إيجازه وإعجازه ومبانيه الكاملة ومعانيه الشاملة، وإخباره عن الأمم الماضية والغيوب المستقبلة، والأحكام الواقعة، ونبأ الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والتهديد وغير ذلك على أكمل وجه وأوضح بيان وأعلى قصص وأعظم برهان، علموا أنه ليس بكلام المخلوقين ولا يشبه كلام المخلوقين وعلموا أنه الحق، وإنما رموه بالإفك والبهتان بقولهم كاهن شاعر مجنون وغير ذلك إنما هو مكابرة وعناد مع الاعتراف بذلك فيما بينهم كما تقدم عن الوليد وعتبة وأبي جهل قبحهم الله وغيرهم، ولو كان تقوله كما زعموا هم لاستطاعوا معارضته ولم ينقطعوا عن مقاومته لأنهم عرب فصحاء مثله عارفون بوجوه البلاغة كلها لا يجهلون منها شيئًا، ولما عدلوا إلى المكابرة والتبجح بالقول دون الفعل الذي هو أمقت شيء عند العقلاء. ولكنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم المرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين هدى وبشرى للمسلمين. وتبيانًا لكل شيء وتفصيل كل شيء وذكرى للمؤمنين ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] فلا يأتي مبطل بشبهة إلا وفيه إزهاق باطله وكشف شبهته وإدحاض حجته كما هو معلوم عند من عرف مواقع النزول، ويكفيك في ذلك قوله الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

يُحفظ بالقلب وباللسان ... يُتلى كما يُسمع بالآذان
كذا بالأبصار إليه ينظر ... وبالأيادي خطه يسطر
وكل ذي مخلوقة حقيقة ... دون كلام بارئ الخليقة
جلت صفات ربنا الرحمن ... عن وصفها بالخلق والحدثان
فالصوت والألحان صوت القاري ... لكنما المتلوُّ قول الباري
ما قاله لا يقبل التبديلا ... كلا ولا أصدق منه قيلا

(يُحفظ) بالبناء للمفعول أي القرآن (بالقلب) كما قال تبارك وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥]

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] وقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخراب» قال الترمذي هذا حديث صحيح[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عدد، فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم - يعني ما معه من القرآن - فأتى على رجل من أحدثهم سنًا فقال: «ما معك يا فلان» فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: «أمعك سورة البقرة» قال نعم، قال: «اذهب فأنت أميرهم» فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن واقرأوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشوّ مسكًا يفوح ريحه في كل مكان. ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك» قال الترمذي هذا حديث حسن[2]. وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه المتفق عليه في قصة الواهبة نفسها وفيه قال: «ما معك من القرآن» قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها، فقال: «تقرأهن عن ظهر قلبك»؟ قال نعم، قال: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن»[3] ولأبي داود قال: سورة البقرة والتي تليها، قال: «قم فعلمها عشرين آية»[4]. وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال

---

(١) الترمذي (٥/ ١٧٧/ ح٢٩١٣) في ك: فضائل القرآن، ب: ١٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والدارمي (٢/ ٥٢١) ٢٣ ومن كتاب: فضائل القرآن، ب: ١ فضل من قرأ القرآن.
وأحمد (١/ ٢٢٣) وقال محققه: إسناده صحيح، كلهم من حديث ابن عباس وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٧٢) - والحاكم (١/ ٥٥٤) وقال: صحيح ولم يوافقه الذهبي وقال فيه قابوس بن أبي ظبيان وهو لين الحديث. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٥٢٤).

(٢) الترمذي (٥/ ١٥٦/ ح٢٨٧٦) في ك: فضائل القرآن، ب: ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي، وقال: هذا حديث حسن.
وابن ماجه: (١/ ٧٨/ ح٢١٧) في المقدمة (مختصراً دون ذكر القصة) والنسائي في الكبرى رقم: ٨٧٤٩. وابن حبان (إحسان - رقم ٢١٢٦) وابن خزيمة رقم ١٥٠٩ وفيه عطاء مولى أبي أحمد ولا يعرف، وله شاهد ضعيف جدًا رواه الطبراني في الأوسط (المجمع ٧/ ١٦٤). والدارقطني في الأفراد وفيه شيعي متروك. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٤٥٢).

(٣) البخاري (٩/ ٣٤) في ك: النكاح، ب: تزويج المعسر (ح ٥٠٨٧) وأخرجه أيضًا في (١٠/ ٣٣٥) ك: اللباس، ب: خاتم الحديد (ح ٥٨٧١) من حديث سهل.
ومسلم (٢/ ١٠٤٠/ ح١٤٢٥) في ك: النكاح ب: الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد.. والترمذي رقم: ١١١٤ والنسائي (٦/ ٩٢، ٩٣) وابن ماجه رقم: ١٨٨٩. وأحمد (٥/ ٣٣٠).

(٤) أبو داود (٢/ ٢٣٦/ ح٢١١٢) في ك: النكاح، ب: في التزويج على العمل بعمل من حديث أبي هريرة وفي =

رسول الله ﷺ: «مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقالها ذهبت، فكذلك صاحب القرآن»[1]. ولهما عن عائشة ﵂ قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا»[2] والأحاديث في هذا كثيرة جداً.

(وباللسان يتلى) قال الله تبارك وتعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠] إلى آخر الآية، وقال تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩] وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤] وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ١١٠] وغير ذلك من الآيات.

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار له» إلى آخر الحديث رواه البخاري[3]. وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال: «لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»

= سنده عسل التميمي وهو ضعيف.. وله شواهد كالسابق.. وقد ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود.

(١) البخاري (٨/ ٦٩٧) في ك: فضائل القرآن، ب: استذكار القرآن وتعهده، من حديث ابن عمر (ح ٥٠٣١).
ومسلم (١/ ٥٤٣ /ح ٧٨٩) في ك: صلاة المسافرين، ب: الأمر بتعهد القرآن ـ والنسائي في ك: الافتتاح، ب: جامع ما جاء في القرآن (ح٩٤١).

(٢) البخاري (٨/ ٧٠٣) ك: فضائل القرآن ب: نسيان القرآن.. (ح ٥٠٣٧، ٥٠٣٨) (١١/ ١٤٠) في ك: الدعوات، ب: قول المولى تبارك وتعالى: ﴿وصل عليهم﴾ من حديث عائشة (ح ٦٣٣٥) ومسلم (١/ ٥٤٣ /ح ٧٨٨) في ك: صلاة المسافرين، ب: الأمر بتعهد القرآن.

(٣) البخاري (٨/ ٦٩١) في ك: فضائل القرآن، ب: اغتباط صاحب القرآن، من حديث عبدالله بن عمر (ح٢٥ ـ ٥٠٢٦) ورواه أيضًا (١٣/ ٥١١) في ك: التوحيد، ب: قول النبي ﷺ رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به.. (ح ٧٥٢٩) والنسائي في الكبرى رقم: ٨٧٣.
وأحمد (٣/ ٢٧٩)، والبيهقي (٤/ ١٨٩).

ورواه ابن ماجه[١] وله عن المهاجر بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أهل القرآن لا تَوَسَّدُوا القرآن، واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون»[٢] والأحاديث في هذا كثيرة جدًا سيأتي ما تيسر منها في ذكر الصوت.

(كما يسمع بالآذان) قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠] الآيات، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا - إلى قوله تعالى - وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١ - ١٢] الآيات، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨] وغير ذلك من الآيات وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن» قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» الحديث متفق عليه[٣]. وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا موسى، لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة» فقال: أما والله لو أعلم

---

(١) أحمد (٦/ ١٩)، وابن ماجه رقم: ١٣٤٠، وابن حبان (إحسان - رقم: ٧٥٤)، والبيهقي (١٠/ ٢٣٠).
والحاكم (١/ ٥٧١) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يوافقه الذهبي بل قال: هو منقطع ا.هـ ولكن وصله أحمد (٦/ ٢٠) وابن ماجه (١/ ٤٢٥ /ح ١٣٤٠) والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٠١ /ح٧٧٢).
وقال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن (٤/ ٦١٠): إسناده جيد. وقال البوصيري: حسن.

(٢) رواه البخاري في تاريخه (٣/ ٢/ ٨٣) والبيهقي في شعب الإيمان رقم ١٨٥٢. والطبراني في الكبير (المجمع ٢/ ٢٥٢) وابن الأثير في أسد الغابة (٣/ ٤٤٦). وأبو نعيم في ذكر أخبار أصبهان (١/ ٢٦٠) وفيه أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف. كما قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٦/ ٣٧٢).
والحديث عن المهاجر بن حبيب عن عبيدة المليكي مرفوعًا.

(٣) البخاري (٨/ ٧١٢) في ك: فضائل القرآن، ب: من أحب أن يستمع القرآن من غيره (ح ٥٠٤٩) ورواه أيضًا في نفس الكتاب، ب: قول المقرئ للقارئ: حسبك، (ح ٥٠٥٠) من حديث عبدالله بن مسعود ومسلم (١/ ٥٥١ /ح ٨٠٠) في ك: صلاة المسافرين، ب: فضل استماع القرآن. والترمذي رقم (٣٠٢٥)، والنسائي في الكبرى رقم: ١١١٠٥، ابن ماجه رقم ٤١٩٤، وأحمد (١/ ٣٧٤) و(١/ ٣٨٠).

أنك تستمع قراءتي لحَبَّرتها لك تحبيراً. رواه مسلم(١). ولأبي عبيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: أبطأتُ على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت، فقال: «أين كنت» قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت فقام رسول الله ﷺ وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إليَّ فقال: «هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا» إسناده جيد(٢)، والأحاديث في هذا كثيرة.

(كذا بالإبصار إليه) متعلقان بـ (ينظر) أي إلى القرآن في المصحف وهو من أفضل العبادات وأجلها. وروى أبو عبيد بإسناد فيه ضعف عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرأه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة»(٣). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أديموا النظر في المصحف(٤). وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا دخل نشر المصحف فقرأ فيه(٥). وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرأوا وفسر لهم. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ. وذهب كثير من السلف أن قراءة القرآن في المصحف أفضل من على ظهر قلب، لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده وفيه خالد بن نافع الأشعري وهو ضعيف المجمع (٧/ ١٧٤). ورواه بقى بن مخلد في فضائل القرآن (لابن كثير ٧/ ٤٦١) وسنده حسن، وروى ابن سعد في الطبقات بنحوه (٢/ ٣٤٥). قال ابن حجر: إسناده على شرط مسلم (فتح ٨/ ٧١١ /ح٥٠٤٨).
ـ وهو عند مسلم (١/ ٥٤٦ /ح٧٩٣) في ك: صلاة المسافرين، ب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن، دون قول أبي موسى.
ورواه بنحوه: ابن حبان (إحسان ـ رقم ٧١٩٧)، والحاكم (٣/ ٤٦٦).

(٢) رواه أبو عبيد، في فضائل القرآن (فضائل القرآن لابن كثير) وقال ابن كثير (٤/ ٦١٢): إسناده جيد، ورواه ابن ماجه في ك: فضائل القرآن، ب: في حسن الصوت بالقرآن (١/ ٤٢٥/ ح١٣٣٨) والحاكم (٣/ ٢٥٥)، والبيهقي في الشعب رقم: ١٩٦١.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد (فضائل القرآن لابن كثير) ٧/ ٤٨٩ وسنده ضعيف، وضعفه الحافظ في الفتح (٨/ ٦٩٧)، وفيه معاوية الصدفي وهو ضعيف، وبقية وقد عنعن.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (ح ٥٩٧٩) ومن طريقه الطبراني في الكبير (ح٨٦٩٦)، وابن أبي شيبة (ح١٠٢٢٦) والبيهقي في الشعب ح (٢٠٢٨) وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٨/ ٦٩٧).

(٥) ابن كثير في فضائل القرآن (٤/ ٦١٧) لأبي عبيد، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان.

وكرهوا أن يمضي على الرجل يومان لا ينظر في مصحفه. (وبالأيادي خطه يسطر) كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩] وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢، ٣] وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١١ - ١٤] وقد كتبه الصحابة في عهد النبي ﷺ بأمره، وفي خلافة أبي بكر وعثمان، وإلى الآن يكتبه المسلمون، وقال ابن عباس ﵄: ما ترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين[1]. وقال علي بن أبي طالب نحو ذلك، وقال أبو بكر ﵁ معنى ذلك في محضر الصحابة لم يقل أحد خلافه. ولو لم يكن الذي في المصحف كلام الله لم يحرم مسه على أحد ولم يكن من شأنه أن ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ بل ولا كان يحرم توسده، ولذا أجاز الزنادقة ذلك حيث لم يؤمنوا أن فيه كتاب الله، وهذا من أسفل دركات الكفر قبحهم الله.

(وكل ذي) المذكورات من القلب وحافظته وذاكرته واللسان وحركته والآذان وأسماعها والأبصار ونظرها والأيادي وكتابتها وأدوات الكتابة من أوراق وأقلام ومداد، كلها (مخلوقة حقيقة) ليس في ذلك توقف، (دون) القرآن الذي هو (كلام) الله تعالى (بارئ الخليقة). قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بأذن، ونظرة ببصر، وخط بيد. فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلوّ غير مخلوق، والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق. انتهى. فأعمال العباد مخلوقة والقرآن حيثما تصرف وأين كتب وحيث تلي كلام الله تعالى غير مخلوق.

جلت صفات ربنا الرحمن عن وصفها بالخلق والحدثان

فليس من صفات الله تعالى شيء مخلوق، تعالى الله عن ذلك وتعالى عن أن تكون ذاته محلاً للمخلوقات، بل هو الأول بأسمائه وصفاته قبل كل شيء، والآخر بأسمائه وصفاته بعد كل شيء، لم يسبق شيء من صفاته بالعدم، ولم يعقب بالفناء، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. (فالصوت) من جهوَري وخفي

---

(١) البخاري (٨/ ٦٨٢) ك: فضائل القرآن، ب: من قال: لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين (ح ٥٠١٩) من حديث ابن عباس وأحمد (١/ ٢٢٠).

(والألحان) من حسن وغيره (صوت القاري لكنما المتلو) المؤدَّي بذلك الصوت هو (قول الباري) جل وعلا.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن»(١) ولابن ماجه بإسناد جيد عن فضالة ابن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»(٢) وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «غنوا بالقرآن ليس منا من لم يغن بالقرآن وابكوا فإن لم تقدروا على البكاء فتباكوا» رواه البغوي، ولأبي داود نحوه(٣)، وله عن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»(٤) وله وللنسائي وابن ماجه بإسناد جيد عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»(٥) وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا ـ أو قراءة ـ منه»(٦) الحديث، ولابن ماجه عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله»(٧) ولأبي عبيد عن حذيفة بن

---

(١) البخاري (٨/ ٦٨٦) في ك: فضائل القرآن، ب: من لم يتغن بالقرآن ح (٥٠٢٣) من حديث أبي هريرة. و ح (٥٠٢٤)، ورواه أيضًا (١٣/ ٤٦١) في ك: التوحيد، ومسلم ح (٧٩٢) والنسائي ح (١٠١٧).

(٢) تقدم ذكره وإسناده حسن.

(٣) رواه أحمد (١/ ١٧٥)، والبيهقي (١٠/ ٢٣) بلفظ من ليس منا من لم يتغن بالقرآن. صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند، أما لفظ «وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» فقد ورد ضمن ١٣٣٧ لابن ماجه وغيره وضعفه الألباني في الضعيف الجامع (٢٠٢٤)، وأبو داود (ح ١٤١٩).

(٤) أبو داود (ح ١٤٢٠) من حديث أبي لبابة بن المنذر وليس من حديث أبي أمامة، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٥) البخاري: تعليقًا في [ك: التوحيد، ب: ٥٢] ووصله في خلق أفعال العباد (ص٧٣ /ح١٩٩)، وأبو داود (ح١٤١٨)، والنسائي (٢/ ١٣٩)، وابن ماجه (ح ١٣٤٢) وأحمد (٤/ ٢٨٣، ٣٠٤) وقال ابن كثير في فضائل القرآن: إسناده جيد (٤/ ٦١٢).

(٦) تقدم وهو صحيح.

(٧) ابن ماجه (١/ ٤٢٥ /ح١٣٣٩) في ك: إقامة الصلاة ب: في حسن الصوت بالقرآن، وفيه ضعيفان، وله شاهد من حديث ابن عمر عند الطبراني في الأوسط (المجمع ٧/ ١٧٣)، ورواه البزار في مسنده. والدارمي (٢/ ٤٧١) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ١٠٢).

وصححه الألباني في صفة صلاة النبي (ص ١٠٦) وقال رواه ابن المبارك في الزهد (١٦٢/ ١ من الكواكب ٥٧٥).

اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين. وسيجئ قوم من بعدي يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم»(١). وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا موسى، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»(٢). ففي جميع هذه الأحاديث التصريح بإضافة الصوت والألحان والتغني إلى العبد لأنه عمله، والقرآن المؤدّى بذلك الصوت هو كلام الله حقيقة، وكذلك المهارة بالقرآن والتتعتع فيه هو فعل العبد وسعيه لما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»(٣) وهذا الفرق واضح ولله الحمد وعليه أهل السنة والحديث كأحمد بن حنبل وأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري وغيرهما رحمهم الله تعالى، ولو كان الصوت هو نفس المتلوِّ المؤدَّى به كما يقوله أهل الاتحاد لكان كل من سمع القرآن من أي تال وبأي صوت كليمَ الرحمن فلا مزية لموسى عليه السلام على غيره، اللهم لك الحمد ربنا، لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

(مسألة): اشتهر عن السلف الصالح كأحمد بن حنبل وهارون الفروي وجماعة أئمة الحديث أن اللفظية جهمية، واللفظية هم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، قال أئمة السنة رحمهم الله تعالى: ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، يعنون غير بدعية الجهمية، وذلك لأن اللفظ يطلق على معنيين: أحدهما الملفوظ به وهو القرآن وهو كلام الله ليس فعلاً للعبد ولا مقدوراً له، والثاني التلفظ وهو فعل العبد وكسبه وسعيه، فإذا أطلق لفظ الخلق على المعنى الثاني شمل الأول وهو قول الجهمية، وإذا عكس الأمر بأن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق شمل المعنى الثاني وهي بدعة

---

(١) البيهقي في الشعب (ح٢٤٠٦) والطبراني في الأوسط (ح ٧٢٢٣) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/١١٨).
وقال الذهبي في الميزان (١/٥٣٣): الخبر منكر .ا.هـ.
وكذا قال الحافظ في اللسان (٢/٣١٩).

(٢) البخاري (٨/ ٧١٠) في ك: فضائل القرآن، ب: حسن الصوت بالقراءة للقرآن (ح ٥٠٤٨) من حديث أبي موسى رضي الله عنه ومسلم (١/٥٤٦ /ح ٧٩٣) في ك: صلاة المسافرين، ب: استحباب تحسين الصوت.

(٣) البخاري (٨/ ٥٦٠) ك: التفسير، ب: سورة عبس (ح ٤٩٣٧) ومسلم (١/٥٤٩، ٥٥٠ /ح٧٩٨) في ك: صلاة المسافرين، ب: فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه، وأبو داود في ك: الصلاة، ب: في ثواب قراءة القرآن (ح١٤٥٤) والترمذي (ح ٢٩٠٤) وابن ماجه ح (٣٧٧٩).

أخرى من بدع الاتحادية. وهذا ظاهر عند كل عاقل، فإنك إذا سمعت رجلاً يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ تقول هذا لفظ سورة الإخلاص، وتقول هذا لفظ فلان بسورة الإخلاص، إذ اللفظ معنى مشترك بين التلفظ الذي هو فعل العبد، وبين الملفوظ به الذي هو كلام الله عز وجل. وهذا بخلاف ما ذكر السلف بقولهم: الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري، فإن الصوت معنى خاص بفعل العبد لا يتناول المتلوُّ المؤدَّى بالصوت ألبتة، ولا يصلح أن تقول هذا صوت قل هو الله أحد ولا يقول ذلك عاقل، وإنما تقول هذا صوت فلان يقرأ قل هو الله أحد ونحو ذلك. نعم، إذا سمع كلام الله عز وجل منه تعالى بدون واسطة كسماع موسى عليه الصلاة والسلام وسماع جبريل عليه السلام وسماع أهل الجنة كلامه منه عز وجل فحينئذ التلاوة والمتلو صفة الباري عز وجل ليس منها شيء مخلوق. تعالى الله علواً كبيراً.

(ما قاله لا يقبل التبديلا) قال الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥] وقال تعالى: ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ [يونس: ٦٤].

(كلا) أي لا يكون ذلك (ولا أصدق منه) أي من الله تعالى (قيلا) أي قولاً وهو تمييز محول عن اسم لا، والتقدير لا قيل أصدق من قيله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢] أي من أصدق من الله تعالى في حديثه وخبره ووعده ووعيده؟ والجواب: لا أحد. وفي خطبة رسول الله ﷺ قال: «إن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ»[1] الحديث.

وقد روى الثقات عن خير الملا … بأنه عزَّ وجلَّ وعلا
في ثلث الليل الأخير ينزل … يقول هل من تائب فيقبل
هل من مسيء طالب للمغفره … يجد كريمًا قابلاً للمعذره
يمنُّ بالخيرات والفضائل … ويستر العيب ويعطي السائل

(١) تقدم ذكره وهو صحيح.

أي ومما يجب الإيمان به وإثباته وإمراره كما جـاء صفة النزول للرب عز وجل كما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة عن فضلاء الصحابة كأبي بكر الصديق، وعلي ابن أبي طالب، وأبي هريرة، وأبي سـعيد، وجـبيـر بن مطعم، وجابر بن عـبدالله، وعبـدالله بن مسعود، وعـمرو بن عَبَسة، ورفاعة الجـهني، وعثمـان بن أبي العاص الثقفي، وأبي الدرداء، وابن عـباس، وعبادة بن الصـامت، وأبي الخطاب، وعمر بن عامر السلمي، وغيرهم ﷺ.

فعن أبي بكر الصديق ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ينزل الله ليلة النصف من شعبان فيغـفر لكل نفس إلا إنسان في قلبـه شحناء أو شرك»(١) رواه جماعة عن ابن وهب. وعن علي بن أبي طالب ﷺ قـال: قال رسـول الله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأخرت العشـاء الأخيرة إلى ثلث الليل، فإنه إذا مـضى ثلث الليل هبط الله عز وجل إلى سـماء الدنيـا لم يزل بها حـتى يطلع الفجـر فيـقول: ألا سـائل يعطى، ألا داع فيجاب، ألا مذنب يستغفر فيغـفر له، ألا سقيم يستشفى فيشفى»(٢) رواه الطبراني في السنة. وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سـماء الدنيا حين يبقى ثلـث الليل فيقـول من يدعوني فـأستجـيب له، من يسألني فـأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» أخرجاه في الصحيحين(٣). وفي رواية عن أبي هريرة وأبي سعيد ﷺ أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يمهل، حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى السمـاء الدنيا فنادى: هل من مذنب يـتـوب، هل من مستـغـفر، هـل من سائـل»(٤). وفي مسنـد أحـمد رحمه الله تعـالى عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «ينـزل الله كـل ليلـة إذا مضى ثلـث اللـيل الأول فيـقـول: أنا الملك، من ذا الذي

---

(١) رواه ابن خزيمة في التوحيد (ح ٢٠٠) وابن عدي في الكامل (١٩٤٦/٥) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/٢) والعقيلي في الضعفاء (٢٩/٣) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٥٠٩) وصححه الألباني في تخريج السنة.

(٢) أحمد (١/ ١٢٠) وصحح إسناده الشيخ: أحمد شاكر في تحقيق المسند، انظره برقم (٩٦٧، ١٠٦٢٦، ٧٣٣٥) وغيرها والدارمي (ح١٤٩٢) واللالكائي (ح٧٤٩).

(٣) تقدم ذكره وهو صحيح.

(٤) البخـاري (٣٥/٣) في ك: التهجـد، ب: الدعاء والصلاة من آخر الـليل (ح ١١٤٥) من حديث أبي هريرة، وانظره في (ح ٦٣٢١، ٧٤٩٤) ومـسلم (٥٢٣/١ /ح٧٥٧) في ك: صـلاة المسـافرين، ب: التـرغـيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه. وأبو داود (ح ١٣١٥) و(ح ٤٧٣٣) والترمذي (ح ٣٤٩٨).

يستغفرني فأغفر له»[1] وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في النزول قد تعددت طرقه في الصحيحين وسائر الأمهات، وقد ساقه إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب «التوحيد» من أكثر من ثلاثين طريقًا عن أبي هريرة رضي الله عنه إلى النبي ﷺ[2]. وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وله في كل سماء كرسي، فإذا نزل إلى سماء الدنيا جلس على كرسيه ثم مد ساعديه فيقول: من ذا الذي يقرض الله غير عديم ولا ظلوم، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يتوب فأتوب عليه. فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه»[3] رواه ابن منده قال وله أصل مرسل. وعن جبير ابن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول جل جلاله: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له» حديث صحيح رواه النسائي وأبو الوليد الطيالسي[4]. وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا لثلث الليل فيقول: ألا عبد من عبيدي يدعوني فأستجيب له، أو ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له، ألا مقتر عليه رزقه، ألا مظلوم يستنصرني فأنصره، ألا عان يدعوني فأفك عنه، فيكون ذلك مكانه حتى يفيء الفجر، ثم يعلو ربنا عز وجل إلى السماء العليا على كرسيه» رواه الدارقطني[5]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى سماء الدنيا ثم بسط يده فقال: من يسألني فأعطيه، حتى يطلع الفجر» حديث حسن

---

(١) مسلم (١/ ٥٢٣ /ح٧٥٨) في ك: صلاة المسافرين ب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، أحمد (٢/ ٤١٩) والترمذي في ك: الصلاة، ب: ما جاء في نزول الرب عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة (ح٤٤٦) وقد مرَّ عند البخاري بدون قوله «أنا الملك» في الحديث الماضي.

(٢) انظر التوحيد لابن خزيمة (ص ١٢٦-١٣١) وعمل اليوم والليلة للنسائي ب: الوقت الذي يستجيب فيه الاستغفار، والنزول للدارقطني.

(٣) ذكره ابن منده في الرد على الجهمية (ح ٥٦) وقال: سنده ضعيف فيه محفوظ بن أبي توبة وقد ضعف الإمام أحمد أمره جدًا، وله أصل عن سعيد بن المسيب مرسل (وبذلك يشير ابن منده إلى ضعفه موصولاً). وعزاه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٣٤) لابن منده، وذكر كلامه السابق.

(٤) الدارمي في السنن، ب (٦٨) ينزل الله إلى السماء الدنيا (ح ١٤٨٠)، وأحمد في المسند (٤/ ٨١) من حديث جبير بن مطعم، وقال محقق المسند: إسناده صحيح، رجاله أئمة مشهورون وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢١ /ح٥٠٧) والنسائي في الكبرى (ح ١٠٣٢١) وصحح إسناده ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/ ٢٣٤) والألباني في «ظلال الجنة»، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (المجمع ١٠/ ١٥٧).

(٥) رواه الدارقطني في النزول (حديث رقم ٧).

رواه أحمد في مسنده ورجاله أئمة(١)، ورواه أبو معاوية بلفظ: «إن الله تعالى يفتح أبواب السماء، ثم يهبط إلى السماء الدنيا، ثم يبسط يده فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيه، حتى يطلع الفجر» وعن رفاعة الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل نزل الله إلى سماء الدنيا فقال: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، حتى ينفجر الفجر» حديث صحيح رواه أحمد في مسنده(٢). وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول: هل من داع فأستجيب له، هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له. وأن داود خرج ذات ليلة فقال: لا يُسأل الله شيئًا إلا أعطاه، إلا أن يكون ساحرًا أو عشارًا» رواه الإمام أحمد بنحوه(٣)، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى في آخر ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت. ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن، لا يكون معه فيها إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم ير أحد ولم يخطر على قلب بشر. ثم يهبط في آخر ساعة من الليل يقول ألا مستغفر فأغفر له، ألا سائل فأعطيه، ألا داع فأستجيب له» رواه عثمان بن سعيد الدارمي(٤). وروى موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى بن الوليد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: ألا عبد يدعوني فأستجيب له، ألا ظالم

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٨٨، ٤٠٣) وقال محققه: والحديث في المجمع (١٠/ ١٥٣) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح «والحديث ثابت من حديث أبي هريرة، رواه أصحاب الكتب الستة وغيرهم.
وأبو يعلى (ح ٥٣١٩) وابن خزيمة في التوحيد (ح٧٢). وقال ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/ ٢٣٥) وهذا حديث حسن، رجاله أئمة ا.هـ.

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٦) وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، والدارمي في السنن (١/ ٤١٣، ٤١٤) ب (٦٨) ينزل الله إلى السماء الدنيا (ح ١٤٨١) من حديث رفاعة بن عرابة الجهني. والطيالسي (ح ١٣٩٢) والدارقطني في النزول (ص ١٤٥، ١٤٦). والآجري في الشريعة ص ٣١١.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٢) وقال محققه: إسناده حسن لأجل على بن زيد، وقد اختلف في سماع الحسن من عثمان. وابن أبي عاصم في السنة (ح ٥٠٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢١١-٢٢٢)، والدارقطني في النزول (ح٧٢) بدون ذكر داود عليه السلام. وصححه الألباني في ظلال الجنة.

(٤) رواه ابن خزيمة مطولاً (ص١٣٥) واللالكائي (ح ٧٥٦) من حديث أبي الدرداء، وسنده ضعيف لأن فيه زيادة ابن محمد الأنصاري قال فيه ابن حجر: منكر الحديث.

لنفسه يدعوني فأقبله فيكون كذلك إلى مطلع الصبح ويعلو على كرسيه». وعن أبي الخطاب رضي الله عنه أنه قال وقد سئل عن الوتر: أحب أوتر نصف الليل، فإن الله يهبط من السماء السابعة إلى السماء الدنيا فيقول: «هل من مذنب، هل من مستغفر، هل من داع، حتى إذا طلع الفجر ارتفع» رواه محمد بن سعد في طبقاته(١). وعن عمرو بن عامر السلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ذهب ثلث الليل ـ أو قال نصف الليل ـ ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول: هل من عان فأفكه، هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له» رواه ابن منده. وعن عبيد بن السباق أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا من آخر الليل فينادي مناد في السماء العليا: ألا نزل الخالق العليم. فيخرج أهل السماء وينادي فيهم مناد بذلك، فلا يمر بأهل سماء إلا وهم سجود» رواه أبو داود(٢).

وروى أبو اليمان ويحيى بن أبي كثير وعبدالصمد بن النعمان ويزيد بن هارون ـ وهذا سياق حديثه ـ أخبرنا حريز بن عثمان حدثنا سليم بن عامر عن عمرو بن عبسة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله جعلني الله فداك، شيء تعلمه وأجهله ينفعني ولا يضرك، ما ساعة أقرب من ساعة وما ساعة تبقى فيها؟ يعني الصلاة. فقال: «يا عمرو بن عبسة، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك. إن الرب تعالى يتدلى من جوف الليل فيغفر، إلا ما كان من الشرك والبغي، والصلاة مشهودة حتى تطلع الشمس فإنها تطلع على قرن الشيطان وهي صلاة الكفار، فأقصر عن الصلاة حتى ترتفع الشمس، فإذا استعلت الشمس فالصلاة مشهودة حتى يعتدل النهار، فإذا اعتدل النهار فأخر الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم، فإذا فاء الفيء فالصلاة مشهودة حتى تدلى للغروب فإنها تغيب بين قرني الشيطان فأقصر عن الصلاة حتى تجب الشمس»(٣) وهو في مسلم مطولاً. قلت وهذا في معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨، ٧٩] وفي

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٧٠) ح (٩٢٧) وفي سنده ثوير بن أبي فاختة ضعيف ورمي بالتشيع.

(٢) رواه أبو داود في المراسيل ص١١، وابن أبي عاصم في السنة ح (٥٠٦) وقال العلامة الألباني إسناده ضعيف لإرساله.

(٣) رواه أحمد عن يزيد بن هارون (٤/ ٣٨٥) واللالكائي ح (٧٦١) وفي سنده «سليم بن عامر» لم يسمع من عمرو بن عبسة فالسند منقطع.

كتاب السنة للخلال عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا ثلث الليل الأوسط فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ويترك أهل الحقد لحقدهم»(١) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر في الساعة الأولى لم يره أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما شاء، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ولا يسكنها من بني آدم غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء، ثم يقول: طوبى لمن دخلك. ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض فيقول: قيومي بعزتي. ثم يطلع إلى عباده فيقول: هل من مستغفر أغفر له، هل من داع أجيبه، حتى تكون صلاة الفجر وكذلكم يقول: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ فيشهده الله وملائكة الليل والنهار» رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد(٢)، وقد تقدم قريبًا بغير هذا اللفظ. وله عن القاسم بن محمد عن أبيه ـ أو عمه ـ عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل الله عز وجل ليلة النصف فيغفر للمؤمنين» الحديث(٣) رواه ابن زنجويه. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان ليلة النصف من شعبان هبط الله تعالى إلى سماء الدنيا فيغفر لأهل الأرض إلا لكافر أو مشاحن»(٤) رواه محمد بن الفضل البخاري. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ يقول: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا في النصف من شعبان فيغفر لأهل الأرض إلا لكافر أو مشاحن»(٥).

قلت: ولا منافاة بين أحاديث تخصيص النزول بليلة النصف من شعبان وبين الأحاديث القاضية أنه في كل ليلة فإن النزول في ليلة النصف من شعبان مطلق والنزول في كل ليلة مقيد بالنصف في لفظ وبالثلث في آخر، على أنه ليس في

---

(١) الدارمي في الرد على الجهمية ١٣٤.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تقدم.

(٤) إسناده صحيح، رواه أحمد (٢/١٧٦) ح (٦٦٤٢)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر على تحقيق المسند، ورواه ابن ماجه ح (١٣٩٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (١١٤٤).

(٥) أخرجه ابن ماجه (١/٤٤٥) ح (١٣٩٠) من حديث أبي موسى بلفظ «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن» وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف والوليد بن مسلم مدلس، فالحديث إسناده ضعيف.

تخصيص النزول بنصف شعبان نفي له فيما عداها، والأحاديث التي فيها النزول كل ليلة أكثر وأشهر وأصح بلا شك ولا مرية. وقد ثبت النزول أيضًا في عشية عرفة كما روى ابن أبي حاتم من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبدالله ﷺ عن النبي ﷺ: «إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: انظروا إلى عبادي، أتوني شعثًا غبرًا، أشهدكم أني قد غفرت لهم» ورواه الخلال في السنة من حديث أبي النضر عن أيوب عن أبي الزبير عنه يرفعه «أفضل أيام الدنيا أيام العشر» قالوا يا رسول الله ولا مثلهن في سبيل الله قال: «إلا من عفر وجهه في التراب، إن عشية عرفة ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول للملائكة: انظروا إلى عبادي هؤلاء شعثًا غبرا جاءوا من كل فج عميق ضاحين يسألوني رحمتي. فلا يرى يومًا أكثر عتيقًا ولا عتيقة»(١) وروى خلاد بن يحيى حدثنا عبدالوهاب عن مجاهد عن ابن عمر ﷺ قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فجاء رجلان أحدهما أنصاري والآخر ثقفي فذكر الحديث وفيه: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول للملائكة هؤلاء عبادي جاءوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق، اشهدوا أني قد غفرت لهم ذنوبهم» رواه طلحة ابن مصرف عن مجاهد به. وقد روى النزول في رمضان، وليس هو نافيًا له في غيره. فروى علي بن معبد عن عبيدالله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن طارق عن سعيد ابن جبير سمعت ابن عباس ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى ينزل في شهر رمضان، إذا ذهب الثلث الأول من الليل هبط إلى السماء الدنيا ثم قال: هل من سائل يعطى، هل من مستغفر يغفر له، هل من تائب يتاب عليه»(٢). وروى عبيدالله بن موسى قال ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا في شهر رمضان يدبر أمر السنة فيمحو ما يشاء غير الشقاوة والسعادة والموت والحياة»(٣) وإسناده حسن. وهذا الموقوف له حكم المرفوع عند المحدثين لأنه لا يقال من قبل الرأي. وقد ثبت النزول لفصل القضاء وللتجلي لأهل الجنة كما ستأتي الأحاديث إن شاء الله تعالى في ذلك.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ح (٧٦٦) وقال الألباني: إسناده صحيح على تحقيق السنة لابن أبي عاصم ح ٥١٣.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٥٩) وحسن إسناده ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/ ٢٤٥).

ونحن نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب جل وعلا من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى ﷺ لم يصف كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول كما يشاء ربنا وعلى ما يليق بجلاله وعظمته عز وجل غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول، فنسير بسير النصوص حيث سارت ونقف معها حيث وقفت لا نعدوها إن شاء الله تعالى ولا نقصر عنها. وقد تكلفت جماعة من مثبتي المتكلمين فخاضوا في معنى ذلك وفي ذلك الانتقال وعدمه، وفي خلو العرش منه وعدمه نفيًا وإثباتًا وذلك تكلف منهم، ودخول فيما لا يعنيهم، وهو ضرب من التكييف لم يأت في لفظ النصوص ولم يسأل الصحابة النبي ﷺ عن شيء من ذلك حين حدثهم بالنزول، فنحن نؤمن بذلك ونصدق به كما آمنوا وصدقوا. فإن قال لنا متعنت أو متنطع: يلزم من إثبات كذا كيت وكيت في أي شيء من صفات الله، قلنا له أنت لا تلزمنا نحن فيما تدعيه وإنما تلزم قائل ذلك وهو رسول الله ﷺ، فإن كان ذلك لازمًا لما قاله حقيقة وجب الإيمان به إذ لازم الحق حق، وإن لم يك ذلك لازمًا له فأنت معترض على النبي ﷺ كاذب عليه متقدم بين يديه. وروى البيهقي عن الحاكم عن محمد بن صالح بن هانئ سمع أحمد بن سلمة سمعت إسحاق بن راهويه يقول: جمعني وهذا المبتدع - يعني إبراهيم بن أبي صالح - مجلس الأمير عبد الله بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال ابن أبي صالح كفرتُ برب ينزل من سماء إلى سماء. فقلت آمنتُ برب يفعل ما يشاء. وقال إسحاق رحمه الله تعالى: دخلت على ابن طاهر فقال ما هذه الأحاديث يروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت نعم رواها الثقات الذين يروون الأحكام. فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن منه العرش؟ قال نعم. قلت فلم تتكلم في هذا وقال إسحق أيضًا قال لي ابن طاهر: يا أبا يعقوب هذا الذي ترونه: «ينزل ربنا كل ليلة» كيف ينزل؟ قلت: أعز الله الأمير، لا كيف، إنما ينزل بلا كيف[1]. وقال أحمد بن سعيد الرباطي: حضرت مجلس ابن طاهر وحضر إسحق، فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ قال نعم، فقال له بعض

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ص٥٦٨.

القواد: كيف ينزل؟ فقال أثبته فوق حتى أصف لك النزول. فقال الرجل أثبته فوق، فقال إسحاق قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] فقال ابن طاهر: هذا يا أبا يعقوب يوم القيامة. فقال: ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟ ا.هـ[1]. من كتاب «العلو».

وهذا الذي قاله إسحاق رحمه الله تعالى هو الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة كما قدمنا عنهم في جميع نصوص الصفات، وأن مذهبهم إمرارها كما جاءت، والإيمان بها بلا كيف.

وإنه يجيء يوم الفصل كما يشاء للقضاء العدل

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقال تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥] وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

وفي حديث الصور المشهور الذي ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ وفيه: «إن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحداً واحداً من آدم فمن بعده، فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد ﷺ، فإذا جاءوا إليه قال: أنا لها أنا لها، فيذهب فيسجد لله تعالى تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعدما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة، وينزل حملة العرش والكروبيون. قال: وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام ولهم زجل من تسبيحهم يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، سبوح قدوس سبحان

(١) انظر مختصر العلو للشيخ الألباني ص ١٩١-١٩٣ وأشار إلى صحتها ووثق نسبتها إلى السلف الصالح.

ربنا الأعلى، سبحان ذي السلطان والعظمة، سبحانه سبحانه أبداً أبداً»[١]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي» رواه ابن منده وقال الذهبي إسناده حسن[٢]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال «إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد» رواه مسلم[٣]. وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يهبط الرب تعالى من السماء السابعة إلى المقام الذي هو قائمه، ثم يخرج عنق من النار فيظل الخلائق كلهم فيقول: أمرت بكل جبار عنيد، ومن زعم أنه عزيز كريم، ومن دعا مع الله إلهًا آخر» رواه أبو أحمد العسال في كتاب السنة[٤]. وفي الصحيحين من حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يتبع الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها ـ أو منافقوها ـ شك إبراهيم، يعني ابن سعد الراوي عن ابن شهاب ـ فيأتيهم الله تعالى فيقول: أنا ربكم. فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه. ويضرب الصراط بين ظهري جهنم»[٥] وذكر الحديث بطوله. ولهما نحوه من حديث أبي سعيد، وفيه: «حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم، وإنا سمعنا مناديًا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا. فلا يكلمه إلا

---

(١) ذكر في الشفاعة.

(٢) تقدم.

(٣) رواه الترمذي (٤/ ٥٩٢) من حديث أبي هريرة بلفظ «إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، ومسلم ح (١٩٠٥) بلفظ «أول ما يقضى يوم القيامة عليه ثلاث . . .».

(٤) ذكره ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٤٦) من حديث أسماء بنت يزيد، وفي سنده شهر بن حوشب وقد ضعف حديثه، وأبان بن أبي عياش متروك الحديث.

(٥) رواه البخاري (١٣/ ٤٣٠) ح (٧٤٣٧) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ومسلم ح (١٨٢).

الأنبياء. فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن. ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا»[1] وذكر الحديث، والأحاديث في هذا كثيرة، قال الذهبي رحمه الله تعالى: أحاديث نزول الباري متواترة قد سقتُ طرقها وتكلمتُ عليها بما أسأل عنه يوم القيامة.

رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

وأنه يرى بلا إنكار — في جنة الفردوس بالأبصار
كل يراه رؤية العيان — كما أتى في محكم القرآن
وفي حديث سيد الأنام — من غير ما شك ولا إيهام
رؤية حق ليس يمترونها — كالشمس صحوا لا سحاب دونها
وخُصَّ بالرؤية أولياؤه — فضيلة وحجبوا أعداؤه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] وقال تعالى: في شأن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فإذا حجب أولياؤه فأي فضيلة لهم على أعدائه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٥ ـ ٥٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٢، ٢٣] وهذه الآيات صريحة الدلالة على رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى لا تقبل تحريفًا، ولا تأويلاً ولا يردها إلا مكابر قد ختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله.

وقد تواترت الأحاديث بمعنى ما تضمنته هذه الآيات رواها أئمة السنة والحديث في دواوين الإسلام عن فضلاء الصحابة وأجلائهم: كأبي بكر الصديق، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجرير بن عبدالله، وصهيب، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب وأبي موسى، وأنس، وبريدة بن الحصيب، وأبي رزين، وجابر بن عبدالله، وأبي أمامة

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٤٣١) ح (٧٤٣٩)، ومسلم ح (٣٠٢).

وزيد بن ثابت، وعمـار بن ياسر، وعائشـة، وعبدالله بن عـمر، وعمـار بن رويبة، وسلمان الفـارسي، وحذيفة بن اليـمان، وعبدالله بن عـباس، وعبدالله بن عـمرو بن العاص، وعـبادة بن الصـامت، وأبي بن كعـب، وكعب بن عجـرة، وأبي الدرداء، وفضالة بن عبيد، وعـدي بن أرطأة، وأبي موسى الأشعري وغيرهم ﷺ . وهذا أوان سردها فألق سمعك وأحـضر قلبك، وتأملها تأمل طالب للحق لا نافر عنه، وكن من الذين يستـمعون القول فـيتبعـون أحسنه، وإياك وسوء الظن بكلام الله وكـلام رسوله فذلك الهلكة ومـا ضل من ضل وهلك من هلك إلا لسوء ظنه بـالكتاب والسنة والله المستـعان وعليه التكلان ولا حـول ولا قوة إلا به. فعن أبي بكر الصـديق ﷺ قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغـداة فجلس حتى إذا كان الضـحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس مكانه حـتى صلى الأولى، والعـصر والمغـرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العـشاء الأخيرة ثم قام إلى أهله، فـقال الناس لأبي بكر ﷺ : ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه، صنع اليوم شيئًا لم يصـنعه قط. قال فسأله فقال: نعم عُرِض عليَّ مـا هو كائن من أمر الدنيا والآخـرة فجمع الأولون والآخرون في صـعيد واحد فقطع الناس بذلـك حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ والعرق يكاد يلجمـهم فقالوا: يا آدم أنت أبو البشـر وأنت اصطفاك الله عـز وجل، اشفع لنا إلى ربك عـز وجل. قال لقد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] قال فـينطلقون إلى نوح ﷺ فيـقولون: اشفع لنا إلى ربك فأنت اصـطفاك الله واستجـاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارًا، فيـقول: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ فإن الله اتخذه خليلاً فينطلقون إلى إبراهيم ﷺ فيقول: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى موسى ﷺ فإن الله عز وجل كلمـه تكليما، فيـقول موسى ﷺ : ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى عـيسى ابن مريم ﷺ فإنه كـان يبرىء الأكمـه والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عـيسى: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى سيد ولد آدم، انطلقـوا إلى محمد ﷺ فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل. قـال فينطلق فيأتي جبريل ربه تبارك وتعـالى فيقول الله عز وجل: ائذن له وبشره بالجنة، فينطلق به جبريل ﷺ فيخر ساجـدًا قدر جمعة ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع، قال فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه عز وجل خر ساجدًا قدر جمعة أخرى فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك

وقل تسمع واشفع تشفع. قال فيذهب ليضع ساجداً فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئًا لم يفتحه على بشر قط فيقول أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه يرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة. ثم يقال ادعوا الصّدّيقين فيشفعون، ثم يقال ادعوا الأنبياء قال فيجيء النبي ومعه العصابة والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا قال فإذا فعلت الشهداء ذلك قال فيقول الله عز وجل: أنا أرحم الراحمين، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئًا. قال فيدخلون الجنة. قال ثم يقول الله عز وجل: انظروا في أهل النار هل تلقون من عمل خيراً قط؟ قال فيجدون في النار رجلاً فيقولون له هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع. فيقول الله عز وجل: اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي. ثم يخرجون من النار رجلاً فيقولون له: هل عملت خيراً قط؟ فيقول: لا، غير أني أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني في النار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذروني في الريح فوالله لا يقدر عليّ رب العالمين أبدًا. فقال الله عز وجل له: لم فعل ذلك؟ قال من مخافتك. قال فيقول الله عز وجل انظر إلى ملك أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال فيقول أتسخر بي وأنت الملك؟ قال ﷺ وذلك الذي ضحكت منه الضحى» رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر» قالوا لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب» قالوا لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم. فيقولون نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا عز وجل، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤، ٥) من حديث أبي بكر الصديق وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازي. فإذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله. فيعرفونهم بأثر السجود وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول لا أسألك غيره، فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله تعالى: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك. فيقول أي رب لا أكون أشقى خلقك. فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنَّ. فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكِّره فيقول له تمن كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل ذلك لك ومثله معه» قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه. قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئًا، حتى إذا حدث أبو هريرة قال: إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله، قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة، قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله: «ذلك لك ومثله معه»، قال أبو سعيد: أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: «ذلك لك وعشرة أمثاله» قال أبو هريرة وذلك آخر أهل الجنة دخولاً الجنة(١). ولهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم هل تضارّون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس فيها سحاب؟» قالوا لا يا رسول الله. قال: «ما تضارون

(١) تقدم تخريجه وهو في صحيح البخاري ح (٧٤٣٧) ومسلم رقم (١٨٢).

في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا. فيشار إليهم ألا تردون. فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار. ثم يقال للنصارى ما كنت تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم ماذا تبغون؟ فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا. فيشار إليهم ألا تردون. فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال فما تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول أنا ربكم. فيقولون نعوذ بالله منك ولا نشك بالله شيئًا (مرتين أو ثلاثًا) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا. ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة. قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال دحض مزلة وخطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم. حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا. فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير

فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثم يقال: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا قط. وكان أبو سعيد ﷺ يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخضير. وما يكون منها إلى الظل أبيض؟ فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية. قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة. فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول تعالى رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(١). وفيهما عن جرير بن عبدالله ﷺ قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا»(٢). وفي صحيح مسلم عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل تريدون شيئًا أزيدكم؟ يقولون ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾(٣). وللطبراني عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) تقدم تخريجه وهو صحيح البخاري ح (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٦) (١٣/ ٤٣٠) ك: التوحيد، ب: قول الله تبارك وتعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ من حديث جابر بن عبدالله، ومسلم (١/ ٤٣٩) ح (٦٣٣) ك: المساجد، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، وأحمد (٤/ ٣٦٠) وابن ماجه: ١٧٧.

(٣) رواه مسلم (١/ ١٦٣) ح (١٨١) من حديث صهيب، ك: الإيمان، ب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، والترمذي ح (٢٥٥٢، ٣١٠٥) وابن ماجه (١٨٧).

«يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أن يولى كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا بلى، قال: فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون: فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير، ويبقى محمد ﷺ وأمته فيأتيهم الرب عز وجل فيقول: ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال فيقولون: إن لنا إلهًا ما رأيناه بعد. فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه. قال فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساق، فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجداً، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ثم يقول: ارفعوا رءوسكم، فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نوراً مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه ومشى وإذا طفىء قام، والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف قال ويقول: مروا، فيمرون على قدر نورهم، منهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب. ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم من يمر كشد الرجل، حتى يمر الذي أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلص وقف عليها ثم قال: الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد أن رأيتها قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول: رب أدخلني الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول: يا رب اجعل

بيني وبينها حجابًـا لا أسمع حسيسها. قال فـيدخل الجنة. قال ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأنما الذي هو فيه إليه حلم ليدخـله فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول فلعلك إن أعطيـتكه تسأل غيـره، فيقـول لا وعزتك لا أسأل غـيره، وأي منزل يكون أحسن منه.

قال فيعطـاه فينزله، قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخـله فيقول: أي رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله عز وجل: فلعلك إن أعطيـتكه تسأل غيره. قال: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منـه. قال فيعطاه فينزله. قال ويرى أو يرفع له أمام ذلـك منزل آخر كأنما الذي هو فـيه إليـه حلم فيقـول: رب أعطني ذلك المنزل. فيقول الله جل جلاله: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره. قال لا وعزتك لا أسأل غيـره، وأي منزل يكون أحسن منه؟ قـال فيـعطاه فينزله ثم يسكت. فـيقـول الله عز وجل: ما لك لا تسأل؟ فيـقول: رب قد سألتك حتى استحييـتك وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول الله عز وجل: ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعـشرة أضعافه. فيـقول: أتستهزىء بي وأنت رب العزة؟ فـيضحك الرب عز وجل من قوله. قال فرأيت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك. فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن قد سـمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغت هذا المكان من هذا الحديث ضحكت. فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يحدث بهذا الحديث مـراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبـدو أضراسه. فقال فيقول الرب عز وجل: لا ولكني على ذلك قادر، سل. فيقول: ألحقني بالناس. فيقول الحق بالناس. قال فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخـر ساجدًا، فيـقال له: ارفع رأسك مالك؟ فيـقول: رأيت ربي، أو تراءى لي ربي. فيقال: إنما هو منزل من منازلك. قال ثم يلقى فيها رجلاً فـيتهيأ للسجود فيقال له مه. فيقول رأيت أنك ملك من الملائكة، فيقول له: إنما أنا خازن من خزانك، عبد من عبيدك، تحت يدي ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه. قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر، قال وهو في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جـوهرة تفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى، في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها كبدها مرآته وكـبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في

عينه سبعين ضعفًا عما كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفًا، فتقول له: والله والله وأنت لقد ازددت في عيني سبعين ضعفًا. فيقال له: أشرف قال فيشرف، فيقال له ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره» قال فقال عمر رضي الله عنه: ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً، فكيف أعلاهم؟ قال كعب: يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، إن الله عز وجل جعل دارًا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة. ثم قرأ كعب: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ قال: وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واها لهذه الريح، هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه. فقال: ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها. فقال كعب: والذي نفسي بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه، حتى إن إبراهيم خليل الله يقول: «رب نفسي نفسي» حتى لو كان لك عمل سبعين نبيًا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو»[(1)]. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبدالله بن أحمد والطبراني والدارقطني رحمهم الله تعالى. وروى يعقوب بن سفيان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة» وذكر ما يعطون قال: «ثم يقول الله تبارك وتعالى: اكشفوا حجابًا، فيكشف حجاب ثم حجاب، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿ولدينا مزيد﴾[(2)] وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب

---

(١) تقدم تخريجه، وقد ذكره الطبراني في الكبير ٩٨٦٣، والحاكم (٤/ ٥٨٩-٥٩٣)، وحسن إسناده الذهبي في العلو، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٢) سنده ضعيف، رواه اللالكائي، ح (٨٥٢) من طريق علي بن محمد بن أحمد بن بكر قال: أخبرنا الحسن بن عثمان قال ثنا يعقوب بن سفيان قال ثنا محمد بن المصفى قال ثنا سويد بن عبدالعزيز قال ثنا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب وذكر الحديث، فالحديث فيه:
عمرو بن خالد القرشي متروك ورماه وكيع بالكذب وسويد بن عبدالعزيز النمير السلمي لين الحديث.

آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[١]. ولأحمد عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله عز وجل الأمم في صعيد واحد يوم القيامة، فإذا بدا لله عز وجل أن يصدع بين خلقه مثل لك قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول ما تنتظرون؟ فنقول ننتظر ربنا عز وجل، فيقول وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول نعم إنه لا عدل له، فيتجلى لنا ضاحكًا فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهوديًا أو نصرانيًا مكانه»[٢] وفي رواية: «يتجلى لنا ربنا عز وجل ضاحكًا يوم القيامة». وللدارقطني عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يبعث الله يوم القيامة مناديًا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم: إن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه عز وجل»[٣] رواه الإمام أحمد وابن وهب. وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة. ثم أتى إليّ آخر فشكا إليه قطع السبيل. فقال يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها. قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أبدًا إلا الله عز وجل ـ قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعّارطئ الذين سعروا البلاد ـ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى. قلت كسرى بن هرمز؟ قال كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه. وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقولن

---

(١) رواه البخاري (١٣/٤٩١) ك: التوحيد، ب: ومن دونهما جنتان ح (٤٨٧٨). ومسلم (ح١٨٠) ك: الإيمان، ب: قوله عليه السلام: إن الله لا ينام.

(٢) رواه أحمد (٤/٤٠٧، ٤٠٨) من طريق حماد بن سلمة، والآجري في الشريعة ص ٢٦٣، ورواه عبدالله بن أحمد في السنة ح (٤٦٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح٧٥٥.

(٣) رواه اللالكائي (ح ٧٨٢) من طريق علي بن محمد بن عبدالله أخبرنا علي بن محمد البصري قال ثنا يوسف ابن يزيد قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا قيس بن الربيع عن أبان عن أبي غيمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى وساق الحديث.

والحديث سنده «ضعيف» لأن فيه راويان «ضعيفان».

الأول: «قيس بن الربيع» صدوق تغير لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به، راجع التقريب (٢/١٢٨)، والثاني: أبان بن أبي عياش: متروك الحديث، التهذيب (١/٩٧ـ١٠١)، ورواه الطبري في تفسيره (١١/١٠٥).

ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول بلى يا رب. فيقول ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم. قال عدي بن حاتم سمعت رسول الله ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة. قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ[(١)]. وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك ـ وفي لفظ فيلهمون لذلك ـ فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا عز وجل حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربَّه منها. ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله عز وجل. قال فيأتون نوحًا فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربَّه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً. فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربَّه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليمًا وأعطاه التوراة. فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربَّه منها، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته، فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال: قال رسول الله ﷺ: فيأتوني فأستأذن على ربي فيأذن لي، فإذا أنا رأيته فأقع له ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد، قل تُسمع وسل تُعط واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال فأقول: يا رب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن»[(٢)] أي وجب عليه الخلود، وفي رواية لابن خزيمة: «يلقى الناس يوم

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٧٠٦) ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام ح (٣٥٩٥) من حديث عدي بن حاتم، ورواه أحمد (٤/ ٢٥٧) مختصراً.

(٢) سبق تخريجه في حديث الشفاعة وهو عند البخاري (١٣/ ٤٧٣) ومسلم (١/ ١٨٠).

القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس، فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا ـ فذكر الحديث إلى أن قال ـ فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول: أنا لها، فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربي على عرشه فأخر ساجدًا»[١] وذكر الحديث، وفي رواية: «فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجدًا». وفي رواية: «فآتي ربي وهو على سريره ـ أو كرسيه ـ فأخر له ساجدًا». وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه: «فأستفتح، فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجدًا»[٢] وفي حديث أبي هريرة: «آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجدًا»[٣]. وللدارقطني عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: «النظر إلى وجه الله عز وجل»[٤]. وله عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل عليه السلام وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها فيها كالنكتة السوداء. فقلت ما هذه التي في يدك يا جبريل؟ قال هذه الجمعة. قلت وما الجمعة؟ قال لكم فيها خير كثير، قلت وما يكون لنا فيها؟ قال يكون عيدًا لك ولقومك من بعدك، ويكون اليهود والنصارى تبعًا لكم. قلت وما لنا فيها؟ قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئًا هو له قسم إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقسم إلا ذخر له في آخرته ما هو أعظم منه. قلت ما هذه النكتة التي فيها؟ قال هي الساعة، ونحن ندعوه يوم المزيد. قلت وما ذاك يا جبريل؟ قال إن ربك اتخذ في الجنة واديًا فيه كثبان من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسي بكراسي من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ويحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء الصديقون

---

(١) ذكره ابن خزيمة في التوحيد وإثبات صفات الرب ص٣٠١، والحديث دليل واضح على إثبات علو الله عز وجل، وإسناده صحيح لأن المعتمر بن سليمان ثقة، والحسين بن الحسن ثقة.

(٢) رواه ابن خزيمة في التوحيد ص (٣٠٣) من طريق محمد بن بشار بندار، ومحمد بن رافع وهذا حديث بندار قال ثنا حماد بن مسعدة قال ثنا ابن عجلان عن حوثة بن عبيد عن أنس وساق الحديث، وسنده صحيح، لأن حماد بن مسعدة ثقة.

(٣) سبق تخريجه وهو حديث الصور.

(٤) رواه اللالكائي في السنة ح (٧٧٩) والخطيب في تاريخه (٩/ ١٤٠)، ورواه اللالكائي من طريق محمد بن عبدالرحمن قال: ثنا إسماعيل بن العباس الوراق قال: ثنا الحسن بن عرفة قال ثنا سليم بن سالم البلخي عن نوح بن أبي مريم عن ثابت عن أنس، والحديث سنده ضعيف لضعف «مسلم بن سالم البلخي» وقال البخاري نوح بن أبي مريم منكر الحديث.

والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان، ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، فسلوني. فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة. ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرًا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة» هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول، وجمل به الشافعي مسنده[(١)]. ورواه محمد بن إسحاق[(٢)] وعمرو بن أبي قيس، وفيه: «فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكراسي بمنابر من نور، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها. ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب. قال: ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، سلوني. فيسألونه الرضا. قال: رضاي أنزلكم داري وأنالكم كرامتي. سلوني. فيسألونه الرضا. قال فيشهدهم بالرضا. ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم». وذكر الحديث.

ورواه علي بن حرب والحسن بن عرفة وفي روايته: «ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم» ورواه الدارقطني أيضًا من طريق آخر عن أنس ﷺ قال: بينا نحن حول رسول الله ﷺ إذ قال: «أتاني جبريل في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء، قلت يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون لك عيدًا ولأمتك من بعدك. قال قلت: يا جبريل ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هي الساعة، وهي تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد. قال قلت: يا جبريل ولم

---

(١) رواه الدارقطني في الرؤية ح (٥٩)، وابن القيم ص (٢٧٨) في (حادي الأرواح) والشافعي في مسنده ص(١٢٦، ١٢٧) من طريق إبراهيم بن محمد، حدثني: موسى بن عبيدة حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة، عن عبيد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك وساق الحديث بنحوه وهذا الإسناد ضعيف لأن إبراهيم بن محمد وهو شيخ الشافعي متهم بالكذب، وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف.

(٢) ذكره ابن القيم في (حادي الأرواح ص ٢٧٠٨) وإسناده ضعيف لأن فيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

تدعونه يوم المزيـد قال: إن الله اتخذ في الجنة واديًا أفـيح من مسك أبيض، فـإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كـرسيه أعلى ذلك الوادي وقد حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللـة بالجـوهر وقـد حـفت تلك المنابر بكراسـى من نور، ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير حتى ينتـهوا إلى ذلك الوادي، فإذا اطمأنوا فيـه جلوسًا بعث الله عز وجل عليهم ريحًا يقال لها المثـيرة فأثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم، وهم يومئـذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صـورة آدم يوم خلقه الله عز وجل، فـينادي رب العزة تبـارك وتعالى رضوانًا ـ وهو خـازن الجنة ـ فيـقول: يا رضوان ارفع الحـجب بيني وبين عبـادي وزواري. فإذا رفع الحجب بينـه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسـجود، فيناديهم تبارك وتعالى بصوته: ارفـعوا رءوسكم فإنما كانت العبـادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء. سلوني ما شـئتم. فأنا ربكم الذي صدقـتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمـتي، فهذا محل كـرامتي، فسلوني ما شـئتم، فيقـولون: ربنا وأي خير لم تفـعله بنا، ألست أعنتنا على سكرات الموت، وآنست منا الوحشـة في ظلمات القـبور، وآمنت وحـشتنا عند النفـخة في الصـور؟ ألست أقلت عثراتنا، وسترت علينا القبـيح من فعلنا، وثبت على جسر جهنم أقدامنا؟ ألست الذي أدنيتنا من جـوارك، وأسمعتنا لـذاذة منطقك، وتجليت لنا بنورك؟ فأي خيـر لم تفعله بنا؟ فنعوذ بالله عـز وجل. فيناديهم بصوته: أنا ربكم الذي صدقـتكم وعدي وأتممت عليكم نعمـتي، فسلوني. فيـقولون: نسألك رضاك. فـيقول تعـالى: برضائي عنكم أقلتكم عثراتكم وسـترت عليكم القبيح من أموركم وأدنيت مني جواركـم وأسمعتكم لذاذة منطقي وتجليت لكم بنوري، فهذا محل كرامتي، فـسلوني. فيسألونه حتى تنتهي رغبتـهم. ثم يقول عز وجل: سلوني، فـيقولون: رضينا ربنا وسلمنا، فـيزيدهم من مزيد فضله وكرامته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمـعة. قال أنس ﷺ فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، وما مقدار تفرقهم؟ قال: كقدر الجمعة إلى الجمعة. قال ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيـون، ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهمـا غرفتان من زمردتين خـضراوين وليـسوا إلى شيء أشـوق منهم إلى الجمـعة لينـظروا إلى ربهـم تبـارك وتعالى وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته». قال أنس ﷺ: سمعته من رسـول

الله ﷺ وليس بيني وبينه أحد. ورواه أيضًا من طريق آخر[١].

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو بكر بن خزيمة وابن بطة في الإبانة وغيرهم وقد جمع ابن أبي داود طرقه[٢]. ولإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان»[٣]. وللإمام أحمد وأبي داود عن أبي رزين رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ قال: «نعم» قلت: وما آية ذلك في خلقه قال: «أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر؟ قلنا نعم، قال: «الله أكبر وأعظم»[٤] وللإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه وقد سئل عن الورود فقال: نحن يوم القيامة على كذا وكذا. أي فوق الناس فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول ومن تنتظرون؟ فيقولون ننتظر ربنا عز وجل، فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك. قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطي كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ويذهب حراقه، ثم يسأل

---

(١) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح ص٢٧٩، والدارقطني في الرؤية ح (٦٤) من طريق أنس وفي إسناده مقال.

(٢) ذكره ابن القيم ص٢٨١ في حادي الأرواح؛ وذكره أبو يعلى في مسنده بنحوه (٧/ ٢٢٨) من حديث أنس بن مالك.

(٣) رواه اللالكائي ح (٨٥٣) من طريق جعفر بن عبدالله بن يعقوب قال أخبرنا محمد بن هارون الروياني قال ثنا محمد بن إسحاق قال ثنا عبدالعزيز بن أبان قال ثنا بشر بن مهاجر بن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال وساق الحديث، والحديث سنده ضعيف بسبب «عبدالعزيز بن أبان» متروك الحديث وكذبه ابن معين التقريب (١/ ٥٠٨) و«بشير بن مهاجر» لين الحديث ورمي بالإرجاء التقريب (١/ ١٠٣)، والحديث صحيح عن عدي ابن أبي حاتم، ورواه ابن خزيمة في التوحيد رقم: ٢١٦.

(٤) رواه ابن ماجه في المقدمة ح (١٨٠) من حديث أبي رزين بنحوه، وفي سنده وكيع بن حدس في التقريب «مقبول» ويقال وكيع بن عدس، وأبي داود (٤/ ٢٣٤) من حديث أبي رزين، وأحمد (٤/ ١٢٢١١) ورواه الحاكم من حديث أبي رزين (٤/ ٥٦٠) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في ظلال الجنة ح (٢٦٠).

حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها» ورواه مسلم في صحيحه(١). وفي رواية: «نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق» ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين. ولعبد الرزاق عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون له سجداً فيقول: ارفعوا رءوسكم فليس هذا بيوم عبادة»(٢). وللدارقطني عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكًا»(٣). ولأبي قرة عنه ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم» فذكر الحديث وفيه: «فيقول أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه؟ فيقولون نعم، فيقول وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له. قال فيتجلى تبارك وتعالى فيخرون له سجداً»(٤). وفي سنن ابن ماجه عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال تعالى: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قوله عز وجل: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره(٥). وللبيهقي عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف، فقال تعالى: يا أهل الجنة سلوني. قالوا: نسألك الرضا عنا. قال تعالى: رضائي أحلَّكم داري وأنالكم كرامتي، هذا أوانها فسلوني. قالوا: نسألك الزيادة. قال فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار، فتجيء جواري الحور العين وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فتثير عليهم ريحًا يقال

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٧٧، ١٧٨) ح (١٩١) ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها من حديث جابر بن عبدالله، ورواه أحمد (٣/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) ذكره ابن القيم في (حادي الأرواح) ص ٢٨٢، وعزاه إلى عبدالرزاق، وفي سنده أبو الزبير وهو محمد بن مسلم بن تدرس صدوق إلا أنه يدلس، ورواه الدارقطني ح (٥٢).

(٣) رواه الدارقطني في الصفات رقم (٣٣) وفي سنده ابن لهيعة، وهو إحدى طرق حديث جابر السابق.

(٤) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح ص ٢٨٣، من طريق جابر، وفي سنده أبو الزبير صدوق إلا أنه يدلس.

(٥) وقد سبق تخريج هذا الحديث وقال عنه ابن الجوزي في كتاب الموضوعات حديث موضوع على رسول الله لأن فيه أبو عاصم العباداني وهو لين الحديث، والفضل الرقاشي وهو ساقط (الموضوعات ٣/ ٢٦٠).

له المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم، فيقول: مرحبًا بالصادقين ومرحبًا بالطائعين. قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضًا. ثم يقول: أرجعوهم إلى القصور بالتحف، فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضًا» فقال رسول الله ﷺ: «فذلك قوله تعالى: ﴿نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]» رواه في كتاب البعث والنشور وفي كتاب الرؤية[١]. وللدارقطني عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة»[٢]. ولابن وهب والدارقطني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ يومًا فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه ويحدثنا عنه، حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: «إن الله عز وجل لم يبعث نبيًا إلا حذره أمته، وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرىء حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يمينًا وعاث شمالاً: يا عباد الله اثبتوا. وإنه يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي. ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه مكتوب بين عينيه «كافر» يقرأه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وليقرأ فواتح سورة الكهف. وإنه يسلط على نفس من بني آدم فيقتلها ثم يحييها، وإنه لا يعدو ذلك، ولا يسلط على نفس غيرها. وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن بردًا وسلامًا كما كانت بردًا وسلامًا على إبراهيم، وإن أيامه أربعون يومًا: يومًا كسنة ويومًا كشهر ويومًا كجمعة ويومًا كالأيام وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر» قالوا: فكيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال: «تقدرون كما تقدرون في الأيام الطوال»[٣]. وللإمام أحمد وأبي داود عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن

---

(١) هذا الحديث هو إحدى روايات الحديث السابق وسنده كسابقه وعلته كذلك.

(٢) ذكره ابن القيم ص ٢٨٤ في حادي الأرواح، والدارقطني في الرؤية ح (٤٨) ورواه ابن حبان في المجروحين وقال: على بن عبدة بن قتيبة كان يسرق الحديث، ويعمد إلى كل حديث رواه ثقة يرويه عن شيخ ذلك الشيخ (٢/ ١١٥) وقال الدارقطني: كان يضع الحديث، ورواه ابن عدي في كامله (٥/ ١٨٥٨) من طريقه وقال هذا حديث باطل.

(٣) ذكره ابن القيم (حادي الأرواح ص ٢٨٤) وفي سنده عمرو بن عبدالله الحضرمي قال ابن حجر مقبول انظر التقريب (٢/ ٧٤)، ورواه ابن ماجه (٢/ ١٣٥٩) ح (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة الباهلي، والحديث له =

رسول الله ﷺ علمه دعـاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قـال: «قل حين تصبح: لبيك اللهم لبيك وسعديك، والخير في يديك، ومنك وإليك، اللهم وما قلتُ من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشـيئتك بين يديه، ما شئتَ كـان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قـوة إلا بك إنك على كل شيء قدير. اللهـم وما صليت من صـلاة فعلى مـن صليتَ وما لعـنتُ من لعنة فـعلى من لعنتَ، أنت وليي في الدنيـا والآخرة، توفني مـسلمًا وألحـقني بالصالحين. أسألك اللهـم الرضا بعد القـضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقـائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مـضلة. أعوذ بك اللـهم أن أَظلم أو أُظلم أو أعتـدي أو يُعتدى علـيّ أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنبًا لا تغفره. اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام، فإني أعهد إليك في هذه الحيـاة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً، أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شـريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق، وأن لقاءك حق، والجنة حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنت تبعث من في القبور. وأشهد أنك إن تكلني إلى نفـسي تكـلني إلى ضـيعـة وعـورة وذنب وخطيـئـة، وإني لا أثق إلا برحمتك، فـاغفر لي ذنبي إنه لا يغفـر الذنوب إلا أنت، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»[1]. وللإمام أحمد وابن حـبان والحاكم في صحيحيهـما عن أبي مِجلَز قال: صلى بنا عـمار ﷺ صـلاة فأوجـز فيـهـا، فأنكروا ذلك، فـقال: ألم أتم الركـوع والسجود؟ قالوا: بلى. قال: أما إني قد دعـوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: «اللهم بعلمك الغـيب وقدرتك على الخلق، أحـيني ما علمت الحـياة خـيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفـقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائـك في غير ضـراء مضـرة ولا فتنة مـضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان واجـعلنا هداة مهتدين». وأخرجه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد»[2]. وفي صحيح الحاكم عن عائشة

= شواهد تقويه عند مسلم من حديث النواس بن سمعان.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٩١) من طريق أبي بكر عن ضمـرة بن حبيب ورواه اللالكائي بسنده ح (٨٤٦) وفيه أبو بكر بن أبي مريم ضعفه ابن معين وأحمد وابن سعد. . ، وقال الدارقطني: متروك، (التهذيب ١٢/ ٣٢٠) فسنده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٦٤) من حديث عمار بن ياسر، والحاكم (١/ ٥٢٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

رضي الله عنها قالت: قـال رسول الله ﷺ لجابر: «يا جـابر، ألا أبشرك؟ قـال بلى بشرك الله بخير. قال شعـرت أن الله أحيا أباك، قال فأقعده بين يديه فقـال: تمنّ عليّ عبدي ما شئت أعطكه. قال يـا رب ما عبدتك حق عبـادتك، أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبـيك فأقتل فيك مـرة أخرى. قال تعالى: إنه قد سلـف مني أنك إليها لا ترجع» وهو في المسند من حديث جابر(١). وللترمذي عنه رضي الله عنه قـال: لما قتل عبدالله ابن عمرو بن حـرام يوم أحد قال رسول الله: يا جابر ألا أخبـرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟ قال: بلى. قـال: ما كلم الله عز وجل أحدًا إلا من وراء حـجاب وكلم أباك كفاحًا فقـال: يا عبدي تمن علي أعطك، قال يا رب تحييني فأقـتل فيك ثانية. قال إنه قد سبق مني أنـهم لا يرجعون. قال: يا رب فأبلغ من ورائي. فـأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا﴾ الآية. قال الـترمذي: هذا حـديث حسن غريب. قلـت: وإسناده صحيح(٢). وللترمـذي والطبراني عن ابن عـمر رضي الله عنهما قال: قـال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصـاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجـه وسرره وخدمـه، وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجـه الله تبارك وتعالى كـل يوم مرتين»(٣). وفي رواية ابن عرفـة: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾(٤)، وفي رواية سعيد بن هشيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعـالى» ورواه الدارقطني(٥). وله عنه رضي الله عنه قال: سـمعت رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٢٠٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يـخرجاه، ولم يوافقه الذهبي وقال «فيض بن وثيق» كذاب، وابن ماجه (١/٦٨) ح (١٩٠) قال السندي: هذا حديث حسن غريب وأحمد (٣/٣٦١) وفي سنده عبدالله بن محمد بن عقيل، والحديث حسن بالذي بعده.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٣٠)ح (٣٠١٠) ك: تفسير القرآن، ب: سورة آل عمران. قال: أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه ح (١٩٠) وقال السندي: حسن غريب، والحاكم (٣/ ٢٠٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/٦٨٨) ك: صفـة الجنة، ب: ١٧، من حديث ابن عمر ح (٢٥٥٣)، وفي سنده ثوير بن أبي فاختة وهو واه الحديث، والحـاكم (٢/ ٥٠٩، ٥١٠) وفي سنده ثوير قال الذهبي: بل هو واهي الحديث. ورواه اللالكائي ح (٨٤١).

(٤) ذكره ابن القيم (حـادي الأرواح ص ٢٨٧) من طريق الحسن بن عرفة بن شبـابة عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا، وفي سنده ثوير بن أبي فاختة واهي الحديث ورمى بالتشيع.

(٥) ذكره ابن القيم (حادي الأرواح ص٢٨٧) من طريق سعيـد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كريز بن حكيم عن نافع عن ابن عمر، وأخرجه الدارقطني ح (١٧٥).

يقول: «ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فذكر الحديث إلى أن قال: «حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل فيقول: يا أهل الجنة، هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا، فيتجاوبون بتهليل الرحمن، فيقول تبارك وتعالى لداود: يا داود قم فمجدني، فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل»[1]. وروى عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي عن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ: «إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن عز وجل فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن عز وجل»[2]. وقال الترمذي رحمه الله: حدثنا محمد بن إسماعيل أخبرنا هشام بن عمار أخبرنا عبدالحميد ابن حبيب بن أبي العشرين أخبرنا الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة: أسأل الله تعالى أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيهم من دنيء - على كثبان المسك والكافور. وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا. قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، وهل نرى ربنا. قال: نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا. قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله تعالى محاضرة حتى يقول للرجل منهم: يا فلان ابن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبسعة مغفرتي بلغتَ منزلتك هذه. فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط، ويقول

---

(١) ذكره ابن القيم (حادي الأرواح ص٢٨٧) والحديث إسناده منقطع لأن في سنده حماد بن جعفر ولم يسمع من عبدالله بن عمر وهو قول ابن حجر في التقريب.

(٢) ذكره ابن القيم (حادي الأرواح ص ٢٨٨) وإسناده ضعيف، لأن في سنده حماد بن جعفر قال ابن حجر: لين الحديث.

ربنا عز وجل: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم. فنأتي سوقًا قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب، فيحمل إلينا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى. وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا. قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فيهم دنيء فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها. ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحبًا وأهلاً، لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه. فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا» هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلت: ابن أبي العشرين كاتب الأوزاعي. قال أحمد وأبو حاتم ثقة، وقال النسائي: ليس بذاك القوي، وقال البخاري ربما يخالف في حديثه، وفي التقريب صدوق ربما أخطأ، وأما بقية رجاله فلا يسأل عنهم. ورواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم[1]. ولابن بطة عن عمار بن روية ﷺ قال: نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم على أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا»[2]. وفي رواية له عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا»[3]. ولأبي معاوية عن سلمان الفارسي ﷺ قال: «يأتون النبي ﷺ فيقولون: يا نبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك. فيقول: نعم أنا صاحبكم، فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع، فيقال من هذا، فيقول محمد ﷺ، قال فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله عز وجل فيستأذن في السجود: فيؤذن له»[4] الحديث. ولابن بطة والبزار عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٨٥) ك: صفة الجنة، ب: ما جاء في صفة أبواب الجنة، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه (٢/ ١٤٥٠) ح (٤٣٣٦) ك: الزهد ب: صفة الجنة.

(٢) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح ص ٢٨٨ وله شاهد في الصحيحين من حديث جابر.

(٣) ذكره ابن القيم ص ٢٨٨.

(٤) ذكره ابن أبي عاصم في السنة رقم (٨١٣) وصححه الشيخ الألباني.

فإذا في كفه مـرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكـتة سوداء، قال: قلت يا جبريل مـا هذه؟ قال: هذه الدنيا صفـاؤها وحسنها. قال: قلت وما هـذه اللمعة في وسطها؟ قـال: هذه الجمـعة. قـال قلت وما الجمـعة؟ قـال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخـرة. أما شرفه وفضله في الدنيا فإن الله تعالى جمع فيـه أمر الخلق، وأما ما يرجى فيـه فإن فيه ساعـة لا يوافقها عبـد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فـيها خيراً إلا أعطاهما إياه، وأما شرفه وفـضله واسمه في الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صيـر أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهـار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز ـ أو يخرج ـ فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد: يا أهل الجنة اخرجـوا إلى دار المزيد لا يعلم سعـته وطوله إلا الله تعـالى في كثبان من المسك. قال فيخرج غلمان الأنبـياء بمنابر من نور. ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت. قـال فإذا وضعت لهم وأخـذ القوم مجـالسهم بعث الله تبارك وتعـالى ريحًا تدعى المثـيرة تثـيـر عليهم آثار المسـك الأبيض تدخله من تحت ثيـابهم وتخرجـه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الـريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى.

قال ثم يوحي الله سبحانه وتعالى إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنّة وبينه وبينهم الحجب، فيكون أول مـا يسمعون منه أن يقول: أين عـبادي الذي أطاعوني في الغـيب ولم يروني وصـدقوا رسلي واتبـعـوا أمري؟ فـسلوني فـهذا يوم المزيد. قـال فيجتمعون على كلمة واحدة: ربنا رضينا عنك فارض عنا. قال: فيرجع الله تعالى في قولهم أن يا أهل الجنة لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي، فـهذا يوم المزيد فسلوني قال فيـجتمعون عـلى كلمة واحدة: رب وجهك، رب وجهك، أرنا نـنظر إليه. قال فيكشف الله تبارك وتعالى الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليـهم أن لا يحتـرقوا لاحـترقـوا مما غـشيـهم من نوره. قال ثم يقـال ارجعـوا إلى منازلكم، قال فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره، فإذا صاروا إلى منازلهم يزاد النور وأمكن، ويزاد وأمكن، حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها قال فيـقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها، قال فيـقولون: ذلك بأن الله تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به

عليكن. قال فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه، قال وذلك قوله عز وجل: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾[(١)]. ولابن مهدي عنه رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: النظر إلى وجه الله عز وجل[(٢)]. قال الحاكم رحمه الله تعالى وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع. ولابن خزيمة عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس رضي الله عنهما فقال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وله دعوة تعجلها في الدنيا. وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال: من أنت؟ فأقول أنا محمد، فآتي ربي وهو على كرسيه ـ أو على سريره ـ فيتجلى لي ربي فأخر له ساجداً»[(٣)]. ولأبي بكر بن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى في كل جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلسًا أسرعهم إليه يوم الجمعة، وأبكرهم غدواً»[(٤)]. وللصنعاني عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: خلق الله الملائكة لعبادته أصنافًا فإن منهم لملائكة قيامًا صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعًا خشوعًا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[(٥)]. وللدارمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن فضالة ـ يعني ابن عبيد رضي الله عنه ـ كان يقول: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة[(٦)]. وللإمام أحمد عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم

---

(١) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح (ص٢٨٩) وساق سنده وفي سنده القاسم بن مطيب قال فيه ابن حجر: لين.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٨١) من حديث ابن عباس، وقال الشيخ شاكر في تحقيقه على المسند إسناده صحيح، وذكره ابن القيم في حادي الأرواح ص٢٩٠.

(٣) أخرجه الدارقطني في الرؤية ح (٢٠٢) (٢٠٥) وهو حديث صحيح لغيره.

(٤) ذكره ابن القيم في (حادي الأرواح) ٢٩١.

(٥) أخرجه الدارقطني في كتاب الرؤية ح (٢٠٧).

(٦) رواه الطبراني (١٨/ ٣١٩) ح (٨٢٥)، قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٧٧) رجالهما ثقات.

حتى تموتوا»[١]. وقال الصاغاني حدثنا روح بن عبّادة حدثنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطأة يخطب على المنبر بالمدائن، فجعل يعظ حتى بكى وأبكى ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننتَ أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت، وتعال يا بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة، ولقد سمعت فلانًا ـ نسي عبّاد اسمه ـ ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيره فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكًا يسبح الله تعالى. قال: وملائكة سجود منذ خلق السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوف لم ينصرفوا عن مصافّهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لنا أن نعبدك»[٢]. فثبت بهذه الأحاديث المتواترة الصحيحة الصريحة أن الله عز وجل يرى في الآخرة كما يشاء، وأن الشهداء بعد موتهم يرونه، وأن الملائكة يرونه، وأن النبي ﷺ يراه عند استئذانه في الشفاعة، وأن أمة محمد ﷺ برهم وفاجرهم يرونه في عرصات القيامة، وهي للفاجر والمنافق ابتلاء وامتحان ونوع من العقوبة، وأما رؤية الفرح والسرور والتلذذ بالنظر إلى وجه الله عز وجل فهي خاصة لأوليائه المؤمنين الذين يؤذن لهم في السجود ويعطون النور التام على الصراط فيتبعونه. ثم يتجلى لهم في الجنة فيرونه كما يشاء، وهي الزيادة في يوم المزيد كما في الآيات السابقة وما في معناها من الأحاديث التي سردناها، وقد جاءت أحاديث صحيحة في تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل، منها حديث أبي موسى وحديث أنس وحديث حذيفة وحديث صهيب، وقد تقدم ذكرها قريبًا. وللدارقطني عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: النظر إلى وجه الله عز وجل[٣]. ولابن جرير عنه رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن «الزيادة» في كتاب

---

(١) رواه أبو داود (١١٧/٤) ح (٤٣٢٠) بنحوه من حديث عبادة بن الصامت، واللالكائي ح ٨٤٨، وسنده فيه بقية مدلس وقد صرح بالتحديث.

(٢) ذكره الخطيب في تاريخه (٣٠٦/١٢، ٣٠٧) من طريق الصاغاني، وفي سنده عباد بن منصور صدوق وكان يدلس وفي هذا الحديث صرح بالتحديث، وذكره ابن القيم في حادي الأرواح ص٢٩٢.

(٣) رواه اللالكائي ح (٧٨٠) من حديث أبي العالية، وسنده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي العالية، وهو صحيح لشواهده.

الله عز وجل قـوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال ﷺ: «الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل»(١). ولابن جرير عن كعب بن عجرة ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: «الزيادة النظر إلى وجه الرحمن عـز وجل جلاله». ورواه ابن حـميد عنه بلفظ: «الزيـادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى»(٢). وللحسن بن عرفـة عن أنس ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قـال: «للذين أحسنوا الـعمل في الدنيـا، والحسنى هي الجنة، والزيادة وهي النظر إلـى وجه الله عز وجل»(٣) وقد روي تفـسير «الزيادة» بالنظر إلى وجه الله عز وجل عن أبي بكر ﷺ وعلي بن أبي طالب وحذيفة ابن اليمـان وعبـدالله بن عباس وأبي مـوسى، وعن عبـادة بن الصامت وغـيرهم من الصحـابة ﷺ، وعن التابعـين عن سعيـد بن المسيب وعـبد الرحـمن بن أبي ليلى، وعبدالرحمن بن السـابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعـد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدِّي ومحمـد بن إسحـاق ومقاتـل وغيرهم رحمهم الله من السلف والخلف ولـولا خشـيـة الإطالـة لنقلنـا أقوالـهم بأسانيدها، وفـيما ذكـرنـا من المرفوع كـفايـة وبـالله التوفيق.

ذكر المنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ في هذا الباب(٤)

قال أبو بكر ﷺ وقرأ ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ فقالوا: مـا الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: النظر إلى وجه الله تبـارك وتعالى. وقال علي ﷺ: من تمام النعمة دخـول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته. وقـال حذيفة ﷺ: الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى. وقال عبدالله بن مسعود ﷺ: والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم الـقيامة كما يخلو أحدكم بالقـمر ليلة البدر، قال فيـقول: ما غـرك بي يا ابن آدم (ثلاث مرات). ماذا أجـبت المرسلين (ثلاث مرات).

---

(١) رواه ابن جرير (١١/١٠٧) في تفسيره.

(٢) رواه اللالكائي ح (٧٨١) من حديث عجرة، في سنده ضعف لضعف محمـد بن حميد، وإبراهيم المختار فيه مقال، وعطاء الخرساني لم يسمع كعب بن عجرة، وابن جريج مدلس.

(٣) رواه اللالكائي ح (٧٧٩) وسنده ضعـيف لأن فيه نوح بن أبي مريم وهو مـتروك الحديث، والحديث صـحيح لشواهده.

(٤) انظر اللالكائي في السنة ص٣/ ٤٥٥ـ٤٧٠، وحادي الأرواح لابن القـيم ص ٢٩٢ـ ٢٩٦ وابن أبي عاصم في السنة وابن خزيمة في التوحيد.

ماذا عـملت فيمـا علمت؟. وقال ﷺ: الزيادة النظر إلى وجه الله عـز وجل. وقيل لابن عبـاس ﷺ: كل من دخل الجنة يرى ربه عز وجل؟ قال: نعم. وقال مـعاذ بن جبل ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة في صعيـد واحد، فينادي: أين المتقون؟ فيقومون في كنف واحد من الرحمن تعـالى، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر. قـال أبو عفيف وهو الراوي عنه: من المتقون؟ قال: قوم اتقـوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة، فـيمرون إلى الجنة. وكان أبو هريرة ﷺ يقول: لـن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت. وقال ابن عـمر ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى مـلكه ألفي عام يرى أقصاه كـما يرى أدناه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجـه الله جل جلاله في كل يوم مـرتين. وكان فـضالة بن عـبيـد ﷺ يقول: اللهم إني أسـألك الرضا بـعد القضاء، وبرد العـيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك، وقد تـقدم هذا الدعاء عنه، وتقدم مـرفوعًا من حديث زيد بن ثابـت وعبادة بن الصامت ﷺ. وقـال أبو موسى ﷺ: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: الجنة، و«الزيادة» هـي النظر إلى وجه الله عز وجل. وكان ﷺ يحدث الناس فـشخصوا بأبصارهم، فقـال: ما صرف أبصاركم عني؟ قالوا: الهلال. قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله تعالى جهرة. وقال أنس بن مـالك ﷺ في قوله عـز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]: يظهر لهـم الرب تبارك وتعـالى يوم القيـامـة. وعن جابر ﷺ قـال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليـهم بالكرامة جـاءتهم خيول من ياقوت أحـمر لا تبول ولا تروث لهـا أجنحة، فيقـعدون عليها ثـم يأتون الجبار جل وعلا فإذا تجلـى لهم خروا له سجداً فيـقول: يا أهل الجنة ارفعوا رءوسكم، فقد رضيت عنكم رضاء لا سخط بعده.

ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى في ذلك

قال سعـيد بن المسيب والحسن وعـبدالرحمن بن أبي ليلى وعبـدالرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقتادة والسدِّي وكعب رحمهم الله تعالى: الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل. وكـتب عمـر بن عبـدالعزيز رحمـه الله إلى بعض عمـاله: أما بعـد فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته، والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حمّلك الله من دينه واستحفظك مـن كتابه، فإن بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعـته نجا أولياؤه من سخطه، وبهـا وافقوا أنبيـاءه، وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خـالقهم، وهي عصمة في الدنيـا من الفتن ومن كرب يوم القيامة. وقال الحسن رحمه الله تعالى: لو

علم العابدون في الدين أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا. وقال الأعمش وسعيد بن جبير رحمهما الله: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية. وقال كعب رحمه الله تعالى: ما نظر الله عز وجل إلى الجنة قط إلا قال: طيبي لأهلك، فزادت ضعفًا على ما كانت، حتى يأتيها أهلها. وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة، فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح المسك، ولا يسألون الرب تبارك وتعالى شيئًا إلا أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفًا، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك. وقال هشام بن حسان: إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة. وقال طاوس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة. وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعي: الزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى. وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى أنه تلا هذه الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا، فيقول الله عز وجل لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه، فيتجلى لهم تبارك وتعالى فلا يكون ما أعطوه عند ذلك بشيء، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦] بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى. وقال علي بن المديني: سألت عبدالله بن المبارك عن قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] قال عبدالله: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحًا ولا يخبر به أحدًا. وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عز وجل أحدًا عنه إلا عذبه، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥ ـ ١٧] قال: بالرؤية. وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبدالله منذ خمسين سنة فقلت: يا أبا عبدالله، إن عندنا قومًا من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» و«إن أهل الجنة يرون ربهم» فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟ وقال عقبة بن قبيصة: أتينا أبا نعيم يومًا فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب فقال: حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر

الثوري وزهير بن معاوية، وحدثنا حسن بن صالح بن حيّ، وحدثنا شريك بن عبدالله النخعي، هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة، حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى (يعني بشراً المريسي قبحه الله).

ذكر أقوال الأئمة الأربعة وطبقاتهم ومشايخهم[1] رحمهم الله تعالى

قال مالك بن أنس الإمام رحمه الله تعالى: الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم. وسئل رحمه الله عن قوله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]: أتنظر إلى الله عز وجل؟ قال: نعم، قال أشهب: فقلت إن أقوامًا يقولون تنظر ما عنده. قال بل تنظر إليه نظراً، وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ وذكر الطبراني وغيره أنه قيل لمالك: إنهم يزعمون أن الله لا يرى، فقال مالك: السيف السيف. وقال أبو صالح كاتب الليث: أملى علي عبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون، وسألته عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا، والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه، ونضرته إياهم: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٢٥] فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابًا لينضر بها وجوههم دون المجرمين وتفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم ﴿عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ لا يرونه، كما يزعمون أنه لا يرى، ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم. وقال الأوزاعي رحمه الله تعالى: إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهمًا وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أولياءه حين يقول: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله تعالى أولياءه. وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية فقالوا تمرُّ بلا كيف. وقال سفيان بن عيينة: من لم يقل إن القرآن كلام

---

(١) انظر اللالكائي في أصول الاعتقاد (٣/ ٤٦٤) وحادي الأرواح لابن القيم.

الله، وأن الله يرى في الجنة فهو جهمي. ذكره الطبري. وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال: لا يصلي خلف الجهمي، والجهمي الذي يقول لا يرى ربه يوم القيامة. وذكر ابن أبي حاتم عن جرير بن عبدالحميد أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظر إلى وجه الله عز وجل، فأنكره رجل، فصاح به وأخرجه من مجلسه. وذكر أيضًا عن ابن المبارك أن رجلاً من الجهمية قال له: يا أبا عبدالرحمن «خداراً بآن جهان جون بيند» ومعناه: كيف يرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين. وقال وكيع بن الجراح رحمه الله: يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا المؤمنون. وقال قتيبة بن سعيد رحمه الله تعالى: قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة: الإيمان بالرؤية، والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية. وقال أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وقد ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية: هي عندنا حق، رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا. إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا لا نفسر منها شيئًا ولكن نمضيها كما جاءت. وقال عبدالوهاب الوراق: سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال: أحلف عليها أنها حق. وقال محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ ؟ فقال الشافعي رحمه الله تعالى: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا، قال الربيع فقلت: يا أبا عبدالله وبه تقول؟ قال: نعم، وبه أدين الله عز وجل، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبدالله عز وجل. رواه الحاكم عن الربيع عنه. وروى الطبراني وغيره عن المَزني قال سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول في قوله عز وجل: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ : فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة. وقال محمد بن عبدالله بن الحكم: سئل الشافعي رحمه الله تعالى عن الرؤية، فقال: يقول الله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل. رواه أبو زرعة الرازي. ولابن بطة عنه رحمه الله تعالى قال: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم. وقال إسحاق بن منصور قلت لأحمد: أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح. وقال الفضل بن زياد سمعت أبا عبدالله ـ وقيل له تقول بالرؤية ـ فقال: من لم يقل بالرؤية فهو جهمي. وقال سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله لا يرى

في الآخرة فغضب غضبًا شديدًا ثم قال: من قال إن الله لا يرى في الآخرة فند كفر، عليه لعنة الله وغـضبه من كان من الناس، أليس يقـول الله عز وجل: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ وقال: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾. وقال أبو داود: سمعت أحمد رحمه الله تـعالى وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال: من قال إن الله لا يرى فهو كـافر. وقال أيضًا: سمعت أحمـد بن حنبل رحمه الله تعالى وقـيل له في رجـل يحـدّث بحـديث عن رجل عن أبي الـعطوف أن الله لا يرى في الآخرة فقال: لعن الله من يحدّث بهـذا الحديث اليوم، ثم قال: أخزى الله هذا وقال أبو بكر المروزي: قـيل لأبي عبـدالله تعرف عن يـزيد بن هارون عن أبي العطوف عن أبي الزبير عن جابر: إن استـقر الجبل فسوف تراني وإن لم يستـقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة؟ فغـضب أبو عبدالله غضبًـا شديدًا حتى تبين في وجهه، وكـان قاعدًا والناس حوله فأخذ وانتـعل وقال: أخزى الله هذا، هذا لا ينبغي أن يكتب. ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال: هذا جهـمي كـافر خالف ما قال الله عز وجل: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ وقال: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ أخزى الله هذا الخـبيث. قـال أبو عبـدالله: ومن زعم أن الله لا يرى في الآخرة فـقد كفر. وقال أبو طالب قال أبو عبدالله: قول الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفًا﴾ فمن قال الله لا يرى فقد كفر. وقال إسحـاق بن إبراهيم بن هانئ سمعت أبا عبدالله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهـمي، والجهمي كافر. وقال يوسف بن مـوسى بن محمد القطان قيل لأبـي عبدالله: أهل الجنـة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعـالى ويكلمونه ويكلـمهم؟ قال: نعم، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويـكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا. وقال حنبل بن إسحاق سمـعت أبا عبدالله يقول: القوم يرجعـون إلى التعطيل في أقوالهم، ينكرون الرؤية والآثار كلها، وما ظننتهم على هذا حتى سـمعت مقالاتهم. قال حنبل وسمعت أبا عبـدالله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي، فـقد كفر ورد على الله وعلى الرسول. ومن زعم أن الله لم يتـخذ إبراهيم خليلاً فقـد كفر ورد على الله قوله. قـال أبو عبـدالله: فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونـقرُّ بها ونمرُّها كـما جاءت. وقال الأثرم سـمعت أبا عبدالله رحـمه الله يقول: فأمـا من يقول: إن الله لا يرى في الآخرة هو جـهمي. قـال أبو عبدالله: وإنما تكلم من تكلـم في رؤية الدنيا. وقال إبراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمـد بن حنبل يقول: الرؤية من كذَّب بها فهو

زنديق. وقال حنبل سمعت أبا عبدالله يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا، أحاديث الرؤية، وكانوا يحدثون بها على الجملة، يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين. وقال أبو عبدالله رحمه الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ [الشورى: ٥٢]، وكلم الله موسى من وراء حجاب، فقال: ﴿رب أرني أنظر إليك * قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة وقال: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ ولا يكون حجاب إلا لرؤية، أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه، والكفار لا يرونه. قال حنبل وسمعت أبا عبدالله يقول: قال الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله تعالى حديث جابر بن عبدالله وغيره: «تنظرون إلى ربكم» أحاديث صحاح. وقال تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ النظر إلى وجه الله عز وجل. قال أبو عبدالله: نؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية، ونؤمن بأن الله يُرى. نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب. قال: وسمعت أبا عبدالله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن، ورد على الله أمره، يستتاب فإن تاب وإلا قتل، قال حنبل قلت لأبي عبدالله في أحاديث الرؤية، قال: هذه صحاح نؤمن بها ونقر بها وكل ما روى عن النبي ﷺ أقررنا به. قال أبو عبدالله: إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. وقال عبدالله بن طاهر أمير خراسان لإسحاق بن راهويه: يا أبا يعقوب، هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن؟ فقال: رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام ـ وذكر أشياء ـ فإن يكونوا في هذه عدولاً وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع. فقال: شفاك الله كما شفيتني. أو كما قال ذكره الحاكم. وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين. وقال نعيم بن حماد للمزني: ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول إنه كلام الله. فقال: غير مخلوق؟ فقال: غير مخلوق. قال: وتقول إن الله يرى يوم القيامة؟ قال: نعم. فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبدالله شهرتني على رءوس الناس. فقال: إن الناس قد أكثروا فيك،

فأردت أن أبرئك. وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣، ٤٤] أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظرًا بـالأبصار. قلت: واللقاء ثابت بنص القرآن هذه الآية وغيرها، وبالتواتر عن النبي ﷺ، وكل أحاديث اللقـاء صحيحة كـحديث أنس في قصة بئر معونة: «إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا»[(١)]، وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»[(٢)] وحديث أنس: «إنكم ستلقون بعـدي أثرة، فاصبروا حتى تلقـوا الله تعالى ورسوله ﷺ»[(٣)] وحديث أبي ذر ﷺ: «لو لقيـتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيـتني لا تشرك بي شيئًـا لأتيتك بقرابها مغفرة»[(٤)] وحديث أبي موسى: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة»[(٥)] وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي أطردت كلها بلفظ واحد، فهذا كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة، وهذه أقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الهـدى، كلها مجتـمعة على أن المؤمنين يرون ربهم تبـارك وتعالى في الجنة، ويتلذذون بالنظـر إلى وجهـه الكريم، وذلك غـاية النعـيم وأعلى الكرامـات وأفـضل فضيلة، ولذا يذهلون بالنظر إليه عن كل ما هم فيه من النعيم، فنحن نؤمن بذلك كله ونشـهد الله تعـالى وملائكتـه وأنبيـاءه ورسله والمؤمنين على ذلك، ونضـرع إلى الله وندعوه بأسمـائه الحسنى أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه تـعالى في جنة عدن، وأن لا يحجـبنا عنه فنكون من الذين أخبـر عنهم أنهم عنه يومئـذ لمحجـوبون نعوذ بالله من ذلك، ومن جحد الرؤية فهو كاذب على الله تعالى مكذب بالصدق إذ جاءه راد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مخالف لجماعة المؤمنين كافر بلقـاء الله عز وجل متبع غير سبيل المؤمنين، وسيوليه الله مـا تولى ويصليه جهنم إن مات مصرًا على جحوده، أليس في

---

(١) أخرجـه البخاري (٧/ ٤٥٠) ح (٤٠٩٥) ك: المغازي، ب: غـزوة الرجيع. ورعل وذكوان وبئر مـعونة، من حديث أنس بن مالك.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٧٤) ح (٧٥٠٤) من أبـي هريرة بلفظ «إذا أحب عبدي لقـائي أحببت لقاءه». ك: التوحيد، ب: قوله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾.

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٧٣٣) ح (١٠٥٩) من حديث أنـس بن مالك، ك: الزكاة، ب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه.

(٤) أخرجـه مسلم (٤/ ٢٠٦٨) ح (٢٦٨٧) ك: الذكـر والدعاء والتوبة والاسـتغفـار ب: فضل الذكـر والدعاء، والتقرب إلى الله تعالى، من حديث أبي ذر.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٩٤) ح (٩٣) بلفظ «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة» من حديث جابر.

جهنم مثوى للكافرين؟ وقد وعد الله عز وجل أن المكذبين محجوبون عنه يوم القيامة فقال تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يقالُ هذا الذي كنتم به تكذبون﴾، وتقدم تفسير ابن المبارك قوله: ﴿تكذبون﴾ بالرؤية. وقد ورد حديث في وعيد منكري اللقاء وهو متناول منكر الرؤية بلا شك ولا مرية، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟ قالوا: لا. قال: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترفع؟ فيقول: بلى. فيقول أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقي الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترفع؟ فيقول: بلى أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول إني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع. فيقول ها هنا إذا. ثم يقال: الآن نبعث شاهداً عليك. فيتفكر في نفسه من الذي يشهد علي، فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»[1] ومن تراجم أئمة السنة على هذا الحديث: باب وعيد منكري الرؤية، والدلالة منه واضحة منطوقًا ومفهومًا ولله الحمد ولا خلاف في ثبوت رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في دار الآخرة. وكذا لا خلاف بينهم في أنه لا يراه أحد قبل الموت، وإنما وقع الخلاف بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ثبوت رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج كما سيأتي إن شاء الله بحث ذلك في موضعه وبالله التوفيق.

وجوب الإيمان بالصفات الواردة في القرآن وصحيح السنة وإقرارها كما أتت

وكل ما له من الصفات ... أثبتها في محكم الآيات

أو صحّ فيما قاله الرسول ... فحقه التسليم والقبول

---

(١) اخرجه مسلم (٤/٢٢٧٩) من حديث أبي هريرة، ك: الزهد والرقاق.

(وكل ما) ثبت (له) أي لله عز وجل (من الصفات) الثابتة التي (أثبتها) هو سبحانه وتعالى لنفسه وأخبرنا باتصافه بها (في محكم الآيات) من كتابه العزيز مما ذكرناه فيما تقدم ومما لم نذكر كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] وقول تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩] وقوله: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩، ٢٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقوله عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] وكقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٣، ١٤] وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] وكقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿إن الله يحب المتقين﴾، ﴿إن الله يحب المحسنين﴾، ﴿والله يحب الصابرين﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤] وقوله: ﴿والله لا يحب الظالمين﴾، ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣] وكقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦] ﴿وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] وكقوله تعالى: ﴿سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠] وكقوله: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] وقوله في اليهود: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣] وفي قاتل

النفس المحرمة: ﴿فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ [النساء: ٩٣] وقوله: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ [طه: ٨١] وكقوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦] وكقوله: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ [غافر: ٧] وكقوله: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام: ٥٤] وقوله: ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ وقوله: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ [آل عمران: ١٥٩] وكقوله: ﴿وهو القوي العزيز﴾ وقوله عن إبليس: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ [ص: ٨٢] وقوله: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٣] وكقوله: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ [النور: ٣٥] الآية وكقوله: ﴿إن الله عزيز ذو انتقام﴾ [إبراهيم: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ [السجدة: ٢٢] وقوله: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ [الزخرف: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون﴾ [الحشر: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿ملك الناس﴾ وقوله: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير * تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧] وقوله تعالى: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ [الأنعام: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧] وقوله تعالى: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا * رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا﴾ [مريم: ٦٤، ٦٥] وقوله تعالى: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠] وقوله: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير﴾ [غافر: ٣] وقوله: ﴿والله يقبض ويبسط﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقوله: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ [الأنعام: ١١٠] وقوله: ﴿وهو شديد المحال﴾ [الرعد: ١٣] وغير ذلك من آيات الأسماء والصفات، صفات ذاته تعالى وأفعاله عز وجل.

(أو صح فيما قاله الرسول) من الأحاديث النبوية الصحيحة كقوله ﷺ عن ربه عز وجل: «يقول الله تعالى: أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته

في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. وقوله ﷺ: «سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه» رواه مسلم والأربعة من حديث ابن عباس ﵄(٢)، وقوله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي» متفق عليه من حديث أبي هريرة ﵁(٣). وعن جابر ﵁ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ فقال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك»: قال: ﴿أو يلبسكم شيعا﴾ فقال النبي ﷺ: «هذا أيسر». رواه البخاري وغيره(٤). وقوله ﷺ: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك» رواه محمد بن إسحاق في سيرته(٥). وقوله ﷺ: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك»(٦) الحديث تقدم في الرؤية. وقوله ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله ابتغاء وجه الله مثل القائم المصلي حتى يرجع المجاهد» متفق عليه من حديث أبي هريرة ﵁(٧). وقوله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه» رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة من حديث ابن عباس ﵄(٨). وقوله ﷺ لسعد بن أبي

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٥) ح (٧٤٠٥) من حديث أبي هريرة، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، ومسلم ح (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٠) ح (٢٧٢٦) من حديث ابن عباس، ك: الذكر والدعاء، ب: التسبيح أول النهار وعند النوم.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٣٣١) ح (٣١٩٤) ك: بدء الخلق، ب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ من حديث أبي هريرة. ومسلم ح (٢٧٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ١٤١) ك: التفسير، ب: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم﴾ ح(٤٦٢٨) من حديث جابر بن عبدالله.

(٥) ابن هشام (٢/ ٦٢) قال الهيثمي في المجمع: (٦/ ٥٣) وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات، وضعفه الشيخ الألباني في تخريجه على فقه السيرة لمحمد الغزالي ص١٣٦.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) أخرجه البخاري (٦/ ٦) ح (٣٧٨٥) ك: الجهاد والسير، ب: فضل الجهاد من حديث أبي هريرة بنحوه.

(٨) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٥٠) ح (٢٢٤٨) من حديث ابن عباس مع اختلاف بسيط في اللفظ، قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه: إسناده صحيح لأن في سنده على بن عبدالله وهو من أقران أحمد، وفي سنده أيضًا سعيد بن أبي عروبة وأبو نهيك، فسعيد ثقة إلا أنه يدلس، وأبو نهيك سمع من ابن عباس.

وقاص: «إنك لن تخلف بعدي فتعمل عملاً تريد وجه الله تعالى إلا ازددت به رفعة ودرجة» رواه البخاري وغيره من حديثه[١]. وقوله ﷺ: «وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده» رواه ابن خزيمة والبيهقي من حديث الحارث الأشعري[٢]، وقوله ﷺ في صفة الدجال: «ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور» الحديث متفق عليه من حديث أنس وابن عمر وغيرهما[٣]. وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «يقول الناس لآدم: أنت آدم أبو الناس، خلقك الله بيده» الحديث متفق عليه عن أنس رضي الله عنه[٤]. وقوله ﷺ: «يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار. وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه. قال: وعرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع» متفق عليه[٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقوله ﷺ: «إن الله تعالى يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك» متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما واللفظ للبخاري[٦]. وتصديقه ﷺ اليهودي الذي قال له: يا محمد إن الله تعالى يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا وتصديقًا له. متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه[٧] وقوله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي». متفق عليه من حديث أبي هريرة[٨]. وقوله ﷺ: «إن الله تعالى يفتح أبواب السماء في ثلث الليل الباقي فيبسط يديه فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيه» الحديث[٩] تقدمت ألفاظه في إثبات النزول. وقوله ﷺ: «من تصدّق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ـ فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» متفق عليه من

---

(١) أخرجه البخاري (٣/١٩٦) ك: الجنائز، ب: رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة.

(٢) رواه ابن خزيمة في التوحيد ص١٥، والبيهقي في الأسماء والصفات ص٢٢٣.

(٣) تقدم تخريجه وهو في صحيح البخاري.

(٤) تقدم تخريجه في حديث الشفاعة.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) أخرجه البخاري (١٣/٤٠٣) ك: التوحيد، ب: قول الله لما خلقت بيدي، ومسلم (٢٧٨٦).

(٨) تقدم.

(٩) تقدم.

حديث أبي هريرة(١). وقوله ﷺ في حديث احتجاج آدم وموسى: «فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده» الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة(٢). وقوله ﷺ: «إن يد الله هي العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل أسفل من ذلك» رواه ابن خزيمة من حديث حكيم بن حزام(٣) وأصله في الصحيح. وقوله ﷺ في قصة خلق آدم: «فقال الله تبارك وتعالى ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت، قال اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة. ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته» الحديث أخرجه ابن خزيمة والبيهقي من حديث أبي هريرة(٤). وقوله ﷺ في قصة سؤال موسى عليه السلام ربه عز وجل عن منازل أهل الجنة: «قال يا رب فأخبرني بأعلاهم منزلة، قال: هذا أردت فسوف أخبرك، قال غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها» الحديث رواه البيهقي وابن خزيمة من حديث المغيرة بن شعبة(٥). وقوله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفأها الجبار بيده» الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد ﷺ(٦). وقوله ﷺ: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم من حديث أبي موسى ﷺ(٧). وقوله ﷺ: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ(٨). وقوله ﷺ: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل. فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه» الحديث في البخاري عن أبي هريرة ﷺ(٩). وقوله ﷺ:

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٨٦) ح (٧٥١٥) ك: التوحيد، ب: ما جاء في قوله عز وجل ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ وأخرجه مسلم في القدر.

(٣) رواه ابن خزيمة في التوحيد (ص٦٥) وسنده صحيح.

(٤) رواه ابن خزيمة في التوحيد ص (٦٧) والترمذي ح (٣٣٦٨) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والحاكم (١/ ٦٤) وقال: قال صحيح على شرط مسلم.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ١٧٦) ح (١٨٩) من حديث المغيرة بن شعبة، وابن خزيمة في التوحيد ص (٦٩، ٧٠).

(٦) أخرجه البخاري (١١/ ٣٧٩) ح (٦٥٢٠) ك: الرقاق، ب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، ومسلم ح (٢٧٩٢).

(٧) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٣) ح (٢٧٥٩) ك: التوبة: ب: قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة.

(٨) تقدم.

(٩) تقدم.

«وما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، يدَّعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم» رواه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه(١). وقوله ﷺ: «عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره»(٢) الحديث وقوله ﷺ: «عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» رواه أحمد والبخاري من حديث ابن مسعود(٣). وقوله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة» متفق عليه من حديث أبي هريرة(٤). وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا بعده مثله»(٥). وقوله ﷺ: «من أعان على خصومة في باطل فقد باء بغضب من الله» رواه أبو داود بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي رواية: «من خاصم في باطل لم يزل في سخط الله حتى ينزع»(٦). وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها»(٧). وقوله ﷺ: «وإذا أبغض عبدًا دعا جبرائيل فيقول إني أبغض فلانًا فأبغضه، قال فيبغضه جبريل. ثم ينادي جبريل في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض» رواه مسلم(٨). وقوله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها» رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه(٩). وقوله ﷺ في قصة أصحاب بئر معونة: «بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» وهو في الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه(١٠)، وهو

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٧٢) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ من حديث أبي موسى، ومسلم (٤/ ٢٨٠٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١١) من حديث أبي رزين العقيلي، وابن ماجه (١/ ٦٤) بلفظ «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب خيره» من رواية وكيع عن أبي رزين، وقال ابن حجر: وكيع بن عدس مقبول، وذكره ابن حبان في الثقات.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ١٦٨) ح (٣٠١٠) ك: الجهاد والسير، ب: الأسارى في السلاسل من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٤٧) ك: الجهاد والسير، ب: الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، من حديث أبي هريرة.

(٥) تقدم.

(٦) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٠٥) ح (٣٥٩٨) من حديث نافع عن ابن عمر والحاكم (٢/ ٢٧) من طريق يحيى بن راشد عن عبدالله بن عمر، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٠) ك: البر والصلة والآداب، ب: إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده».

(٩) تقدم.

(١٠) تقدم.

من التنزيل المنسوخ تلاوة. وقوله ﷺ في قصة سبي هوازن «الله أرحم بعباده من هذه بولدها» أخرجاه من حديث عمر رضي الله عنه[(١)]، وقوله ﷺ: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً ونزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[(٢)].

ولمسلم معناه من حديث سلمان رضي الله عنه، وفيه: «كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فإذا كان يوم القيامة كملها بهذه الرحمة»[(٣)] وقوله ﷺ: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون» أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[(٤)]. وقوله ﷺ عن أيوب عليه السلام: «وعزتك لا غنى بي عن بركتك» أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[(٥)]. وقوله ﷺ: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن» أخرجاه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[(٦)]، وقوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك» لمسلم والأربعة عن عائشة[(٧)]، وقوله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] أخرجاه من حديث أبي موسى رضي الله عنه[(٨)]، وقوله ﷺ: «فإن الله لم يك لينسى شيئًا، وما كان ربك نسيًّا» رواه البزار وابن أبي حاتم والطبراني من حديث أبي الدرداء

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٠) ح (٥٩٩٩) ك: الأدب، ب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٦) ك: الأدب، ب: جعل الله الرحمة في مائة جزء ح (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٩) ح (٢٧٥٣) ك: التوبة، ب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، والحديث فيه زيادة عند مسلم وهي «فجعل منها في الأرض رحمة، فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان . . .».

(٤) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٨٠) ح (٧٣٨٣) ك: التوحيد ب: قول الله تعالى ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ومسلم ح(٢٧١٧).

(٥) صحيح البخاري (١٣/ ٤٧٢) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾.

(٦) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٧٣) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ وليس في الحديث «من فيهن».

(٧) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٢) ح (٤٨٦) ك: الصلاة، ب: ما يقال في الركوع والسجود من حديث عائشة.

(٨) أخرجه البخاري (٨/ ٢٠٥) ك: التفسير، ب: قوله تعالى ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ من حديث أبي موسى.

رضي الله عنه(١). وقوله ﷺ في حلفه: «لا ومقلب القلوب» أخرجاه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما(٢). وقوله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن، فإذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه» رواه أحمد والشيخان وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها(٣)، وفي صدره: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». وقوله ﷺ في صفة الجنة والنار: «لا يزال يلقى فيها ـ يعني النار ـ وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قد قد بعزتك وكرمك» وفي رواية «قط قط» بالطاء أخرجاه من حديث أنس(٤). وقوله ﷺ: «لا شخص أغْيَرُ من الله» علقها البخاري بلفظ الترجمة ووصلها الدارمي في مسنده(٥). وقوله ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين. ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ومن أجل ذلك وعد الجنة» رواه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة في الترجمة السابقة(٦). والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، يحتاج استقصاؤها إلى بسط طويل وفيما ذكرنا كفاية، وما أشبهه فسبيله سبيله.

(فحقه التسليم) له **(والقبول)** الفاء واقعة في جواب كل ما، فنقول في ذلك: ما ذكره الله تعالى عن الراسخين في العلم حيث قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٧، ٨] ولا نضرب كتاب الله بعضه ببعض فنتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما يفعله الذين في قلوبهم زيغ، أعاذنا الله وعصمنا من ذلك بمنه وكرمه وفضله، إنه سميع مجيب.

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٧٥) وقال صحيح ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٥٥) وقال: رجاله موثقون.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم وهو في صحيح البخاري.

(٥) رواه البخاري معلقًا (١٣/ ٤١١) ك: التوحيد، ب: قول النبي ﷺ «لا شخص أغير من الله» ووصله في النكاح.

(٦) أخرجه البخاري (١٣/ ٤١١) ك: التوحيد، ب: قول النبي ﷺ «لا شخص أغير من الله» ح (٧٤١٦) بنحوه، ومسلم (١٤٩٩) ك: اللعان.

نُمِرُّهـا صريحـة كمـا أتت — مـع اعتقادنـا لمـا لـه اقتضت
من غير تحريف ولا تعطيل — وغيـر تكيـيف ولا تمـثـيـل
بل قولُنا قولُ أئمة الهـدى — طوبى لمن بهديهم قد اهتـدى

أي جميع آيات الأسماء والصفات وأحاديثها (نمرها صريحة) أي على ظواهرها (كما أتت) عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ بنقل العدل عن العدل متصلاً إلينا كالشمس في وقت الظهيرة صحواً ليس دونها سحاب، (مع اعتقادنا) إيمانًا وتسليمًا (لما له اقتضت) من أسماء ربنا تبارك وتعالى وصفات كماله ونعوت جلاله كما يليق بعظمته وعلى الوجه الذي ذكره وأراده (من غير تحريف) لألفاظها كمن قال في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] أن التكليم من موسى وأن لفظ الجلالة منصوب على المفعولية فراراً من إثبات الكلام كما فعله بعض الجهمية والمعتزلة، وقد عرض ذلك على أبي بكر بن عياش فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر، قرأت على الأعمش وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبدالرحمن السلمي وقرأ أبو عبدالرحمن السلمي على علي بن أبي طالب وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ يعني برفع لفظ الجلالة على الفاعلية، وهو مجمع عليه بين القراء، روى ذلك ابن مردويه عن عبدالجبار بن عبدالله عن ابن عياش رحمه الله تعالى. وروى ابن كثير أن بعض المعتزلة قرأ على بعض المشايخ: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ فقال له يا ابن اللخناء كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعني أن هذا لا يقبل التحريف ولا التأويل. وكما قال جهم بن صفوان لعنه الله في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] حيث قال: لو وجدت سبيلاً إلى حكها لحككتها ولأبدلتها استولى. وله في ذلك سلف اليهود في تحريف الكلم عن مواضعه حيث قال الله تعالى لهم: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: «حنطة»[1] فخالفوا ما أمرهم الله به من الدخول سجداً وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم فكان جزاؤهم ما ذكره الله تعالى حيث يقول: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]

(١) انظر ابن كثير في تفسيره، على هذه الآيات.

وجعلهم الله عبرة لمن بعدهم، فمن فعل كما فعلوا فسبيله سبيلهم كما مضت سنة الله بذلك: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣].

و(من غير تحريف) لمعانيها كما فعله الزنادقة أيضًا كتأويلهم «نفسه» تعالى بالغير وأن إضافتها إليها كإضافة بيت الله وناقة الله، فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] أي غيره وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي على غيره، ويكون قوله تعالى عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] أي ولا أعلم ما في غيرك، ويكون قوله تعالى لموسى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] أراد واصطنعتك لغيري، وهذا لا يقوله عاقل، بل ولا يتوهمه ولا يقوله إلا كافر، وكتأويلهم «وجهه» تعالى بالنفس مع جحودهم لها كما تقدم، فانظر لتناقضهم البين، وهذا يكفي حكايته عن ردّه. أما من أثبت النفس وأول الوجه بذلك فيقال له: إن الله تعالى قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] فذكر الوجه مرفوعًا على الفاعلية ولفظ ربّ مجرورًا بالإضافة وذكر ذو مرفوعًا بالتبعية نعتًا لوجه، فلو كان الوجه هو الذات لكانت القراءة «ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام» بالياء لا بالواو كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] فخفضه لما كان صفة للرب فلما كانت القراءة في الآية الأولى بالرفع إجماعًا تبين أن الوجه صفة للذات ليس هو الذات، ولما رأى آخرون منهم فساد تأويلهم بالذات أو الغير لجأوا إلى طاغوت المجاز فعدلوا إلى أن تأويله به أولى وأنه كما يقال: «وجه الكلام» و«وجه الدار» و«وجه الثوب» ونحو ذلك، فتكلفوا الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ كل التكلف ثم نكسوا على رءوسهم فوقعوا فيما فروا منه، فيقال لهم: أليس الثوب والدار والكلام مخلوقات كلها وقد شبهتم وجه الله تعالى بذلك؟ فأين الفكاك والخلاص ولات حين مناص: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣] وكما أولوا اليد بالنعمة واستشهدوا بقول العرب: «لك يد عندي» أي نعمة فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] يعني نعمتاه فلم يثبتوا لله إلا نعمتين والله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] ويكون قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] أراد بنعمتي، فأي فضيلة لآدم على غيره على هذا التأويل، وهل من أحد لم

يخلقه الله بنعمتـه؟ ويكون قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] أراد مطويات بنعمته، فـهل يقول هذا عاقل؟ وقال آخرون منهم «بقوَّته» استشهاداً بقـوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] أي بقوة فيقال لهم: أليس كل مخلوق خلقه الله بقوة؟ فعلى هذا ما معنى قوله عز وجل: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ وأي فضل لآدم علـى إبليس إذ كل منهمـا خلقه الله بقوته؟ وما مـعنى قوله تعالى للملائكة: لا أجعل صـالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان. أفلم يخلق الملائكة بقوته، وأي فضل لآدم عليهم إن لم يكن خلقه الله بيـده التي هي صفـته، نـبئـوني بعلم إن كنتم صـادقين. وكمـا تأولوا الاسـتـواء بالاستيـلاء واستشهـدوا ببيت مجهـول مروي على خلاف وجهـه وهو ما ينسب إلى الأخطل النصراني:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهـراق

فعدلوا عن أكثـر من ألف دليل من التنزيل إلى بيت ينسب إلى بعض العلوج ليس على دين الإسلام ولا على لغـة العرب، فطفق أهل الأهواء يفسرون بـه كلام الله عز وجل ويحملونه عليـه، مع إنكار عامة أهل اللغة لذلك وأن الاسـتواء لا يكون بمعنى الاستيلاء بوجه من الوجوه ألبتة. وقد سئل ابن الأعرابي وهو إمام أهل اللغة في زمانه فقال: العـرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حـتى يكون له فيه مضاد، فـأيهما غلب قيل استولى، والله سبحانه وتعالى لا مغالب له ا.هـ. وقد فسر السلف الاستواء بعدة معـان بحسب أداته المقترنة به، وبحسب تجـريده عن الأداء، ولم يذكر أحد منهم أنه يأتي بمعنى الاستيـلاء حتى انتحل ذلك أهل الأهواء والبدع لا باشتقـاق صغير ولا كبيـر، بل باستنباط مخـتلق وافق الهوى المتبع. وقد بسط القـول في رد ذلك ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه الصواعق وبين بطلانه من نيِّف وأربعين وجهًا فليراجع[1].

وكما أولوا أحاديث النزول إلى سماء الدنيـا بأنه ينزل أمره، فيقال لهم: أليس أمر الله تعالى نازلاً في كل وقت وحين؟ فماذا يخص السحر بذلك؟ وقال آخرون: ينزل ملك بأمره، فنسب النزول إليه تعالى مجازاً. فيقال لهم: فهل يجوز على الله أن يرسل من يدعي ربوبيته، وهل يمكن للملك أن يقول: «لا أسـأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له» وهل قصرت عبارة النبي ﷺ عن أن

(١) ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/١٢٦ـ١٥٢).

يقول ينزل ملك بأمر الله فيقول إن الله تعالى يقول لكم كذا، أو أمرني أن أقول لكم كذا حتى جاء بلفظ مجمل يوهم بزعمكم ربوبية الملك، لقد ظننتم بالله تعالى ورسوله ﷺ ظن السوء وكنتم قومًا بورًا. وكما أولوا المجيء لفصل القضاء بالمجاز فقالوا يجيء أمره واستدلوا بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] فقالوا في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] فقالوا هو من مجاز الحذف والتقدير يأتي أمر الله. فيقال لهم: أليس قد اتضح ذلك غاية الاتضاح أن مجيء ربنا عز وجل غير مجيء أمره وملائكته، وأنه يجيء حقيقة، ومجيء أمره حقيقة، ومجيء ملائكته حقيقة، وقد فصل تعالى ذلك وقسمه ونوعه تنويعًا يمتنع معه الحمل على المجاز فذكر تعالى في آية البقرة مجيئه ومجيء الملائكة وكذا في آية الفجر، وذكر في النحل مجيء ملائكته ومجيء أمره، وذكر في آية الأنعام إتيانه وإتيان ملائكته وإتيان بعض آياته التي هي من أمره. ثم يقال: ما الذي يخص إتيان أمره بيوم القيامة؟ أليس أمره آتيًا في كل وقت، متنزلاً بين السماء والأرض بتدبير أمور خلقه في كل نفس ولحظة: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. وتأولوا النظر إلى الله عز وجل في الدار الآخرة بالانتظار قالوا إنه كقوله: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] فيقال لهم: أليس إذا كان بمعنى الانتظار تعدى بنفسه لا يحتاج إلى أداة كما في قوله ﴿انظرونا﴾ ألم يضف الله تعالى النظر إلى الوجوه التي فيها الإبصار، ويعدّه بإلى التي تفيد المعاينة بالبصر عند جميع أهل اللغة ﴿قل أأنتم أعلم أم الله﴾، أو لم يفسره النبي ﷺ بالرؤية الجلية عيانًا بالأبصار في أكثر من خمسين حديثًا صحيحًا: حتى شبّه تلك الرؤية برؤيتنا الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، تشبيهًا للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، ولم يزل الصحابة مؤمنين بذلك، ويحدّثون به من بعدهم من التابعين، وينقله التابعون إلى من بعدهم وهلم جرا، فنحن أخذنا ديننا عن حملة الشريعة، عن الصحابة، عن النبي ﷺ. فأنتم عمن أخذتم؟ ومن شبهاتهم في نفي الرؤية استدلالهم بقوله عز وجل: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وهذه الآية فيها عن الصحابة تفسيران: أولهما لا يرى في الدنيا، وهو مروي عن عائشة ﵂، وبذلك نفت أن يكون رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة المعراج. ثانيهما تفسير ابن عباس ﵄ ﴿لا تدركه﴾ أي لا تحيط به، فالنفي للإحاطة لا للرؤية، وهذا عام في الدنيا والآخرة. ولم ينقل عن أحد من

الصحـابة من طريق صحيح ولا ضـعيف أنه أراد بذلك نفي الرؤية في الآخرة، فـهذا تفسير الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل الكتاب هل بينهم من أحد فسر الآية بما افتـريتموه؟ ومن إفكهم ادعـاؤهم معنى التـأبيد في نفي ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] حتى كـذبوا على رسول الله ﷺ حديثًـا مختلقًـا لفظه: لـن تراني في الدنيا ولا في الآخرة، وهو موضوع مكذوب على النبي ﷺ باتفاق أئمة الحديث والسنة، ولم يقل أحد من أئمة اللغة العربية إن نفي «لن» للتأبيد مطلقًا إلا الزمخشري من المتأخرين قال ذلك ترويجًا لمذهبه في الاعتزال وجحود صفات الخالق جل وعلا، وقد ردَّه عليه أئمة التفسير كابن كثير وغيره، ورده ابن مالك في الكافية حيث قال:

ومن يرى النفي بلن مؤبـدًا فقوله اردد وسواه فاعضدا

والقائل لموسى ﴿لن تراني﴾ هو المتجلي للجبل حتى اندك، وهو الذي وعد المؤمنين ﴿الحسنى وزيادة﴾ وهو الذي قال: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ فاتضح بذلك أن قوله لموسى صلـى الله عليه وسلم: ﴿لن تراني﴾ إنما أراد عدم استطـاعته رؤية الله تعالى في هذه الدار لضعف القـوى البشرية فيها عن ذلك كمـا قرر تعالى ذلك بقوله جل جلاله: ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية، فإذا لم يثـبت الجبل لتـجلى الله تعالى فكيف يثـبت موسى لذلك وهو بشـر خلق من ضعف؟ وأمـا في الآخرة فـيخلق الله تعالى في أوليائه قوة مستعدة للنظر إلى وجهه عز وجل، وبهذا تجتمع نصوص الكتاب والسنة وتأتلف كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وأما من اتبع هواه بغير هدى من الله، ونصب الخصام أو الجدال والمعارضـة بين نصوص الكتاب والسنة، واتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، وضرب كتاب الله بعضه ببعض وآمن ببعض وكفـر ببعض وشاقَّ الرسول من بعـد ما تبين له الهدى واتبع غيـر سبيل المؤمنين، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبـه وجعل على بصره غشاوة فمن يهـديه من بعد الله؟ أعـاذنا الله وجمـيع المؤمنين من ذلك. ولا يتأتى لأحـد من أهل التأويل مراده ولا يستقيم له تأويله إلا بدفع النصـوص بعضها ببعض لا محالة ولابد، فإن كـتاب الله تعالى يصدق بعـضه بعضًـا لا يكذبه كما هو مـصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيـمن عليه. وكذلك سنة النبي ﷺ تبين الكتاب وتوضحـه وتفسره وتدل عليه وترشـد إليه، ولا يشك في ذلك ولا يرتاب فيه إلا من اتخـذ إلهه هواه، وأدلى

بشبهاته لغرض شهواته: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج: ١٩، ٢٠] وهذا دأبهم في جميع نصوص الأسماء والصفات. وإنما ذكرنا هذه الجملة مثالاً وتنبيهًا على ما وراء ذلك، فمن عوفي فليحمد الله، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(ولا تعطيل) أي للنصوص بنفي ما اقتضته من صفات كمال الله تعالى ونعوت جلاله فإن نفي ذلك من لازمه نفي الذات ووصفه بالعدم المحض، إذ ما لا يوصف بصفة هو العدم، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا. ولهذا قال السلف الصالح رحمهم الله تعالى في الجهمية: إنهم يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يعبد وذلك لجحودهم صفات كماله ونعوت جلاله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، وذلك يتضمن التكذيب بالكتاب والسنة، والافتراء على الله كذبًا: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ * وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٢ ـ ٣٥].

(وغير تكييف) تفسير لكُنْه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقال استوى على هيئة كذا، أو ينزل إلى السماء بصفة كذا، أو تكلم بالقرآن على كيفية كذا ونحو ذلك من الغلو في الدين والافتراء على الله عز وجل واعتقادهم ما لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة، ولو كان ذلك مطلوبًا من العباد في الشريعة لبينه الله تعالى ورسوله ﷺ، ولم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينه ووضحه، والعباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما علمهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى وليقف معه كهذه الصفات الثابتة في الكتاب والسنة، وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه ككيفيتها ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

(ولا تمثيل) أي ومن غير تشبيه لشيء من صفات الله بصفات خلقه، فكما أنا نثبت له ذاتًا لا تشبه الذوات فكذلك نثبت له ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات ونعتقد

تنزهه وتقدســه عن مماثلة المخلوقات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وإذا كان القول على الله بلا علم في أحكام الشريعة هو أقبح المحرمات كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] فكيف بالقول على الله بلا علم في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته من تشبيه خلقه به أو تشبيهه بخلقه في اتخاذ الأنداد معه وصرف العبادة لهم، وإن اعتقاد تصرفهم في شيء من ملكوته تشبيه للمخلوق بالخالق، كما أن تمثيل صفاته تعالى بصفات خلقه تشبيه للخالق بالمخلوق، وكلا التشبيهين كفر بالله عز وجل أقبح الكفر، وقد نزه الله تعالى نفسه عن ذلك كله في كتابه كما قال تعالى: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد﴾ وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وقال تعالى: ﴿فاطر السموات والأرض * جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠] وقال تعالى: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] وغير ذلك من الآيات، بل جميع القرآن من أوله إلى خاتمته في هذا المعنى، بل لم يرسل الله تعالى رسله ولم ينزل كتبه إلا بذلك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

(بل قولنا) الذي نقوله ونعتقده وندين الله به هو **(قول أئمة الهدى)** من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة كأبي حنيفة ومالك والأوزاعي والثوري وابن عيينة والليث بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وأصحاب الأمهات الست وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله عز وجل فإن الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة تفسيرها قراءتها، وقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمهما الله تعالى: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه مما وردت به

الآيات الصريحة ووصفه به رسوله ﷺ مما ورد في الأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته ونفي عن الله النقائص فقد سلك سبيل الهدى. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ. وقال أيضًا رحمه الله: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها وتثبت هذه الصفات وينفى عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى فقال سبحانه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. وقال الإمام أحمد رحمه الله: ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه، قد أجمل الله الصفة فحد لنفسه صفة: ليس يشبهه شيء. وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه. قال: فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصف بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك ولا يبلغ صفته الواصفون، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنعت. وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيامة ووضعه كنفه عليه، فهذا كله يدل على أن الله سبحانه وتعالى يرى في الآخرة، والتحديد في هذا كله بدعة، والتسليم فيه بغير صفة ولا حدّ إلا ما وصف به نفسه: سميع، بصير، لم يزل متكلمًا، عالمًا، غفوراً، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب. فهذه صفات وصف بها نفسه لا تدفع ولا تردّ، وهو على العرش بلا حدّ كما قال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ كيف شاء المشيئة إليه والاستطاعة إليه ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء وهو سميع بصير بلا حدّ ولا تقدير، لا نتعدى القرآن والحديث، تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة. قلت له: والمشبه ما يقول؟ قال من قال بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي فقد شبه الله تعالى بخلقه، انتهى. وكلام أئمة السنة في هذا الباب يطول، وقد تقدم كثير منه في الاستواء والكلام والنزول والرؤية وغير ذلك.

(طوبى لمن بهديهم قد اهتدى) إذ هم خير القرون وأعلم الأمة بشريعة الإسلام وأولاهم باتباع الكتاب والسنة واقتفاء آثار رسول الله ﷺ، وبهم حفظ الله الدين على

من بعدهم، فرحمـهم الله ورضي عنهم وأرضاهم وألحقنا بهم سالمين غيـر مفتونين إنه سميع الدعاء.

وسم ذا النوع من التوحـيد	توحيد إثبات بلا ترديـد
قد أفصح الوحي المبين عنه	فالتمس الهدى المنير منه

(وسم ذا النوع) والإشارة بذا إلى ما تقدم من قوله «إثبات ذات الرب» إلى هنا وما يدخل في ذلك من معاني الربوبية والأسـماء والصفات (من) نوعي (التوحيد) المشار إليهما بقول: وهو نوعان (توحيد إثبات) لاشتماله على إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتـابه وأثبتـه له رسوله ﷺ ومن قبله مـن الأنبياء والمرسلين من مـعاني ربوبيـته ومقـتضى أسمـائه وصفاته ونفي مـا يناقض ذلك كما نفـاه عن نفسه تبـارك وتعالى، فنؤمن بالله تعالى، وبما أخبـر به عن نفسه سبحانه على ألسنة رسله من صـفات كماله ونعوت جلاله بلا تكيـيف ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفـسه مما لا يليق بجلاله وعظمته فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأبين دليلاً من غيره، وقد عكس الزنادقة الأمر فنفوا عنه ما أثبـته تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصـفات العلى، وأثبتوا له ما نزه نفسه عنه من أضداد ما تقتضي أسماؤه وصفاته، وكذبوا بالكتاب وبما أرسل الله به رسله، وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم فبعداً لقوم لا يؤمنون.

فـائـــدة

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولدة ما علمت أحداً سبقـهم بها، قالوا: هذه الصفات تمرُّ كما جـاءت ولا تؤوَّل مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد. فتفـرَّع من هذا أن الظاهر يعني به أمران: أحدهما أنه لا تأويل لها غير دلالة الخطاب كما قال السلف الصالح: الاستواء معلوم، وكما قال سفيان وغيره: قراءتهـا تفسـيرها، يعني أنهـا بينة واضحـة في اللغة لا يبـتغي بهـا مضايـق التأويل والتحـريف، وهذا هو مذهب السلف مع اتفـاقهم أيضًا أنـها لا تشبـه صفات البـشر بوجه، إذ الباري لا مثل له في ذاته ولا في صفاته. الثاني أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة كما يتشكل في الذهن من وصف البشر، فهذا غير مراد، فإن الله تعالى فرد صمـد ليس له نظير، وإن تعددت صفاته فإنهـا حق، ولكن ما لها مثل ولا نظير، فـمن ذا الذي عاينه ونعتـه لنا، ومن ذا الذي يستطيع أن ينعت لنا كـيف سمع

موسى كلامه؟ والله إنا لعاجزون كالون حائرون باهتون في حد الروح التي فينا وكيف تعرج كل ليلة إلى بارئها، وكيف يرسلها، وكيف تستقل بعد الموت، وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد قتله، وكيف حياة النبيين الآن، وكيف شاهد النبي ﷺ أخاه موسى يصلي في قبره قائمًا[1]، ثم رآه في السماء السادسة وحاوره وأشار إليه بمراجعة رب العالمين وطلب التخفيف منه على أمته[2]، وكيف ناظر موسى أباه آدم وحجه آدم بالقدر السابق وبأن اللوم بعد التوبة وقبولها لا فائدة فيه[3]، وكذلك نعجز عن وصف هيئتنا في الجنة ووصف الحور العين، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتهم وكيفيتها وأن بعضهم يمكنه أن يلتقم الدنيا في لقمة مع رونقهم وحسنهم وصفاء جوهرهم النوراني، فالله أعلى وأعظم، وله المثل الأعلى والكمال المطلق ولا مثل له أصلاً: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] انتهى كلامه بحروفه.

قلت: قوله: من ذا الذي عاينه فنعته، هذا لا معنى له، فإن المؤمنين يرونه تعالى في الجنة عيانًا بأبصارهم ولا يستطيع أحد منهم نعته تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾. ﴿ولا يحيطون به علما﴾ وكان حقه أن يقول: من ذا الذي أحاط به علمًا فنعته، وقوله الثاني أن ظاهرها الذي يتشكل في الخيال إلخ قد قدمنا أن هذا التصور الفاسد هو الذي يحمل جهلة النفاة على ما صنعوا من النفي حين لم يفهموا من ظاهرها إلا ما يقوم بالمخلوق ولم يتدبروا من هو الموصوف فأساءوا الظن بالوحي ثم قاسوا وشبهوا بعد أن فكروا وقدروا ثم نفوا وعطلوا، فسحقًا لأصحاب السعير.

(وقد أفصح الوحي المبين) من الكتاب والسنة وكذلك الصحف الأولى (عنه) غاية الإفصاح وشرحه الله تبارك وتعالى أكثر من شرح بقية الأحكام لعظم شأن متعلقه، (فالتمس) اطلب (الهدي المنير) أي من الوحي المبين لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا منه، ومن خرج عن الوحي مثقال ذرة ضل وغوى ولابد، فإنا لا نعلم من علم الله سبحانه إلا ما علمنا هو، فنصدق بما أخبر به عن نفسه وأخبرت به رسله عنه كما ننقاد

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٨٤٥) ح (٢٣٧٥) ك: الفضائل، ب: من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، من حديث أنس.

(٢) صحيح البخاري (١/ ٥٤٧) ك: الصلاة، ب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء.

(٣) تقدم.

ونسلم ونمتثل لما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر، بل إن تأويل الأمر والنهي أخف جرمًا من تأويل معاني الربوبية والأسماء والصفات والتكذيب بالبعث والنشور والوعد والوعيد دون التكذيب بما أخبر الله به عن نفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى وأخبرت عنه به رسله من ذلك مع أن جرم كل منهما عظيم. أعاذنا الله وجميع المسلمين من الزيغ والضلال، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون.

لا تتبع أقوال كل مارد ... غاو مضل مارق معاند

فليس بعد رد ذا التبيان ... مثقال ذرة من الإيمان

(**لا تتبع**) أيها العبد (**أقوال كل مارد**) على بدعته وزندقته واتباع هواه. (**غاو**) زائغ في دينه مفتون في عقيدته (**مضل**) لغيره (**مارق**) من الإسلام (**معاند**) لنصوص الكتاب والسنة وما دلت عليه. مكذب بالكتاب وبما أرسل إليه به رسله، (**فليس**) يبقى (**بعد رد ذا التبيان**) الذي جاء في الكتاب والسنة من الآيات المحكمة الصريحة والأحاديث الثابتة الصحيحة (**مثقال ذرة من الإيمان**) في قلب من رد ذلك لأن الله تعالى هو الحق وقوله الحق: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ [يونس: ٣٢] وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦] وقال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ [غافر: ٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٣ ـ ٨٥] وهذه الآيات يدخل فيها كل مكذب بأي شيء من الكتاب، فكيف إذا كذب بصفات منزل الكتاب، بل جحد أن يكون الله تعالى تكلم بالكتاب، ألا لعنة الله على الظالمين.

فصـــل

الملاحدة خمس طوائف في توحيد المعرفة والإثبات

والملاحدة في توحيد المعرفة والإثبات فرق كثيرة وأشياع متفرقة، ولكن رءوسهم خمس طوائف:

الأولى: سلبية محضًا يثبتون إثباتًا هو عين النفي ويصفون الباري تعالى بصفات العدم المحض الذي ليس هو بشيء ألبتة، وليس له عندهم حقيقة غير أنهم يقولون هو موجود لا داخل العالم ولا خارجًا عنه ولا مباينًا له ولا محايثًا وليس على العرش ولا غيره ولا يثبتون له ذاتًا ولا اسمًا ولا صفة ولا فعلاً بل ذلك عندهم هو عين الشرك، وهذا هو الذي صرح به غلاة الجهمية، وقد كان قدماؤهم يتحاشون عنه ويتسترون منه، وكان السلف من أئمة الحديث يتفرسون فيهم ذلك وأنهم يبطنونه ولا يبوحون به، وقد قدمنا عن جماعة من السلف قولهم في الجهمية: إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يعبد، ويقول بعضهم: إنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء، ولكنه لم يصرح بذلك ويظهره إلا ابن سينا صاحب الإشارات تلميذ الفارابي، وهو منسوب إلى أرسطو اليوناني، وهو يرجع إلى مذهب الدهرية الطبائعية في المعنى، وهو الذي نصره الملحد الكبير نصير الشرك الطوسي وأشباهه، قبحهم الله تعالى.

الطائفة الثانية: **الحلولية** الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته وينزهونه عن استوائه على عرشه وعلوه على خلقه، ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرها، وهؤلاء هم قدماء الجهمية الذين تصدى للرد عليهم أئمة الحديث كأحمد بن حنبل وغيره، ولهذا قال جهم بن صفوان لما ناظره السمنية في ربه وجار في ذلك ففكر وقدر فقتل كيف قدر فقال: هو هذا الهواء الذي هو في كل مكان، وكذلك كان يقول كثير من أتباعه، ولم يكن ولا هم يريدون ذلك وإنما كانوا يتوسلون به إلى السلب المحض والتعطيل الصرف كما فهمه منهم أئمة الإسلام رحمهم الله كلما أفصحوا به من نفي أسماء الباري وصفاته وكلامه ورؤيته في الدنيا والآخرة وأفعاله وحكمته وغير ذلك كما تقدم حكايته عنهم قريبًا ورد شبهاتهم الداحضة.

الطائفة الثالثة: **الاتحادية** وهم القائلون: إن الوجود بأسره هو الحق، وأن الكثرة وهمٌ، بل جميع الأضداد المتقابلة والأشياء المتعارضة الكل شيء واحد هو معبودهم في زعمهم، وهم طائفة ابن عربي الطائي صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم وغيرهما مما حرف فيه الكلم عن مواضعه وتلاعب فيه بمعاني الآيات وأتى بكفر لا يشبه كفر اليهود الذين قالوا عزير ابن الله، ولا النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله وقالوا هو الله وقالوا ثالث ثلاثة، فإن النصارى وأشباههم خصوا الحلول والاتحاد

بشخص معين وهؤلاء جعلوا الوجود بأسره على اختلاف أنواعه وتقابل أضداده مما لا يسوغ التلفظ بحكايته هو المعبود، فلم يكفر هذا الكفر أحد من الناس، وكان هذا المذهب الذي انتحله ابن عربي ونظمه ابن الفارض في تائيته (نظم السلوك)، وأصل هذا المذهب الملعون انتحله ابن سبعين عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوطي نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية، ولد سنة أربع عشرة وستمائة واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة فتولد له الإلحاد من ذلك وصنف فيه، وكان يعرف السيمياء ويلبس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء، ويزعم أنه حال من أحوال القوم. وله من المصنفات كتاب البدو، وكتاب الهو. وقد أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبها أبي نُمّى، وجاور في بعض الأوقات بغار حِراء يرتجى فيه الوحي أن ينزل عليه كما أتى النبي ﷺ بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة إن كان مات على ذلك، وكان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم كأنهم الحمير حول المدار وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت، فالله يحكم فيه وفي أمثاله، وقد نقلت عنه عظائم من الأقوال والأفعال. توفي يوم ثمانية وعشرين من شوال سنة تسع وستين وستمائة.

الطائفة الرابعة: نفاة القدر وهم فرقتان:

فرقة نفت تقدير الخير والشر بالكلية وجعلت العباد هم الخالقين لأفعالهم خيرها وشرها، ولازم هذا القول أنهم هم الخالقون لأنفسهم لأن في قولهم نفي تصرف الله في عباده وإخراج أفعالهم عن خلقه وتقديره، فيكون تكونهم من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى آخر أطوار التخليق هم بأنفسهم تطوروا، وبطبيعتهم تخلقوا، وهذا راجع إلى مذهب الطبائعية الدهرية الذين لم يثبتوا خالقًا أصلاً كما قدمنا مناظرة أبي حنيفة لبعضهم فأسلموا على يديه.

وفرقة نفت تقدير الشر دون الخير فجعلوا الخير من الله وجعلوا الشر من العبد، ثم منهم من ينفي تقدير الشر من أعمال العباد دون تقديره في المصائب، ومنهم من غلا فنفى تقدير الشر من المصائب والمعايب. وعلى كل حال فقد أثبتوا مع الله تعالى خالقًا بل جعلوا العباد معه خالقين كلهم، ونفوا أن يكون الله هو المتفرد بالتصرف في ملكوته، وهذا راجع إلى مذهب المجوس الثنوية الذين أثبتوا خالقين خالقًا للخير

وخالقًا للشر قبحهم الله تعالى.

الطائفة الخامسة: الجبرية الذين يعتقدون أن العبد مجبور على أفعاله قسرًا ولا فعل له أصلاً بل إثبات الفعل للعبد هو عين الشرك عندهم بل هو كالهاوي من أعلى إلى أسفل وكالسعفة تحركها الريح لم يعلم باختياره طاعة ولا معصية ولم يكلفه الله وسعه بل حمله ما لا طاقة له به، ولم يخلق فيه اختياراً لأفعاله ولا قدرة له عليها بل الطاعة والعصيان من الأقوال والأعمال هي عندهم عين فعل الله عز وجل، فرفعوا اللوم عن كل كافر وفاسق وعاص وأنه يعذبهم على نفس فعله لا على أعمالهم القبيحة، ثم اعتقدوا أن المعاصي التي نهى الله عنها في كتبه وعلى ألسنة رسله إذا عملوها صارت طاعات لأنهم يقولون أطعنا مشيئة الله الكونية فينا، بل لم يثبتوا الإرادة الشرعية ألبتة ومن يثبتها منهم يقول في الطاعات أطعنا الإرادة الشرعية وفي المعاصي التي سماها الله معاصي أطعنا الإرادة الكونية وأما هم فلم يثبتوا معصية أصلاً بل أفعالهم جميعها حسنها وقبيحها كلها عندهم طاعات على أصلهم هذا الفاسد، وفي ذلك رد منهم على الله تعالى أمره ونهيه ووعده ووعيده وفرضه على عباده جهاد الكفار وإقامة الحدود بل في إرساله الرسل وإنزاله الكتب، فيجب عندهم تعطيل الشرائع بالكلية والاحتجاج على نفيها بالقدر الكوني ومحاربتها به وإثبات الحجة على الله لكل كافر وفاسق وعاص وهذا كفر لم يسبقهم إليه غير إمامهم إبليس اللعين إذ يحتج على الله تعالى بحجتهم هذه فقال: ﴿فبما أغويتني﴾ والعجب أن هذا المذهب المخذول موروث عن جهم بن صفوان مع تناقضه في إثبات أفعال الله عز وجل فإنه لا يثبت لله تعالى فعلاً يقوم بذاته أصلاً بل أفعاله خارجة عنه قائمة بغيره من المخلوقات، ثم ينقض ذلك بجعله أفعال العباد أفعال الله، وهذا تناقض بين لكل عاقل فإن الفعل إنما يضاف إلى من قام به والقول إلى من قاله وكذا السمع والبصر والقدرة وغيرها محال أن تضاف إلى غير من قامت به ومحال أن يسمى فاعلاً بدون فعل يقوم به، ولو ذهبنا نعد تشعب الفرق من هذه الطوائف ولوازم كل قول مما انتحلوه لاحتاج إلى كتاب مفرد، وقد أفرد ذلك بالتصنيف غير واحد من الأئمة، وقد قدمنا البعض من ذلك وذكرنا أمثلة من تحريفهم النصوص، وسيأتي الكلام على الدهرية في الإيمان بالبعث، وعلى نفاة القدر والغلاة فيه في باب القدر، والكلام على الخوارج والمرجئة والمعتزلة وأشباههم في باب الإيمان والدين، والكلام على الروافض والنواصب في باب ذكر الصحابة. وهذه الطوائف التي خالفت في توحيد المعرفة والإثبات مرجعها إلى ثلاث:

فالحلولية والاتحادية والسلبية ومن في معناهم مرجعهم إلى الطبائعية الدهرية، والقدرية النفاة بجميع فرقهم مرجعهم إلى المجـوس الثنوية، والجبرية الغلاة مرجعهم إلى النزعة الجهمية الإبليسية وقد قدمنا قول المؤمنين أتباع الرسول مبسوطًا بما فيه كفاية.

فصـــل

والمخالفون لأهل السنة في القرآن سبع طوائف ذكـرهم شيخ الإسلام ابن تيمية في «المنهاج» وابن القيم في «الصواعق» وهذا نصه، قال رحمه الله تعالى:

«فصل». اخـتلف أهل الأرض في كلام الله تعـالى، فذهب (**الاتحادية**) القائلون بوحدة الوجـود أن كل كلام في الوجود كـلام الله نظمه ونثـره وحقه وباطله سـحره وكفره، والسب والشـتم والهجر والفحش وأضداده كله عين كـلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم:

وكل كلام في الوجود كلامـه   سواء علينا نـثـره ونظـامـه

وهذا المذهب مبنـي على أصلهم الذي أصَّلوه، وهو أن الله سبـحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفـات الله وكلامه هو كلام الله وأصل هذا المذهب إنكار مسألة المباينة والعلو، فإنهم لما أصَّلوا أن الله تعـالى غير مباين لهذا العـالم المحسوس صاروا بين أمـرين لا ثالث لهمـا إلا المكابرة: أحدهمـا أنه معـدوم لا وجود له، إذ لـو كان موجودًا لكان إما داخل العالم وإما خـارجًا عنه، وهذا معلوم بالضرورة، فإنه إذا كان قائمًا بنفســه فإما أن يكون مباينًا للعالم أو مـحايثا له إما داخلاً فيـه وإما خارجًا عنه. الأمر الثاني أن يكون هو عين هــذا العالم، فإنه يصح أن يقال فيـه حينئذ أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينًا له ولا حالاً فـيه، إذ هو عينه، والشيء لا يباين نفسه ولا يحايثها، فرأوا أن هذا خير من إنكار وجوده والحكم عليه بأنه معدوم، ورأوا أن الفرار من هذا إلى إثبات موجـود قائم بنفسه لا داخل العالم ولا خارجـه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا مباين له ولا محـايث ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامه فرارًا إلى ما لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة ولا تأتي به شريعة. ولا يمكن أن يقر برب هذا شأنه إلا على أحـد وجهين لا ثالث لهما: أحدهما أن يكون سـاريًا فيه حالاً فيه فهو في كل مكان بذاته، وهو قول جميع الجهمية الأقدمين. الوجه الثاني أن يكون وجوده في الذهن لا في الخارج فـيكون وجوده سبحانه وجودًا عـقليًا إذ لو كان

موجوداً في الأعيان لكان إما عين هذا العالم أو غيره، ولو كان غيره لكان إما بائنًا عنه أو حالاً فيه وكلاهما باطل، فثبت أنه عين هذا العالم فله حينئذ كل اسم حسن وقبيح وكل صفة كمال ونقص وكل كلام حق وباطل، نعوذ بالله من ذلك.

المذهب الثاني مذهب (الفلاسفة) المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكى ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه. ولهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور، وقوة التخيل، وقوة التعبير. فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صوراً نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله، ولا حقيقة له في الخارج وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية قالوا وربما قويت هذه القوة على إسماع ذلك الخطاب لغيرها، وتشكيل تلك الصور العقلية لعين الرائي، فيرى الملائكة ويسمع خطابهم، وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج. فهذا أصل هؤلاء في إثبات كلام الرب وملائكته ورسله وأنبيائه، والأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل ودعت إليه وهو القائم بنفسه المباين لخلقه العالي فوق سمواته فوق عرشه الفعال لما يريد بقدرته ومشيئته العالم بجميع المعلومات القادر على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كله.

المذهب الثالث مذهب (الجهمية) النفاة لصفات الرب تعالى القائلين: إن كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته فلم يقم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصل واختلفوا في فروعه. قال الأشعري في كتاب المقالات: اختلفت المعتزلة في كلام الله تعالى هل هو جسم أو ليس بجسم وفي خلقه على ستة أقاويل: فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن كلام الله جسم وأنه مخلوق وأنه لا شيء إلا جسم. والفرقة الثانية زعموا أن كلام الخلق عرض وهو حركة لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة، وأن كلام الخالق جسم وأن ذلك الجسم صوت منقطع مؤلف مسموع وهو فعل الله وخلقه، وهذا قول أبي الهذيل وأصحابه. وأحال النظام أن يكون كلام الله في أماكن كثيرة أو مكانين في وقت واحد وزعم أنه في المكان الذي خلق فيه. والفرقة الثالثة من المعتزلة تزعم أن القرآن مخلوق لله وأنه عرض وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه تال

فهو يوجـد مع تلاوته، وإذا كتبه وجـد مع كتابته، وإذا حفظه وجـد مع حفظه، وهو يوجد في الأمـاكن بالتلاوة والحفظ والكتابة ولا يجـوز عليه الانتقال والزوال والـفرقة الرابعـة يزعمـون أن كلام الله عـز وجل عرض وأنه مـخلوق، وأحالوا أن يوجـد في مكانين في وقت واحد وزعموا أن المكان الذي خلقه الله تعالى فيه محال انتقاله وزواله منه ووجوده في غيـره، وهذا قول جعفر بن حرب وأكـثر البغداديين. الفرقة الخـامسة أصحاب مـعمر يزعمـون أن القرآن عرض، والأعراض عندهم قـسمان: قسم منـهما يفعله الأحيـاء، وقسم منهما يفعله الأمـوات ومحال أن يكون ما يفعله الأمـوات فعلاً للأحياء. والقـرآن مفعول وهو عرض ومـحال أن يكون الله فعله في الحقـيقة، لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلاً لله وزعموا أن القرآن فعل للمحل الذي يسمع منه إذا سمع من الشجرة فهـو فعل لها، وحيث سمع فهو فعل المحل الـذي حل فيه. الفرقة السادسـة يزعمون أن كـلام الله عرض مخلوق وأنه يوجـد في أماكن كثـيرة في وقت واحد، وهذا قول الإسكافي. واخـتلفت المعتزلة في كلام الله هل يبقى؟ فقـالت فرقة منهم: يبقى بعـد خلقه، وقالت فـرقة أخرى: لا يبـقى، وإنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يعدم بعد ذلك. وهذا المذهـب هو من فروع ذلك الأصل الباطل المخالف لجميع كتب الله ورسله ولصريح المعقول والفطر من جحد صفات الرب وتعطيل حقائق أسمائه وصفاته ونفي قيام الأفـعال به، فلما أصّلوا أنه لا يقوم به وصف ولا فعل كان من فروع هذا الأصل أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآن مخلوق، وطرد ذلك إنكار ربوبيته وإلهيته فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالاً مدبراً متصرفًا في خلقه يعلم ويقرر ويريـد ويسمع ويبصـر، فإذا انتفت عنه صـفة الكلام انتـفى الأمر والنهي ولوازمهـما وذلك ينفي حـقيقـة الإلهية، فطرد مـا أصلوه أن الله سبـحانه ليس برب العالمين ولا إله فضلاً عن أن يكون لا رب غيره ولا إله سواه.

المذهب الرابع مذهب (الكلابية) أتباع عبدالله بن سعـيد بن كلاب أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتـعلق بالقدرة والمشـيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحـياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحـقيقة، والحـروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مـخلوقة وهو أربعة معاني في نفـسه: الأمر، والنهي، والخبر، والاستـفهام. فهي أنواع لذلك المعنى القـديم الذي لا يسـمع، وذلك المعنى هو المتلوّ المقـروء، وهو غـير مـخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العبـاد وهي مخلوقة. وهذا المذهب أول من يعرف أنه

قال بـه ابن كلاب وبناه على أن الكلام لابد أن يقـوم بالمتكلم، والحـروف والأصوات حادثة فلا يمكن أن تقـوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلاً للحوادث، فـهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم لذلك المعنى وهو غير مخلوق.

المذهب الخامس مـذهب (الأشعري) ومن وافقه أنه مـعنى واحد قائم بذات الرب تعالى، لأنه ليس بحرف ولا صوت ولا ينـقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء وهو عين الأمر وعين النهي وعين الخبـر وعين الاستخبار، الـكل واحد، وهو عين التوراة وعين الإنجيل والقـرآن والزبور، وكونه أمرًا ونـهيًا وخـبرًا واستـخبارًا صـفات لذلك المعنى الواحد لا أنواع له، فـإنه لا ينقسم بنوع ولا جـزء وكونه قرآنًا وتـوراة وإنجيلاً تقـسيم للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عـبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قـرآنًا، وإذا عبر عنه بالعبرانيـة كان توراة، وإن عبر عنه بالسـريانية كان إنجيلاً والمـعنى واحد وهذه الألفاظ عبـارة عنه ولا يسميـها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، وعنـده لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي ولا سـمع من الله، وعنده ذلك المعنى سمع من الله حـقيقـة ويجوز أن يرى ويشم ويذاق ويلمس ويدرك بالحواس الخـمس، إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، فكل وجود يصح تـعلق الإدراكات كلها به كما قـرره في مسألة رؤية من ليس في جـهة الرائي وأنه يرى حـقيـقة وليس مـقابلاً للرائي. هذا قـولهم في الرؤية وذلك قولهم في الكلام. والـبلية العظمى نسبـة ذلك إلى الرسول ﷺ وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة وأنهم أهل الحق ومن عداهم أهل الباطل. وجمهور العقلاء يقولون إن تصـور هذا المذهب كـاف في الجـزم ببـطلانه، وهو لا يتـصـور إلا كـمـا تتـصـور المستـحيـلات الممتنعـات. وهذا المذهب مبني على مسـألة إنكار قيام الأفعـال والأمور الاختـياريـة بالرب تعالى ويسـمونها مـسألة حلول الحوادث وحـقيقـتها إنكار أفـعاله وربوبيتـه وإرادته ومشيئتـه.

التنبيه إلى أن الأشعرية غير الأشعري

وأقول والحق يقال لا نشك أن ابن القيم هذا وشيخه ابن تيـمية رحمهما الله تعالى من أعلم من صنف في المقالات والملل والنحل وأدراهم بمواردها ومـصادرها وأبصرهم برد الباطل منها وإدحاضه وأوفاهم تقريرًا لمذهب السلف أهل السنة والجماعة وأشدهم تمسكًا به ونصرة له، وأكملهم تحريرًا لبراهينه عقلاً ونقلاً، وأكثرهم اشتغالاً بهذا الباب وتنقيبًا عن معامل البدع فيه واجـتثاثًا لأصولها، ولكن هذا الذي ذكره رحمه الله تعالى

عن الأشعري في مسـألة القرآن هو الذي وجدناه عمن ينتسب إلى الأشـعري ويسمون أنفسهم أهل الحق ويقـرون ذلك ويكررونه في كتبهم ويناظرون عليـه. وأما أبو الحسن الأشعري نفسـه رحمه الله تعـالى فالذي قرره في كتابه (الإبانـة) الذي هو من آخر ما صنف هو قول أهل الحديث ساقه بحروفه وجاء به برمـته واحتج فيه ببراهينهم العقلية والنقليـة ثم نقل أقوال الأئمة في ذلك كـأحمـد بن حنبل ومالك بن أنس والشـافعي وأصحابـه والحمادين والسفـيانين وعبد العـزيز بن الماجشون والليث بن سعـد وهشام وعيسى بن يونس وحفص بن غياث وسعد بن عامر وعبدالرحمن بن مهدي وأبي بكر ابن عيـاش ووكيع وأبي عاصم النبـيل ويعلى بن عبيـد ومحمـد بن يوسف وبشر بن المفضل وعبدالله بن داود وسلام بن أبي مطيع وابن المبارك وعلى بن عاصم وأحمد بن يونس وأبي نعيم وقـبيصـة بن عقبـة وسليمان بن داود وأبي عـبيد القـاسم بن سلام وغيرهم، ولولا خوف الإطالة لسقنا فصـول كلامه بحروفه، فإنه وإن أخطأ في تأويل بعض الآيات وأجمل في بعض المواضع فكلامـه يدل على أنه مخالف للمنتـسبين إليه من المتكلمين في مسألة القرآن كما هو مخالف لهم في إثباته الاستواء والنزول والرؤية والوجه واليدين والغضب والرضا وغير ذلـك، وقد صرح في مقالاته بأنه قائل بما قال الإمام أحمد بن حنبل وأئمة الحديث معتقد ما هم عليه مثبت لما أثبتوه محرم ما أحدث المتكلمـون من تحريف الكلم عـن مواضـعه وصـرف اللفظ عن ظاهره وإخراجـه عن حقيقـته، وبالجملة فبينه وبين المتنسبين إليـه بون بعيد بل هو بريء منهم وهم منه برآء والموعد الله وكفى بالله حسيبًا، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ابن القـيم رحمـه الله تعالى: **المذهب السـادس مذهـب (الكرامية)** وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بـذات الرب تعالى، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لـم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلمًا كما يقول سائر فرق المتكلمين أنه فعل بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن فاعلاً، كما ألزموا به الكرامـية في مسـألة الكلام فهـو لازم لهم في مـسألة الفعـل، والكراميـة أقرب إلى الصواب منهم، فإنهم أثبتوا كلامًا وفعـلاً حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل، وجعلوا لها أولاً فراراً من القول بحوادث لا أول لها، ومنازعوهم أبطلوا حقيقة الكلام والفعل وقالوا لم يقم به فعل ولا كلام ألبـتة، وأما من أثبت منهم معنى قائمًا بنفسـه سبحانه فلو كان ما أثبتـه مفعولاً لكان من جنس الإرادة والعلم لم يكن شيئًا خـارجًا عنهما،

فهم لم يثبتوا لله كلامًا ولا فعلاً، وأما الكرامية فإنهم جعلوه متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا كما جعله خصومهم فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً.

المذهب السابع مذهب (السالمية) ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيئته ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات سمعه جبريل منه وسمعه موسى بلا واسطة ويسمعه سبحانه من يشاء. وإسماعه نوعان: بواسطة وبلا واسطة، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضًا بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع البصر، وجمهور العقلاء قالوا إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه، والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل. والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها. ثم ذكر رحمه الله تعالى قول أتباع الرسل وأطال على ذلك. ثم مسألة تكلم العباد بالقرآن وساق فيه كثيراً من كلام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه وفي كتاب «خلق أفعال العباد» لأنه من أحسن الأئمة توضيحًا وتفصيلاً في هذه المسألة لما جرى عليه من المحنة في شأنها. ثم ذكر الكلام على حروف المعجم وساق فيه أقوال الأئمة. ثم ذكر اللفظية في أثناء ذلك والواقفة. ثم ذكر فصلاً في الكتابة له في الرق وغيره، ثم فصلاً في السماع، ثم فصلاً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في أول من أظهر إنكار أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المائة الثالثة ابن كلاب وأنكر عليه ذلك أئمة الحديث كأحمد والبخاري وغيرهما. وفي غضون هذه الفصول أبحاث نفيسة لا يستغنى عنها فلتراجع منه.

ثم قال رحمه الله تعالى: فصل. منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته؟ على قولين، فقالت طائفة كلامه بغير مشيئته واختياره. ثم انقسم هؤلاء أربع فرق. قالت فرقة: هو فيض فاض منه بواسطة العقل الفعال على نفس شريفة فتكلمت به كما يقول ابن سينا وأتباعه وينسبونه إلى أرسطو. وفرقة قالت: بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى هو به متكلم وهو قول الكلابية ومن تبعهم. وانقسم هؤلاء فرقتين: فرقة قالت هو معان متعددة في أنفسها أمر ونهي وخبر واستخبار، ومعنى جامع لهذه الأربعة. وفرقة قالت بل هو معنى واحد بالعين

لا ينقسم ولا يتبعض. وفرقة قالت كـلامه هو هذه الحروف والأصوات خلقها خارجة عن ذاته فصـار بها متكلمًا، وهذا قـول المعتزلة، وهو في الأصل قـول الجهميـة تلقاه عنهم أهل الاعتزال فنسب إليهم. وفرقة قالت يتكلم بقدرته ومشيئته كلامًا قائمًا بذاته سبحانه كـما يقوم به سائر أفعاله لكنه حادث النوع، وعندهم أنه صـار متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا كـما قاله من لم نصفهم من المتكلمين أنه صار فـاعلاً بعد أن لم يكن فاعـلاً. فقول هؤلاء في الفـعل المتصل كقـول أولئك في الفعل المنفـصل، وهذا قول الكرامية. وفـرقة قالت يتكلم بمشيئـته، وكلامه سبـحانه هو الذي يتكلم به الناس كله حقه وباطله وصدقه وكذبه كـما يقوله طوائف الاتحادية. وقال أهل الحديث والسنة إنه لم يزل سبـحانه متكلمًا إذا شـاء ويتكلم بمشيئتـه ولم تتحدد له هذه الصفـة بل كونه متكلمًا بمشـيئته هو من لوازم ذاته المقـدسة وهو بائن عن خلقه بذاته وصفـاته وكلامه ليس متحدًا بهم ولا حـالاً فيهم. واختلفت الفرق هل يسمع كلام الله على الحـقيقة؟ فقالت فـرقة لا يسمع كلامه على الحقـيقة إنما تسمع حكايته والعـبارة عنه، وهذا قول الكلابية ومن تبعهم. وقالت بقية الطوائف بل يسمع كلامه حقيقة. ثم اختلفوا فقالت فرقة يسمعه كل أحد من الله تعالى، وهذا قول الاتحادية. وقالت فرقة بل لا يسمع إلا من غيره، وعندهم أن مـوسى لم يسمع كلام الله منه، فهـذا قول الجهميـة والمعتزلة. وقال أهل السنة والحديث: يسمع كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى وجبـريل وغيرهما وكـما يكلم عباده يوم القـيامة ويكلم أهل الجنة ويكلم الأنبـياء في الموقف، ويسمع من المبلغ عنه كـما سمع الأنبيـاء الوحي من جبريل تبليغًـا عنه وكما سمع الصـحابة القـرآن من الرسول ﷺ عن الله فسـمعوا كـلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي. فإذا قيل المسموع مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل إن أردت المسموع عـن الله تعالى فهو كلامـه غير مخلوق، وإن أردت المسـموع من المبلغ ففيه تفصيل إن سألت عن الصوت الذي روي به كلام الله فهو مخلوق وإن سألت عن الكلام المؤدى بذلك الصوت فهو غير مخلوق. والذين قالوا إن الله يتكلم بصوت أربع فرق: فرقة قالت يتكلم بصوت مخلوق منفـصل عنه وهم المعتزلة. وفرقة قالت يتكلم بصوت قـديم لم يزل ولا يزال وهم السالميـة والاقترانيـة. وفرقة قالـت يتكلم بصوت حادث في ذاته بعـد أن لم يكن وهم الكرامية. وقـال أهل السنة والحديث لم يزل الله تعالـى متكلمًـا بصوت إذا شـاء. والذين قالوا لا يتكلم بصـوت فرقـتان: أصـحاب

الفيض، والقائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس. انتهى ما أردنا إيراده من كلامه رحمه الله تعالى وقد أودع هذه الأقوال وغيرها في مسألة القرآن وغيرها في نونيته الشافية الكافية. وأما مذهب أتباع الرسل فقد قدمنا فيه الشفاء الكافي من نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة بما لا يحتاج معه إلى غيره. وبالله التوفيق.

فصل

في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد
وهو توحيد الطلب والقصد وأنه معنى لا إله إلا الله

هذا وثاني نوعي التوحيد ... إفراد رب العرش عن نديد

أن تعبد الله إلهًا واحدًا ... معترفًا بحقه لا جاحدًا

(هذا) أي الأمر والإشارة إلى ما تقدم من تحقيق النوع الأول من نوعي التوحيد (وثاني نوعي التوحيد) هو (إفراد رب العرش عن نديد) شريك مساو، وتفسير ذلك هو (أن تعبد الله) سبحانه وتعالى (إلهًا)حال من لفظ الجلالة (واحدًا) لا شريك له في إلهيته كما لا شريك له في ربوبيته وأسمائه وصفاته، فإن توحيد الإثبات هو أعظم حجة على توحيد الطلب والقصد الذي هو توحيد الإلهية وبه احتج الله تعالى في كتابه في غير موضع على وجوب إفراده تعالى بالإلهية لتلازم التوحيدين، فإنه لا يكون إلهًا مستحقًا للعبادة إلا من كان خالقًا رازقًا مالكًا متصرفًا مدبرًا لجميع الأمور حيًا قيومًا سميعًا بصيرًا عليمًا حكيمًا موصوفًا بكل كمال منزهًا عن كل نقص، غنيًا عما سواه، مفتقرًا إليه كل ما عداه، فاعلاً مختارًا لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض،ولا تخفى عليه خافية، وهذه صفات الله عز وجل لا تنبغي إلا له ولا يشركه فيها غيره. فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو ولا تجوز لغيره فحيث كان متفردًا بالخلق والإنشاء والبدء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب إفراده بالعبادة دون من سواه لا يشرك معه في عبادته أحد كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]. وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ

والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون - إلى قوله- قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون * قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ [يونس: ٣١ - ٣٥] وقال تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون * إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون * هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [يونس: ٣ - ٥] وقال تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون * هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون * وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ [الأنعام: ١ - ٣] وقال تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين * وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون * وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين * قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين * قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾ [الأنعام: ٥٩ - ٦٤] وقال تعالى: ﴿قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ [الأنعام: ١٦٤، ١٦٥] إلى آخرها وقال تعالى: ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٢ ـ ٤] وقال تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ـ إلى قوله ـ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١ ـ ١٧] إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾ [طه: ٤٩ ـ ٥٤] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠ ـ ٣٣] وقال تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ

تُسْحَرُونَ ۞ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٩٢] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ۞ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٢ ـ ٤٥] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٧ ـ ٩] وقال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] إلى قوله: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٠ ـ ٦٣] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ۞ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ـ إلى قوله ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٢٥ ـ ٣٢] إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ

الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٣ ـ ٦٦] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ * وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ * فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ٢٢]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ١، ٢] وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ١، ٢] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٨، ٤٩] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ * مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ - إلى قوله - وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ

مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [فاطر: ٩ ـ ١٣] إلى آخر الآيات، بل إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨] وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ * ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦١ ـ ٦٤] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢] وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٩ ـ ١٣] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧] وغير ذلك من الآيات التي يقرر الله تعالى فيها ربوبيته ويمتن بنعمه وتفرده بأنواع التصرفات، وعباد الأوثان يقرون بها لله عز وجل، ويقرون بأن أوثانهم التي يدعون من دونه مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً، ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئًا، ويقرون أن الله هو المتفرد بالخلق والرزق والضر والنفع والتقدير

والتدبير وأنواع التصرفات، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم من ذلك شيء، بل هو الخالق وما عداه مخلوق، وهو الرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء سووهم به في استحقاق العبادة وأنكروا أن يكون تفرد بها وقالوا لمن قال لهم قولوا لا إله إلا الله: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] فألزمهم الله تعالى بما أقروا به من التفرد بالربوبية أن يعملوا بمقتضى ذلك ويلتزموا لازمه من توحيد الإلهية وأن يكفروا بما اتخذوا من دونه كما أقروا بعجزهم وعدم اتصافهم بشيء يستحقون به العبادة بل هم أقل وأذل وأحقر وأعجز عن أن يخلقوا ذبابًا أو أن يستنقذوا منه شيئًا سلبه. ومن تدبر هذه الآيات التي ذكرنا وما في معناها حق التدبر علم يقينًا أن عباد الأوثان مقرون بتوحيد الربوبية وشاهدون بتفرد الله بذلك وأنهم إنما أشركوا بالله تعالى في الإلهية حيث عبدوا معه غيره، هذا في الظاهر وإلا فأنواع التوحيد متلازمة، من أشرك غير الله معه في شيء منها فقد أشرك فيما عداه كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه في بيان الشرك. ومما يقدر ذلك غاية التقدير حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي حصين قبل إسلامه: «كم تعبد اليوم من إله» قال: سبعة آلهة، ستة في الأرض وواحدًا في السماء. قال ﷺ: «فمن تعد لرغبتك ورهبتك» قال الذي في السماء[1]. وتقدم أيضًا في هذه الآية أنهم إنما كان شركهم بالله في إلهيته في حالة الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون الدين لله لعلمهم أنه لا يقدر على كشف ما هم فيه من غيره، وأن آلهتهم لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع شيئًا كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥، ٦٦] وما في معانيها من الآيات مما ذكرنا ومما لم نذكر. والمقصود أن الربوبية والإلهية متلازمان لا ينفك نوع منهما عن الآخر، وأن توحيد الربوبية لم ينكره أحد إلا مكابرة كفرعون ونمرود، والثنوية الذين اعتقدوا للوجود خالقين اثنين تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا.

(معترفًا) حال من فاعل تعبد (بحقه) تعالى عليك، وعلى جميع عباده (لا جاحدًا) وحقه عليك أن تعبده لا تشرك به شيئًا كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النسا: ٣٦] وقال: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]

---

(١) تقدم في العلو.

وقال تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢] وغيرها من الآيات سنذكر ما تيسر منها قريبًا إن شاء الله تعالى. وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله تعالى على العباد، وما حق العباد على الله؟» قلت الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا»(١) الحديث.

وهو الذي به الإله أرسلا رسله يدعون إليه أولا

وأنزل الكتاب والتبيانا من أجله وفرق الفرقانا

(وهو) أي توحيد الإلهية (الذي به الإله) عز وجل (أرسلا رسله) من أولهم إلى آخرهم (يدعون إليه أولاً) قبل كل أمر فلم يدعوا إلى شيء قبله، فهم وإن اختلفت شرائعهم في تحديد بعض العبادات والحلال والحرام لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفراد الله سبحانه بتلك العبادات افترقت أو اتفقت، لا يشرك معه فيها غيره، كما قال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد»(٢) وقد أخبر الله عز وجل عن اتفاق دعوة رسله إجمالاً وتفصيلاً فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ وكذلك بقية الرسل، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٥٩) ك: التوحيد، ب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، من حديث: معاذ بن جبل، رقم (٧٣٧٣)، ومسلم (١/ ٥٨) ح (٣٠) ك: الإيمان، ب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٥٥٠) ك: الأنبياء، ب: قوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ ح (٣٤٤٣) من حديث أبي هريرة بلفظ: «الأنبياء إخوة لعلات» ومسلم (٤/ ١٨٣٧) ح (٢٣٦٥) ك: الفضائل، ب: فضائل عيسى عليه السلام من حديث أبي هريرة ﷺ.

تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين * الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء: ٦٩ ـ ٨٢] وقال تعالى: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم * إذ جاء ربه بقلب سليم * إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون * أئفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين * فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم * فتولوا عنه مدبرين * فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضربا باليمين * فأقبلوا إليه يزفون * قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون * قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم﴾ [الصافات: ٨٣ ـ ٩٧] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا * إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا * يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٥].

فبين لأبيه أن آلهته لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ولا تقدر على جلب خير ولا دفع شر ولا تغني عنه شيئًا. فتبين بذلك أن عبادة مثل هذا جهل وضلال. ثم بين له أن عنده دواء ذلك الداء، والهدى من ذلك الضلال فقال تعالى: ﴿إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا﴾ وبين أن فعله ذلك عبادة للشيطان، موجب لعذاب الرحمن وولاية الشيطان، عياذًا بالله من ذلك. وقال تعالى: ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨] وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون * يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله

أمر ألاَّ تعبدوا إلاَّ إيَّاه ذلك الدين القيِّم﴾ [يوسف: ٣٧ ـ ٤٠] الآيات وغيرها. وكذلك قص الله تعالى علينا عن جميع الرسل من نوح إلى محمد ﷺ فقال تعالى: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلاَّ الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردُّوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنَّا كفرنا بما أرسلتم به وإنَّا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب * قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمًّى قالوا إن أنتم إلاَّ بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين * قالت لهم رسلهم إن نحن إلاَّ بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلاَّ بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وما لنا ألاَّ نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ [إبراهيم: ٩ ـ ١٢] الآيات. ولو ذهبنا نذكر قصص الرسل ومحاورتهم مع قومهم وعواقب ذلك لطال الفصل. وأما نبينا محمد ﷺ وسيرته في قومه وصبره على أذاهم وما جرى له معهم فأجلى من الشمس في نحر الظهيرة، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته في شأن ذلك.

(وأنزل) الله عز وجل (الكتاب) اسم جنس لكل كتاب أنزله الله عز وجل على رسله وأشهرها الأربعة وهي التوراة على موسى موعظة وتفصيلاً لكل شيء. والإنجيل على عيسى فيه هدى ونور ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين. والزبور على داود الذي كان إذا قرأه أوَّبت معه الجبال والطير، والقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه. (والتبيانا) من عطف التفسير الذي هو أعم من المفسر لأن التبيان منه المتعبد بتلاوته والعلم به وهو الكتاب. ومنه المتعبد بالعمل به فقط وهو السنة وما في معناها. (من أجله) أي من أجل التوحيد (وفرق الفرقانا) إذ يقول تعالى: ﴿وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦] الآيات. وسنذكر إن شاء الله تعالى أصل عبادة الأصنام وغيرها في فصل بيان ضد التوحيد الذي هو الشرك وبالله التوفيق.

وكلف الله الرسول المجتبى ... قتال من عنه تولى وأبى
حتى يكون الدين خالصًا له ... سرًا وجهرًا دقه وجله
وهكذا أمته قد كلفوا ... بذا وفي نص الكتاب وصفوا

ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، متشعبة منها. مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها، فهي العروة الوثقى التي قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] قاله سعيد بن جبير والضحاك(١)، وهي العهد الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] قال ذلك عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: هو شهادة أن لا إله إلا الله، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله، وأن لا يرجو إلا الله عز وجل(٢). وهي الحسنى التي قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧] الآيات، قاله أبو عبدالرحمن السلمي والضحاك ورواه عطية عن ابن عباس(٣). وهي كلمة الحق التي ذكر الله عز وجل إذ يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] قال ذلك البغوي(٤). وهي كلمة التقوى التي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦] روى ذلك ابن جرير وعبدالله بن أحمد والترمذي بأسانيدهم إلى أبيّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ(٥). وهي القول الثابت الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] أخرجاه في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ(٦). وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلاً قبل ذلك إذ يقول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] قاله علي بن طلحة عن ابن عباس، أصلها ثابت في قلب

---

(١) ابن كثير في تفسيره (١/ ٣١٩).

(٢) ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٤٥).

(٣) ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٣٣) ومعالم التنزيل للبغوي (٥/ ٥٨٣).

(٤) معالم التنزيل (٥/ ١١٠).

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٦) ح (٣٢٦٥) من حديث أبي بن كعب، ك: تفسير القرآن، ب: ومن سورة الفتح، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث الحسن بن قزعة، قال وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وثوير بن أبي فاختة ضعيف رمي بالرفض من الرابعة، تقريب التهذيب (١/ ١٢١).

(٦) أخرجه البخاري (٨/ ٢٢٩) ك: التفسير، ب: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ ح (٤٦٩٩) من حديث البراء بن عازب، ومسلم (٤/ ٢٢٠١) ح (٢٨٧١) ك: صفة الجنة، ب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار.

المؤمن، وفرعها العمل الصالح في السماء صاعد إلى الله عز وجل. وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد(١). وهي الحسنة التي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] قال ذلك زين العابدين وإبراهيم النخعي، وعن أبي ذرّ مرفوعًا «هي أحسن الحسنات» وهي تمحو الذنوب والخطايا»(٢). وهي المثل الأعلى الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] قال ذلك قتادة ومحمد بن جرير، ورواه مالك عن محمد بن المنكدر(٣). وهي سبب النجاة كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سمع مؤذنًا يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله» فقال ﷺ: «خرجت من النار»(٤) وفيه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار»(٥) وفي حديث الشفاعة الآتي إن شاء الله تعالى: «أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله. وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»(٦). وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء» وفي رواية: «أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»(٧). وهي أفضل ما ذكر الله عز وجل به، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة كما في المسند عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما

---

(١) انظر ابن كثير (٢/ ٥٤٩).

(٢) انظر ابن كثير (٢/ ٢٠٥) والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٠٤) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) انظر ابن كثير (٣/ ٤٤٠، ٤٤١).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٢٨٨) ح (٣٨٢) ك: الصلاة، ب: الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان، من حديث أنس بن مالك.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٥٧) ح (٢٩) ك: الإيمان، ب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

(٦) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٨١) ك: التوحيد، ب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح(٧٥١٠) من حديث أنس بن مالك.

(٧) أخرجه البخاري (٦/ ٥٤٦) ك: الأنبياء، ب: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله...﴾ ح (٣٤٣٥) من حديث عبادة بن الصامت، ومسلم (١/ ٥٧) ح (٢٨) ك: الإيمان، ب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

(يبعث يوم الحشر) أي يوم الجمع (ناج) من النار (آمنًا) من فزع يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۞ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣] وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

معنى شهادة أن لا إله إلا الله

فإن معناها الذي عليه ... دلت يقينًا وهدت إليه

أن ليس بالحق إله يعبد ... إلا الإله الواحد المنفرد

بالخلق والرزق وبالتدبير ... جل عن الشرك والنظير

(فإن معناها) أي معنى هذه الكلمة (الذي عليه) متعلق بقوله (دلت) بصريح لفظها (وهدت) أي أرشدت (إليه) هو (أن ليس بالحق) متعلق بيعبد (إله) هو اسم ليس ومنفيها والنكرة في سياق النفي تعم والحكم المنفي (يعبد) الذي هو متعلق بالحق والاستحقاق فيخرج ما عبد بباطل، ولذا سماه المشركون إلهًا فتسميته بذلك باطلة فلا يستحق أن يعبد. فمعنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله، لا إله نافيًا جميع ما يعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد، إلا الله مثبتًا العبادة لله فهو الإله الحق المستحق للعبادة، فتقدير خبر لا المحذوف بحق هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة كما سنوردها إن شاء الله، وأما تقديره بموجود فيفهم منه الاتحاد، فإن الإله هو المعبود، فإذا قيل لا معبود موجود إلا الله، لزم منه أن كل معبود عبد بحق أو باطل هو الله فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأحجار والملائكة والأنبياء والأولياء وغير ذلك هي الله فيكون ذلك كله توحيداً، فما عبد على هذا التقدير إلا الله إذ هي هو، وهذا والعياذ بالله أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق، وفيه إبطال لرسالات جميع الرسل وكفر بجميع الكتب وجحود لجميع الشرائع وتكذيب بكل ذلك وتزكية لكل كافر من أن يكون كافراً إذ كل ما عبده من المخلوقات هو الله فلم يكن عندهم مشركًا بل موحدًا، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. فإذا فهمنا هذا فلا يجوز تقدير الخبر موجود. إلا أن ينعت اسم لا بحق فلا

بأس ويكون التقـدير لا إله حقًا موجـود إلا الله، فبقـيد الاستحـقـاق ينتـفي المحذور الذي ذكرنا.

(إلا الإله الواحد المنفرد. بالخلق والرزق وبالتدبير. إلخ) وهو الله سبحانه وتعالى، أي هو الإله الحق، فكمـا تفـرد تعـالى بالخلق والرزق والإحـياء والإمـاتة والإيجـاد والإعدام والنفع والضـر والإعزاز والإذلال والهداية والإضـلال وغير ذلك من مـعاني ربوبيتـه ولم يشركه أحد في خلق المخلـوقات ولا في التصرف في شيء منهـا، وتفرد بالأسماء الحسنى والصـفات العلى ولم يتصف بها غيره ولم يشبهـه شيء فيها فكذلك تفرد سبحانه بالإلهية حـقًا فلا شريك له فيها: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢] ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١ ـ ٢٣] ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٢ ـ ٤٤] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣] ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلاَّ غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٣ ـ ٢٥] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعده لمن ردها من العذاب، كما قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٣٦] فجعل الله تعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكاراً واستكباراً ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ [ص: ٥ ـ ٧] وقالوا ههنا: ﴿أَإِنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ فكذبهم الله عز وجل ورد ذلك عليهم عن رسوله ﷺ فقال: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧] إلى آخر الآيات، ثم قال في شأن من قبلها: ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الصافات: ٤٠ ـ ٤٣] إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفه أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»(١).

(و) الرابع (الانقياد) لما دلّت عليه المنافي لترك ذلك قال الله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١/ ٢١١) ك: العلم، ب: فضل من علم وعلم، ح (٧٩) من حديث أبي موسى، ومسلم (٤/ ١٧٨٧) ح (٢٢٨٢) ك: الفضائل، ب: بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم.

إلى ربكم وأسلموا له﴾ [الزمر: ٥٤] وقال تعالى: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ [النساء: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [لقمان: ٢٢] أي بلا إله إلا الله ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد، وهو محسن موحد. ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسنًا فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو المعني بقوله عز وجل بعد ذلك: ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور * نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾ [لقمان: ٢٣، ٢٤] وفي حديث صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[1] وهذا هو تمام الانقياد وغايته.

(و) الخامس (الصدق) فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقًا من قلبه يواطئ قلبه لسانه، قال الله عز وجل: ﴿الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ [العنكبوت: ١ - ٣] إلى آخر الآيات. وقال تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذبًا: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ [البقرة: ٨ - ١٠] وكم ذكر الله تعالى من شأنهم وأبدى وأعاد وكشف أستارهم وهتكها وأبدى فضائحهم في غير ما موضع من كتابه كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة وسورة كاملة في شأنهم وغير ذلك. وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»[2] فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقًا من قلبه، فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب. وفيهما أيضًا من حديث أنس بن مالك وطلحة بن عبيدالله رضي الله عنهما من قصة الأعرابي وهو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر لما سأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع»، قال: والله

---

(١) رواه الديلمي في مسنده (ح٧٧٩١) وكنز العمال (١٠٨٤) وعزاه إلى أبي نصر السجزي.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١/ ٢٧٢) ك: العلم، ب: من خص بالعلم قومًا دون قوم من حديث أنس بن مالك، ومسلم (١/ ٦١) ح (٣٢) ك: الإيمان، ب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢] وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» أخرجاه من حديث أنس رضي الله عنه[1]. وفيهما عنه وعن أبي هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[2]. وفي كتاب الحجة بسند صحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[3] وذلك الذي جاء به الرسول ﷺ هو الخبر عن الله والأمر بما يحبه الله ويرضاه والنهي عما يكره ويأباه، فإذا امتثل العبد ما أمره الله به واجتنب ما نهى الله عنه وإن كان ذلك مخالفًا لهواه كان مؤمنًا حقًّا، فكيف إذا كان لا يهوى سوى ذلك. وفي الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه»[4]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك. وقد أصبح غالب مواخاة الناس اليوم على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا. وقال الحسن البصري وغيره من السلف: ادَّعى قوم محبة الله عز وجل فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾[5] وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١/ ٩١) ك: الإيمان، ب: من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار ح(٢١) من حديث أنس بن مالك، ومسلم (١/ ٦٦) ح (٦٨) ك: الإيمان، ب: خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١/ ٧٥) ك: الإيمان، ب: حب الرسول ﷺ من الإيمان ح (١٥) من حديث أنس، ومسلم (١/ ١٧) ك: الإيمان، ب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦) ح (١٨٠٥٣) من حديث البراء بن عازب بلفظ: «إن أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله».

(٥) انظر ابن كثير (١/ ٣٦٧).

عصاني فقد أبي»(١). قال حدثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيد حدثنا سليم ـ وأثنى عليه ـ حدثنا سعيد بن ميناء حدثنا ـ أو سمعت ـ جابر بن عبد الله ﷺ يقول: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنهم نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فَرْقٌ بين الناس(٢). ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، فإذا علم أنه لا تتم محبة الله عز وجل إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه تعالى ويرضاه، وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله ﷺ واجتناب ما نهى عنه، فصارت محبته مستلزمة لمحبة رسول الله ﷺ وتصديقه ومتابعته، ولهذا قرن محبته بمحبة رسول الله ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن كقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] وغير ذلك من الآيات.

ثم اعلم أن الأحاديث الدالة على أن الشهادتين سبب لدخول الجنة والنجاة من النار لا تناقض بينها وبين أحاديث الوعيد التي فيها: من فعل ذنب كذا فالجنة عليه حرام، أو لا يدخل الجنة من فعل كذا، لإمكان الجمع بين النصوص بأنها جنان كثيرة كما أخبر النبي ﷺ وبأن أهل الجنة أيضًا متفاوتون في دخول الجنة في السبق وارتفاع المنازل، فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التي أعدت لمن لم يرتكبه، أو لا يدخلها في الوقت الذي يدخل فيه من لم يرتكب ذلك الذنب، وهذا واضح مفهوم

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٣/ ٢٦٣) ح (٧٢٨٠) من حديث عطاء بن يسار ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ . . . .

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٦٣) ح (٧٢٨١) ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ من حديث جابر بن عبدالله.

وقال: «فلا جهاد، ولا صدقة! فبم تدخل الجنة إذاً؟» قلت: أبايعك، فبايعته عليهن كلهن[1]. ففي الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج. ونظير هذا أن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ» ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى الشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة. وفهم الصديق ﷺ أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ: «فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». وقال: الزكاة حق المال. وهذا الذي فهمه الصديق ﷺ قد رواه عن النبي ﷺ صريحًا غير واحد من الصحابة، منهم ابن عمر وأنس وغيرهما ﷺ، وأنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة»[2] ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ [التوبة: ٥] الآية ولا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، ولما قرر أبو بكر ﷺ هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صوابًا، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقًا، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة. وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة أولاً وما في معناها كانت قبل نزول الفرائض والحدود، منهم الزهري والثوري وغيرهما، وهذا بعيد جداً، فإن كثيراً منها كانت بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك وهي في آخر حياة النبي ﷺ، وهؤلاء منهم من يقول: هذه الأحاديث منسوخة، ومنهم من يقول هي محكمة ولكن ضم إليها شرائط، ويلتفت هذا إلى أن زيادة النص هل هي نسخ أم لا؟ والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهور، وقد صرح الثوري بأنها منسوخة، وأنه نسختها الفرائض والحدود. وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً ويكون مرادهم أن آيات الفرائض والحدود تبين توقف دخول أهل الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم فصارت النصوص منسوخة أي مبينة مفسرة، ونصوص الحدود والفرائض ناسخة أي

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٢٤) من حديث بشير بن الخصاصية السدوسي ح (٢١٤٤٥) بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٩٥) ك: الإيمان، ب: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ ح (٢٥) من حديث ابن عمر ومسلم (١/ ٥٣) ح (٢٢) ك: الإيمان، ب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

مفسرة لمعنى تلك النصوص موضحة لها. وقالت طائفة تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة في أحاديث أخر، ففي بعضها: «من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة». وفي بعضها «مستيقنًا». وفي بعضها «مصدقًا بها قلبه لسانه»(١). وفي بعضها «يقولها من قلبه». وفي بعضها: «قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه»(٢). وهذا كله إشارة إلى عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين، فتحققه بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله أن لا يأله قلبه غير الله حبًّا ورجاء وخوفًا وطعمًا وتوكلاً واستعانة وخضوعًا وإنابة وطلبًا. وتحققه بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ أن لا يعبد بغير ما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ، وهذا المعنى جاء مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة» قيل: ما إخلاصها يا رسول الله؟ قال: «أن تحجزك عما حرم الله عليك» وهذا يروى من حديث أنس بن مالك وزيد بن أرقم(٣)، ولكن إسنادهما لا يصح. وجاء أيضًا من مراسيل الحسن نحوه، وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد «لا إله إلا الله» يقتضي أن لا إله غير الله، والإله الذي يطاع ولا يعصى هيبة وإجلالاً ومحبة وخوفًا ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله لغير الله عز وجل، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشأها من طاعة غير الله عز وجل أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل، كما ورد إطلاق الكفر والشرك على الربا وعلى الحلف بغير الله عز وجل وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه وعلى من سوّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: مالي إلا الله وأنت، وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة والرقى المكروهة وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع (٢٦/١) بلفظ «من قال لا إله إلا الله ...» وعزاه للطبراني في الأوسط، وقال: وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم والأكثر على تضعيفه.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٩٧/٥) ح (٥٠٧٤) من حديث زيد بن أرقم قال الهيثمي في المجمع (١٨/١) وفي إسناده الهيثم بن جماز وهو ضعيف.

بالمؤمنين، وإن كان أكثر المشركين يعبدون الله عز وجل ويتقربون إليه بكثير من العبادات، لكن لما عبدوا مع الله غيره وأشركوه معه في إلهيته كانت أعمالهم هباء منثورًا ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] و﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤]، و﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]، و﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]. ذلك بأنهم ﴿اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ و﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]، وتولوا الطاغوت فأخرجوهم من النور إلى الظلمات، وعبدوا الشيطان وقد عهد الله إليهم أن لا يعبدوه وبين لهم عداوته وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٠] فخالفوا أمر الله وتولوا أعداءه وكذبوا رسله وأنبياءه وحاربوا حزبه وأولياءه. وأرادوا تشييد الكفر وإعلاءه ورد الحق وإباءه. فأبى الله عز وجل إلا أن يتم نوره ويظهر دينه ويعلي كلمته وينصر أولياءه ويحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ويجعل حزبه هم الغالبين، ويجعل العاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. لكن المؤمنون هم عباده حقًا الذين أفردوه بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ولم يشبهوه بشيء من خلقه، ولم يسووا شيئًا من خلقه به. أولئك الذين تضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، كما قال تعالى في الأولى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقال في الثانية: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] وقال في الثالثة: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] تولوا الله فأخرجهم من الظلمات إلى النور، أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات الضلال إلى نور الهدى، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الغي إلى نور الرشاد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦] ملأ الله قلوبهم بنور معرفته ومحبته والشوق إلى لقائه، فلم تتسع لغيره، دنا الشيطان من قلوبهم فاحترق بنور إيمانهم

فنكص على عقبه خاسئًا حسيرًا، وأيس منهم أن يطيعوه فانقلب مذمومًا مدحورًا. فعند ذلك عزَّى نفسه اللعين وقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] حفظوا الله فحفظهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فلم ينكثوا أيمانهم، تعرفوا إلى الله في الرخاء بالعبادة فعرفهم في الشدة بالفرج، صدقوا رسله وآمنوا بكتابه وانقادوا لأمره. وانكفوا عما نهى عنه، ثم تجردوا لنصرة دينه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله ودخل الناس بذلك في دين الله أفواجًا طوعًا وكرهًا، وقادوهم إلى الجنة بالسلاسل. نصروا الله فنصرهم، وشكروه فشكرهم، وذكروه فذكرهم. عرفوا ما خلقوا له فأقبلوا عليه، ورأوا ما سواه مما يعنيهم فلم يلتفتوا إليه، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، وتعلقت أرواحهم بالرفيق الأعلى، أولئك هم خاصة الله من خلقه والمصطفون من عباده، أولئك هم أولياؤه المتقون وحزبه الغالبون. الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور.

ثم العبادة هي اسم جامع لكل ما يرضى الإله السامع

(ثم العبادة) التي خلق الله لها الخلق، وأخذ بها عليهم الميثاق، وأرسل بها رسله وأنزل كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار (هي اسم جامع لكل ما) يحب و(يرضى) مبني للمعروف فاعله (الإله السامع) وهو الله عز وجل من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فالظاهرة كالتلفظ بالشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف ونصر المظلوم وتعليم الناس الخير والدعوة إلى الله عز وجل وغير ذلك، والباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وخشية الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والرغبة والرهبة إليه، والاستعانة به، والحب والبغض في الله والموالاة والمعاداة فيه، وغير ذلك. ثم اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب. ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال من قال من السلف: من عبدالله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. ا.هـ.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء أيٌّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه(١). ولو ذهبنا نذكر أحاديث الإخلاص لطال الفصل. وأما الصدق فهو بذل العبد جهده في امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، والاستعداد للقاء الله، وترك العجز، وترك التكاسل عن طاعة الله، وإمساك النفس بلجام التقوى عن محارم الله، وطرد الشيطان عنه بالمداومة على ذكر الله، والاستقامة على ذلك كله ما استطاع. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الآية، وقال تبارك وتعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ - إلى قوله - وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ١١] وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ - إلى قوله عز وجل - وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢-١٤٦] إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا،

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٣) ك: الجهاد، ب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا من حديث أبي موسى، ومسلم (٣/ ١٥١٢) ح (١٩٠٤) ك: الإمارة، ب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

ولكن قل: قدر الله، ومـا شاء فعل، فإن «لو» تفتح عـمل الشيطان»[١] وفي الحديث الآخر: «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[٢]. وإذا اجتمعت النية الصالحة والعزيمة الصادقة في هذا العبد قام بعبادة الله عز وجل. ثم اعلم أنه لا يقبل منه ذلك إلا بمتابعته الرسول ﷺ فيعبد الله تعالى بوفق ما شرع، وهو دين الإسـلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد سواه، كمـا قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفي الصحـيحين عن عائشة ﵂ قـالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[٣] وفي رواية لمسلم: «من عمل عـملاً ليس عليه أمرنـا فهو رد»[٤] فهذه الثـلاثة الأركان شروط في العبادة لا قـوام لها إلا بها، فالعـزيمة الصادقة شرط في صدورها، والنية الخالصة، وموافقـة السنة شرط في قبولها، فلا تكون عبادة مقـبولة إلا باجتمـاعها، فـإخلاص النية بدون صدق الـعزيمة هوس وتطويل أمل وتمنٍ على الله وتسويف فـي العمل وتفريط فـيه، وصدق العـزيمة بدون إخلاص فـيه يكون شركًا أكبر أو أصغر بحسـب ما نقص من الإخلاص. فإن كان الباعث على العمل من أصله هو إرادة غـير الله فنفـاق، وإن كان دخل الرياء في تزيين العـمل وكان البـاعث عليه أولاً إرادة الله والدار الآخرة كان شركًا أصغـر بحسبه، حتى إذا غلب عليه التحق بالأكبر. وإخلاص النية مع صدق الـعزيمة إن لم يكن العمل على وفق السنة كان بدعة وحدثًا في الدين وشرع ما لـم يأذن الله به، فيكون ردًا على صاحبه ووبالاً عليه والعياذ بالله، فلا يصدر العـمل من العبد إلا بصدق العزيمـة، ولا يقبل منه ذلك إلا بإخلاص النية واتباع السنة، ولذا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢] قـال: أخلصـه وأصوبـه، يعنـي خالـصًـا من شـوائـب الشـرك موافقـًا للسنة.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٢) ح (٢٦٦٤) ك: القدر، ب: الأمر بالقوة وترك العجز من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٦٣٨) ح (٢٤٥٩) ك: صفة القـيامة، ب: رقم (٢٥) من حديث شداد بن أوس، وقال: حديث حسن وابن ماجه حديث (٤٢٦٠) والحاكم (١/ ٥٧) وقال صحيح على شرط البخاري، قال الذهبي: لا والله أبو بكر واه، وله رواية أخرى (٤/ ٢٥١) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) أخـرجه البـخـاري (٣/ ٣٥٥) ك: الصلح، ب: إذا اصطلحـوا على صلح جـور فالصلـح مردود، ومـسلم ح(١٧١٨).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٣) ك: الأقضية، ب: نقض الأحكام الباطلة من حديث عائشة.

وفي الحديث مخها الدعاء خوف توكل كذا الرجاء
ورغبة ورهبة خشوع وخشية إنابة خضوع
والاستعاذة والاستعانة كذا استغاثة به سبحانه
والذبح والنذر وغير ذلك فافهم هديت أوضح المسالك
وصرف بعضها لغير الله شرك وذاك أقبح المناهي

(و) ثبت (في الحديث) الذي في السنن كما سنذكره (مخها) أي مخ العبادة ولبها (الدعاء) قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وغير ذلك من الآيات، وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»[١]. وفيه عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة» وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة[٢]، ومعنى «مخ العبادة» أي خالصها. وفيه عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[٣]. وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه من لم يسأل الله يغضب عليه»[٤]. وفيه من حديث ابن عباس مرفوعًا: «إذا سألت فاسأل الله» وهو حديث حسن صحيح[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٥) ك: الدعوات، ب: ما جاء في فضل الدعاء، من حديث أبي هريرة، قال أبو عيسى: هذا حسن غريب.
(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٦) ك: الدعوات ب: ما جاء في فضل الدعاء من حديث أنس بن مالك، قال أبو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه.
(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٤) ك: التفسير، ب: ومن سورة المؤمن ح (٣٢٤٧) من حديث النعمان بن بشير، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود ح (١٤٧٩).
(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٦) ك: الدعاء، ب: (٢) من حديث أبي هريرة وابن ماجه ح (٣٨٢٧).
(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٦٧) ك: صفة القيامة ب (٥٩) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(خوف) أي ومن أنواع العبادة الخوف من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال سبحانه: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] وقال تبارك وتعالى: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ وقال عز وجل: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء: ٥٧] وقال تبارك اسمه: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ [الزمر: ٩] الآية وغيرها من الآيات. وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون» رواه أحمد وابن ماجه والترمذي عن أبي ذر وحسنه الترمذي(١). وفي البخاري عن أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «والله لا أدري، والله لا أدري - وأنا رسول الله ﷺ - ما يفعل بي ولا بكم»(٢). وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها»(٣) وفيه عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»(٤). وله عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله جل ذكره: أخرجوا من ذكرني يومًا أو خافني في مقامي»(٥). وله هو وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/١٤٠٢) ك: الزهد، ب: الحزن والبكاء ح (٤١٩٠) من حديث أبي ذر، والترمذي ح(٢٣١٢)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، ويروى من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال: لوددت أني كنت شجرة تعضد، وأحمد (٥/١٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٣٧)، ك: الجنائز، ب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه، ح (١٢٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/٧١٥) ك: صفة الجنة، ب: رقم (١٠)، من حديث أبي هريرة، قال أبو عيسى: هذا الحديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله ويحيى بن عبيد الله ضعيف، وأحمد في الزهد ص٢٣١، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٩٥٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/٦٣٣) ك: صفة القيامة، ب: ١٨، ح (٢٤٥٠) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر.

(٥) أخرجه الترمذي (٤/٧١٢) ك: صفة جهنم، ب: ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، والحاكم (١/ ٧٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجا قوله من ذكرني أو خافني في مقامي.

وهم يخافون أن لا يقبل منهم: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [المؤمنون: ٦١]»[١].
وفيه من حديث أبي جحيفة قال: قالوا يا رسول الله قد شبت، قال: «شيبتني هود وأخواتها»[٢] ومن حديث أبي بكر رضي الله عنه: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»[٣] وغير ذلك من الأحاديث.

(توكل) أي ومن أنواع العبادة التوكل على الله عز وجل، وهو اعتماد القلب عليه وثقته به وأنه كافيه، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] فجعله تعالى شرطًا في الإيمان كما وصف المؤمنين أنهم أهله إذ قال تعالى: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وقال موسى لقومه: ﴿إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ [يونس: ٨٤] الآيات وقال تعالى عن رسله إذ قالوا لقومهم: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١١، ١٢] وقال تعالى عن نبيه هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦] الآية وكذلك عن نبيه نوح عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: ٧١] الآية. وقال تعالى عن شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وقال تعالى: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل: ٩] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٧) ك: التفسير، ب: من سورة المؤمنين ح (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، والحاكم (٢/ ٣٩٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢٨٦) من حديث عقبة بن عامر ح (٧٩٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٣٧) ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢) ك: التفسير، ب: ومن سورة الواقعة وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، والحاكم (٢/ ٤٧٦) وقال: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وذكره الألباني ح ٩٥٥ في السلسلة الصحيحة.

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وقال تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] وقال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] أي كافيه، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] الجواب: بلى. والآيات في هذا الباب كثيرة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ وأصحابه حين: ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣][(١)].

وفي الصحيح عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بلا حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[(٢)] وفي السنن «الطيرة شرك، الطيرة شرك» قال ابن مسعود: وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل[(٣)]. وفي جامع الترمذي وغيره من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[(٤)]. وفي حديث الإيمان بالقدر «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»[(٥)]. وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه والدارمي عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعلم آية في كتاب الله عز وجل لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٧٧) ك: التفسير، تفسير سورة آل عمران، ب: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، ح(٤٥٦٣) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٣١٢) ك: الرقاق، ب: من يتوكل على الله فهو حسبه، من حديث سعيد بن جبير، ومسلم ح (٢١٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ١٦٠) ك: السير، ب: ما جاء في الطيرة بلفظ: الطيرة من الشرك، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل. ح (١٦١٤)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل وأبو داود (٣٩١٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧٣) ك: الزهد: ب: ٣٣، من حديث عمر بن الخطاب، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه (٤١٦٢)، والحاكم (٤/ ٣١٨) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤١١) ك: الزهد: ب: الورع والتقوى، ح (٤٢٢٠) من حديث أبي ذر، وفي الزوائد: هذا الحديث رجاله ثقات. غير أنه منقطع وأبو السليل لم يدرك أبا ذر قاله في التهذيب، وأحمد (٥/ ١٧٨، ١٧٩).

حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] ولابن ماجه عن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قلب ابن آدم لكل واد شعبة، فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأي واد هلك، ومن توكل على الله كفاه الشعب»(١) وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

(كذا الرجاء) أي ومن أنواع العبادة الرجاء، قال الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۞ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧] وغير ذلك من الآيات وفي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»(٢) وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار»(٣). وقال ﷺ في دعاء المكروب: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين» الحديث رواه أبو داود عن أبي بكر(٤).

(ورغبة ورهبة خشوع) أي ومن أنواع العبادة الرغبة فيما عند الله عز وجل من الثواب، وهي راجعة إلى معنى الرجاء. والرهبة مما عند الله من العقاب، وهي راجعة إلى معنى الخوف. والخشوع هو التذلل لله عز وجل، قال تعالى في آل زكريا عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ۞

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٩٥) ك: الزهد: ب: ١٤، ١٥، ح (٤١٦٦) من حديث عمرو بن العاص، في الزوائد: إسناده ضعيف، وصالح بن رزيق ليس له إلا هذا الحديث. قال في الميزان حديثه منكر.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٣٠٧) ك: الرقاق، ب: الرجاء مع الخوف، من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢) ح (١٩٩١٧) من حديث عبدالرحمن بن أبي بكرة، وأبو داود ح (٥٠٩٠) ك: الأدب، ب: ما يقول إذا أصبح.

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦] وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] وقال تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الانشراح: ٧، ٨] وغير ذلك من الآيات. وفي حديث الدعاء عند النوم: «اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك» الحديث في الصحيحين[(١)]. ولابن أبي حاتم في خطبة أبي بكر رضي الله عنه: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله عز وجل، وتثنوا عليه بما هو أهله، وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠][(٢)] وفي الصحيح من حديث دعاء النبي ﷺ في الركوع والسجود «خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي»[(٣)] وغير ذلك من الأحاديث.

(وخشية) أي ومن أنواع العبادة الخشية، وهي مرادفة للخوف. قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣] وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧] الآيات. وقال تعالى في شأن كتابه العزيز: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١] الآيات، وقال تعالى: ﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ١ ـ ٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ [يس: ١١] الآية وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢، ٣٣] الآيات، وقال تعالى في شأن الساعة: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/٤٦٢) ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿أنزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾ من حديث البراء بن عازب ح (٧٤٨٨) ومسلم (٤/٢٠٨١).

(٢) ذكره الحاكم (٢/٣٨٣) وقال: صحيح الإسناد، ولم يوافقه الذهبي وقال: عبدالرحمن بن إسحق كوفي ضعيف.

(٣) أخرجه مسلم (١/٥٣٤) ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ٩، ١٠] وغير ذلك من الآيات، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣] الآية. وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع»[(١)]، وفيه عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله. وأما الأثران فأثر في سبيل الله، وأثر فريضة من فرائض الله تعالى»، وقال: حديث حسن[(٢)]. وفي الصحيح. «إن أخشاكم، وأتقاكم لله أنا»[(٣)] الحديث وغير ذلك من الأحاديث.

(إنابة) أي ومن أنواع العبادة الإنابة وهي التوبة النصوح، والرجوع إلى الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤] وقال تعالى في ذكر شعيب ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠] وقال تعالى عن إبراهيم والذين معه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤] وقال تعالى في شأن عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧] وقال عن عبده داود عليه السلام: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] وفي ذلك آيات كثيرة سنذكر إن شاء الله ما تيسر منها في بابه.

(خضوع) أي ومن أنواع العبادة الخضوع، وهو الخشوع والتذلل بمعنى وتقدمت الآيات والأحاديث فيه. (والاستعاذة) أي ومن أنواع العبادة الاستعاذة، وهي الامتناع بالله عز وجل والالتجاء إليه، قال عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ١٧١) ك: فضائل الجهاد، ب: ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، من حديث أبي هريرة، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم (٤/ ٢٦٠)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ١٩٠) ك: فضائل الجهاد، ب: رقم ٢٦، ح (١٦٦٩) من حديث أبي أمامة، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٥) ك: النكاح، ب: الترغيب في النكاح، من حديث أنس بن مالك ح (٥٠٦٣)، ومسلم ح (١١٠٨).

الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨] وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١، ٢] السورة، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٤] السورة. وقال عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧] وقال تعالى عنه عليه السلام: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠] وقال النبي ﷺ: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. من همزه ونفخه ونفثه»[1] وقال: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»[2] وقال: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك»[3] وقال: «تعوذوا بالله من الفتن»[4] واستعاذ ﷺ من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال، ومن الرد إلى أرذل العمر ومن المأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر. ومن فتنة النار وعذاب النار. ومن شر فتنة الغنى. ومن شر فتنة الفقر. ومن فتنة المحيا والممات. ومن فتنة المسيح الدجال وغير ذلك.

(والاستعانة) أي ومن أنواع العبادة الاستعانة، وهي طلب العون من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤] أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، ونبرأ من كل معبود دونك ومن عابديه، ونبرأ من الحول والقوة إلا بك، فلا حول لأحد عن معصيتك، ولا قوة على طاعتك، إلا بتوفيقك ومعونتك. وقال عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢] وفي الترمذي من حديث وصية النبي ﷺ لابن عباس

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ١٢٧) من حديث عمرو بن العاص ح (٤٦٦) ك: الصلاة، ب: فيما يقول الرجل عند دخوله المسجد، وليس فيه العبارة الأخيرة من «همزه ونفخه ونفثه» وهذه العبارة موجودة في حديث (٧٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٠) ك: الذكر والدعاء، ب: التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء من حديث أبي هريرة ح (٢٧٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٢) ك: الصلاة، ب: ما يقال في الركوع والسجود ح (٤٨٦) من حديث عائشة.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٩) ك: صفة الجنة، ب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار من حديث زيد بن ثابت.

ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» الحديث. وقال فيه: حسن صحيح[١]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ الحديث وفيه: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله»[٢] وفي الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٣] وغير ذلك من الأحاديث.

(كذا استغاثة به سبحانه) أي ومن أنواع العبادة الاستغاثة بالله عز وجل وهي طلب الغوث منه تعالى من جلب خير أو دفع شر، قال الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢] الآية وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨] الآية. ومن دعاء النبي ﷺ: «يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السموات والأرض، برحمتك أستغيث»[٤] وفي الطبراني بإسناده من حديث ثابت بن الضحاك أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»[٥]، وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الاستسقاء: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»[٦] وغير ذلك من الأحاديث.

(والذبح) أي ومن أنواع العبادة الذبح نسكًا لله تعالى من هدى وأضحية وعقيقة وغير ذلك، قال الله عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ

---

(١) تقدم تخريجه، وهو عند الترمذي.

(٢) تقدم تخريجه وهو صحيح عند مسلم.

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٨٦) ك: الوتر، ب: الاستغفار، ح (١٥٢٢) من حديث معاذ بن جبل، والنسائي (٣/ ٥٣).

(٤) رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٥٠٩) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي: منقطع والقاسم ابن عبدالرحمن وأبوه ليسا بحجة، وعبدالرحمن لم يسمع من أبيه.

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٢) وعزاه للطبراني في الكبير، وقال: فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(٦) تقدم تخريجه.

أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] الآيات وقال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾ [الحج: ٣٦] الآيات. وفي صحيح مسلم عن علي ﷺ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله»[١] الحديث. وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن طارق بن شهاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرِّب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرِّب. قال: ليس عندي شيء أقرب. فقالوا له: قرب ولو ذبابًا. فقرب ذبابًا فخلوا سبيله فدخل النار. فقالوا للآخر: قرب. قال ما كنت لأقرِّب لأحد شيئًا دون الله عز وجل: فضربوا عنقه فدخل الجنة»[٢].

(والنذر) أي ومن أنواع العبادة النَّذْر لله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم﴾ وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠] الآية. وعن عائشة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» رواه الجماعة إلا مسلمًا[٣]. وعن عمر ﷺ قال: نذرت نذرًا في الجاهلية، فسألت النبي ﷺ بعدما أسلمت، فأمرني أن أوفي بنذري. رواه ابن ماجه[٤]. وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب إثم من لا يفي بالنذر، وذكر حديث عمران بن حصين ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: لا أدري ذكر اثنتين أو ثلاثًا بعد قرنه «ثم يجيء قوم ينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويظهر فيهم السمن»[٥]. وعن ابن عمر ﷺ أن عمر قال: يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «أوف بنذرك» وهو في

---

(١) أخرجه مسلم (٣/١٥٦٧) ك: الأضاحي، ب: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله ح (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٢٠٣) من حديث سلمان، وأحمد في الزهد (ص ١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (١١/٥٩٤) ك: الأيمان والنذور، ب: النذر فيما لا يملك وفي معصية، ح (٦٧٠٠)، من حديث عائشة، وأبو داود ح (٣٢٨٩) والترمذي ح (١٥٢٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/٦٨٧) ك: الكفارات، ب: الوفاء بالنذر من حديث عمر بن الخطاب ح (٢١٢٩).

(٥) رواه البخاري (١١/٢٤٨) ح (٦٤٢٨) ك: الرقاق، ب: ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها.

الصحيح أيضًا[(١)]. ولعله هو النذر الذي في رواية ابن ماجه مبهمًا فسرته رواية الصحيح، وفي حديث الرجل الذي سأل النبي ﷺ فقال له: إن أختي نذرت أن تحج وإنها ماتت، فقال النبي ﷺ: «لو كان عليها دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم. قال: فاقض الله، فالله أحقُّ بالقضاء»[(٢)] وغير ذلك من أحاديث الأمر بوفاء النذر عن النبي ﷺ.

ومن شرط النذر لله تعالى أن يكون طاعة، وأن يكون مما يطيقه العبد، وأن يكون فيما يملك، وأن لا يكون في موضع كان يعبد فيه غير الله تعالى أو ذريعة إلى عبادة غير الله تعالى، ولمن كان معلقًا بحصول شيء فلا يعتقد الناذر تأثير النذر في حصوله. أما الأول فلقوله ﷺ: «لا نذر في معصية الله، ولا في قطيعة رحم» الحديث رواه أبو داود[(٣)]، وكذا حديث عائشة السابق وغيره. وأما الثاني فلحديث عقبة بن عامر ﵁ قال: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله، فأمرتني أن أستفتي لها رسول الله ﷺ، فأستفتيته فقال: «لتمش ولتركب» متفق عليه[(٤)]. وعن ابن عباس ﵄ قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم فلا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: «مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه»[(٥)] فأمره ﷺ بترك ما لم يكن مطيقه ولم يكن مشروعًا، وأمره بإتمام الصوم لكونه يطيقه ولكونه مشروعًا. وأما الثالث فلقوله ﷺ: «لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود وغيره وإسناده صحيح[(٦)]. وأما الرابع فلحديث ثابت بن الضحاك أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال: «كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» فقالوا: لا، قال: «فهل

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٥٩٠) ح (٦٦٩٧) ك: الأيمان والنذور، إذا نذر أو حلف أن لا يكلم إنسانًا في الجاهلية ثم أسلم، من حديث ابن عمر.

(٢) رواه البخاري (١١/ ٥٩٢) ح (٦٦٩٩) ك: الأيمان والنذور، ب: من مات وعليه نذر من حديث ابن عباس.

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٢٨) ك: الأيمان، ب: اليمين في قطيعة الرحم عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ ح(٣٢٧٤) بنحوه، ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٤٣٥) بهذا اللفظ.

(٤) رواه البخاري (٤/ ٩٤) ح (١٨٦٦) ك: جزاء الصيد، ب: من نذر المشي إلى الكعبة، ومسلم ح (١٦٤٤).

(٥) رواه البخاري (١١/ ٥٩٤) ح (٦٧٠٤) ك: الأيمان والنذور، ب: النذر فيما لا يملك وفي معصية، من حديث ابن عباس.

(٦) رواه مسلم (٣/ ١٢٦٢) ك: النذر، ب: لا وفاء لنذر في معصية الله بلفظ «لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد»، من حديث عمران بن حصين.

كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا، قال: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود[١]. وفي سدّ الذرائع إلى ذلك حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن من فعل ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وأما الخامس فعن ابن عمر ﵄ أن النبي ﷺ قال: «إن النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخره، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل» وهو في الصحيح. وفيه في رواية عنه نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: «إنه لا يرد شيئًا، ولكنه يستخرج به من البخيل»[٢] وفيه عن أبي هريرة ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «لا يأتي ابنَ آدم النذرُ بشيء، ولكن يلقيه النذرُ إلى القدر قد قُدِّرَ له، فيستخرج الله به من البخيل، فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل»[٣] وغير ذلك من الأحاديث، وفيما ذكرنا كفاية إن شاء الله تعالى.

أنواع أخرى من العبادات الظاهرة والباطنة

(وغير ذلك) أي من العبادات الظاهرة والباطنة والتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير، وتلاوة القرآن وتدبره وتعلمه وتعليمه وسائر الأذكار المشروعة ومحبة الله ورسوله والمؤمنين، والحب في الله والبغض فيه والموالاة والمعاداة لأجله، وغير ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا السابق بأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وأن مناطها الذي لا قوام لها إلا به هو كمال الحب وغايته مع غاية الذل، ولا تسمى عبادة إلا مع ذلك كله. فالمحبة وحدها التي لم يكن معها خوف ولا تذلل كمحبة المطعم والمشرب والأهل والمال والولد وغير ذلك ليست بعبادة. وكذلك الخوف بدون محبة للمخوف منه كالخوف من عدوّ أو غرق أو حرق ونحو ذلك لم يكن عبادة، فإذا اجتمعا في العمل كان عبادة: إن كانت لله فهو التوحيد الذي هو أشرف المطالب، وإن كانت لغيره فالشرك الأكبر المخلد صاحبه في النار والعياذ بالله. ولذا قلنا **(وصرف بعضها)** أيّ شيء منها قلّ أو كثر **(لغير الله)** كائنًا من كان من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو جني

---

(١) تقدم تخريجه بنحوه في صحيح مسلم وهو عند أبي داود ح (٣٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٥٨٤) ح (٦٦٩٢) ك: القدر، ب: إلقاء العبد النذر إلى القدر، ومسلم ح (١٦٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٥٨٤) ح (٦٦٩٤) ك: القدر، ب: الأيمان والنذور من حديث أبي هريرة، ومسلم (١٦٤٠).

أو شجر أو حجر أو غيره، كل ذلك (شرك) أكبر، (وذاك) إشارة إلى الشرك هو (أقبح المناهي) على الإطلاق، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥] الآيات، أي لا أحد أضل منه، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فالشرك أعظم الظلم، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ولا أعظم ظلمًا من شكاية العبد ربه الذي هو أرحم الراحمين فيما أصابه من ضر أو فاته من خير إلى من لا يرحمه ولا يسمعه ولا يبصره ولا يعلمه ولا يملك لنفسه ولا لداعيه من ضر ولا نفع ولا موت ولا حياة ولا نشور، ولا يغني عنه مثقال ذرة، وعدوله عمن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، ويفزع في قضاء حوائجه إلى من لا قدرة له على شيء ألبتة ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] وصرفه عبادة خالقه - الذي خلقه لعبادته وتوحيده ورباه بنعمه الظاهرة والباطنة وحفظه وكلأه بالليل والنهار وحماه من جميع المخاوف والأخطار - لمخلوق مثله خلقه الله بقدرته ولم يكن من قبل شيئًا، بل هو مسخر مدبر مربوب متصرف فيه الله تعالى بما شاء من أنواع التصرف لا يبدي حراكًا ولا ينفك من قبضة الله عز وجل، بل هو خلقه وملكه مخلوق لعبادته فيرفعه من درجة العبودية والتأله إلى جعله مألوهًا معبودًا: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: ٢٨] الآية، هذا والله أظلم الظلم وأقبح الجهل وأكبر الكبائر، ولذا لم تدعُ الرسل إلى شيء قبل التوحيد، ولم تنه عن شيء قبل التنديد، ولم يتوعد الله على ذنب أكبر مما جاء على الشرك من الوعيد الشديد. وفي الصحيح عن ابن مسعود ﷺ: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»(١).

وسنذكر إن شاء الله من الآيات، والأحاديث قريبًا ما تقرُّ به أعين الموحدين، وتدحض شبهة المعاندين، ويدمغ باطل الملحدين، والله المستعان وبه التوفيق.

---

(١) رواه البخاري (٨/١٣) ك: التفسير، ب: ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾ ح (٤٤٧٧) من حديث عمرو ابن شرحبيل عن عبدالله. ومسلم ح (٨٦)، والنسائي (٧/ ٨٩، ٩٠).

فصل

في بيان ضد التوحيد وهو الشرك وكونه ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر، وبيان كل منهما

قد قدمنا انقسام التوحيد إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة. ولكل من هذه الأنواع ضد يفهم من تعريفه، فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كل مخلوقاته لا شريك له في ملكه، فضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل. وإذا عرفت أن توحيد الأسماء والصفات هو أن يدعى الله تعالى بما سمى به نفسه ويوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ وينفي عنه التشبيه والتمثيل، فضد ذلك شيئان ويعمهما اسم الإلحاد: أحدهما نفي ذلك عن الله عز وجل وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة، ثانيهما تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وإذا عرفت أن توحيد الإلهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى فضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، وهذا هو الغالب على عامة المشركين وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها.

أول ظهور الشرك

وأول ما ظهر الشرك في قوم نوح على المشهور، وقد كان بنو آدم على ملة أبيهم عليه السلام نحو عشرة قرون كما قدمنا، وبه قال ابن عباس وغيره في تفسير قوله عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وذلك لأن الشيطان لعنه الله لم يزل دائبًا جادًا مشمرًا في

عداوة بني آدم عليه السلام منذ كان أبوهم طينًا، فلما نفخ الله فيه الروح وعلمه الأسماء كلها وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وقال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] وقال تعالى: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣] فلما سأله الله عز وجل عن سبب امتناعه من السجود واستكباره عن أمر ربه ـ والله تعالى أعلم به ـ فقال سبحانه له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢] فأجاب الخبيث مفتخرًا بأصله، طاعنًا على ربه تعالى في حكمته وعدله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فعامله الجبار بنقيض ما قصده وأذاقه وبال حسده، وأثمر له استكباره الذل الأبدي الذي لا عز بعده: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣] وقال: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨] الآية وقال: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٧، ٧٨] فطلب الإنظار ليأخذ بزعمه من آدم وذريته بالثأر، ولا يعلم أنه بذلك إنما يزداد من غضب الجبار، وقد علم أنه لا سبيل له إلا على حزبه وتابعيه من الكفار، الذين هو إمامهم في الخروج عن طاعة الله والاستكبار ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٧٩ ـ ٨١] أجابه الله تعالى إلى طلبته ليمتحن عباده اختبارًا وابتلاءً ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [تبارك: ٢] فقابل النعمة بالكفران وجدد صفقة الخسران وأقسم ليستعملن مدته وليستغرقن حياته في إغواء ذرية آدم الذين كان طرده وإبعاده بسببهم إذ لم يسجد لأبيهم، ولا رأى أن ذلك باستكباره عن أمر ربه، بل قدس نفسه اللئيمة وأسند الإغواء إلى ربه مخاصمة ومحادَّة ومشاقَّة: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] ولم يقل اللعين: «من فوقهم» لعلمه أن الله تعالى من فوقهم، قال الله سبحانه: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤١، ٤٢] وقد علم الرجيم ذلك فقال آيسًا منهم: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] ثم لما سعى إلى آدم وحواء زوجه في الجنة ودلهما على تلك الشجرة التي نهاهم الله عز وجل عنها أن يقربوها، وأباح لهم ما سواها من الجنة، فاستدرجهم اللعين بخداعه وحيلته البائرة، وغرهم بتلك اليمين الفاجرة: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] فنفذ قضاء الله تعالى وقدره

بأكلهما منها: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ [الأنفال: ٤٢]. وظن اللعين أنه قد أخذ بثأره من آدم وأنه قد أهلكه معه، ولم يعلم بفضل الله عز وجل وسعة رحمته الذي لا يقدر أحد على شيء منه: و﴿أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩] فلما عاتبهما الله تبارك وتعالى على ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢] فلم يعترضا على قضاء الله وقدره ولم يحتجا بذلك على ارتكاب ما نهى الله عنه ولم يخاصما به كما قال اللعين مواجهًا ربه بقوله: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦] بل اعترافا بقدرة الله عليهما وأقرّا بظلمهما لأنفسهما وصرحا بافتقارهما إلى ربهما وبكمال غناه عنهما: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وهذه هي الكلمات التي قال الله عز وجل: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

ثم أراد الله سبحانه أن يهبطهم إلى دار أخرى هي دار الامتحان والابتلاء ليتبين حزبه الذين يتبعون رسله ويقاتلون أعداءه ويغرس لهم بصالح الأعمال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويتبين حزب عدوه الذين اتبعوه وأطاعوه وصاروا من خيله ورَجله وقد أعد لهم جهنم وساءت مصيراً، وألقى العداوة ونصب الحرب بين هذين الحزبين في هذه الدار ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعًا فيجعله في جهنم فقال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨،٣٩]. ثم كان من كيد الشيطان مما قص الله عز وجل من إلقائه الفتنة بين ابني آدم وقتل أحدهما الآخر كما في سورة المائدة.

ولما مات آدم عليه السلام كان وصيه شيئًا عليه السلام، ومضت تلك المدة التي ذكرنا والناس كلهم على شريعة من الحق كما قال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود أخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين(١).

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٤٤٢) ك: التفسير، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وانظر تحذير الساجد ص (١٠١) وابن جرير في جامع البيان (٢/ ٣٣٤).

وزين الشيطان لعنه الله لقوم نوح عبادة الأصنام وكان أول ذلك أن زين لهم تعظيم القبور والعكوف عليها، وبيان ذلك ما روى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس قال في ودّ وسُواع ويغوث ويعوق ونسر: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنوسى العلم عبدت ا.هـ[1]. فلو جاءهم اللعين وأمرهم من أول مرة بعبادتهم لم يقبلوا ولم يطيعوه، بل أمر الأولين بنصب الصور لتكون ذريعة للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادة الله عندها ذريعة إلى عبادتها ممن يخلفهم. فلما أرسل الله سبحانه إليهم نوحًا عليه السلام فلبث فيهم ما لبث يدعوهم إلى الله تعالى وهم مستكبرون عن الحق حتى أهلكهم الله تعالى بالطوفان. ثم بعدهم عادٌ عبدوا آلهة مع الله منها هدا وصدى وصمودًا، فأرسل الله عز وجل إليهم هودًا عليه السلام فلبث فيهم ما لبث يدعوهم إلى توحيد الله عز وجل، فلما حق عليهم العذاب أهلكهم الله تعالى بالريح. ثم ثمود كذلك وأرسل الله إليهم صالحًا عليه السلام فكذبوه فأهلكوا بالصيحة. ثم قوم إبراهيم وعبدوا الشمس والقمر والنجوم وعبدوا الأصنام وغير ذلك، وقد قص الله تعالى في كتابه كل ذلك مفصلاً عن الأمم ورسلهم.

وعبد أول بني إسرائيل العجل وآخرهم عبدوا عزيرًا، وعبدت النصارى المسيح وعبدت المجوس النار وعبد قوم الماء وعبد كل قوم ما زينه الشيطان لهم على قدر عقولهم، هذا في الأمم الأولى وكل منها له وارث من الأمم المتأخرة، فالأصنام التي في قوم نوح قد انتقلت إلى العرب في زمن عمرو بن لُحَيّ قبحه الله تعالى كما ذكره ابن عباس فيما رواه البخاري عنه ﷺ قال: أما وَدّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وسواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. انتهى[2].

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٥٣٥) ك: التفسير، تفسير سورة نوح، ب: ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق. ح (٤٩٢٠) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٣٥) ك: التفسير، تفسير سورة نوح، ب: ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق، ح(٤٩٢٠) من حديث ابن عباس.

دخول الوثنية إلى بلاد العرب على يد عمرو بن لحيّ الخزاعي

وتفسير ذلك ما ذكره الكلبي حيث قال: وكان عمرو بن لحي كاهنًا وله رئى من الجن فقال له: عجل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، ائت جدة، تجد فيها أصنامًا معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب. فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عدن بن زيد اللات فدفع إليه وَدًّا فحمله. فكان بوادي القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمى به، وجعل عوف ابنه عامرًا سادنًا له فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالإسلام. قال الكلبي: فحدثني مالك بن حارثة أنه رأى ودًا. قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه فيقول اسقه إلهك فأشربه. قال ثم رأيت خالد بن الوليد ﵁ كسره فجعله جذاذًا، وكان رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عذرة وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره. قال الكلبي: فقلت لمالك بن حارثة صف لي وَدًّا كأني أنظر إليه، قال كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد دبر - أي نقش - عليه حلتان متزر بحلة مرتد بأخرى عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسًا وبين يديه حربة فيها لواء وقبضة فيها نبل بغير جعبة. وأجابت عمرو بن لحي مضر بن نزار فدفع إلى رجل من هذيلٍ يقال له الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر سُواعًا فكان بأرض يقال لها وهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر، وفي ذلك يقول رجل من العرب.

تراهم حول قبلتهم عكوفًا ... كما عكفت هُذيلٌ على سواع

وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادي يغوث، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها، وأجابته هَمدان فدفع إلى مالك بن زيد بن جشم يعوق فكان بقرية يقال لها خيوان فعبدته همدان ومن والاها من اليمن، وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذي رعين يقال له معدي كرب نسرًا فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس، فلم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبي ﷺ فهدمها وكسرها. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه

في النار. وكان أول من سيَّب السوائب»(١) وفي لفظ: «وغير دين إبراهيم». وروى ابن إسحاق عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجوف الخزاعي: «يا أكثم، رأيت عَمرَو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيتُ رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه» فقال أكثم: عسى ألا يضرني شبهه يا رسول الله، قال: «لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البَحِيرة وسيَّب السائبة وحمى الحامي»(٢). قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مآب من أرض البلقاء ـ وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح ـ رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه الأصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه. فأعطوه صنمًا يقال له هُبَل، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه(٣). وقال ابن إسحاق: واتخذوا إسافًا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جرهم هو إساف بن بغي ونائلة بنت ديك فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين»(٤). قال وقال أبو طالب:

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ... بمفضى السيول من إساف ونائل

واتخذوا حول الكعبة نحو ثلاثمائة وستين صنمًا. قال ابن إسحاق وكان لخولان صنم يقال له عم أنس بأرض خولان يقسمون له من أموالهم من أنعامهم وحروثهم قسمًا بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق عم أنس من حق الله تعالى الذي سموه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالى من حق عم أنس ردوه عليه. وهم بطن من خلوان يقال لهم الأديم، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ

---

(١) رواه البخاري (٨/ ١٣٢) ح (٤٦٢٣) ك: التفسير، ب: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ من حديث سعيد بن المسيب، ومسلم (٣٨٥٦).

(٢) ذكره ابن هشام (١/ ٧١) من حديث أبي هريرة وسنده حسن فابن إسحاق صرح بالتحديث.

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٧٢).

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٧٧).

لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦] قال وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر صنم يقال له سعد، صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم، فلما رأته الإبل - وكانت مرعية لا تركب، وكان يهراق عليه الدماء - نفرت منه فذهبت في كل وجه، وغضب ربها الملكاني فأخذ حجرًا فرماه به وقال: لا بارك الله فيك، نفّرت عليّ إبلي. ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أتينا إلى سعد ليجمعَ شَمْلَنا ... فشتتنا سعدٌ فلا نحن من سعدِ

وهل سعدٌ إلاّ صخرة بتنوفة ... من الأرض لا تدعو لغي ولا رشد

وكان لدوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي. قال وكان لقريش وبني كنانة العزى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم حلفاء أبي طالب. قلت فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فهدمها. قال وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بنيْ معتب من ثقيف. قال وكان مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، وقال ابن هشام فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه فهدمها، ويقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة فبعث إليها رسول الله ﷺ جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه فهدمها. قال وكانت قلس لطيئ ومن يليها بجبل طيئ بين سلمى وأجأ، قال ابن هشام فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لأحدهما الرسوب وللآخر المخذم فوهبهما له فهما سيفا علي رضي الله عنه. قال وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رئام. قال: وكانت رضاء بيتًا لبني ربيعة بن كعب وفيها يقول المستوغر بن ربيعة حين هدمها في الإسلام:

ولقد شددتُ على رضاء شدة ... فتركتُها قفرًا بقاعٍ أسحمـا

وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد، وله يقول أعشى بني قيس:

بين الخورنقِ والسديرِ وبارقٍ ... والبيت ذي الشرفاتِ من سنداد(١)

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٨٢).

قال ابن إسحاق وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة وشريفًا من أشرافهم وكان قد اتخذ في داره صنمًا من خشب يقال له مناة فلما أسلم فتيان بني سلمة ـ معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح وغيرهم ـ ممن أسلم وشهد العقبة وكانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذرات الناس منكسًا على رأسه فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال: والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيته. فإذا أمسى ونام غدوا ففعلوا بصنمه مثل ذلك، فيغدو يلتمسه فيجد به مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطهره ويطيبه، فيغدون عليه إذا أمسى فيفعلون به ذلك. فلما طال عليه استخرجه من حيث ألقوه فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له: والله لا أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبًا ميتًا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر الناس، وغدا عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان به فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسًا مقرونًا بكلب ميت. فلما رآه أبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن إسلامه، فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره وشكر الله إذ أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنت إلهًا لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قرن
أُف لملقاك إلهًا مستدن ... تهانُ أو تسئل عن سوء الغبن
الحمد لله العلي ذي المنن ... الواهب الرزاق ديَّان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن ... أكون في ظلمة قبر مرتهن[1]

قال ابن إسحاق واتخذ أهل كل دار في دارهم صنمًا يعبدونه، فإذا أراد رجل منهم سفرًا تمسح به فيكون آخر عهده وأول عهده، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالتوحيد قالت قريش: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب

(١) ابن كثير (البداية والنهاية ٣/ ١٦٥)، وإغاثة اللهفان لابن القيم ص٥٨٢.

ويهدي لها كما يهـدي للكعبة ويطاف بها كما يطاف بالكعبة وينـحر عندها كما ينحر عند الكعبة(١)، وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعـة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخـذه ربًا وجعل الثلاثة أثافي لقدره، فـإذا ارتحل تركه، فإذا نـزل منـزلاً آخـر فعل مثل ذلك.

وقال أبو رجـاء العطاردي لما بعث النبي ﷺ فسـمعنا به سـمعنا بمسيـلمة الكذاب فلحقنا بالنار، قال وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقي ذاك ونأخذه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حـثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به، قـال وكنا نعمد إلى الرمـل فنجمعـه ونحلب عليه فنعـبده، وكنا نعـمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمانًا ثم نلقيه.

وقال أبو عثمان النهدي: كنا في الجاهلية نعبد حجراً، فسمعنا مناديًا ينادي يا أهل الرحال إن ربكم قد هلـك فالتمسوا ربًا. قـال فخرجنا على كل صعب وذلول فـبينما نحن كذلك نطلبه إذا نحن بمناد ينادي: إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه، فإذا حجر فنحرنا عليه الجزور.

وقال عمرو بن عبـسة كنت ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس مـعهم إله، فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعـة أحجار فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنهـا إلهًا يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره.

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلثمـائة وستين صنمًا فجعل يطعن بنشبة قوسـه في وجوهها وعيونها ويقول: جاء الحـق وزهق الباطل وهي تتساقط على وجوهها ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت(٢).

أسباب تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في خاتمة كتابه الإغاثة:

فصـــل

وتلاعبُ الشيطان بالمشركين في عبـادة الأصنام له أسباب عديدة، تلاعبَ بكل قوم

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٧٨).

(٢) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ص٥٨٢، ٥٨٣.

على قدر عقولهم: فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن قوم نوح عليه السلام، ولهذا لعن النبي ﷺ المتخذين على القبور المساجد والسرج، ونهى عن الصلاة إلى القبور، وسأل ربه سبحانه أن لا يجعل قبره وثنًا يعبد، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدًا، وقال: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١) وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل. قلت وسنذكر الأحاديث المسندة في ذلك قريبًا إن شاء الله تعالى. قال فأبي المشركون إلا خلافه في ذلك كله إما جهلاً وإما عنادًا لأهل التوحيد، ولم يضرهم ذلك شيئًا، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين، وأما خواصهم فإنهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتًا وسدنة وحجابًا وحجًا وقربانًا، ولم يزل هذا في الدنيا قديمًا وحديثًا، فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت به أصنام أخرجها بعض ملوك المجوس وجعله بيت نار. ومنها بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء بناه بعض المشركين على اسم الزهرة فخربه عثمان ﷺ. ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم، وأشد الأمم في هذا النوع من الشرك الهند. قال يحيى بن بشر: إن شريعة الهند وضعها لهم رجل يقال له برهمن ووضع لهم أصنامًا وجعل أعظم بيوتها بيتًا بمدينة من مدائن السند وجعل فيه صنمهم الأعظم وزعم أنه بصورة الهيولي الأكبر، وفتحت هذه المدينة في أيام الحجاج واسمها الملتان. إلى أن قال رحمه الله: وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسر حجتهم بعلمه، وآلهتهم بيده، فطلبوا تحريقه. وهذا مذهب قديم في العالم وأهله طوائف شتى، فمنهم عباد الشمس زعموا أنها ملك من الملائكة لها نفس وعقل، وهي أصل نور القمر والكواكب، وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها، وهي عندهم ملك الفلك يستحق التعظيم، والسجود والدعاء. ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتخذوا لها صنمًا بيده جوهر على نوع النار، وله بيت خاص قد بنوه باسمه وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع وله سدنة وقوّام وحجبة يأتون البيت ويصلون فيه لها ثلاث كرات في اليوم، ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويصلون ويدعون ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم، وإذا

(١) رواه ابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٤١ ـ ٤٣).

غربت، وإذا توسطت الفلك. ولهـذا يقارفهـا الشيطان في هذه الأوقاف الثـلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم له، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تحري الصلاة في هذه الأوقات قطعًا لمشابهة الكفار ظاهرًا، وسدًّا لذريعة الشرك وعبادة الأصنام.

قلت: وقد ذكر الله عز وجل عبادة الشمس عن أهل سبأ من أرض اليمن في عهد بلقيس، كما حكى قول الهدهد حيث قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤] إلى آخر الآيات، وهداها الله تعـالى إلى الإسـلام على يد نبيـه سليـمان عليـه السلام حيـث قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

ثم قال ابن القيم(١) رحمه الله تعالى: (فصل) وطائفة أخـرى اتخذت للقمر صنمًا وزعموا أنه يستحـق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلـي، ومن شريعة عبّاده أنهم اتخذوا لهم صنمًا على شكل عجل ويجره أربعـة، وبيد الصنم جوهرة، ويعبدونه ويسجدون له ويصومـون له أيامًا معلومة من كل شهر، ثم يأتون إلـيه بالطعام والشراب والفرح والسرور، فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه. ومنهم من يعبد أصنامًا اتخذوها على صـور الكواكب وروحانياتها بزعمهم وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه، ومتى أردت الوقوف على هذا فـانظر في كتاب «الـسر المكتوم في مـخاطبة النجـوم» المنسوب لابن خطيب الريّ تعـرف عبادة الأصنام وكـيفية تـلك العبادة وشـرائطها، وكل هؤلاء مرجعهم إلى عبادة الأصنام، فـإنهم لا تستمر لهم طريق إلا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون إليـه ويعكفون عليه، ومن هنا اتخـذ أصحاب الروحـانيات والكواكب أصنامًا زعمـوا أنها على صورها، فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل مـعبود غائب فجعلوا الـصنم على شكله وهيأته وصورته ليكون نائبًا منابه وقائمًـا مقامه. وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة أو حجرًا بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده.

ومن أسباب عـبادتها(٢) أيضًا أن الشيـاطين تدخل فيها وتخاطبهم منهـا وتخبرهم ببعض المغيبات عنهم وتدلهم على بعض مـا يخفى عليهم وهم لا يشاهدون الشيطان، فجهلتهم وسقطهم يظنون أن الصنم نفـسه هو المتكلم المخاطب، وعقلاؤهم يقولون إن

(١) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ص٥٨٤، ٥٨٥.

(٢) انظر إغاثة اللهفان ص٥٨٦.

تلك روحانيات الأصنام، وبعضهم يقول إنها الملائكة، وبعضهم يقول إنها هي العقول المجردة، وبعضهم يقول هي روحانيات الأجرام العلوية، وكثير منهم لا يسأل عما عهد بل إذا سمع الخطاب من الصنم اتخذه إلهًا ولا يسأل عما وراء ذلك. وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم عليه السلام، وعبادتها في الأرض من قبل نوح عليه السلام كما تقدم، وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبق الأرض. قال إمام الحنفاء: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥،٣٦] والأمم التي أهلكها الله تعالى بأنواع الهلاك كلهم يعبدون الأصنام كما قص الله عز وجل ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين. ويكفي في معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي ﷺ أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون[1]، وقد قال تعالى: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢] ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، فهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حبًّا لها وتعظيمًا ويوصي بعضهم بعضًا بالصبر عليها وتحمل أنواع المكاره في نصرتها وعبادتها، وهم يسمعون أخبار الأمم التي فتنت بعبادتها وما حل بهم من عاجل العقوبات ولا يثنيهم ذلك عن عبادتها، ففتنة عبادة الأصنام أشد من فتنة عشق الصور وفتنة الفجور بها، والعاشق لا يثنيه عن مراده خشية عقوبة في الدنيا ولا في الآخرة، وهو يشاهد ما يحل بأصحاب ذلك من الآلام والعقوبات والضرب والحبس والنكال والفقر، غير ما أعد الله له في الآخرة وفي البرزخ، ولا يزيده ذلك إلا إقدامًا وحرصًا على الوصول والظفر بحاجته، فهكذا الفتنة بعبادة الأصنام وأشد، فإن تأله القلوب لها أعظم من تألهها للصور التي يريد منها الفاحشة بكثير، والقرآن بل وسائر الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله وأنهم أعداء الله

---

(١) أخرجه البخاري بلفظ: «أخرج بعث جهنم من ذريتك، فيقول يا رب كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين...» ح (٦٥٢٩)، (١١/ ٣٨٥).

وأعداء رسله وأنهم أولياء الشيطان وعبـاده وأنهم هم أهل النار الذين لا يخرجون منها وهم الذي حلت بهم المثـلات ونزلت بهم العقـوبات وأن الله سبحـانه بريء منهم هو وجميع رسله ومـلائكته وأنه سبحـانه لا يغفر لهم ولا يقبل لهم عـملاً، وهذا معلوم بالضرورة من الدين الحنيف، وقـد أباح الله عز وجل لرسوله وأتباعـه من الحنفاء دماء هؤلاء وأمـوالهم ونساءهم وأبـناءهم، وأمرهم بتطهـيـر الأرض منهم حيث وجـدوا، وذمهم بسائر أنواع الذم وتوعدهم بأعظم أنواع العقوبة. فهؤلاء في شق ورسل الله في شق. ثم قال رحمه الله تعالى:

فـصـــل

ومن أسباب عـبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جـعلوا فيه حظًا من الإلهية وشـبهوه بالله تعالى، وهذا هو التشـبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه وبعـث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله، فهو سـبحانه ينفي وينهى أن يجعل غيـره مثلاً له ونداً وشبهًـا له، لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم أمـة جعلته سبحانه مثلاً لشيء من مخلوقاته فجعلت المخلوق أصلاً وشبهت به الخالق فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم، وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك غلواً في من يعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرحوا أنه إله وأنكروا جعل الآلهة إلـهًا واحدًا وقالوا اصبـروا على آلهتكم، وصرحوا بأنه إله مـعبود يرجى ويخاف ويعظم ويسجـد له ويحلف باسمه ويقرب له القـرابين إلى غير ذلك من خصائص العـبادة التي لا تنبغي إلا لله تعـالى. ثم ذكر رحمه الله تعالى فـي ذلك بحثًا نفيـسًا فـأجاد وأفـاد، ثم ذكر باقي طوائف المشـركين من عبـاد النار والماء والحـيوانات والملائكة وغيـرهم من الثنوية والدهرية والفلاسفـة، وذكر من أوضاع شرائعـهم الباطلة وأصولها وكيفية عبادتهم لما ألهوه ونقض ذلك عليهم أتم نقض، تغمده الله برحمته(١).

أكثر شرك الأمم في الإلهية، لا بجحود الصانع

والمقصـود أن أكثر شـرك الأمم التي بعث الله إليها رسله وأنزل كـتبه غـالبهم إنما أشرك في الإلهية، ولم يذكر جحود الصانع إلا عن الدهرية والثنوية، وأما غيرهم ممن جحدها عناداً كفـرعون ونمرود وأضرابهم فهم مقرون بالربوبية باطنًا كـما قدمنا، وقال

---

(١) انظر إغاثة اللهفان ص٥٨٨.

الله عز وجل عنهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] وبقية المشركين يقرّون بالربوبيــة باطنًا وظاهرًا كما صرح بذلك القرآن فيـما قدمنا من الآيات وغيرها، مع أن الشـرك في الربوبية لازم لهم من جهة إشراكهم في الإلهـية وكذا في الأسماء والصـفات، إذ أنواع التوحيـد متلازمة لا ينفك نوع منهـا عن الآخر، وهكذا أضدادها فمن ضـاد نوعًا من أنواع التوحيـد بشيء من الشرك فقد أشـرك في الباقي، مثال ذلك في هـذا الزمن عباد القبور إذا قـال أحدهم يا شيخ فلان ـ لذلـك المقبور ـ أغثني أو افعل لي كـذا ونحو ذلك يناديه من مسافة بعـيدة وهو مع ذلك تحت التراب وقد صار ترابًا. فدعاؤه إياه عبادة صرفها له من دون الله لأن الدعاء مخ العبادة، فهذا شرك في الإلهية. وسؤاله إياه تلك الحـاجة من جلب خير أو دفع ضر أو رد غائب أو شفاء مريض أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله معتقدًا أنه قادر على ذلك هذا شرك في الربوبية حيث اعـتقد أنه متصرف مع الله تعـالى في ملكوته. ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء إلا مع اعتـقاده أنه يسمعه على البعـد والقرب في أي وقت كان وفي أي مكان ويصرحـون بذلك، وهذا شرك في الأسمـاء والصفات حيث أثبـت له سمعًا مـحيطًا بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد، فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات.

الشرك الأكبـر

والشركُ نوعان فشركٌ أكبر ... به خلود النارِ إذ لا يغفرُ

وهـو اتخـاذُ العـبدِ غير الله ... ندًّا به مسوّيًا مـضاهـي

(والشرك) الذي هو ضد التوحيد (نوعان) أي ينقسم إلى نوعين: (فشرك أكـبر) ينافي التوحيـد بالكلية ويخرج صاحـبه من الإسلام (به خلود) فاعله في (النار) أبدًا (إذ) تعليل لأبدية الخلود أي لكونه (لا يغفر) قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١] وقال لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد أن أثنى عليهم: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال لخاتمهم محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦] فالشرك أعظم ذنب عصي الله به، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره وأنه لا أضل من فاعله، وأنه مخلد في النار أبداً لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع، وأنه لو قام لله تعالى قيام السارية ليلاً ونهاراً ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة من اللحظات ومات على ذلك فقد حبط عمله كله بتلك اللحظة التي أشرك فيها ولو كان نبيًا رسولاً، ولو كان محمداً ﷺ، وهذا من تقدير وقوع المحال وهو كثير في اللغة العربية، أي لو قدر وقوع ذلك من ملك أو رسول لكان كغيره من المشركين في حبوط عمله وحلول غضب الله عليه، وإلا فلم يرسل الله تعالى رسولاً إلا معصومًا من جميع المعاصي فضلاً عن الشرك ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. والآيات في بيان عظم الشرك ووعيد فاعله أكثر من أن يحيط بها هذا المختصر، وفي معناها من الأحاديث ما لا يحصى، ولنذكر من ذلك ما تيسر فنقول وبالله التوفيق:

وفي الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار» وقلت أنا: «ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»(١). وفيه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: أتى النبيَّ ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»(٢). وفيه عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لقى الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به شيئًا دخل النار»(٣). وفيه من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل عليه السلام فبشرني

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣١) ك: الجنائز، ب: ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ح (١٢٣٨) من حديث عبدالله - رضي الله عنه -، ومسلم (ح: ٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٩٤) ح (١٥١) ك: الإيمان ب: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار. من حديث جابر بن عبد الله.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٩٤) ح (١٥٢) ك: الإيمان، ب: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار، من حديث جابر بن عبدالله بنحوه.

أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق»(١). وفيه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»(٢) الحديث. وفيه عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثًا): الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور» الحديث(٣). وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة فإن الله تعالى يغفر ذلك ويتجاوزه إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا فظلم العباد بعضهم بعضًا، القصاص لا محالة» تفرد به أحمد(٤). وله عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا» ورواه النسائي أيضًا(٥). ولأحمد عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا عبدي، ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك على ما كان منك، يا عبدي إنك إن لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لقيتك بقرابها مغفرة»(٦). وللترمذي وقال حسن صحيح عن أنس

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٢) ك: الجنائز، ب: ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، من حديث أبي ذر ح (١٢٣٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٣٠٩) ك: الشهادات، ب: ما قيل في شهادة الزور ح (٢٦٥٣) من حديث أنس، ومسلم ح (٨٧).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٤٠) من حديث عائشة، والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٧٥) وقال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورد عليه الذهبي: بأن صدقة ضعفوه، وابن بابنوس فيه جهالة، والطبراني في الكبير (٦١٣٣).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٩٩) من حديث معاوية بن أبي سفيان، والحاكم في مستدركه (٤/ ٣٥١) من حديث معاوية، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأخرجه أبو داود (٤٢٧٠).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٧٢) من حديث أبي ذر الغفاري، والحاكم في مستدركه (٤/ ٢٤١) بلفظ «ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا ما لم تشرك بي لقيتك بقرابها مغفرة» قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والحديث في سنده شهر بن حوشب وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام.

رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك. يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»(١). ولابن أبي حاتم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس تموت لا تشرك بالله شيئًا إلا حَلّتْ لها المغفرة، إن شاء الله عذبها وإن شاء غفر لها: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾»(٢) ولأبي يعلى عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب». قيل يا نبي الله وما الحجاب؟ قال: «الإشراك بالله. قال: ما من نفس تلقى الله لا تشرك به شيئًا إلا حلت لها المغفرة من الله تعالى، إن شاء أن يعذبها وإن شاء أن يغفر لها» ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾(٣) ولأحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»(٤) ولابن أبي حاتم عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: «وما دينه» قال يصلي ويوحد الله قال: «استوهب منه دينه، فإن أبى فابتعه منه» فطلب الرجل ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحًا على دينه، قال فنزلت: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾(٥) وللطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئًا»(٦) ولابن مردويه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أخبركم

---

(١) أخرجه الترمذي (٥٤٨/٥) ك: الدعوات، ب: في فضل التوبة والاستغفار من حديث أنس بن مالك، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه، وهو من طريق كثير بن فائد فلم يوثقه غير ابن حبان، وفي التقريب أنه مقبول.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٢٢/١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٢٢/١).

(٤) رواه مسلم (٩٤/١) ح (١٥١) من حديث جابر بن عبدالله، ك: الإيمان ب: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار، وأحمد من حديث جابر (٣٩١/٣).

(٥) ذكره الطبراني في الكبير (١٧٧/٤) ح (٤٠٦٣) من حديث أبي أيوب، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٥/٧) فيه واصل بن السائب وهو ضعيف، وابن كثير (٥٢٢/١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) ذكره الطبراني في الكبير (٢٤١/١١) ح (١١٦١٥) من حديث ابن عباس، ورواه الحاكم ٢٦٢/٤ من طريق حفص بن عمر العدني عن الحكم به وصححه فرده الذهبي بقوله العدني واه.

بأكبر الكبائر: الإشراك بالله» ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] و«عقوق الوالدين» ثم قرأ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (١) [لقمان: ١٤] وللإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] الحديث في الصحيحين(٢). ولابن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء رضي الله عنهما: «لا تشركوا بالله شيئًا وإن قطعتم أو صلبتم أو حرقتم»(٣). ولابن أبي حاتم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال: «لا تشركوا بالله شيئًا وإن حرقتم وقطعتم وصلبتم»(٤). وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله عز وجل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا»(٥). وللبخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «أي عم، قل لا إله إلا الله أحاجُّ لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (٦) [التوبة: ١١٣].

والأحاديث في عظم ذنب الشرك وشدة وعيده أكثر من أن تحصى، وقد قدمنا من

---

(١) ذكره ابن كثير (١/ ٥٢٣) رواه ابن مردويه من طريق إسحق بن إبراهيم بن زيد، وفي السند سعيد بن بشيون ضعيف، وهي من رواية الحسن عن عمران ولم يسمع منه، والحديث حسن لشواهده.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٠٩) ك: الإيمان، ب: ظلم دون ظلم من حديث علقمة عن عبدالله ح (٣٢)، ومسلم ح (١٢٤).

(٣) ذكره ابن كثير (٢/ ١٩٢) رواه ابن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء، وابن ماجه (٤٠٣٤) في الزوائد: إسناده حسن، وفيه شهر بن حوشب ضعيف.

(٤) ذكره ابن كثير (٢/ ١٩٢) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) رواه البخاري (٧/ ٢٣٣) ك: مناقب الأنصار، ب: قصة أبي طالب ح (٣٨٨٤) ومسلم ح (٢٤).

أحاديث التوحيد جملة وافية عند الكلام على لا إله إلا الله وغير ذلك والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله عز وجل ونفي الشرك فلم يؤمروا بشيء قبل التوحيد ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك كما قدمنا بسط ذلك. وما ذكر الله تعالى التوحيد مع شيء من الأوامر إلا جعله أولها، ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أولها، كما في آية النساء: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦] وكما في آية الأنعام التي طلب النبي ﷺ البيعة عليها وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣] وكما في آيات الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا - إلى قوله - ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٣٩] فابتدأ تلك الأوامر والنواهي بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وختمها بذلك. وكما في آيات الفرقان في الثناء على عباده المؤمنين في اجتنابهم الفواحش: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآيات وغير ذلك من الآيات. وكذلك في أحاديث النبي ﷺ الجامعة للأوامر والنواهي يبدأ في الأوامر بالتوحيد وفي المناهي بالشرك، كما في حديث الكبائر المتقدم، وكما في حديث من سأل النبي ﷺ فقال: دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني عن النار، قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئًا»(١) وذكر الحديث. وكذا في أحاديث

---

(١) رواه البخاري (٣/٣٠٨) ك: الزكاة، ب: وجوب الزكاة من حديث أبي هريرة ح (١٣٩٧).

أركان الإسلام، كحديث جبريل المشهور[١]، وحديث ابن عمر[٢]، وحديث وفد عبد القيس[٣] وغيرها يبدأ فيها بالشهادتين. ومن تتبع القرآن والسنة وتدبر نصوصهما تبين له أنها لا تخرج عن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وما يتعلق بذلك، ولم يخلق الله الخلق إلا لذلك.

التعريف بالشرك

(وهو) أي الشرك الذي تقدم ذكره في المتن وذكر النصوص فيه في الشرح **(اتخاذ العبد غير الله)** من نبي أو ولي أو ملك أو قبر أو جني أو شجر أو حجر أو حيوان أو نار أو شمس أو قمر أو كوكب أو غير ذلك. **(نـدًا)** من دون الله **(مسويًا به)** الله يحبه كحب الله ويخافه ويخشاه كخشية الله ويتبعه على غير مرضاة الله ويطيعه في معصية الله ويشركه في عبادة الله **(مضاهي)** به الله قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وحكى عنهم في اختصامهم في النار ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٦ ـ ٩٨] وقد أخبرنا الله عز وجل أنهم لم يسووهم به في خلق ولا رزق ولا إحياء ولا إماتة ولا في شيء من تدبير الملكوت بل أخبرنا أنهم مقرون لله تعالى بالربوبية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تقدمت، ولكنهم سووهم بالله تعالى في حبهم إياهم كحب الله ولم يجعلوا المحبة لله وحده في خوفهم منهم وخشيتهم كخشية الله، ولم يجعلوا الخشية لله والخوف من الله وحده، وأشركوهم في عبادة الله ولم يفردوا الله بالعبادة دون من سواه، مع أنهم لم يعبدوهم استقلالاً بل زعموهم شفعاء لهم عند الله ليقربوهم إلى الله زلفى، ولكن اعتقدوا تلك الشفاعة والتقريب ملكًا للمخلوق ويطلبونه منه وأن له أن يشفع بدون إذن الله والله تعالى يقول: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣] ولهذا سمى الله تعالى استشفاعهم ذلك شركًا كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] فجمعوا في ذلك بين شركين: الأول عبادتهم إياهم من دون

---

(١) تقدم وهو صحيح. (٢) تقدم وهو صحيح.

(٣) تقدم وهو صحيح.

الله عز وجل، والثاني جعلهم شفعاء بدون إذن الله عز وجل. وقال تعالى: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وأيضًا فقد أخبرنا الله تعالى أنهم إنما كانوا يعبدون معه غيره في الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون العبادة لله، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] الآيات، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١] وغير ذلك من الآيات. وفي حديث حصين المتقدم لما قال له النبي ﷺ: «كم تعبد اليوم من إله» قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: «فمن تعبد لرغبتك ورهبتك» قال: الذي في السماء[1]. ولما ركب بعض مشركي قريش فاراً من النبي ﷺ حين فتح مكة فلما اضطرب البحر عليهم وشاهدوا من أمر الله ما شاهدوا فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله فإنه لا ينجيكم من هذا إلا هو، فقال: والله إن كان لا ينفع في البحر إلا هو فإنه لا ينفع في البر إلا هو، لئن أخرجني الله من هذه لأذهبن إلى رسول الله ﷺ فلأضعن يدي في يده[2] وهذا بخلاف مشركي زماننا اليوم من عباد القبور وغيرها

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) أخرجه النسائي (١٠٦/٧) ك: الحكم في المرتد.

فإنهم يشركون في الشدة أضعاف شركهم في الرخاء، حتى إن كانوا ينذرون لهذا الولي في الرخاء ببعير أو تبيع أو شاة أو دينار أو درهم أو نحو ذلك فأصابتهم الشدة زادوا ضعف ذلك فجعلوا له بعيرين أو تبيعين أو شاتين أو دينارين أو درهمين أو غير ذلك. وأيضًا فإنهم يعتقدون فيهم من صفات الربوبية وأنهم متصرفون فيما لا يقدر عليه إلا الله. وغلا بعضهم حتى جعل منهم المتصرف في تدبير الكون على سبيل الاستقلال ويقولون فيه إنها لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذن فلان، تعالى الله وتقدس وجل وعلا عن أن يكون معه إله غيره أو يكون له شريك في الملك أو ولي من الذل: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ـ ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمَّا يصفون. عالمُ الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ـ قل لو كان معه آلهةٌ كما يقولون إذًا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً. تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفوراً﴾ وغير ذلك من الآيات.

يقصده عند نزول الضر لجلب خير أو لدفع الشر
أو عند أي غرض لا يقدر عليه إلا المالكُ المقتدر
مع جعله لذلك المدعو أو المعظم أو المرجو
في الغيب سلطانًا به يطلع على ضمير من إليه يفزع

(يقصده) أي المتخذ ذلك الند من دون الله يقصد نده (عند نزول الضر) به من خير فاته أو شر دهمه (لجلب خير) له (أو لدفع الشر) عنه (أو عند) احتياج (أي غرض) من الأغراض، والحال أنه (لا يقدر عليه) أي على ذلك الغرض (إلا المالك المقتدر) وهو الله سبحانه وتعالى (مع جعله) أي العبد (لذلك المدعوّ أو المعظم أو المرجوّ) من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو شجر أو حجر أو كوكب أو جني (في الغيب سلطانًا) أي يعتقد أن له سلطانًا غيبيًا فوق طوق البَشر (به يطلع) أي بذلك السلطان الذي اعتقده فيه (على ضمير من إليه) إلى ذلك الند (يفزعُ) في قضاء أي حاجة من شفاء مريض أو رد غائب أو غير ذلك، فيرى أنه يسمعه إذا دعاه ويرى مكانه ويعلم حاجته ويقضيها بقدرة اعتقدها فيه مع الله، والمقصود أنه يثبت له من

صفات الربوبيـة ما يرفعه عن درجـة العبودية إلى درجة المعبـودية، ويجعله مستـحقًا العبادة مع الله. ومن هنا يتبين لك ما قـدمنا من أن الشرك في الألوهية يستلزم الشرك في الربوبية والأسماء والصفات ولابد، ويتبين لك عظم ذنب الشرك وأنه أقبح الذنوب وأظلم الظلم وأكبر الكبائر، وأن الله تعالى لا يغفـره ولا يقبل لأحد معه عملاً وأنه لا أشـد هلكة منه، وما أرسل الله الرسل وأنزل الـكتب إلا بالنذارة عن الشرك والدعـوة إلى التوحـيد، ومـا هلكت الأمم الغابرة وأعـدت لهم النيران في الآخـرة إلا بالشرك والإباء عن التـوحيد، ولا نجـا الرسل وأتبـاعهم من خـزي الدنيا وعـذاب الآخرة إلا بالتزام التـوحيد والبـراءة من الشرك، فمـا هلك قوم نوح بالطوفـان، ولا عاد بالريح العظيم ولا ثمـود بالصـيحـة ولا أهل مـدين بعـذاب يوم الظلة إلا بالشـرك وعبـادة الأصنام، وهكذا الأمم من بعدهم بأنواع العذاب، ولم يخرج عصاة الموحدين من النار في الآخرة إلا بالتوحيد، ولم يخلد غيرهم فيها أبدًا مؤبدًا إلا بالشرك.

ثم اعلم أن ما عـبد من دون الله إما عاقل أو غـير عاقل، فالعاقل كالآدمي والملائكة والجن. وينقسمون إلى قـسمين: راض بالعبادة له، وغير راض بها. فـالأول كفرعون وإبليس وغيرهما من الطواغيت، وهؤلاء في النار مع عابديهم كما قال الله عز وجل: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧] وقال تعالى في شأن إبليس: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] وقال في شـأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] وغير ذلك من الآيات.

والقسم الثاني وهو من كـان مطيعًا لله وغير راض بالعبـادة له من دون الله كعيسى ومريم وعزير والملائـكة وغيرهم فهم برآء ممن عـبدهم في الدنيا والآخرة كـما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ [المائدة: ١١٦] إلى آخر الآيات. وقال تعالى في شأن الملائكة: ﴿ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ [سبأ: ٤٠]، وقال تعالى في شأن كل من عبد من دون الله تعالى من الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من أولياء الله مطلقًا إلى يوم القيامة: ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قومًا بورًا * فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفًا ولا نصرًا﴾ [الفرقان: ١٧ ـ ١٩] الآية وغيرها من الآيات. وأما غير العاقل من الأشجار والأحجار وغيرها مما لا يعقل فيشملها قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون * لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩] ولكن الأحجار لا أرواح فيها وإنما يعذب بها من عبدها من دون الله كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة﴾ [التحريم: ٦] الآية، وكما يعذب عبد الدينار والدرهم بهما كما قال الله عز وجل: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد في الشفاعة بطوله وفيه: «ينادى مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم»[(١)] وفيه في حديث أبي هريرة ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت»[(٢)] الحديث. وفي حديث الصور الطويل: ألا ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحد عَبَد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم، ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى. ثم قادتهم آلهتهم إلى

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

النار، وهو الذي يقول تعالى: ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون﴾(١)، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الدارقطني والطبراني وعبدالله بن أحمد وغيرهم من المصنفين في السنة عن رسول الله ﷺ الحديث بطوله. وفيه: «ثم ينادي أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أن يولي كل أناس منكم مـا كانوا يـتولون ويعـبدون في الدنـيا، أليس ذلك عـدلاً من ربكم؟ قالـوا: بلى، قال: فـينطلق كل قوم إلى مـا كانوا يعـبدون ويتـولون في الدنيـا. قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كـانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرًا شيطان عزير، ويبقى محمد ﷺ وأمته»(٢) الحديث. قلت وقوله: «يمثل لـهم أشباه ما كانوا يعـبدون» إلخ هذا في مثل عيسى وعزير. وأما عبدة الطاغوت فتقودهم طواغيتهم حقيقة لا أشباهها كما صرح به الكتاب والسنة. والله أعلم.

الشرك الأصغر

والثان شرك أصغر وهو الـريـا فسـره بـه ختـام الأنـبـيـا

(و) النوع (الثان) من نوعي الشرك (شرك أصغر) لا يخرج من الملة ولكنه ينقص ثواب العمل، وقد يحبطه إذا زاد وغلب (وهو الريا) اليسيـر في تحسين العمل (فسره به) أي فسر الشرك الأصغر بالرياء (ختام الأنبيا) محمد ﷺ في قوله: «إن أخوف ما أخـاف عليكم الشرك الأصـغـر، قالوا: يا رسـول الله ومـا الشرك الأصـغر؟ قـال: الرياء»(٣) وبذلك فسر قول الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وعن شهر بن حـوشب قال: جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فـقال: أنبئني عما أسألك عنه، أرأيت رجـلاً يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويصوم يبتغي وجه الله ويحب أن يحـمد، ويتصدق يبتغي وجه الله ويحب أن يحـمد، ويحج يبتـغي وجه الله ويحب أن يحـمد؟ فـقال عُبـادة: ليس له

(١) سبق تخريجه.

(٢) سيأتي في نزول الله تعالى لفصل القضاء.

(٣) رواه أحمـد في مسنده (٥/٤٢٨) والطبـراني في الكبيـر (٤٣٠١) وصحـحه الألبـاني في الصحـيح الجامع - ح(١٥٥٥)، والسلسلة الصحيحة (٩٥١).

شيء، إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك، فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه[(١)]. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي؟ قال: قلنا بلى. قال: الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي لمقام الرجل» رواه أحمد. وفيه رواية: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه»[(٢)]. وله عن شداد بن أوس ﷺ قال: إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من الشهوة الخفية والشرك» فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء: اللهم غفراً، ألم يكن رسول الله ﷺ قد حدثنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب. أما الشهوة الخفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها، فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد؟ فقال شداد: أرأيتكم لو رأيتم رجلاً يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق، أترون أنه قد أشرك؟ قالوا: نعم والله، إن من صلى لرجل أو صام أو تصدق له لقد أشرك. فقال شداد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك». قال عوف بن مالك عند ذلك: أفلا يعمد الله إلى ما ابتغى به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلص منه، ويدع ما أشرك به؟ فقال شداد عند ذلك: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي، من أشرك بي شيئًا فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غني»[(٣)]. وله عنه ﷺ أنه بكى فقيل: ما يبكيك؟ قال: شيء سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية» قلت: يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك؟ قال: «نعم، أما إنهم لا يعبدون شمسًا ولا قمراً ولا حجراً ولا وثنًا، ولكن يراءون بأعمالهم. والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائمًا فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه» ورواه ابن ماجه[(٤)]. وللبزار عن أبي هريرة ﷺ قال: قال

---

(١) ذكره ابن كثير (٣/ ١١٤) وعزاه لابن أبي حاتم، والطبري في تفسيره (١٦/ ٤٠).

(٢) أخرجه أحمد ح/ ١١١٩ من حديث أبي سعيد الخدري وابن ماجه ح (٤٢٠٤) والحاكم (٤/ ٣٢٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد ح (١٧٠٧٥) من حديث شداد بن أوس، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٦) ح (٤٢٠٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح (٢٦٠٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٦) ح (٤٢٠٥) ك: الزهد، ب: الرياء والسمعة وفي سنده عامر بن عبدالله، قال الهيثمي: لم أر من تكلم فيه وباقي رجال الإسناد ثقات.

رسول الله ﷺ: «يقول الله يوم القيامة: أنا خير شريك، من أشرك بي أحداً فهو له كله»(١) ولأحمد عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك»(٢). وله عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء. يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»(٣). وله عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري ـ وكان من الصحابة ـ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك» أخرجه الترمذي وابن ماجه(٤). ولأحمد عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به»(٥). وله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من يرائي يرائي الله به، ومن يسمِّع يسمِّع الله به»(٦). وله عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من سمَّع الناس بعلمه سمَّع الله به مسامع خلقه وصغره وحقره» فذرفت عينا عبدالله(٧). وللبزار عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مختمة، فيقول

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٢٨٩) ح (٢٩٨٥) ك: الزهد، ب: من أشرك في عمله غير الله، وابن ماجه ح(٤٢٠٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسند (٢/٣٠١) والطيالسي ح (٢٥٢٩) والبخاري في الأدب المفرد ص (٥٦) والحاكم (٤/٢٤٨) من طريق جرير وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/٣١٤) ح (٣١٥٤) ك: التفسير تفسير سورة الكهف وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر، وابن ماجه ح (٣، ٤٢).

(٥) البخاري (١١/٣٤٣) ك: الرقاق، ب: الرياء والسمعة، من حديث جندب بلفظ «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به» وأحمد (٥/٤٥).

(٦) الترمذي (٧/٧٣) ح (٢٣٨١) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب حسن صحيح، وأحمد (٤/٢٥). والحديث أصله في البخاري ومسلم.

(٧) أخرجه أحمد (٢/١٦٢) من حديث ابن عمر، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، وفي رواية أحمد «سامع» بدلاً من «مسامع»، وقال الشيخ شاكر: كلمة «سامع» كتبت في تفسير ابن كثير والترغيب «مسامع» وهو خطأ من الناسخ أو الطابع.

الله: ألقوا هذا، واقبلوا هذا. فتقول الملائكة: يا رب، والله ما رأينا منه إلا خيراً. فيقول: إن عمله كان لغير وجهي، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي»(١) ولوهب عن عبدالله بن قيس الخزاعي أن رسول الله ﷺ قال: «من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس»(٢). ولأبي يعلى عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل»(٣).

الرياء والنفاق

ثم اعلم أن الرياء قد أطلق في كتاب الله كثيراً ويراد به النفاق الذي هو أعظم الكفر وصاحبه في الدرك الأسفل من النار كما قال تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢] وغير ذلك من الآيات النازلة في المنافقين بلفظ الرياء، ومنها ما يصرح بمعناه دون لفظه كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤] والآيات التي قبلها وبعدها وما في معناها. والفرق بين هذا الرياء الذي هو النفاق الأكبر وبين الرياء الذي سماه النبي ﷺ شركًا أصغر خفيًا هو حديث: «الأعمال بالنيات» وهو ما رواه الشيخان عن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّما الأعمال بالنيات وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كنت هجرتُهُ إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها

---

(١) رواه العقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٢١٨) بلفظ «يجاء يوم القيامة بصحف مختمة فتصب بين يدي الله تبارك وتعالى ...» وفي سنده الحارث بن غسان المرى مجهول، وقال الأزدي: ليس بذاك (اللسان ٢/ ١٥٦).

(٢) رواه الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٢٣) وقال الألباني في ضعيف الجامع رقم (٧٥٤٣): موضوع.

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» رقم: ١١٧، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ح (٥٣٥٥)، والسلسلة الضعيفة (٤٥٣٧).

فهجرته إلى مـا هاجر إليه»[1]، فالنية هي الفرق في العمل في تعـيينه وفيما يراد به، وقد أطلقت النية في القرآن بلفظ الابتغـاء وبلفظ الإرادة، فإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله والدار الآخرة وسلم من الرياء في فعله وكان موافـقًا للشرع فذلك العمل الصالح المقبول، وإن كان الباعث على العمل هو إرادة غير الله عز وجل فذلك النفاق الأكبـر، سواء في ذلك من يريد بـه جاهًا ورئاسة وطلـب دنيا، ومن يريد حـقن دمه وعصمـة ماله وغير ذلك، فهذان ضـدان ينافي أحدهما الآخر لا محـالة. قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥] وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩] وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦] وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] وقال تعالى يثني على عـباده المخلصين: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩] وقال: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠] وغير ذلك من الآيات. وإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله عز وجل والدار الآخرة ولكن دخل عليه الرياء فـي تزيينه وتحسينه فذلك هو الذي سماه النبي ﷺ الشرك الأصغر، وفسره بالرياء العـملي، وزاده إيضاحًا بقوله: «يقوم الرجل فيصلي فيـزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه»[2]، وهذا لا يخرج من الملة، ولكنه ينقص من العمل بقدره، وقد يغلب على العمل فيحبطه كله والعياذ بالله. اللهم اجعل أعمالنا كلها صـالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيـها شيئًا. وأمّا حديث أبي مـوسى رضي الله عنه في الصحيح قـال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجلُ يقاتِلُ للمغنَمِ، والرجُلُ يقاتِلُ للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمةَ الله هي العليا فهو في سبيل الله»[3] فهذا الحديث يحتمل

(١) سبق تخريجه وهو في البخاري ومسلم.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٦/٣٣) ك: الجهاد والسير، ب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ح (٢٨١٠)، ومسلم ح (١٩٠٤).

المعنيين، وتعينه لأحدهما النية، فإن كان أصل العمل لغير الله فهو النفاق، وإن كان أصله لله وأحب مع ذلك أن يذكر ويثنى عليه به فهو المعنى الذي سبق في حديث عبادة رضي الله عنه في الرجل: «يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد» الحديث وفي آخره قال: «ليس له شيء»(١). والله تعالى أعلم.

الحلف بغير الله

ومنه إقسام بغير الباري كما أتى في محكم الأخبار

أي ومن الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة (إقسام) مصدر أقسم أي الحلف (بغير الباري) كالحلف بالآباء والأمهات والأبناء والأمانة وغير ذلك، كما في الصحيح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: «ألا إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»(٢) وفي رواية قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكرًا ولا آثرًا. متفق عليه. ولأبي داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»(٣). ولأحمد ومسلم والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله»(٤). وللنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»(٥). وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر» أو «أشرك»، أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه(٦). وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (١١/٥٣٨) ك: الأيمان والنذور، ب: لا تحلفوا بآبائكم من حديث عمر بن الخطاب ح(٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦).

(٣) أخرجه النسائي (٧/٦) ب: الأيمان والنذور، ب: الحلف بملة سوى الإسلام ح (٣٧٧٤) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٢٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧/١٨٣) ك: مناقب الأنصار، ب: أيام الجاهلية ح (٣٨٣٦)، ومسلم (١٦٤٦)، والنسائي (٧/ ٥).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه الترمذي (٥/٩٦) ح (١٥٣٥) من حديث ابن عمر ك: النذور والأيمان ب: ما جاء في كراهية =

ﷺ: «ليس منا من حلف بالأمانة» رواه أبو داود(١). وفي الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يحلف بالأمانة فقال: «ألست الذي يحلف بالأمانة»(٢). وعن قتيلة بنت صفي أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة»، ويقول أحدهم: «ما شاء الله ثم شئت» رواه أحمد والنسائي وصححه وابن ماجه(٣). وقد ثبت في كفارة الحلف بغير الله حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حلف فقال في حلفه باللات والعزّى فليقل لا إله إلا الله»(٤). ومن الشرك الأصغر قول ما شاء الله وشئت، كما روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده»(٥). ولأبي داود بسند صحيح عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»(٦) وتقدم في ذلك حديث قتيلة، والفرق بين الواو وثم أنه إذا عطف بالواو كان مضاهيًا مشيئة الله بمشيئة العبد إذ قرن بينهما، وإذا عطف بثم فقد جعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] ومثله قول: لولا الله وفلان هذا من الشرك الأصغر، ويجوز أن يقول: لولا الله ثم فلان، ذكره إبراهيم النخعي. ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] قال: الأندادُ هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول والله

= الحلف بغير الله، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن وأحمد (٢/ ١٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» ح (٤ - ٦٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٥٢) من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه وقال محقق المسند: إسناده صحيح لأن في إسناده الوليد بن ثعلبة الطائي ثقة. وصححه الألباني في الصحيح الجامع ح (٦٢٠٣).

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٨١).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٢) وقال محقق المسند إسناده حسن، ورواه النسائي (٧/ ٨) وصححه الألباني في الصحيحة ح (١٣٦).

(٤) صحيح البخاري (١١/ ٥٤٥) ك: الأيمان والنذور، ب: لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت ح(٦٦٥٠)، ومسلم ح (١٦٤٧).

(٥) سبق تخريجه وهو عند أحمد ح (١٨٣٩) وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.

(٦) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٩٥)، ح (٤٩٨٠) ك: الأدب، ب: لا يقال خبثت نفسي.

وحياتك يا فلان وحياتي ويقول لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شرك[1].

فصل

في بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه وبيان المشروع من الرقى والممنوع منها، وهل تجوز التمائم

هذه الأمور المذكورة التي يتعلق بها العامة غالبها من الشرك الأصغر، لكن إذا اعتمد العبد عليها بحيث يثق بها ويضيف النفع والضر إليها كان ذلك شركًا أكبر والعياذ بالله، لأنه حينئذ صار متوكلاً على سوى الله ملتجئًا إلى غيره.

ومن يثق بودعةٍ أو نابِ أو حلقةٍ أو أعين الذئاب
أو خيطٍ أو عضوٍ من النسور أو وترٍ أو تربة القبور
لأي أمْرٍ كائنٍ تعلقه وكله الله إلى ما علقه

(ومن يثق) هذا الشرط جوابه (وكلهُ) الآتي.

(بودعة) قال في النهاية هو شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم. وإنما نهى عنه لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين.

(أو ناب) كما يفعله كثير من العامة يأخذون ناب الضبع ويعلقونه من العين.

(أو حلقة) وكثيراً ما يعلقونها من العين وسيأتي في الحديث أنهم يعلقونها من الواهنة وهو مرض العضد.

(أو أعين الذئاب) وكثيراً ما يعلقونها يزعمون أن الجن تفرّ منها، ومنهم من يقول إنه إذا وقع بصر الذئب على جني لا يستطيع أن يفر منه حتى يأخذه، ولهذا يعلقون عينه إذا مات على الصبيان ونحوهم.

(أو خيط) وكثيراً ما يعلقونه على المحموم ويعقدونه فيه عقداً بحسب

---

(١) ذكره ابن كثير (١/ ٥٦).

اصطلاحاتهم، وأكثرهم يقرأ عليه سورة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الانشراح: ١] إلى آخرها، ويعقد عند كل كاف منها عقدة، فيجتمع في الخيط تسع عقد بعدد الكافات، ثم يربطونه بيد المحموم أو عنقه.

(أو عضو من النسور) كالعظم ونحوه يجعلونها خرزًا ويعلقونها على الصبيان يزعمون أنها تدفع العين.

(أو وتر) وكانوا في الجاهلية إذا عتق وتر القوس أخذوه وعلقوه يزعمون عن العين على الصبيان والدواب.

(أو تربة القبور) وما أكثر من يستشفى بها لا شفاهم الله، واستعمالهم له على أنواع: فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلده، ومنهم من يتمرغ على القبر تمرغ الدابة، ومنهم من يغتسل بها مع الماء، ومنهم من يشربها وغير ذلك. وهذا كله ناشئ عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبر أنه ينفع ويضر، حتى عدوا ذلك الاعتقاد فيه إلى تربته فزعموا أنها فيها شفاء وبركة لدفنه فيها، حتى إن منهم من يعتقد في تراب بقعة لم يدفن فيها ذلك الولي بزعمه بل قيل له إن جنازته قد وضعت في ذلك المكان. وهذا وغيره من تلاعب الشيطان بأهل هذه العصور زيادة على ما تلاعب بمن قبلهم. نسأل الله العافية.

(لأي أمر كائن تعلقه) الضمير عائد إلى ما تقدم وغيره (وكله الله) أي تركه (إلى ما علقه) دعاء عليه أي لا حفظه الله ولا كلأه بل تركه إلى ما وثق به واعتمد عليه دون الله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» رواه أحمد(١). وله عن عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: «ما هذا؟» قال: من الواهنة، فقال: «انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا»(٢) ولابن أبي حاتم عن حذيفة ﷺ أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٤)، والحاكم (٤/ ٢١٦، ٤١٧) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقال الألباني في ضعيف الجامع: فهو حسن الحديث إن شاء الله تعالى، وإنما علة هذا الحديث جهالة خالد بن عبيد هذا، وقد صح الحديث عن عقبة بن عامر بإسناد آخر بلفظ «من علق تميمة فقد أشرك».

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٥) وقال الشيخ الألباني: ضعيف، وسبب الضعف ترجع إلى أن في سنده عنعنة وهو ابن فضالة فقد كان مدلسًا، والانقطاع بين الحسن وعمران بن حسين كما جزم بذلك ابن المديني.

وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن «لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت»[1]. وعن رويفع رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع، لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه» رواه أحمد[2]. وله عن عبدالله بن عكيم مرفوعًا «من علق شيئًا وكل إليه» ورواه الترمذي[3]. وعن زينب امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قالت: كان عبدالله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منا على أمر يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير. قالت: فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطًا. فقال: ما هذا الخيط؟ قالت قلت: خيط رقي لي فيه، فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبدالله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» قالت قلت له: لم تقول هذا، وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، فكان إذا رقاها سكنت. فقال: إنما ذاك من الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ: «أذهب الناس ربَّ الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا» رواه أحمد[4]، وروى جملة الدلالة منه على الباب أبو داود، أعني الجملة المرفوعة إلى النبي ﷺ. قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في كتاب «التوحيد»: الرقى هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة، والتمائم شيء يلقونه على الأولاد عن العين، والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته ا.هـ[5] وقوله في الرقى: وخص منها الدليل ما خلا عن الشرك إلخ يشير إلى ما سنذكره بقولنا:

---

(١) البخاري (٤/ ١٦٤) ك: الجهاد والسير، ب: ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل من حديث أبي بشير الأنصاري، ومسلم ح (٢١١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٨) من حديث رويفع، والنسائي (٨/ ١١٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع ح (٧٩١٠).

(٣) رواه الترمذي (٦/ ١٩٤) ك: الطب، ب: ما جاء في كراهية التعليق ح (٢٠٧٣)، وأحمد (٤/ ٣١٠) والحديث صحيح لشواهده.

(٤) رواه أحمد (١/ ٣٨١) وأبو داود (٤/ ١١/ ١٢٠) وقال الشيخ شاكر: إسناده حسن، لأن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود لم يعرف اسمه، ولكنه تابعي، فهو على الستر ومقبول حديثه.

(٥) انظر كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

الكلام على الرقى

ثم الرقى من حمة أو عين فإن تكن من خالص الوحيين
فذاك من هدى النبي وشرعته وذاك لا اختلاف في سنيته

(ثم الرقى) إذا فعلت (من حمة) وهي تطلق على لدغ ذوات السموم كالحية والعقرب وغيرها (أو عين) وهي من الإنس كالنفس من الجن وهي حق ولها تأثير، لكن لا تأثير لها إلاَّ بإذن الله عز وجل، وقال الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ [القلم: ٥١] الآية فسره بإصابة العين ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وفي تحقيقها أحاديث: ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «العين حق. ولو كان شيء سابقَ القدر سبقت العين. وإذا استُغسلتم فاغسلوا»[(١)] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن العين حق»[(٢)] أخرجاه، ولأحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق». ولأحمد عنه أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والعين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم»[(٣)] وله عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أصدق الطِّيَرة الفأل، والعين حق»[(٤)]. وله هو والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أسماء رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم فلو كان يسبق القدر لسبقته العين»[(٥)] ولأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا

---

(١) أخرجه مسلم (١٤/ ٣٩٥) ك: السلام، ب: الطب والمرض والرقى، ح (٥٦٦٦)، والترمذي (٦/ ١٨١) من حديث ابن عباس ح (٢٠٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٢١٣) ك: الطب، ب: العين حق ح (٥٧٤٠) وفي الحديث زيادة وهي «ونهى عن الوشم» ومسلم (٢١٨٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٩) وصححه الهيثمي (٥/ ١٠٧) وقال رجاله رجال الصحيح عند أحمد.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٩) من حديث أبي هريرة، وقال الشيخ شاكر: إسناده ضعيف في تحقيقه على المسند والسبب في إسناده أبو معشر: هو نجيح بن عبدالرحمن السندي وهو ضعيف، والحديث إلى ضعف إسناده مخالف في شطره الأول للصحيح الثابت عن أبي هريرة وعن غيره من الصحابة، فقد روى أحمد - فيما يأتي في مسند عائشة (٦/ ٢٤٠)، عن أبي حسان الأعرج، قال: «دخل رجلان من بني عامر على عائشة، فأخبراها أن أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «الطيرة من الدار والمرأة والفرس، فغضبت فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض، وقالت: والذي أنزل الفرقان على محمد، ما قالها رسول الله ﷺ قط، إنما قال: كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك».

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٩٥) ح (٢٠٥٩) من حديث أسماء بنت عميس، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن =

هام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل»[(1)]. وله عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة ـ أخو بني عدي بن كعب ـ وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة. فلبط سهل، فأُتِيَ رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله هل لك في سهل، والله ما يرفع رأسه ولا يفيق؟ قال: هل تتهمون فيه من أحد؟» قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة. فدعا رسول الله ﷺ عامراً، فتغيظ عليه وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت» ثم قال له: «اغتسل له» فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه، فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه، ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس»[(2)]. وله عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل، قال فانطلقا يلتمسان الخَمَرَ، قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت إليه فأصبته بعيني، فنزل الماء يغتسل قال فسمعت له في الماء فرقعة فأتيته فناديته ثلاثًا فلم يجبني، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال فجاء يمشي فخاض الماء فكأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال فضرب صدره بيده ثم قال: «اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها» قال فقام، فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه، فليبرك، فإن العين حق»[(3)]. وله عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا

= صحيح، وأحمد (٦/ ٤٣٨)، وابن ماجه ح (٣٥١٠) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ح(١٢٥٢).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٧٠) من حديث حية بن حابس التميمي بلفظ «لا شيء في الهام، والعين حق، وأصدق الفأل الطيرة»، وحية بن حابس مقبول وهو قول ابن حجر، والحديث له شواهد صحيحة، وله شاهد آخر من حديث أبي هريرة في المسند (٢/ ٤٨٧) بلفظ «لا عدوى ولا هامة وخير الطير الفأل، والعين حق» قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١١٦٠) ح (٣٢٠٩) ك: الطب، ب: العين، والطبراني ح (٥٥٧٥) وصحح إسناده الألباني في المشكاة ح (٤٥٦٢).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٥٦) ك: عمل اليوم والليلة، ب: ما يقرأ على من أصيب بعين، وأحمد (٣/ ٤٤٧)، والحاكم (٤/ ٢١٥) وقال الحاكم: وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

حسد، والعين حق»(١) وغير ذلك من الأحاديث المصرحة بأن العين حق، وسنذكر بعضها أيضًا في شرعية الرقى منها وغيرها.

ولنرجع إلى المقصود من شرح المتن: **(فإن تكن)** أي الرقي **(من خالص الوحيين)** الكتاب والسنة، وإضافة خالص إلى الوحيين من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى من الوحي الخالص بأن لا يدخل فيه غيره من شعوذة المشعبذين، ولا يكون بغير اللغة العربية، بل يتلو الآيات على وجهها والأحاديث كما رويت وعلى ما تلقيت عن النبي ﷺ بلا همز ولا رمز، **(فذلك)** أي الرقي من الكتاب والسنة هو **(من هدي النبي)** ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابه والتابعون بإحسان، **(و)** من **(شرعته)** التي جاء بها مؤديًا عن الله عز وجل. **(وذاك)** معطوف على ذاك الأول، والمشار إليه بهما واحد ولكن الخبر في الثاني غير الخبر في الأول فيكون من عطف الجملة على الجملة، والخبر **(لا اختلاف في سنيته)** بين أهل العلم إذ قد ثبت ذلك من فعل النبي ﷺ وقوله وتقريره فرقاه جبريل عليه السلام ورقى هو ﷺ أصحابه وأمر بها وأقر عليها. ولنذكر ما تيسر من الأحاديث في ذلك وبالله التوفيق:

قال البخاري رحمه الله تعالى: باب الرقى بالقرآن والمعوذات، وذكر فيه حديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها، ثم قال: باب الرقي بفاتحة الكتاب ويذكر عن ابن عباس عن النبي ﷺ(٢)، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري ﵁ أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق فقالوا: إنَّكم لم تقرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاء، فجعل يقرأ بأمِّ القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ، فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه، فضحك وقال: «وما أدراك أنَّها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم»(٣). ثم قال: باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، وساق فيه بإسناده عن ابن عباس

---

(١) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٢/ ٢٢٢) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وفي إسناده رشدين بن سعد، قال ابن حجر: ضعيف، والحديث له شواهد أخرى تقويه.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٢١٩) ك: الطب، ب: النفث في الرقية، ح (٥٧٤٨) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٨) ك: الطب،ب: الرقى بفاتحة الكتاب من حديث ابن عباس.

ﷺ أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا بماء فيه لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راق؟ إنَّ في الماء رجلاً لديغًا أو سليمًا. فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا، حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجرًا. فقال رسول الله ﷺ : «إنَّ أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله»[(١)]. قلت: وهذا هو الذي علقه آنفًا عن ابن عباس. ثم قال رحمه الله: باب رقية العين، وذكر فيه حديث عائشة ﷺ قالت: أمرني رسول الله ﷺ أو أمر أن يسترقي من العين[(٢)]. وحديث أم سلمة ﷺ أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: «استرقوا لها، فإن بها النظرة»[(٣)] وذكر باب «العين حق» ثم قال: باب رقية الحية والعقرب، وذكر فيه حديث عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال: سألت عائشة عن الرقية من الحمة فقالت: رخَّص النبي ﷺ في الرقية من كل ذي حمة[(٤)]. ثم قال: باب رقية النبي ﷺ ، وذكر فيه حديث أنس بن مالك ﷺ إذ قال لثابت: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ ؟ قال: بلى. قال: «اللهم رب الناس، مُذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا»[(٥)] وحديث عائشة ﷺ أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس، أذهب الباس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا»[(٦)]. وحديثها ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يرقي يقول: «امسح الباس، رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت»[(٧)]. وحديثها ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا - وفي رواية: وريقة بعضنا - يشفي سقيمنا بإذن ربنا»[(٨)]. وعن أنس ﷺ قال: رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٩) : الطب، ب: الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب ح (٥٧٣٧) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٢١٠) ك: الطب، ب: رقية العين من حديث عائشة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٢١٠) ك: الطب، ب: رقية العين، من حديث أم سلمة ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٢١٦) ك: الطب، ب: رقية الحية والعقرب، من حديث عائشة ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ٢١٦) ك: الطب، ب: رقية النبي ﷺ. من حديث أنس ﷺ.

(٦) أخرجه البخاري (١٠/ ٢١٦) ك: الطب، ب: رقية النبي ﷺ. من حديث عائشة ﷺ.

(٧) أخرجه البخاري (١٠/ ٢١٦) ك: الطب، ب: رقية النبي ﷺ. من حديث عائشة ﷺ.

(٨) أخرجه البخاري (١٠/ ٢١٦) ك: الطب، ب: رقية النبي ﷺ. من حديث عائشة ﷺ.

والنملة، رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه[١]. قال أبو البركات ابن تيمية: النملة قروح تخرج في الجنب. وعن الشفاء بنت عبدالله قالت: دخل عليّ النبي ﷺ وأنا عند حفصة فقال: «ألا تعلمين هذه رقية النملة» الحديث رواه أحمد وأبو داود»[٢]. وعن عوف بن مالك قال: كنَّا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» رواه مسلم وأبو داود[٣]. وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله إنها كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى. قال: «فاعرضوها» فقال: «ما أرى بأسًا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل» رواه مسلم[٤]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا. فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه» الحديث رواه البخاري ومسلم بطوله في مواضع[٥]. وعند ابن أبي شيبة عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي ﷺ رجلٌ من اليهود قال: فاشتكى لذلك أيامًا قال فأتاه جبريل فقال إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقدًا، فأرسل رسول الله ﷺ عليًا فاستخرجها فجاء بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال[٦]. ولمسلم عن أبي سعيد الخدري أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد، اشتكيت؟ قال: نعم. قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك»[٧] وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه:

---

(١) أخرجه مسلم (٤/١٧٢٥) ك: السلام، ب: استحباب الرقية من العين. من حديث أنس بن مالك.

(٢) أخرجه أحمد (٦/٣٧٢) من حديث الشفاء بنت عبدالله، وأبو داود (٤/١١) ح (٣٨٨٧) والحاكم (٤/٥٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه مسلم (٤/١٧٢٧) ح (٢٢٠٠) ك: السلام، ب: لا بأس في الرقى ما لم يكن فيها شرك، من حديث عوف بن مالك، وأبو داود (ح ٣٨٨٦).

(٤) أخرجه مسلم (٤/١٧٢٦) ح (٢١٩٩) ك: السلام، ب: استحباب الرقية من العين من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (١٠/٢٤٣) ك: الطب، ب: الشرك والسحر من الموبقات من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم (٢١٨٩).

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٢/٣٠٧) ك: المحاربة، ب: سحرة أهل الكتاب من حديث زيد بن أرقم، وهو من طريق هناد بن السرى قال ابن حجر في التقريب: ثقة.

(٧) أخرجه مسلم (٤/١٧١٨) ك: السلام، ب: الطب والمرض والرقى ح (٢١٨٦).

قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة» رواه ابن ماجه هكذا مرفوعًا[١]، ورواه مسلم وغيره موقوفًا.

أما الرقى المجهولـةُ المعـاني فذاك وسواس من الشيطان
وفيـه قـد جـاء الحديـث أنـه شـرك بـلا مرية فاحذرنَّـه
إذ كـل من يقولـه لا يـدري لعلـه يكـون محض الكـفر
أو هو من سحر اليهود مقتبس على العـوام لبسوه فالتـبس

أي أما الرقى التي ليست بعربية الألفاظ ولا مفهومة المعاني، ولا مشهورة ولا مأثورة في الشرع ألبتة، فليست من الله في شيء، ولا من الكتاب والسنة في ظل ولا فيء، بل هي وسواس من الشيطان أوحاها إلى أوليائه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] وعليه يحمل قول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[٢] وذلك لأن المتكلم به لا يدري أهو من أسماء الله تعالى أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الشياطين، ولا يدري هل فيه كفرًا أو إيمان، وهل هو حق أو باطل، أو فيه نفع أو ضر أو رقية أو سحر. ولعمر الله لقد انهمك غالب الناس في هذه البلوى غاية الانهماك واستعملوه على أضرب كثيرة وأنواع مختلفة، فمنه ما يدَّعون أنه من القرآن أو من السنة ومن أسماء الله المثبتة فيها، وأنهم ترجموه هم من عند أنفسهم بالسريانية أو العبرانية أو غيرها وأخرجوه عن اللغة العربية، ولا أدري إن صدقناهم في دعواهم أهم يعتقدون أنه لا ينفع إذا كان باللغة العربية التي نزل بها القرآن وتكلم بها النبي ﷺ بالسنة حتى يترجموه بالأعجمية أو أنهم يعتقدون أنه بالأعجمية أنفع منه بالعربية، أو أنه ينفع بالعربية لشيء وبالأعجمية لغيره ولا تصلح إحداهما فيما تصلح فيه الأخرى، أم ماذا زين لهم الشيطان وسولت لهم أنفسهم، أم ماذا كانوا يفترون؟ ومما يزعمون أنه من أسماء الله تعالى التي ليست في الكتاب ولا في السنة وأنهم علموها من غيرهما فمنه ما يدعون أنه دعا به آدم عليه السلام أو نوح أو هود أو غيرهم من الأنبياء، ومنه ما يقولون إنه ليس إلا في أم الكتاب، ومنه ما يقولون هو مكتوب في البيت المعمور، ومنه ما يقولون هو مكتوب

---

(١) أخرجه مسلم (١/١٩٩) ح (٢٢٠) موقوفًا، وابن ماجه (٢/١١٦١) ح (٣٥١٣) مرفوعًا.
(٢) سبق تخريجه.

على جناح جـبريل عليـه السلام أو جناح مـيكائيل أو جناح إسرافـيل أو غيـرهم من الملائكة، أو على باب الجنة أو غـير ذلك. وليت شعـري متى طالعوا اللوح المحـفوظ فاستنسخـوه منه، ومتى رقوا إلى البيت المعمور فقرأوه فـيه، ومتى نشرت لهـم الملائكة أجنحتهـا فرأوه، ومتى اطلعوا إلى باب الجنة فشـاهدوه، كلما شعوذ مشعـبذ وتحذلق متحـذلق وأراد الدجل على الناس والتحيل لأخذ أموالهم طـلب السبل إلى وجه تلك الحيلة ورام لها أصلاً ترجع إليـه، فإن وجد شبهة تروج على ضعفاء العـقول وأعمياء البصائر وإلا كذب لهم كـذبًا محضًا وقاسمهم بالله إنه لهم لمن الناصحـين، فيصدقونه لحسن ظنهم به. ومنه أسماء يدعونها، تارة يدعون أنها أسماء الملائكة، وتارة يزعمون أنها من أسماء الشـياطين، واعتقادهم في هذه الأسمـاء أنها تخدم هذه السورة أو هذه الآية، أو هذا الاسم من أسماء الله تعالى، فيقولون: يا خدام سورة كذا أو آية كذا أو اسم كذا، يا فلان ابن فـلان ويا فلان ابن فلان أجيبـوا أجيبوا، العـجل العجل ونحو ذلك. وما من سـورة من القرآن ولا آية منه ولا اسم من أسـماء الله يعرفـونه إلا وقد انتـحلوا له خـدامًا ودعـوهم له، سـاء ما يفـتـرون. وتارة يكتـبون السـورة أو الآية ويكررونهـا مرات عـديدة بهيـئات مخـتلفة حـتى يجعلـوا أولها آخرًا وآخـرها أولاً، وأوسطها أولاً في مـوضع وآخِرًا في آخر. وتارة يكتبـونها بحروف مقطعـة كل حرف على حدته ويزعمـون أن لها بهذه الهيـئة خصوصيـة ليست لغيرها من الهـيئات، ولا أدري من أين أخـذوها وعـمَّن نقلوها، مـا هي إلا وسـاوس شيـطانية زخـرفـوها، وخرافات مضلـة ألفوها، وأكاذيب مختلقة لفـقوها، لم ينزل الله بها من سلطان، ولا يعـرف لها أصل في سنة ولا قـرآن، ولم تنقل عن أحـد من أهل الدين والإيمان. إن هؤلاء إلا كاذبون، أفاكون مفترون. وسيـجزون ما كانوا يعملون. وتارة يكتبون رموزًا من الأعداد العربيـة المعروفة من آحاد وعشـرات ومئات وألوف وغيرها ويزعـمون أنها رموز إلى حـروف آية أو سورة أو اسم أو شيء مما قدمـنا بحساب الحـروف الأبجدية المعروفـة عند العرب وغير ذلـك من الخرافات الباطلة، والأكـاذيب المفتعلة المخـتلقة، وغالبها مأخوذ عن الأمة الغضبية الذين أخذوا السحر عن الشياطين وتعلموه منهم، ثم أدخلوا ذلك على أهل الإسلام بصفة أنه من القرآن أو السنة أو أسماء الله تعالى وأنهم إنما غيروا ألفاظه وترجـموها بغير العربية لمقاصد لا تتم بزعـمهم إلا بذلك، ومنها ما هو من عبّاد الملائكة والشياطين ونحوهم يأخذون أسماءهم ويقولون للجهال هي أسماء الله ليروجـوا الشرك بذلك عليهـم فيدعون غـير الله من دونه، وهذه مكيـدة لم يقدر

عليها إبليس إلا بوساطة هؤلاء المضلين وهو: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] والله تعالى يقول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فتحصل من هذا أن الرقي **لا تجوز إلا باجتماع ثلاثة شروط**، فإذا اجتمعت فيها كانت رقية شرعية، وإن اختل منها شيء كان بضد ذلك:

الأول: أن تكون من الكتاب والسنة فلا تجوز من غيرهما.

الشرط الثاني: أن تكون باللغة العربية محفوظة ألفاظها مفهومة معانيها فلا يجوز تغييرها إلى لسان آخر.

الثالث: أن يعتقد أنها سبب من الأسباب لا تأثير لها إلا بإذن الله عز وجل فلا يعتقد النفع فيها لذاتها، بل فعل الراقي السبب والله هو المسبب إذا شاء.

التمائم والحجب

وفي التّمائم المعلقاتِ	إنْ تَكُ آياتٍ مبيناتِ
فالاختلاف واقع بين السلف	فبعضهم أجازها والبعض كف

(وفي التمائم المعلقات) أي التي تعلق على الصبيان والدواب ونحوها **(إن تك)** هي أي التمائم **(آيات)** قرآنية **(مبينات)**، وكذلك إن كانت من السنن الصحيحة الواضحات **(فالاختلاف)** في جوازها **(واقع بين السلف)** من الصحابة والتابعين فمن بعدهم **(فبعضهم)** أي بعض السلف **(أجازها)** يروى ذلك عن عائشة ﵂ وأبي جعفر محمد بن علي وغيرهما من السلف، **(والبعض)** منهم **(كف)** أي منع ذلك وكرهه ولم يره جائزاً، منهم عبد الله بن عكيم وعبدالله بن عمرو وعقبة بن عامر وعبدالله بن مسعود وأصحابه كالأسود وعلقمة ومن بعدهم كإبراهيم النخعي وغيرهم رحمهم الله تعالى. ولا شك أن منع ذلك أسدُّ لذريعة الاعتقاد المحظور، لاسيما في زماننا هذا فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال فلأن يكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك، كيف وهم قد توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها، فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك

ثم يضعون تحتـها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كـتبهم، ومنها أنهم يصـرفون قلوب العـامة عن التـوكل على الله عز وجل إلى أن تتـعلق قلوبهم بما كتبوه، بل أكثرهم يرجفون بهم ولم يكن قد أصابهم شيء، فيأتي أحدهم إلى من أراد أن يحتال على أخذ ماله مع علمه أنه قد أولع به، فـيقول له: إنه سيصيبك في أهلك أو في مالك أو نفسـك كذا وكذا، أو يقول له إن معك قـرينًا من الجن أو نحو ذلك. ويصف له أشيـاء ومقدمات من الوسـوسة الشيطانية مـوهمًا أنه صادق الفراسـة فيه، شديد الشفقة عليه، حريص على جلب النفع إليه، فإذا امتلأ قلب الغبي الجاهل خوفًا مما وصف له حينئذ أعرض عن ربه وأقبل على ذلك الدجال بقلبه، وقالبه، والتجأ إليه وعول عليه دون الله عز وجل وقال له: فما المخـرج مما وصفت، وما الحيلة في دفعه؟ كأنما بيده الضر والنفع، فعند ذلك يتحقق فيـه أمله، ويعظم طمعه فيما عسى أن يبذله له، فيقول له إنك إن أعطيتني كذا وكذا كـتبت لك من ذلك حجابًا طوله كذا وعرضه كـذا، ويصف له ويزخـرف له في القـول، وهذا الحـجاب علـقه من كـذا وكـذا من الأمراض أترى هذا ـ مع هذا الاعتـقاد ـ من الشرك الأصغـر، لا بل هو تأله لغير الله وتوكل على غـيره والتجـاء إلى سواه، وركـون إلى أفعـال المخلوقين وسلب لهم من دينهم، فهل قدر الشـيطان على مثل هذه الحيل إلا بوساطة أخيـه من شياطين الإنس: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢] ثم إنه يكتب فيه مع طلاسمه الشيطانية شيـئًا من القرآن ويتعلقه على غير طهارة ويحدث الحدث الأصغر والأكبر وهو معه أبدًا لا يقدسه عن شيء من الأشياء، تالله ما استهان بكتاب الله تعالى أحـد من أعدائه استهانة هؤلاء الزنادقـة المدعين الإسلام به. والله ما نزل القرآن إلا لتلاوته، والعمل به، وامتثـال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، والوقوف عند حدوده، والاعـتبار بأمثاله، والاتعاظ بقـصصه والإيمان به، كل من عند ربنا، وهؤلاء قـد عطلوا ذلك كله ونبذوه وراء ظهـورهم ولم يحفظوا إلا رسـمه كي يتأكلوا به ويكتسـبوا كسائر الأسباب التي يتوصلـون بها إلى الحرام لا الحلال، ولو أنَّ ملكًا أو أميرًا كـتب كتابًا إلى من هو تحت ولايته أن افعل كـذا، واترك كذا، وأمر من في جهتك بكذا وانههم عن كذا، ونحو ذلك، فأخذ ذلك الكتاب ولم يقرأه ولم يتدبر أمره ونهـيه ولم يبلغـه إلى غيـره ممن أمر بتبليـغه إليـه، بل أخذه وعلقـه في عنقه أو عضده، ولم يلتفت إلى شيء مما فيه ألبتة، لعاقبه الملك على ذلك أشد العقوبة ولسامه سـوء العـذاب. فكيف بتنزيـل جبار السمـوات والأرض الذي لـه المثل الأعلى في

السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه هو حسبي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

وإن تكن مما سوى الوحيينِ ... فإنها شرك بغير مين

بل إنَّها قسيمة الأزلامِ ... في البعد عن سيما أولي الإسلام

(وإن تكن) أي التمائم (مما سوى الوحيين) بل من طلاسم اليهود وعباد الهياكل والنجوم والملائكة ومستخدمي الجن ونحوهم أو من الخرز أو الأوتار أو الحلق من الحديد وغيره (فإنها شرك) أي تعلقها شرك (بدون مين) أي شك، إذ ليست هي من الأسباب المباحة والأدوية المعروفة، بل اعتقدوا فيها اعتقاداً محضاً أنها تدفع كذا وكذا من الآلام لذاتها لخصوصية زعموا فيها كاعتقاد أهل الأوثان في أوثانهم، (بل إنها قسيمة) أي شبيهة (الأزلام) التي كان يستصحبها أهل الجاهلية في جاهليتهم ويستقسمون بها إذا أرادوا أمراً، وهي ثلاثة قداح مكتوب على أحدها: افعل، والثاني: لا تفعل، والثالث: غفل، فإن خرج في يده الذي فيه افعل مضى لأمره، أو الذي فيه لا تفعل ترك ذلك، أو الغفل أعاد استقسامه. وقد أبدلنا الله تعالى ـ وله الحمد ـ خيراً من ذلك: صلاة الاستخارة ودعاءها.

والمقصود أن هذه التمائم التي من غير القرآن والسنة شريكة للأزلام وشبيهة بها من حيث الاعتقاد الفاسد والمخالفة للشرع (في البعد عن سيما أولى الإسلام) أي عن زي أهل الإسلام، فإن أهل التوحيد الخالص من أبعد ما يكون عن هذا وهذا، والإيمان في قلوبهم أعظم من أن يدخل عليه مثل هذا، وهم أجل شأناً وأقوى يقيناً من أن يتوكلوا على غير الله أو يثقوا بغيره. وبالله التوفيق.

فصل

من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها يتخذ ذلك المكان عيداً وبيان أن الزيارة تنقسم إلى سنية وبدعية وشركية

هذا ومِنْ أعمال أهل الشركِ ... من غير ما تردُّدٍ أو شكٍّ

ما يقصد الجهال من تعظيم ما ... لم يأذن الله بأن يعظما

كمن يلُـذْ بـبـقـعـة أو حـجـر … أو قبر ميت أو ببعض الشجـر
مـتـخـذًا لـذلـك المـكـان … عيـدًا كفعل عابـدي الأوثـان

(هذا) أي الأمر والإشارة إلى مـا تقدم (ومن أعمـال أهل الشرك) التي لا يفعلها غيرهم ولا تليق إلا بعقولهم السخيفة، وأفئدتهم الضعيفـة، وقلوبهم المطبوع عليها، وأبصارهم المغشي عليها (ما) أي الذي (لم يأذن الله) عز وجل في كتابه ولا سنة نبيه (بأن يعظما) بألف الإطلاق، وأن ومدخولها في تأويل مصدر أي لم يأذن الله بتعظيمه ذلك التعظيم الذي منحه إياه من لم يفرق بين حق الله تعالـى وحقوق عباده من النبيين والأولياء وغيرهم، بل لم يفرق بين أولياء الله وأعدائه ولا بين طاعته ومعصيته، فيتخذ من دون الله أندادًا وهو يرى أن ذلك الذي فـعله قربة وطاعـة لله وأن الله يحب ذلك ويرضـاه، ويكذِّب الرسل ويدَّعي أنـه من أتبـاعهـم، ويوالي أعـداء الله وهو يظنهم أولياءه، كـفعل اليـهود والنصارى يجـاهرون الله بالمعاصي ويكذبون كـتابه ويغـيرونه ويبدلونه ويحرفون الكلم عن مـواضعه ويقتلون الأنبياء بغير الحق وينسـبون لله سبحانه وتعالى الولد ويفعلون الأفاعيل ويقولون نحن أبناء الله وأحباؤه، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه. وسـبب هذا كله ـ في الأمم الأولى والأخـرى ـ هو الإعراض عن الشـريعة وعدم الاهتـمام لمعـرفة مـا احتـوت عليه الكتب من البـشارة والنذارة والأمـر والنهي والحلال والحرام والوعد والوعيد، ومعرفة ما يجب لله على عباده فعله وما يجب تركه (كمن يلُذْ ببقعة) أي يعوذ بها ويختلف إليها ويتـبرك بها ولو بعبادة الله تعالى عندها، وتقدم تقـييد ذلك بما لم يأذن به الله، فيـخرج بهذا القيـد ما أذن الله تعالى بتعظـيمه كتعظيم بيـته الحرام بالحج إليه وتعظيم شـعائر الله من المشاعر والمواقف وغـيرها، فإن ذلك تعظيم لله عـز وجل الذي أمر بذلك لا لتلـك البقـعة ذاتهـا كمـا قال عمـر بن الخطاب ﵁ لما استلم الحـجر الأسود: أمـا والله إني لأعلم أنك حجـر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك[1]، وكذلك التعظيم أيضًا نفسه إنَّما أردنا منع تعظيم لم يأذن الله به لا المأذون فيـه، فإن الله تعالى قد أمـر بتعظيم الرسل بأن يطاعوا فـلا يعصوا ويحـبوا ويتبعـوا، وأن طاعة الرسول هي طاعـة الله عز وجل ومعصيته معصية الله عز وجل، فهذا تعظيم لا يتم الإيمان بالله إلا به إذ هو عين تعظيم الله تعالى، فإنهم إنما عُظموا لأجل عظمة المرسل سبحانه وتعالى وأُحبوا لأجله واتُّبعوا

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٥٤٠) ك: الحج، ب: ما ذكر في الحجر الأسود ح (١٥٩٧) ومسلم (١٢٧٠).

على شرعه، فعاد ذلك إلى تعظيم الله عز وجل، فلو أن أحدًا عظم رسولاً من الرسل بما لم يأذن الله به ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله عز وجل وغلا فيه حتى اعتقد فيه شيئًا من الإلهية لانعكس الأمر وصار عين التنقص والاستهانة بالله وبرسله كفعل اليهود والنصارى الذي ذكر الله عز وجل عنهم من غلوهم في الأنبياء والصالحين كعيسى وعزير، فكذبوا بالكتاب وتنقصوا الرب عز وجل بنسبة الولد إليه وغير ذلك وكذبوا الرسول في قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] فصار ذلك التعظيم في اعتقادهم هو عين التنقص والشتم، سبحان الله عما يصفون، وسلام على المرسلين. (**أو حجر، أو قبر ميت، أو ببعض الشجر**) أو غير ذلك من العيون ونحوها ولو بعبادة الله عندها فإن ذلك ذريعة إلى عبادتها ذاتها كما فعل إبليس لعنه الله بقوم نوح حيث أشار عليهم بتصوير صالحيهم ثم بالعكوف على قبورهم وصورهم وعبادة الله عندها إلى أن أشار عليهم بعبادتها ذاتها من دون الله تعالى فعبدوها، (**متخذًا لذلك المكان**) من القبور والأشجار والعيون والبقاع وغيرها (**عيدا**) أي ينتابها ويعتاد الاختلاف إليها (**كفعل عابدي الأوثان**) في تعظيمهم أوثانهم واعتيادهم إليها، ولذا سمى النبي ﷺ العكوف على الأشجار وتعليق الأسلحة بها على جهة التعظيم «تألهًا»، كما في الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: «ذات أنواط» فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون. لتركبن سنن من قبلكم»[1] ولقد عمت البلوى بذلك وطمت في كل زمان ومكان حتى في هذه الأمة لاسيما زماننا هذا، ما من قبر ولا بقعة يذكر لها شيء من الفضائل ولو كذبًا إلا وقد اعتادوا الاختلاف إليها والتبرك بها حتى جعلوا لها أوقاتًا معلومة يفوت عيدهم بفواتها ويرون من أعظم الخسارات أن يفوت الرجلَ ذلك العيد المعلوم. وآل بهم الأمر إلى أن صنفوا في أحكام حجهم إليها كتبًا سموها مناسك حج المشاهد. ومن أخل بشيء منها فهو عندهم أعظم جرمًا ممن أخل بشيء

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٧٥) ك: الفتن، ب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم (٤/ ٤٥٥) وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

من مناسك الحج إلى بيت الله الحرام، وجعلوا لها طوافًا معلومًا كالطواف بالبيت الحرام، وشرعوا تقبيلها كما يقبِّل الحجر الأسود حتى قالوا إن زحمت فاستلم بمحجن أو أشر إليه، قياسًا على فعل النبي ﷺ بالحجر الأسود، وشرعوا لها نذورًا من المواشي والنقود، ووقفوا عليها الوقوف من العقارات والحرث وغيرها وغير ذلك من شرائعهم الشيطانية، وقواعدهم الوثنية. وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر النصوص النبوية في سد ذرائع الشرك في الفصل الآتي وبالله التوفيق.

زيارة القبور

ثم الزيارةُ على أقسام	ثلاثة يا أمة الإسلام
فإن نوى الزائر فيما أضمره	في نفسه تذكرة بالآخرة
ثم الدعا له وللأموات	بالعفو والصفح عن الزّلاّت
ولم يكن شد الرحال نحوها	ولم يقل هجرًا كقول السفها
فتلك سنة أتت صريحة	في السنن المثبتة الصحيحة

(ثم الزيارة) أي زيارة القبور تأتي **(على أقسام ثلاثة)**:

زيارة سنيّة، وزيارة بدعية، وزيارة شركية فتفهموها **(يا أولي الإسلام)**.

والبداءة بالشرعية لشرفها والندب إليها، ثم البدعية لكونها أخف جرمًا من الشركية، ثم هي بعد ذلك. **(فإن نوى الزائر)** للقبور **(فيما أضمره في نفسه)** أي كانت نيته بتلك الزيارة **(تذكرة بالآخرة)** أي ليتعظ بأهل القبور ويعتبر بمصارعهم إذ كانوا أحياء مثله يؤملون الآمال ويخولون الأموال، ويجولون في الأقطار بالأيام والليال، ويطمعون في البقاء ويستبعدون الارتحال، فبينما هم كذلك إذا بصارخ الموت قد نادى، فاستجابوا له على الرغم جماعات وفرادى، وأبادهم ملوكًا ونوابًا وقوادًا وأجنادًا، وقدموا على ما قدَّموا غيًّا كان أو رشادًا، وصار لهم التراب لحفًا ومهادًا، بعد الغرف العالية التي كان عليها الحجاب أرصادًا، تساوى فيها صغيرهم وكبيرهم، وغنيهم وفقيرهم، وشريفهم وحقيرهم، ومأمورهم وأميرهم. اتفق ظاهر حالهم واتحد، ولا فرق للناظر إليهم يميز به أحدًا من أحد. وأما باطنًا فالله أكبر لو كشف للناظرين الحجاب، لرأوا من الفروق العجب العجاب، فهؤلاء لهم طوبى وحسن

مآب، وأولئك في أسوأ حالة وأشد العذاب، فليعلم الواقف عليهم الناظر إليهم، أنه بهم ملتحق، ولإحدى الحالتين مستحق، فليتأهب لذلك، وليتب إلى العزيز المالك، وليلتجىء إليه من شر كل ما هنالك. (**ثم**) قصد أيضًا (**الدعا**) أي دعاء الله عز وجل (**له**) أي لنفسه (**وللأموات**) من المسلمين (**بالعفو**) من الله عز وجل (**والصفح عن الزلات**) وكذا يدعو لسائر المسلمين بذلك (**و**) مع ذلك (**لم يكن شد الرحال نحوها**) الضمير للقبور لما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[١]. (**ولم يقل هجراً**) أي محظوراً شرعًا (**كقول**) بعض (**السفها**) لما في السنن من حديث بريدة قال فيه النبي ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً»[٢] (**فتلك**) الإشارة إلى النوع المذكور من الزيارة (**سنة**) طريقة نبوية (**أتت صريحة**) أي واضحة ظاهرة (**في السنن**) أي الأحاديث (**المثبتة**) في دواوين الإسلام (**الصحيحة**) سنداً ومتنًا، منها حديث بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد ﷺ في زيارة قبر أمه فزوروها، فإنها تذكر الآخرة» رواه الترمذي وصححه[٣]. وحديث أبي هريرة ﷺ قال: «زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزورها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت» رواه الجماعة[٤]. وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» رواه أحمد ومسلم والنسائي[٥]. ولأحمد من حديث عائشة ﷺ مثله وزاد «اللهم لا تحرمنا أجرهم

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٨٤) ك: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ب: فضل ما بين القبر والمنبر من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، ومسلم ح (٨٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧٢) ح (٩٧٧) بلفظ «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» والنسائي (٤/ ٨٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٦١) ك: الجنائز، ب: ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، قال أبو عيسى: حديث بريدة حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم، وأصله عند مسلم في كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ في زيارة قبر أمه.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧١) ك: الجنائز، ب: استئذان النبي ﷺ في زيارة قبر أمه، وأبو داود ح (٣٢٣٤)، وابن ماجه (١٥٧٢).

(٥) سبق تخريجه.

ولا تفتنّا بعدهم»(١). وعن بريدة قال: كـان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خـرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسـأل الله لنا ولكم العافية» رواه أحمد ومـسلم وابن ماجه(٢)، زاد مسلم في رواية «يرحم الله المتقـدمين منا ومنكم والمتأخرين»(٣). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسـول الله ﷺ بقبور المدينة فـأقبل عليهم بوجهه فـقال: «السلام عليكم يا أهل القـبـور، يغـفر الله لنـا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثـر» رواه الترمـذي وقـال: حسـن(٤). وكـذلك الأحاديث في خـروجه ﷺ إلى بقيـع الغرقد كـثيراً يـدعو لهم ويترحم عليهم.

وكان الصحابة إذا أتوا قبره ﷺ صلوا وسلموا عليه فحسب، كـما كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «السـلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبـا بكر، السلام عليك يا أبتاه»(٥). وكذا التابعون ومن بعدهم من أعلام الهدى ومصابيح الدجى لم يذكر عنهم في زيارة القبور غير العمل بهذه الأحاديث النبوية وأفعال الصحابة لم يعدلوا عنها ولم يستبـدلوا بها غيرها بل وقـفوا عندها، فهذه الزيارة الشـرعية المستـفادة من الأحاديث النبوية، وعليهـا درج الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحـسان، إنما فيها التذكـر بالقبور والاعتبار بأهلها والدعاء لهم والترحم عليـهم وسؤال الله العفو عنهم، فمن ادعى فيها غير هذا طولب بالبـرهان، وأنى له ذلك ومن أين يطلبه؟ بل كذب وافترى، وقـفا ما ليس له به علم. بلى إن العلوم الشرعية دالة على ضلاله وجهله **(أو قصد الدعاء)** من الصلاة وغـيرها أو الاعـتكاف عند قبـورهم أو نحو ذلك **(والتـوسلا)** بألف الإطلاق **(بهم)** أي بأهل القـبور **(إلى الرحمـن جل وعلا)** عمـا ائتفكه أهل الزيـغ والضلال

---

(١) أخرجـه ابن ماجه (١/ ٤٩٣) ك: الجـنائز، ب: ما جاء فـيما يقـال إذا دخل المقابر، وأحـمد (٦/ ١١١) وفي سنده: شريك بن عبدالله النخعي الكوفي القاضي قال ابن حجر: صدوق يخطىء كثيراً، تغير حفظه منذ ولى القضاء بالكوفة.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧١) ك: الجنـائز، ب: ما يقال عند دخول القبور والدعـاء لأهلها ح (٩٧٥)، وابن ماجه ح(١٥٤٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧١) ك: الجنائز، ب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

(٤) أخرجـه الترمـذي (٣/ ٣٦٠) ح (١٠٥٣) ك: الجنائز، ب: ما يقـول الرجل إذا دخل المقابر من حـديث ابن عباس، قـال أبو عيسى: حديـث ابن عباس حديث حـسن غريب وفي سنده قابوس بن أبي ظبيـان قال عنه الحافظ فيه لين.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥) ك: الحج، ب: زيارة قبر النبي ﷺ.

(فبدعة محدثة) لم يأذن الله تعالى بها (ضلالة) كما قال ﷺ: «كل بدعة ضلالة»[١] وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٢] وقال ﷺ في رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٣] وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[٤] وغير ذلك. فإن من قال: اللهم إني أسألك بجاه فلان، وهو ميت أو غائب، وإن كان يرى أنه لم يدع إلا الله ولم يعبد سواه فهو قد عبد الله بغير ما شرع وابتدع في الدين ما ليس منه واعتدى في دُعائه ودعا الله بغير ما أمره أن يدعوه به، فإن الله تعالى إنما أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى كما قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] ولم يشرع لنا أن ندعوه بشيء من خلقه ألبتة، بل قد نهانا رسول الله ﷺ عن أن نقسم بشيء من المخلوقات مطلقًا فكيف بالإقسام بها على الله عز وجل.

وأما حديث الأعمى الذي به يحتج المجوِّزون للتوسل بالمقبور فلا حجة لهم فيه بحمد الله لو فهموا معناه ووضعوه موضعه، ولكنهم أخطأوا في تأويله، ولم يوفقوا لفهم مدلوله، فإن هذا الحديث بجميع ألفاظه هو بمعزل عن مدعاهم، وهذه ألفاظه من الكتب التي خرج فيها: قال الترمذي رحمه الله تعالى حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أنَّ رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: «إن شئت دعوتُ وإن شئتَ صبرت فهو خير لك». قال: فادعه. قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه. ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيّ» هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي ا.هـ[٥] قلت الظاهر بالاستقراء أن أبا جعفر هذا هو

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٢) ك: الجمعة، ب: تخفيف الصلاة والخطبة.

(٢)، (٣) سبق تخريجهما.

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٠٠) ح (٤٦٠٧) ك: السنة، ب: لزوم السنة والترمذي (٥/ ٤٤) ح (٢٦٧٦) ك: العلم، ب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٦٩) ح (٣٥٧٨) ك: الدعوات، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث أبي جعفر هو الخطمي، والحاكم (١/ ٥٢٦).

الرازي التيـمي مولاهم مشهـور بكنيته وهو من رجـال الأربعة واسمه عـيسى بن أبي عيسى عبدالله بن ماهان، وأصله من مرو كان يتجر إلى الري، روي عن عطاء وعمرو ابن دينار وقتادة، وعنه أبو عوانة وشعبة كما في هذا الحديث قال ابن معين ثقة، وقال ابن المديني ثقة يخلط عن المـغيرة، وقال الفـلاس سيىء الحفظ، وقال أبو حـاتم: ثقة صدوق صالح الحديث، وقال في التقريب: صدوق سيىء الحفظ خصوصًا عن المغيرة، من كبار السـابعة مات في حدود الستين ومائة. والظاهـر من عباراتهم أن تخليطه عن المغيـرة خاصة وهو ثبت فـيمن سواه. وبهـذا يجمع بين قـول من يضعفـه وقول من يوثقه، كـيف ومن الموثقين له شيخا البـخاري يحيى بن مـعين وعلي بن المديني وهما هما. والله أعلم. ورواه النسائي عن عثمـان بن حنيف ولفظه أن رجلاً أعمى قال: يا رسول الله ادعُ الله أن يكشف لي عن بصري. قال فانطلق فـتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبـيي محمد ﷺ نبي الرحمة، يا مـحمد إني أتوجه بك إلى ربي أن يكشف عن بصري، اللهم فشفـعـه في» قال فرجع وقد كشف الله بصره[1]. وقال أحمد رحـمه الله تعالى في مسنده: حدثنا روح حدثـنا شعبة عن عمـير بن يزيد الخطمي المديني قـال: سمعت عـمارة بن خزيمة بـن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله ادع الله أن يعافيني. فقال: «إن شئت أخرت ذلك فهـو أفضل لآخرتك، وإن شئت دعوت لك». قال: بل ادع الله لي. فأمره أن يتـوضأ وأن يدعو بهذا الدعاء «اللهـم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محـمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللهم فشـفعني فيه وشـفعه في»[2]. قلت: عمـير بن يزيد الخطمي هذا هو أبو جعفر الذي فرّق الترمذي بينه وبين أبي جـعفر المذكور في روايته، وقد قلنا الظاهر أنه هو الرازي التيمي وكلاهما شيخ لشعبة وكلاهما صـدوق فيحتمل أن كلاً منهما سمعه من عمارة، وسـمعه شعبـة من كليهما وحدث به مـرة عن هذا ومرة عن هذا، فرواه عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر الرازي التيمي، وسمعه روح منه عن الخطمي فحدث بـه كذلك والله عز وجل أعلم. والمقصـود أن هذا الحديث إن جزمنا بصـحته فليس فيه لهم حجة ولا دليل على ما انتـحلوه بأفكارهـم الخاطئة، فإن هذا الأعمى إنما

---

(١) أخرجه النسائي في عـمل اليوم والليلة ح (٦٦٥) والحاكم (١/ ٥٢٦) وقال: صحيح عـلى شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٤١) والنسائي في عمل اليوم والليلة ص٢٠٥.

سأل من النبي ﷺ الدعاء له بكشف بصره، وهو حي حاضر قادر على ما سأله منه وهو الدعاء، وهو يؤمن على ذلك ويقول: اللهم شفعه فيَّ، فسأل من النبي ﷺ الدعاء، وسأل قبول دعائه من الله عز وجل لعلمهم التام بالإيمان بالله عز وجل وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وبهذا أمره النبي ﷺ أن يدعو الله تعالى، فاجتمع الدعاء من الجهتين. وهكذا كان الصحابة ﷺ كثيراً ما كانوا يسألون من النبي ﷺ أن يدعو لهم بالنصر وأن يستسقي لهم إذا أجدبوا وبتكثير الطعام كما سأله منه عمر ﷺ في غزوة تبوك، وقالت له أم أنس خويدمك أنس ادع الله تعالى له[1]، وأمثال ذلك في حياته الدنيا ما لا يحصى وكذلك في موقف القيامة يسأل الخلائق من أولي العزم أن يشفعوا لهم إلى ربهم في فصل القضاء واحد بعد واحد، حتى تنتهي إليه ﷺ فيذهب ويسجد تحت العرش ويحمد الله تعالى ويثني عليه إلى أن يقول له: «ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تُعط واشفع تشفع» وذلك إذا أذن الله عز وجل له في الشفاعة التي وعده إياها كما سيأتي تقريره. وقد قال ﷺ لعمر وهو ذاهب للعمرة: «لا تنسنا من دعائك»[2] وكذلك استسقى عمر ﷺ بالعباس والصحابةُ متوافرون كما في صحيح البخاري: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»[3]، وكان من دعاء العباس يومئذ: «اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث» ذكره الزبير بن بكار، وكان ذلك الجدب عام الرمادة. وكذلك قال معاوية لما استسقى بيزيد بن الأسود الجرشي، فقال: «اللهم إنا نستشفع - أو نتوسل - إليك بخيارنا، يا يزيد ارفع يديك، فرفع يديه ودعا الناس حتى سقوا فكان أفضل القرون يسألون الله عز وجل، ويلتمسون الصالحين منهم الحاضرين عندهم أن يسألوا الله عز وجل لهم ولهم، وتوسلهم إنما كان بدعائهم لا بذواتهم، وهذا جائز في كل زمان ومكان أن تسأل من عبد صالح حاضر عندك أن

---

(١) أخرجه مسلم (١/٤٥٧) ح (٦٦٠) ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: جواز الجماعة في النافلة، والصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/٢٩) ح (١٩٥)، والترمذي (٥/٥٥٩) ح (٣٥٦٢)، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ شاكر في تحقيقه على المسند: إسناده ضعيف؛ لأن في سنده عاصم بن عبيد الله ابن عمر، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٥٧٤) ك: الاستسقاء، ب: سؤال الناس الإمام إذا قحطوا ح (١٠١٠).

يدعو لك وتؤمن أنت على دعائه، أو تسأل من مسافر الدعاء بظهر الغيب ونحو ذلك كما ثبت عن النبي ﷺ ودرج عليه السلف الصالح رحمهم الله تعالى. ولو كان ذلك عندهم جائزًا أعني التوسل بالذوات لـم يحتج الأعمى أن يأتي إلى النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء، بل كان يتوسل به في محله أينما كان إذ لا فائدة زائدة في مجيئه إليه على هذا المعنى، وكـذلك عمر والصحابة معه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى ذات العباس لو كان التوسل بالذات لا بالدعاء، وكذا معاوية وأصحابه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى يزيد بن الأسود ولم يطلبوا منه الدعاء، ولما أمر النبي ﷺ عمر إذا وجد أويسًا أن يطلب منه الاستغفار[1]، بل كان يكفيه أن يقول: اللهم بحق أويس القرني، ولم يعرف هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان أنه فعل ذلك التوسل بالنبي ﷺ ولا بغيره من الأنبياء ولا بأحد من أفاضلهم الأولياء بعد موته، ولو كانوا بالذوات يتوسلون في حال حياتهم لم يكن فرق بين ذلك وبين مماتهم، وهذا في التوسل بأهل القبور عام عند القبر وغيره وأما عبادة الله عند القبور كالصلاة عندها والعكوف عليها فهو أشد وأغلظ، لأنه ذريعة مفضية إلى عبادة المقبور نفسه، كما قدمنا عن قوم نوح من استدراج الشيطان لهم. وكذلك فعل بغالب هذه الأمة والعياذ بالله، ولذلك نهى النبي ﷺ أن يصلى على القبور أو إليها وغلظ في ذلك ودعا على فاعله باللعنة وشدة الغضب كما سيأتي في الفصل الآتي قريبًا إن شاء الله تعالى.

وإن دعا المقبورَ نفسه فقد	أشرك بالله العظيم وجحد
لن يقبل الله تعالى منه	صرفًا ولا عدلاً فيعفو عنه
إذ كل ذنب موشك الغفران	إلا اتخاذ الند للرحمن

(وإن دعا) الزائر (المقبور نفسه) من دون الله عز وجل وسأل منه ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل من جلب خير أو دفع ضر أو شفاء مريض أو رد غائب أو نحو ذلك من قضاء الحوائج (فقد أشرك) في فعله ذلك (بالله العظيم) المتعالي عن الأضداد والأنداد والكفؤ والولي والشفيع بدون إذنه (وجحد) حق الله عز وجل على عباده

(١) أخرجه مسلم (١٩٦٨/٤) ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أويس القرني رضي الله عنه، وأحمد (٣٩،٣٨/١).

وهو إفراده بالتوحيد وعبادته وحده لا شريك له ونفي ضد ذلك عنه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وقال تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤] الآيات. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤] الآيات وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآيات وغيرها ما لا يحصى يخبر الله تعالى أن من دعا مع الله إلهًا آخر ولو لحظة فقد كفر وإن مات على ذلك فلا فلاح له أبدًا، ولو فعل ذلك نبيه لكان من الظالمين، وأنه لا كاشف للضر غيره ولا جالب للخير سواه، وأنه لا أضل ممن يدعو من دونه سواه، وأن من عبد من دون الله يكون عدوًا لعابده يوم القيامة وكافرًا بعبادته إياه من دون الله تعالى، وأنهم كلهم عباد مثل عابديهم مخلوقون مربوبون مملوكون تحت تصرف الله وقهره لا يستجيبون لمن دعاهم ولا يقدرون على استنقاذ ما استلبه الذباب فكيف يقدرون على قضاء شيء من حوائج عابديهم؟ بل قد أخبرنا عز وجل أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو سمعوا دعاءه ما استجابوا له، وأخبرنا أن من عبدوهم من الصالحين كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم أنهم لا يملكونَ كشف ضر من دعاهم ولا تحويله من حال إلى حال، بل هم يبتغون الوسيلة إلى ربهم والقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فينبغي للعباد الاقتداء بهم في ذلك الابتغاء والرجاء والخوف من الله عز وجل، لا دعاؤهم دونه، تعالى الله عما يشركون.

(لا يقبل الله تعالى منه) أي من ذلك الداعي مع الله غيره المتخذ من دونه أولياء

(صرفًا) أي نافلة (ولا عدلاً) أي ولا فريضة (فيعفو عنه) في ذلك لأن الكافر عمله كلا شيء، قال الله تعالى: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩] الآيات، وقال تعالى لصفـوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال لسيدهم وخـاتمهم وأكرمهم على ربه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

(إذ) حرف تعليل (كل ذنب) لقي العبد ربه به (موشك الغفران) أي يرجى ويؤمل أن يغفر ويعفى عنه (إلا اتخاذ الند للرحمن) فإن ذلك لا يغفر ولا يخـرج صاحبه من النار ولا يجد ريح الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، وقد قدمنا في ذلك من الآيات والأحاديث ما فيه كفاية في الدلالة على ما وراءه ولله الحمد والمنة.

فصل

في بيان ما وقع فيه العامة مما يفعلونه عند القبور وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات

هذا الفصل هو المقصود بالذات من ذكر ما قبله من تقسيم الزيارة إلى ثلاثة أقسام، وهي تمهيد له، فإنما المقصود من ذكـر ضلال الأمم الأولى هو تحذير الأحياء الموجودين

لئلا يقعوا فيما وقعوا فيه، وزجر من وقع منهم عما وقع فيه لئلا يحل بهم ما حل بهم من النكال، كما أن الله سبحانه وتعالى ما قص علينا من أخبار الأمم الأولى إلا لنتعظ بهم ونعتبر بمصارعهم ولنعلم أسباب هلاكهم فنتقيه ونعلم سبل النجاة التي سلكها رسل الله وأولياؤه ففازوا بخيري الدنيا والآخرة فنسلكها ونقفوا أثرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] الآية، وقال تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥، ٤٦] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة: ٢٦] وقال تعالى بعد أن قص علينا ما قص في سورة هود: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠-١٠٢] الآيات، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم»(١) وهو في الصحيح، فإذا كان هذا الخطر على من دخل ديارهم فما ظنك بمن عمل مثل عملهم وزيادة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن على القبر سراجًا أوقدا ... أو ابتنى على الضريح مسجدا

فإنَّهُ مجدد جهارًا ... لسنن اليهود والنصارى

(ومن على القبر) متعلق بأوقد **(سراجا)** مفعول **(أوقدا)** بألف الإطلاق، والمعنى ومن أوقد سراجًا على القبر **(أو ابتنى)** بمعنى بنا وزيدت التاء فيه لمعنى الاتخاذ **(على الضريح)** أي على القبر واشتقاقه من الضرح الذي هو الشق **(مسجدا)** أو اتخذ القبر نفسه مسجدا ولو لم يبن عليه **(فإنه)** أي فاعل ذلك **(مجدد)** بفعله ذلك **(جهارًا)** أي تجديدًا واضحًا مجاهرًا به الله ورسوله وأولياءه **(لسنن)** أي لطرائق **(اليهود والنصارى)** في اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد ويعكفون عليها، وأعياد لهم ينتابونها، ويترددون

---

(١) صحيح البخاري (٦/٤٣٦) ك: الأنبياء، ب: قول الله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحًا﴾ ومسلم ح(٢٩٨٠).

إليها، كيف وقد قال الرسول ﷺ للذين طلبوا منه ذات أنواط «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة * قال إنكم قوم تجهلون﴾ لتتبعن سنن من كان قبلكم»(١) وقال ﷺ: «لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جُحْر ضبٍّ لسلكتموه». قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» أخرجاه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه (٢)، وقد وقع الأمر والله كما أخبر ﷺ به، فالله المستعان.

كم حذر المختار عن ذا ولعن ... فاعله كما روى أهل السنن
بل قد نهى عن ارتفاع القبر ... وأن يزاد فيه فوق الشبر
وكل قبر مشرف فقد أمر ... بأن يسوى هكذا صح الخبر

(كم) خبرية للتكثير (حذر المختار) نبينا محمداً ﷺ (عن ذا) الفعل من اتخاذ القبور مساجد وأعياداً والبناء عليها وإيقاد السرج عليها، كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح ـ أو الرجل الصالح ـ بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»(٣). وفيه عنها وهي وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم قال: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذِّر ما صنعوا»(٤) وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٥). وعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» رواه الجماعة إلا

---

(١) تقدم.

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٥٧١) ك: أحاديث الأنبياء، ب: ما ذكر في بني إسرائيل من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ومسلم ح (٢٦٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٦٣٣) ك: الصلاة، ب: الصلاة في البيعة، من حديث أم سلمة رضي الله عنها، ومسلم ح(٥٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٦٣٣) ك: الصلاة، باب: رقم (٥٥) من حديث عبدالله بن عباس. ومسلم ح (٥٢٩).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٦٣٤) ك: الصلاة، ب: رقم (٥٥) من حديث أبي هريرة، ومسلم ح (٥٣٠).

البخاري وابن ماجه»[١]، وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً» رواه الجماعة إلا ابن ماجه[٢]. وعن جندب ابن عبدالله البجلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إنِّي أنهاكم عن ذلك» رواه مسلم[٣]. وعن جابر ﷺ قال: «نهى النبي ﷺ أن يُجَصَّصَ القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، رواه أحمد ومسلم والثلاثة وصححه الترمذي ولفظه: نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ»[٤]، وفي لفظ النسائي: نهى أن يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص أو يكتب عليه، وعن ابن عباس ﷺ قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج، رواه أهل السنن[٥]. وللترمذي وصححه عن أبي هريرة ﷺ قال: لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور[٦] ولابن ماجه مثله من حديث حسان ﷺ[٧]، ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه[٨]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٨) ح (٩٧٢) ك: الجنائز، ب: النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليها، والترمذي ح (١٠٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٦٣٠) ك: الصلاة، ب: كراهية الصلاة في المقابر ح (٤٣٢) ومسلم ح (٧٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٣٧٧) ح (٥٣٢) ك: المساجد، ب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد بلفظ «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد...».

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٧) ح (٩٧٠) ك: الجنائز، ب: النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، والترمذي ح(١٠٥٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٣/ ٢١٨) ح (٣٢٣٦). والترمذي ح (٣٢٠) وأحمد (١/ ٢٢٩)، قال أبو عيسى: حديث حسن، وصحح إسناده الشيخ شاكر في تحقيقه على المسند.

(٦) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٦٢) ح (١٠٥٦) ك: الجنائز، ب: ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٢/ ٣٣٧) وحسن إسناده الشيخ شاكر وصححه الألباني في الصحيح الجامع ح (١٥٠٩).

(٧) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠٢) ك: الجنائز، ب: ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور، والحاكم (١/ ٣٧٤) والحديث صحيح لشواهده الصحيحة المتقدمة.

(٨) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥)، والطبراني ح (١٠٤١٣) ومجمع الزوائد (٢/ ٢٧) وصحح إسناده الشيخ شاكر في «تحقيق المسند».

«لا تجعلوا بيـوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قـبري عيداً، وصلوا عليّ فـإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»(١) رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقـات. وعن علي بن الحسين ﷺ أنه رأى رجلاً يجيء إلى فـرجة عند قـبر النبي ﷺ فيـدخل فيدعـو فيها، فـقال ألا أحدثكم حديثًا سمـعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فـإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم» رواه في المختارة(٢)، وقال سعيد بن منصور في سـننه: حدثنا عبدالعزيز بن محمد أخبـرني سهيل بن أبي صالح قال: رآني الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ عند القـبر فناداني وهو في بيت فاطمة ﷺ يتعشى فقال: هلم إلى العشاء، فـقلت لا أريده، فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجـد فسلم. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخـذوا قبري عيـداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقـابر، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم. لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». ما أنتم ومن بـالأندلس إلا سواء(٣). وروى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قـبري وثنًا يعـبد، اشتد غـضب الله على قوم اتخـذوا قبور أنبـيائهم مساجد»(٤) وفي الباب أحاديث غير ما ذكرنا.

(وقد نهى) النبي ﷺ (عن ارتفاع القبر) بالبناء أو نحوه، كما تقدم من النهي عن تجصيصها والبناء عليها، وكـما سيأتي من الأمر بتسويتها (وأن يزاد فيه فوق شبر) كما في السنن عن جـابر ﷺ قـال: نهى النبي ﷺ أن يبنى على القـبر أو يزاد عليـه أو يجصص(٥).

(وكل قبر مشرف) يعني مرتفع (فقد أمر) النبي ﷺ (بأن يسوى) بالأرض أو بما عداه من القبور التي لم تجـاوز الشرع في ارتفاعها، (هكذا صح الخبر)، وهو ما رواه مسلم عن ثمـامة بن شُفِي قـال: كنا مع فَضالة بن عـبيد بأرض الروم برودس فـتوفي صاحب لنا، فأمـر فضالة بن عبـيد بقبره فسـوى ثم قـال: سمعـت رسـول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢١٨) ك: المناسك، ب: زيارة القبور، وأحمد (٢/ ٣٦٧).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١/ ٣٦١) ح (٤٦٩) ورواه الهيثمي (٤/ ٦) وقال: فيه حفص بن إبراهيم الجعفري ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٣/ ٥٧٧) ح (٦٧٢٦) بدون لفظ ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.

(٤)،(٥) تقدم تخريجه.

يأمر بتسويتها[١]. وله عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ «ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفًا إلا سويته»[٢].

وحذر الأمة عن إطرائه فغرهم إبليس باستجرائه

فخالفوه جهرة وارتكبوا ما قد نهى عنه ولم يجتنبوا

(وحذر) النبي ﷺ **(الأمة عن إطرائه)** أي الغلو فيه، كما في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبدالله ورسوله»[٣]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إيَّاكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٤]. وعن أنس رضي الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» رواه النسائي بسند جيد[٥]. وعن عبدالله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النَّبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيِّد الله تعالى» قلنا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»[٦] وهذا كله من حماية النبي ﷺ جناب التوحيد. وكما قال لمن قال: تعالوا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، قال: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»[٧] والله سبحانه وتعالى قد بين ما يجب اعتقاده في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنه هو

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٦) ح (٩٦٨) ك: الجنائز، ب: الأمر بتسوية القبر، وأبو داود ح (٣٠٨٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٦) ح (٩٦٩) ك: الجنائز، ب: الأمر بتسوية القبر، وأبو داود ح (٣٠٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٢/ ١٤٨) ك: الحدود، ب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

(٤) أخرجه النسائي (٥/ ٢٦٨) ك: الحج، ب: التقاط الحصى وأحمد (١/ ٢١٥)، والحاكم (١/ ٤٦٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ح (٢٤٩)، وأحمد (٣/ ١٥٣) بلفظ «يا أيها الناس عليكم بتقواكم ...» وصححه الألباني في الصحيحة (٤/ ١٠١).

(٦) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ح (٢٤٧) وأبو داود (٤/ ٢٥٤ /ح٤٨٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع ح (٣٧٠٠).

(٧) سبق تخريجه.

تصديق خبرهم وامتثال أمرهم واجتناب نهيهم واتباعهم على شريعتهم ومحبتهم هم وأتباعهم وتوابع ذلك، وهذا هو الذي دعوا إليه لم يدَّع أحد منهم الربوبية ولا دعوا إلى عبادة أنفسهم ولا ينبغي لهم ذلك كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠] وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢] الآيات، وقال: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] الآية وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩] وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩] وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١] وقال لصفوة خلقه وخاتم رسله وسيد ولد آدم أجمعين محمد ﷺ: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ [الجن: ٢٠ - ٢٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩] وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآيات، وقد تلاها أبو بكر رضي الله عنه يوم مات النبي ﷺ وقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن

الله حي لا يموت، إلى آخر خطبته ﷺ[1]. وهذا باب واسع كثيرة النصوص فيه، بل ليست النصوص إلا فيه وفي متعلقاته ومكملاته.

(فغرهم) أي أكثر الأمة بعدما سمعوا الزواجر والنواهي (إبليس) لعنه الله وأعاذنا منه (باستجرائه) أي باستهوائه إياهم واستدراجه لهم وإدخالهم في الهلكات شيئًا فشيئًا كما فعل بالأمم السالفة قوم نوح فمن بعدهم، وأتاهم على ما يهوون إما بغلو وإما بجفاء لا يبالي ما أهلك العبد به سواء قصره على الصراط المستقيم وهون عليه أمره حتى لا يدخله ولا يسلكه أو جاوزه به حتى يتبع سبيل الضلال فتفرق به عن سبيله، فالذين أبغضوا الرسل من الكفار وعادوهم ونابذوهم بالمحاربة من أول مرة زين لهم ذلك وضرب لهم الأمثلة والمقاييس وأنهم مثلهم بشر يأكلون ويشربون، وأنهم يريدون أن يصدوهم عما كان يعبد آباؤهم ويتنقصوا شيوخهم بذلك وتكون لهم الكبرياء في الأرض وغير ذلك. والذي صدقوا الرسل واتبعوهم أتى الكثير من خلوفهم وزين لهم الغلو فيهم بالكذب والقول عليهم بالبهتان ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزل الله عز وجل، وأتاهم بذلك في صورة محبتهم وموالاتهم حتى جعلهم مثله في البعد عن الله ورسله ولم يسلم من ذلك إلا عباد الله المخلصون الذين هداهم الله صراطه المستقيم، فلم يقصروا عنه ولم يستبدلوا به غيره، بل استمسكوا به واعتصموا: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

(فخالفوه) أي الذين استهواهم الشيطان خالفوا النص من الكتاب والسنة (جهرة وارتكبوا، ما قد نهى عنه) من الغلو والإطراء وما لم يأذن به الله (ولم يجتنبوا) ذلك ولا شيئًا: فنهى عن الحلف بغير الله عز وجل وهؤلاء لا يحلفون إلا بغيره، وقد يحلفون بالله على الكذب ولا يحلفون بالندّ فيكذبون. ونهى أن تقرن مشيئة العبد بمشيئة الله تعالى، وهؤلاء يثبتون له ذلك على سبيل الاستقلال، ويهتفون باسمه في الغدوّ والآصال، ويسألون منهم قضاء الحوائج دون ذي الجلال، بل يعتقد فيهم الغلاة منهم أن بعض الأولياء هو المتصرف في الكون والمدبر له في كل حال. ودعا الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده ودعائه وحده لا شريك له، فدعوا مع الله غيره، حتى دعوا

---

(١) تقدم.

الرسول الآتي بذلك نفسه مع الله عز وجل. ونهى عن اتخاذ القبور مساجد وهؤلاء يعكفون عليها، ويصلون عليها وإليها بل ولها من دون الله عز وجل، وكثير منهم يفضلون الصلاة فيها على مساجد الله عز وجل التي بنيت لذلك. ونهى أن تجصص القبور أن يبنى عليها، وهؤلاء قد ضربوا عليها القباب وزخرفوها، وحبسوا عليها العقارات وغيرها وأوقفوها، وجعلوا لها النذور والقربات، وكم عبادة إليها دون الله صرفوها، ونهى عن بناء المساجد عليها ولعن من فعل ذلك ودعا عليه بالغضب وهؤلاء قد بنوا عليها ورأوها من أكبر حسناتهم، وما بينهم وبين بنائهم عليها إلا موت أهلها أو حلم يتمثل لهم الشيطان فيه أو خيال أو سماع صوت فيسارعون إلى ذلك أسرع من مسارعة أهل الدين إلى الكتاب والسنة. ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يقفون الوقوف على تسريجها، ويجعلون عليها من الشموع والقناديل ما لم يجعلوه في مساجد الله، وكأنما ندبهم الرسول ﷺ إلى ذلك بتلك اللعنة التي عني بها من فعل ذلك. وقال ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»[1] الحديث وهؤلاء يضربون أكباد الإبل إلى قبور الصالحين أو من يظنونهم صالحين مسافة الأيام والأسابيع والشهور ويرون ارتكاب ذلك المنهي من أعظم القربات. ونهى ﷺ عن اتخاذها أعياداً[2]، وهؤلاء قد اتخذوها أعياداً ومعابد لا بل معبودات من دون الله عز وجل، ووقتوا لها المواقيت زمانًا ومكانًا، وصنفوا فيها مناسك حج المشاهد وحجوا إليها أكثر مما يحج إلى بيت الله الحرام، بل رأوها أولى بالحج منه ورأوا من أخل بشيء من مناسكها أعظم جرمًا ممن أخل بشيء من مناسك الحج، حتى إن من كان منهم قد حج عشرات المرات أو أكثر يبايع من شهد أحد المشاهد أن يعاوضه بجميع حججه بتلك الزيارة فيمتنع أشد الامتناع، ويخشعون عندها أكثر مما يخشع عند شعائر الله، وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»[3] وهؤلاء قد أطروا من دونه من أمته بكثير بل قد أطروا من لم يؤمن به ﷺ ساعة من الدهر أعظم من إطراء النصارى ابن مريم، بل جعلوه هو الرب على سبيل الاستقلال. وقال ﷺ: «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»[4]، وهؤلاء قد استغاثوا بغير الله سراً وجهراً وهتفوا باسم غير الله

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

في السراء والضراء والشدة والرخاء وأخلصوا لهم الدعاء من دون الله عز وجل وصرفوا إليهم جل العبادات من الصلاة والنذر والنسك والطواف وغير ذلك. وقد أنكر ﷺ على من قال لولا الله وفلان فكيف بمن يقول يا فلان مالي سواك، ويقول قد استغثت الله فلم يغثني حتى استغثت فلانًا فأغاثني، وإنه ليعصي الله في المسجد الحرام، ولا يقدر على مخالفة شيء مما ينسبونه إلى وليه من الأكاذيب المختلقة والحكايات الملفقة، وترى أكثر مساجد الله المبنية للصلوات معطلة حسًا ومعنى، وفيها من الأزبال والكناسات والأوساخ ما لا يعد ولا يحصى، فإذا أتيت قباب المقابر والمساجد المبنية عليها رأيت بها من الزينة والزخارف والأعطار والزبرقة والستور المنقشة المعلمة المرصعة والأبواب المفصصة المحكمة، ولها من السدنة والخدام ما لم تجده في بيت الله الحرام، والداخل إليها والخارج منها من الزوار ما لا تحصيهم الأقلام، وعليها من الأكسية والرايات والأعلام ما لو قسم لاستغنى به كثير من الفقراء والأرامل والأيتام، فما ظنك بالوقوف المحبسة عليها، والأموال المجبية إليها من الثمار والنقود والأنعام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فأي فاقرة على الدين أصعب من هذه الأفعال، وهل جنى الأخابث على الدين أعظم من هذا الضلال، وهل استطاع الأعداء من هدم قواعد الدين ما هدمه هؤلاء الضلال، وهل تلاعب الشيطان بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجهال، فأي مُناف للتوحيد وأي مناقض له أقبح من هذا الشرك والتنديد، تالله ما قوم نوح ولا عاد ولا ثمود ولا أصحاب الأيكة بأعظم شركًا ولا أشد كفرًا من هؤلاء الملاحيد وليس أولئك بأحق منهم بالعذاب الشديد، وليس هؤلاء المشركون خيرًا من أولئك ولا براءة لهم من ذلك الوعيد، ولكن الله يمهل ولا يهمل وما بطشه من الظالمين ببعيد، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

فانظر إليهم قد غلوا وزادوا ... ورفعوا بناءها وشادوا

بالشيد والآجرّ والأحجار ... لاسيما في هذه الأعصار

(فانظر) أيها المؤمن (إليهم) وإلى أعمالهم (قد غلوا) في أهل القبور الغلو المفرط الذي نهاهم الله تعالى ورسوله ﷺ عنه (وزادوا) عما حذرهم عنه الرسل (ورفعوا بناءها) أي بناء القبور المنهي عن مجرده قليله وكثيره (وشادوا) أي ضربوه (بالشيد) وهو الجص (والآجرّ) اللبن المحرق (والأحجار) المنقشة المزخرفة (لاسيما) بزيادة (في

هذه الأعصار) القريبة بعد ظهور دولة العبيديين الذين قال فيهم أهل العلم: ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، فاعتنوا ببناء القباب على القبور وزخرفتها وتشييدها وجعلها مشاهد، وندبوا الناس إلى زيارتها وأتوا بذلك باسم محبة أهل البيت وكل من جاء بعدهم من الدول المبتدعة زاد فيها وأحدث أكثر مما أحدث من قبله حتى اتخذوها مساجد ومعابد، إلى أن عبدت من دون الله، وسألوا منها ما لا يقدر عليه إلا الله وفعلوا بها ما يفعل أهل الأوثان بأوثانهم وزادوا كثيرًا فضلوا عن سواء السبيل، وأضلوا من قدروا على إضلاله جيلاً بعد جيل، ولم يبق من الدين عندهم إلا اسمه، ولا من الكتاب والسنة لديهم إلا لفظه ورسمه، ولكن الأرض لا تخلو من مجدد لمعالم الشريعة الحنيفية، ومنبه على ما يخل بها أو يناقضها من البدع الشيطانية، ولا تزال طائفة من هذه الأمة أمة محمد ﷺ على الحق ظاهرة لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وللقناديل عليها أوقدوا ... وكم لواء فوقها قد عقدوا
ونصبوا الأعلام والرايات ... وافتتنوا بالأعْظُمِ الرفات
بل نحروا في سوحها النحائر ... فعل أولي التسييب والبحائر
والتمسوا الحاجات من موتاهم ... واتخذوا إلههم هواهم

(**وللقناديل**) من الشموع وغيرها (**عليها**) أي على القبور وفي قبابها (**أوقدوا**) تعرضًا للّعنة من رسول الله ﷺ لمن فعل ذلك إذ يقول: «لعن الله زوّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»(١) فأوقفوا لتسريجها الوقوف الكثيرة وجعلوا عليها سدنة وخدامًا معدّين لإيقادها، وويل للسادن إن طفئ مصباح قبر الشيخ (**وكم لواء فوقها قد عقدوا**) تعظيمًا لها وتألهًا ورغبة ورهبة، (**ونصبوا**) عليها (**الأعلام والرايات**) لاسيما يوم عيدها لأنهم قد اتخذوا لكل قبر عيدًا أي يومًا معتادًا يجتمعون فيه من أقاصي البلاد وأدناها كما أن الحج يوم عرفة، مخالفة منهم ومشاقة لله ورسوله إذ يقول ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**»(٢) فقد اتخذوا قبور من هو دونه أعيادًا، ومن

---

(١) تقدم.
(٢) تقدم.

فاته يوم ذلك العيد المعتاد فقد فاته المشهد وفاته خير كثير، وفي ذلك العيد تنصب الزينة الباهرة وتدق الطبول والأعواد، ويجتمع الرجال والنساء في ميدان واحد لابسين زينتهم قد عطر كل من الجنسين بأطيب ما يجد ولبس أطيب ما يجد، وتجبى الأموال من الأوقاف والنذور وغيرها على اختلاف أجناسها من نقود وثمار وأنعام وخراجات وغيرها مما علم الله تعالى أنها لا يبتغى بها وجهه ولم تنفق في مرضاته بل في مساخطه **(وافتتنوا)** في دينهم **(بالأعظم الرفات)** النخرة فعبدوها من دون الله عز وجل دعاء وتوكلاً وخوفًا ورجاء ونذراً ونسكًا وغير ذلك، **(بل نحروا في سوحها)** أي في أفنية القبور **(النحائر)** من الإبل والبقر والغنم إذا نابهم أمر أو طلبوا حاجة من شفاء مريض أو ردّ غائب أو نحو ذلك، وأكثرهم يسمها للقبر من حيث تولد ويربيها له إلى أن تصلح للقربة في عرفهم، ولا يجوز عندهم تغييرها ولا تبديلها ولا خصيها ولا وجاؤها لا يذهب شيء من دمها إذ ذلك عندهم نقص فيها وبخس **(فعل أولي التسييب والبحائر)** أي كفعل مشركي الجاهلية من العرب وغيرهم في تسييبهم السوائب وتبحير البحائر وجعل الحام كما قدمنا عنهم ذلك مبسوطًا في موضعه، غير أن أولئك سموهم آلهة وشفعاء وسموا مثل هذا الفعل بهم عبادة، وهؤلاء سموهم سادة وأولياء وسموا دعاءهم إياهم تبركًا وتوسلاً وكلاهما مشرك في فعله بالله عز وجل، وهؤلاء أعظم شركًا وأشد لأنهم يشركون في الرخاء وفي الشدة بل هم في الشدة أكثر شركًا وأشد تعلقًا بهم من حالة الرخاء، وأما مشركو الجاهلية الأولى فيشركون في الرخاء ويخلصون لله في الشدة كما أخبرنا الله عنهم بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وغيرها من الآيات. **(والتمسوا الحاجات)** التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل **(من موتاهم)** من جلب الخير ودفع الشر **(واتخذوا إلههم هواهم)** وهذا هو السبب في عبادة غير الله بل في جميع معاصي الله، وهو الذي كلما هوى أمراً أتاه، ولم يأتهم الشيطان من غير باب الهوى ولم يصطد أحداً بغير شبكته، لأن الهوى يعمي عن الحق. ويضل عن السبيل أتباعه، وهو سبب الشقاوة كما أن التزام الشريعة باطنًا وظاهراً سبب السعادة، فهما ضدان لا يجتمعان ولا يكون الحكم إلا لواحد منهما، لأن الشريعة تدل على مرضاة الله وتأمر بها، وتحذر من مساخط الله وتنهى عنها، والهوى بضد ذلك، ولهذا قال ﷺ : «حفت الجنة بالمكاره» يعني لمخالفة أسبابها من

الأعمال الصالحة للهوى، «وحفت النار بالشهوات»[1] لموافقة أسبابها من المعاصي للهوى. فطوبى لمن كان هواه تبعًا لما جاء به رسول الله ﷺ، وويل لمن قدم هواه على ذلك لقد هلك.

قد صادهم إبليس في فخاخه — بل بعضهم قد صار من أفراخه
يدعو إلى عبادة الأوثان — بالمال والنفس وباللسان

(قد صادهم) من الاصطياد بل من مطاوع اصطاد لأن التاء التي قلبت طاء هي لمعنى الطلب وأما حذفها فيدل على وصول الطالب إلى مطلوبه، (إبليس في فخاخه) التي نصبها لهم كما نصبها لمن قبلهم من تزيين المعاصي وتصويرها في صورة الطاعات، فأول ما زين لقوم نوح العكوف على صور صالحيهم ليتذكروا عبادتهم الله تعالى فيقتفوا أثرهم فيها، ولم يزل بهم حتى عبدوها كما قدمنا. وكذلك فعل بسفهاء هذه الأمة أول ما أشار عليهم ببناء القباب على القبور باسم محبة الأولياء ثم بالعكوف عليها وعبادة الله عز وجل عندها تبركًا وتيمنًا بتلك البقاع التي فضلت بهم إذ دفنوا فيها ثم بعبادتهم أنفسهم دون الله عز وجل، ثم استرسلوا في تلك العبادة شيئًا فشيئًا إلى أن أثبتوا للمخلوق صفات الربوبية من التصرف فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، فصار الأمر كما ترى في جميع الأقطار، وفي كل القرى والأمصار، وفي كل زمن تشيع وتزيد وفي كل عصر من الأعصار، (بل بعضهم قد صار من أفراخه) المساعدين له الداعين إلى ما دعا إليه حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (يدعو إلى عبادة الأوثان) من القبور وغيرها (بالمال والنفس وباللسان)، فمن دعايتهم إلى ذلك أنهم يجمعون أنواعًا من المطالب ويدخلونها القبر إلى القبة المبنية على سراديب معدة تحتها فإذا أتى إليهم الجاهل المفتون ووقف على الحاجب فإن لم يكن له مطلوب معين قال له أدخل يدك فما خرج فيها فهو الباب الذي ترزق منه لا تعدوه إلى غيره، فإن خرج في يده تراب فحارث، وإن خرج قطن فحائك، وإن خرج فحم أو نحوه فحداد أو صائغ، وإن خرج آلة حجامة فحجام، وإن خرج كذا فهو كذا، على قواعدهم يعرفونها، ومخرفة لهم يألفونها، وإن كان له مطلوب معين قال له ما تريد من الشيخ؟ قال أريد كذا، فإن كان ذلك يوجد فيها أدخل القبر، وإلا قال ارجع الآن وموعدك

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٧٤) ك: صفة الجنة، وأحمد (٣/ ١٥٣) من حديث أنس بن مالك، والبخاري (٦٤٨٧) بلفظ: «حجبت».

الوقت الفلاني فإن الشيخ الآن مشغول أو نحو ذلك من الأعذار مع ما في قلبه من تعظيم الشيخ، فلا يكرر الطلب أدبًا معه، فلا يأتي في المرة الثانية إلا وقد استعد له بمطلوبه، فإذا جاء وأدخل يده خرج فيها ذلك المطلوب فحينئذ خرج ينادي: شيء لله يا شيخ فلان، وكلما وجد أحدًا أراه ذلك وقال: هذا من كرامات الشيخ فلان وعطاياه، فيجمعون من أموال الناس بهذه الحيل والشعوذة ما لا يحصى، ولكنهم لم يحتالوا لأخذ أموال الناس فحسب، بل احتالوا لسلب دينهم وأخرجوهم من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر، وليس هذا خاصًا بقبور الصالحين الذين عرفوا في الدنيا بالأمانة والديانة، بل أي قبر تمثل فيه الشيطان أو حكيت له حكاية أو رؤيت له رؤيا صدقًا كانت أو كذبًا فقد استحق عندهم أن يبنى عليه القباب ويعكف عنده وينذر له ويذبح عليه ويستشفى به المرضى ويستنزل به الغيث ويستغاث به في الشدائد ويسأل منه قضاء الحوائج ويخاف ويرجى ويتخذ ندًا من دون الله عز وجل وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوًا كبيرًا.

الله أكبر لو رأيت على القبور ... عكوفهم صُبحًا وبالإمساء
والله أكبر لو ترى أعيادهم ... جمع الرجال معًا وجمع نساء
والله أكبر لو رأيت مساجدًا ... بنيت على الموتى بأيٍّ بناء
قد زُخرفت بحجارة منقوشة ... بالشِّيد قد ضربت مع الإعلاء
ورءوسها قد زُيِّنَتْ بأهلَّة ... من أنفس المنقوش دون مراء
قد أُسرِجَتْ ولكم على تسريجها ... وقفوا الشُّموع لها بأيٍّ أداء
كم سادن قد وكّلوهُ بشأنها ... طيبًا وتنظيفًا وشأنِ ضياء
ويلٌ له لو قد أخلَّ ببعض ذا ... ماذا يقاسي من ضروب بلاء
ولكم عليها راية قد نُشِّرت ... ألوانُها سلبتْ لقلبِ الرائي
وكرائمُ الأنعام تنحرُ سوحها ... منذورةٌ يؤتى بها لوفاء
لم يفردوا ربَّ السماء بدعوة ... بل للقبور تجاوبوا بنداء
يدعونهم في كشف كلِّ مُلمَّة ... في الجهر قد هتفوا وفي الإخفاء
ويعظمونهمو بكل عبادة ... يا صاح في السَّراءِ والضرَّاء
وتراه بالرحمن يحلفُ كاذبًا ... وصفاته العليا وبالأسماء

لكنه لا يستطيع الحلف بالمقـ — بور ذا إن لم يكن ببراء
زادوا على شرك الذين إليهمو — بُعثَ الرَّسولُ بأصدق الأنباء
إذ يخلصون لدى الكروب وهؤلا — ء فشركهم في شدة ورخاء
بل في الشدائد شركهم أضعاف ما — قد أشركوا في حالة السَّراء
فتراهُ ينذر في الرخاء ببدنة — وببدنتين لدى اشتدادِ بلاء
وجميع ما يأتيه في سرَّائهِ — فله به الأضعاف في الضراء
تالله ما ظفر اللعين بمثلها — من بعض أهل الشِّرعة الغراء
حتى إذا ما هيّأوا لعدوِّهم — سبب الدُّخول وسُلَّم الإغواء
طمع العدوُّ بهم لنيل مراده — منهم فغرَّ القوم باستجداء
لَمَّا أساءوا الظنَّ بالوحيين لـ — كن أحسنوه بزُخْرف الأعداء
لم يهتدوا بالنَّص قط بلِ اقتفوا — آراء من قد كان عنها نائي
نبذوا الكتاب فلم يقيموا نصَّهُ — إذ كان ميلهمو إلى الأهواء
وعبادةُ الأوثانِ قد صارَتْ لهم — دينًا تعالى الله عن شركاء
وطرائق البدعِ المضلّة صَيَّروا — سُبلاً مكان الملّة السمحاء
يا ربّ ثبتنا على دين الهدى — وعلى سلوكِ طريقه البيضاء
واردد بتوفيقِ إليها مَنْ نأى — مِمَّن قد استهوى أُولو الأغواء
يا ربنا فاكشف غطاءَ قلوبنا — بالنّور أخرجنا من الظلماء
واسلك بنا نهج النَّجاة ونجِّنا — من حيرة وضلالة عمياء
واجعل كتابك يا كريمُ أمامنا — ورسولَكَ المقدامَ للحنفاء
وانصر على الأعداء حزبك إنهم — خبطتهمو فتنٌ من الأعداء
راموا بنا السوأى بسوء مكايد — فاقصمهمو يا رب للأسواء
واردُدْ إلهي كيدهم في بيدهمٍ — وأبدهمو بيدًا عن البيداء
أظهر على الأديان دينك جهرة — وشعارهُ فارفع بدونِ خفاء
واجعل لوجهك خلّصًا أعمالنا — بعبادةٍ وولايةٍ وبراءِ

فصل
أذكر فيه بيان حقيقة السّحر وحكم السّاحر وذكر عقوبة من صدّق كاهنًا

أي ما عليه من العقوبة شرعًا، وأن منه أي من السحر علم التنجيم وهو النظر في النجوم الآتي بيانه، وذكر عقوبة من صدق كاهنًا بقلبه؛ ويعني عقوبته الوعيدية. والبحث في هذا الفصل في أمور:

الأول : هل السحر حقيقة وقوعه ووجوده أم لا.

الثاني : حكم متعلمه إن عمل به أو لم يعمل.

الثالث : عقوبته شرعًا ووعيدًا.

الرابع : أنواعه.

والسحر حق وله تأثير ... لكن بما قدره القدير

أعني بذا التقدير ما قد قدره ... في الكون لا في الشرعة المطهرة

هذا هو البحث الأول في حقيقته وتأثيره :

(والسحر حق) يعني متحقق وقوعه ووجوده، ولو لم يكن موجودًا حقيقة لم ترد النواهي عنه في الشرع والوعيد على فاعله والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه والاستعاذة منه أمرًا وخبرًا. وقد أخبر الله تعالى أنه كان موجودًا في زمن فرعون وأنه أراد أن يعارض به معجزات نبي الله موسى عليه السلام في العصا بعد أن رماه هو وقومه به بقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ - إلى قوله - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [يونس: ٧٦ - ٧٩] وقال تعالى عن السحرة: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] وقال تعالى فيهم: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٦ - ٦٩] يقال إنهم كانوا سبعين ألفًا مع كل واحد منهم حبل وعصا فأخذوا بأبصار الناس بسحرهم وألقوا تلك الحبال والعصى فرآها الناس حيات عظامًا ضخامًا وذلك قوله تعالى: ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ وقوله: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ

وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٦ - ٦٩] يعني العصا ﴿تلقف﴾ تبتلع ﴿ما صنعوا﴾ أي السحرة أي ما اختلقوا وائتفكوا من الزور والتخييل، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧] وهون الله أمرهم على نبيه موسى عليه السلام بقوله سبحانه: ﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾ مكره وخداعه ﴿ولا يُفلح الساحر حيث أتى﴾، ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٨، ١١٩] إلى آخر الآيات، وقد أخبر الله تعالى عن قوم صالح وكانوا قبل إبراهيم عليه السلام أنهم قالوا لنبيهم عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] وكذا قال قوم شعيب له عليه السلام: ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ وقالت قريش لنبينا محمد ﷺ كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم في غير موضع بل ذكر الله عز وجل أن ذلك القول تداوله كل الكفار لرسلهم فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣] الآية، وقال سبحانه في ذم اليهود: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١ - ١٠٣] وقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] والنفاثات هن السواحر يعقدن وينفثن. والمقصود أنه قد ثبت بهذه النصوص وغيرها مما سنذكر ومما لا نذكر أن السحر حقيقة وجوده.

(وله تأثير) فمنه ما يمرض ومنه ما يقتل ومنه ما يأخذ بالعقول ومنه ما يأخذ بالأبصار ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، (لكن) تأثيره ذلك إنما هو (بما قدره القدير) سبحانه وتعالى، أي بما قضاه وقدره وخلقه عندما يلقى الساحر ما ألقى، ولذا قلنا (أعني بذا التقدير) في قوله بما قدره القدير (ما قد قدره في الكون) وشاءه (لا) أنه أمر به (في الشرعة) التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه (المطهرة)، من ذلك وغيره

كما تقدم أن القضاء والأمر والحكم والإرادة كل منها ينقسم على كوني وشرعي، فالكوني يشمل ما يرضاه الله ويحبه شرعًا، وما لا يرضاه في الشرع ولا يحبه، والشرعي يختص بمرضاته سبحانه وتعالى ومحابه، ولهذا قال تعالى في الشرعي: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال عز وجل: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] فأخبر تعالى أنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر وأنه يرضى لهم الشكر ولا يرضى لهم الكفر، مع كون كل من العسر واليسر والشكر والكفر واقع بقضاء الله وقدره وخلقه وتكوينه ومشيئته، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] والمقصود أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعًا ولا ضرًا وإنما يؤثر بقضاء الله تعالى وقدره، وخلقه وتكوينه، لأنه تعالى خالق الخير والشر، والسحر من الشر، ولهذا قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] وهو القضاء الكوني القدري، فإن الله تعالى لم يأذن بذلك شرعًا، وقد ثبت في الصحيحين من طرق عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله عز وجل ودعاه ثم قال: «أشعرت يا عائشة، إن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه» قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: وما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبَّهُ؟ قال: لبيد بن العاص اليهودي من بني زريق. قال: فبماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين؟ قال: في بئر ذي أروان. قال فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: «والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين». قلت: يا رسول الله أفأخرجته: قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله عز وجل وشفاني وخشيت أن أثور على الناس منه شرًا» وأمر بها فدفنت. وفي رواية قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقًا. قال وفيم؟ قال في مشط ومشاقة. قال: وأين؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان ـ وذكره[1] هذا لفظ البخاري. المشاطة ما يخرج من الشعر، والمشط

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٢٤٦) ك: الطب، ب: السحر في باب هل يستخرج السحر، ومسلم ح (٢١٨٩).

أسنان ما يمشط به، والمشاقة من مشاقة الكتان، وجف طلعة غشاؤها وهو الوعاء الذي يكون في الطلع، تحت راعوفة هو حجر يترك في البئر عند الحفر ثابت لا يستطاع قلعه يقوم عليه المستقى، وقيل حجر على رأس البئـر يستقي عليه المستقى، وقيل حجر بارز من طيهـا يقف عليها المستـقى والناظر فيهـا، وقيل في أسفل البئـر يجلس عليه الذي ينظفها لا يمكن قلعه لصلابته. والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: قال المازري رحمه الله تعالى: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتـة خلافًا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضـاف ما يقع منه إلا خيالات باطلة لا حقائق لها، وقـد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم، وذكـر ما فيه إشارة إلـى أنه مما يكفر به، وأنه يفـرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمـكن فيـما لا حقيقـة له، وهذا الحديث أيضًا مصرح بإثباته وأنه أشـياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه فـإحالة كـونه من الحقائق محال، ولا يستنكر في العـقل أن الله سبحانه وتعالى يخـرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسـام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الـساحر، وإذا شاهد الإنسان بعض الأجـسام منها قاتلة كـالسموم ومنها مسقمة كالأدوية الحادة ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد السـاحر بعلم قوي قتـالة أو كلام مهلك أو مـؤد إلى التفرقة. قـال: وقد أنكر بعض المبتدعـة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يحط من منصب النبوة ويـشكك فيها وأن تجـويزه يمنع الثقـة بالشرع، وهذا الـذي ادعاه هؤلاء المـبتدعـة باطل لأن الدلائل القطعية قد قـامت على صدقه وصحته، وعـصمته ﷺ فيما يتـعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قـام الدليل بخلافه باطل. فأما ما يتـعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسبـبها ولا كان مفضلاً من أجـلها وهو مما يعرض للبشر فغـير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيـا ما لا حقيقة له، وقد قيـل إنـه إنما كان يخيل إليه أنه وطىء زوجاته وليس بواطـىء، وقد يتخـيل الإنسان مثل هذا في المنام فـلا يبعـد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل إنه يخيل إليه أنه فـعله وما فعله، ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد. قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبنيـة أن السحر إنما تسلط على جسـده وظواهر جوارحه لا على عقـله وقلبه واعـتقاده. ويـكون معنى قـوله في الحديث حـتى يظن أنه يأتي أهله ولا

يأتيهن، ويروى يخيل إليه أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور. وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعل ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا كالخلل تطرق إلى العقل وليس في ذلك ما يدخل لبسًا على الرسالة ولا طعنًا لأهل الضلالة والله أعلم. ا.هـ. قلت: قول المازري خلافًا لمن أنكر ذلك، قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى: أجمعوا على أن السحر له حقيقة، إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده. ثم ذكر الاختلاف في حكم الساحر، وقال القرطبي رحمه الله تعالى: وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافًا للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني حيث قالوا إنه تمويه وتخييل ا.هـ.

قلت: قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة، وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية، فأما القتل به والأمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذه بالأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها، وأما قلب الأعيان كقلب الجماد حيوانًا وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله عز وجل ولا غير ممكن، فإنه هو الفاعل في الحقيقة وهو الفعال لما يريد، فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقي الساحر ما ألقى امتحانًا وابتلاء وفتنة لعباده، ولكن الذي أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخييل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصي حيات، فنؤمن بالخبر ونصدقه ولا نتعداه ولا نبدل قولاً غير الذي قيل لنا ولا نقول على الله ما لا نعلم. وبالله التوفيق.

واحكم على الساحر بالتكفير ... وحده القتل بلا نكير
كما أتى في السنة المصرحة ... مما رواه الترمذي وصححه
عن جندب وهكذا في أثر ... أمر بقتلهم روي عن عمر
وصح عن حفصة عند مالك ... ما فيه أقوى مرشد للسالك

هذا هو البحث الثاني وهو حكم الساحر:

(واحكم على الساحر) تعلَّمه أو علَّمه عمل به أو لم يعمل (بالتكفير) أي بأنه كفر بهذا الذنب الذي هو السحر، وذلك واضح صريح في آية البقرة بأمور:

منها سبب عـدول اليهود إليه وهو نبذهم الكتاب كـتاب الله وراء ظهورهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١] سواء أريد بالكتـاب التوراة التي بأيديهم أو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ، كل ذلك نبذه كفر، وقد علم أن السحر لا يعمل إلا مع كفـر بالله، وهذا معلوم من سبب نزول الآية كـما قال الربيع بن أنس وغـيره: إن اليهود سألوا محمداً ﷺ زمانًا عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سألوه عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا، وأنـهم سألوه عن الـسحـر وخـاصـموه به فـأنزل الله عـز وجل: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآيات.

ومنها قوله: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين﴾ تتقوله وتزوره ﴿على ملك سليمان﴾ أي في ملكه وعهده، ومعلوم أن استبدال ما تتلوه الشياطين وتتقوله والانقياد له والعمل به عوضًـا عما أوحى الله تعـالى إلى رسوله ﷺ هذا من أعظم الكفر، وهو من عـبادة الطاغوت التي هي أصل الكفر، وقد سمى الله تـعالى طاعة العلماء والأمراء في تحليل ما حـرم الله أو تحريم مـا أحله، سمى ذلك عـبادة وأنه اتخـاذ لهم أربابًا من دون الله فقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآية، قال عدي ابن حـاتم رضي الله عنه حين سمع رسـول الله ﷺ يتلوها: إنا لسنا نعـبدهم، قـال: «أليس يحلون ما حـرم الله فتـحلونه، ويحرمون مـا أحل الله فتحـرمونه؟» قـال بلى. قال: «فتلك عبادتكم إياهم»(١)، ولهذا قال تعالى بعدها: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] فإذا كان هذا في طاعـة الأحبار والرهبان فكيف في طاعة الشيطان فيما يـنافي الوحي، فهل فوق هذا الشرك من كفر؟ ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ وعبادة الشـيطان هي اتباعه فيـما أمر به من الكفـر والضلال ودعا إليه، كما قال عـز وجل فيه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعـير، وكما يقول للمجرمين يوم القيامة: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٢٧٨) ك: تفسير القرآن، ب: ومن سورة التوبة، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث، والطبراني ح (٢١٨) والطبراني (١٧/٩٢).

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿وما كفر سليمان﴾، برأ الله سبحانه وتعالى نبيه عليه السلام من الكفر، وهذا الكفر الذي برأه تعالى منه هو علم الساحر وعمله، وإن كان بريئًا من الكفر كله معصومًا مما هو دونه، لكن سياق الآية في خصوص السحر وأنه بريء منه، ولو فرض وجود عمله به لكفر لأنه شرك والشرك أقبح الذنوب وأعظم المحبطات للأعمال كما قال تعالى في جميع رسله سليمان وغيره عليهم السلام بعد أن ذكرهم: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وهذا معلوم من أصل القصة فإن اليهود قاتلهم الله تلقوا السحر عن الشياطين ونسبوه إلى سليمان عليه السلام، فبرأه الله تعالى من إفكهم بهذه الآية، كما قال مجاهد رحمه الله تعالى في هذه الآية: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان﴾ قال: كانت الشياطين تستمع الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها، فأرسل سليمان عليه السلام إلى ما كتبوا من ذلك، فلما توفي سليمان وجدته الشياطين وعلمته الناس وهو السحر. وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: كان سليمان عليه السلام يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم: أتدرون ما العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم. قالوا فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه، فاستثار به الإنس واستخرجوه وعملوا به، فقال أهل الحجاز ـ يعني اليهود من أهل الحجاز ـ كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر، فأنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ وقال محمد بن إسحاق بن يسار: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان ابن داود عليهما السلام فكتبوا أصناف السحر، من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان

ملك سليمان إلا بهذا، فأفشوا السحر في الناس فتعلَّموه وعلَّموه، فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله، فلما ذكر رسول الله ﷺ فيما نزل عليه من الله سليمانَ بن داود وعدَّه فيمن عدَّ من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود: تعجبون من محمد يزعم أنَّ ابن داود كان نبيًّا، والله ما كان إلا ساحراً. وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿**واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**﴾ الآية وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه. فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعملُ به. قال فأكفره جهال الناس وسبّوه ووقف علماءُ النَّاس، فلم يَزَلْ جهال الناس يسبونه حتى أنزل الله على محمد ﷺ: ﴿**واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**﴾ وتفاسير السلف وآثارهم في هذه الآية كثيرة جداً، وما كان منه إسرائيليًّا فهو من القسم المقبول لموافقته ظاهر الآية في أن اليهود تعلموا السحر من الشياطين ورموا به نبي الله سليمان وأكفروه به وسبوه، وخاصموا به محمداً رسول الله ﷺ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فبين الله تعالى ما لبسوه وهدم ما أسسوه وبرأ نبيه سليمان عليه السلام مما اتفكوه وأقام الحجة عليهم في بطلان ما انتحلوه فلله الحمد والمنة.

ومنها قوله تعالى: ﴿ **وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** ﴾ [البقرة: ١٠٢] أكذب الله تعالى اليهود فيما نسبوه إلى نبيه سليمان عليه السلام بقوله: ﴿**وما كفر سليمان**﴾ وهم إنما نسبوا السحر إليه، ولازم ما نسبوه إليه هو الكفر لأن السحر كفر، ولهذا أثبت كفر الشياطين بتعليمهم الناس السحر فقال تعالى: ﴿**ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**﴾ وكذلك كل من تعلم السحر أو علمه أو عمل به يكفر ككفر الشياطين الذين علموه الناس، إذ لا فرق بينه وبينهم، بل هو تلميذ الشيطان وخريجه، عنه روى وبه تخرج وإياه اتبع، ولهذا قال تعالى في الملكين: ﴿**وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر**﴾ فبين تعالى أنه بمجرد تعلمه يكفر سواء عمل به وعلَّمه أو لا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فإذا أتاهما الآتي مريد السحر نهياه أشد النهي وقالا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان

فعرفا أن السحر من الكفر، قال فإذا أبي عليهما امراه أن يأتي مكان كذا وكذا فإذا أتى عاين الشيطان فعلمه، فإذا تعلمه خرج منه النور فنظر إليه ساطعًا في السماء فيقول: يا حسرتاه يا ويله ماذا صنع. وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري أنه قال في تفسير هذه الآية: نعم أنزل الملكان بالسحر ليعلما الناس البلاء الذي أراد الله تعالى أن يبتلي به الناس، فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحداً حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، وقال قتادة كان أخذ عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يقولا: ﴿إنما نحن فتنة﴾ أي بلاء ابتلينا به ﴿فلا تكفر﴾ وقال السدي إذا أتاهما إنسان يريد السحر وعظاه وقالا له: لا تكفر إنما نحن فتنة، فإذا أبي قالا له ائت هذا الرماد فبل عليه فإذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء وذلك الإيمان، وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء وذلك غضب الله، فإذا أخبرهما بذلك علماء السحر فذلك قول الله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ الآية. وعن ابن جريج في هذه الآية: لا يجترئ على السحر إلا كافر، والفتنة هي المحنة والاختبار.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] يعني من حظ ولا نصيب، وهذا الوعيد لم يطلق إلا فيما هو كفر لا بقاء للإيمان معه، فإنه ما من مؤمن إلا ويدخل الجنة، وكفى بدخول الجنة خلاقًا، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة. ثم قال تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ يعني بمحمد ﷺ والقرآن ﴿واتقوا﴾ السحر وسائر الذنوب ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣] وهذا من أصرح الأدلة على كفر الساحر ونفي الإيمان عنه بالكلية، فإنه لا يقال للمؤمن المتقي: ولو أنه آمن واتقى، وإنما قال تعالى ذلك لمن كفر وفجر وعمل بالسحر واتبعه وخاصم به رسوله ورمى به نبيه ونبذ الكتاب وراء ظهره، وهذا ظاهر لا غبار عليه والله أعلم. وقد صرح بذلك أئمة السلف من الصحابة والتابعين، وإنما اختلفوا في القدر الذي يصير به كافراً، والصحيح أن السحر المتعلم من الشياطين كله كفر قليله وكثيره كما هو ظاهر القرآن.

المبحث الثالث وهو عقوبة الساحر شرعًا ووعيدًا

(وحدّه) أي حدّ الساحر (القتل) ضربه بالسيف (بلا نكير) بل هو ثابت بالكتاب من عموم النصوص في الكفار المرتدين وغيرهم (كما أتى) ثابتًا (في السنة المصرحة) الثابتة عن النبي ﷺ (مما رواه الترمذي) محمد بن عيسى بن سورة بمهملتين ابن موسى بن الضحاك السلمي أبو عيسى الترمذي الحافظ الضرير أحد الأعلام وصاحب الجامع والتفسير عن خلق مذكورين في تراجمهم من جامعه وغيره، وعنه محمد بن إسماعيل السمرقندي وحماد بن شكر وأبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي راوي الجامع والهيثم بن كليب وخلق من أهل سمرقند ونسف وتلك الديار، وقال ابن حبان كان ممن جمع وصنف، قال أبو العباس المستغفري مات سنة تسع وسبعين ومائتين، مرفوعًا (وصححه) موقوفًا (عن جندب) هو ابن عبدالله بن سفيان البجلي العلقمي أو العلقي له ثلاثة وأربعون حديثًا اتفقا على سبعة وانفرد مسلم بخمسة. روى عنه الحسن وابن سيرين وأبو مجلز، مات بعد الستين، قال رحمه الله تعالى: «باب ما جاء في حد الساحر» حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «حد الساحر ضربه بالسيف»[1] هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال وكيع هو ثقة ويروى عن الحسن أيضًا والصحيح عن جندب موقوفًا والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل من سحره ما يبلغ الكفر فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم ير عليه قتلاً. ويعني بقوله: ما يبلغ الكفر أي ما كان فيه اعتقاد التصرف لغير الله وصرف العبادة له كما يفعله عباد هياكل النجوم من أهل بابل وغيرهم والله أعلم. (وهكذا في أثر. أمر بقتلهم) يعني السحرة (روى عن عمر) بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي أبي حفص المدني أحد فقهاء الصحابة ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠) ح (١٤٦٠)، ك: الحدود، ب: ما جاء في حد الساحر، قال أبو عيسى هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وفي سنده إسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث والدارقطني (٣/ ١١٤) والحاكم (٤/ ٣٦٠) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وإن كان الشيخان تركا حديث إسماعيل بن مسلم فإنه غريب صحيح وله شاهد صحيح على شرطهما جميعًا في ضد هذا.

المشهود لهم بالجنة وأول من سمي أمير المؤمنين له خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثًا اتفقا على عشرة وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر، وعنه أبناؤه عبدالله وعاصم وعبيدالله وعلقمة بن أبي وقاص وغيرهم، شهد بدرًا والمشاهد والمواقف، وولي أمر الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنه وفتح في أيامه عدة أمصار، أسلم بعد أربعين رجلاً، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[(١)] ولما دفن قال ابن مسعود رضي الله عنه: ذهب اليوم بتسعة أشعار العلم[(٢)]. استشهد في آخر سنة ثلاث وعشرين ودفن في أول سنة أربع وعشرين في الحجرة النبوية وهو ابن ثلاث وستين وصلى عليه صهيب، ومناقبه جمة قد أفردت في مجلدات. وهذا الأثر المشار إليه في الباب هو ما رواه الإمامان الجليلان أحمد بن حنبل الشيباني ومحمد بن إدريس الشافعي رحمهما الله تعالى قالا: أخبرنا سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع بجالة بن عبدة يقول كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال فقتلنا ثلاث سواحر[(٣)].

(وصح) نقلاً (عن حفصة) بنت عمر بن الخطاب العدوية أم المؤمنين رضي الله عنهما **(عند مالك)** بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي أبي عبدالله المدني أحد الأعلام في الإسلام وإمام دار الهجرة، ولد سنة ثلاث وتسعين وحمل به ثلاث سنين، وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى ورضي عنه **(ما)** أي الذي **(فيه أقوى)** دليل **(مرشد للسالك)** وهو ما رواه في موطإه في «باب ما جاء في الغيلة والسحر من كتاب العقول: عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت، قال مالك: الساحر الذي يعمل السحر، ولم يعمل ذلك له غيره، هو مثل الذي قال الله تعالى في كتابه: ﴿**ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق**﴾ فأرى أن يقتل

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٦١٧) ك: المناقب، ب: في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ح (٣٦٨١) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأحمد (٢/ ٥٣) وصحح إسناده الشيخ شاكر في «تحقيق المسند».

(٢) رواه الطبراني ح (٨٨٠٩) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٦٩): رجال هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

(٣) الفتح (٦/ ٣٠١) ك: الجزية والموادعة ب: الجزية والموادعة، من أهل الذمة والحرب، وأحمد (١/ ١٩٠) وصحح إسناده الشيخ شاكر.

ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه»[١] ا.هـ. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وقد روي من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله، يحيي الموتى! ورآه رجل من صالح المهاجرين فلما كان الغد جاء مشتملاً على سيفه وذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر وقال: إن كان صادقًا فليحي نفسه، وتلا قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه والله أعلم[٢]. وقال الإمام أبو بكر الخلال: أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي أخبرنا يحيى بن سعيد حدثني أبو إسحاق عن حارثة قال: كان عند بعض الأمراء رجل يلعب فجاء جندب مشتملاً على سيفه فقتله، قال أراه كان ساحرًا. وحمل الشافعي رحمه الله تعالى قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركًا. والله أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: فصل. وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد ابن هبيرة رحمه الله تعالى فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك، ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعلمه ليتقيه أو ليتجنبه فلا يكفر، ومن تعلمه معتقدًا جوازه أو أنه ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر. قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك وأحمد: نعم، وقال الشافعي وأبو حنيفة، لا، فأما إن قُتل بسحره إنسان فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين، وإذًا فإنه يقتل حدًا عندهم، إلا الشافعي فإنه قال يقتل والحالة هذه قصاصًا. قال وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنه: لا تقبل. وقال الشافعي وأحمد في الرواية: تقبل، وأما

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٨٧١) ك: العقول، ب: ما جاء في الغيلة والسحر والسند منقطع لأن محمد بن عبدالرحمن لم يدرك حفصة ﷺ. ورواه الطبراني (٣٠٣) من حديث ابن عمر، وفي سنده إسماعيل بن عياش ضعيف عند المدنيين وبقية رجاله ثقات، وقد تابعه أبو معاوية عند البيهقي (٨/ ١٣٦).

(٢) رواه البيهقي (٨/ ١٣٦) عن أبي الأسود، والحاكم (٤/ ٣٦١)، وصحح إسناده الألباني في «الضعيفة» (٢/ ٦٤٢).

ساحر أهل الكتاب فعنـد أبي حنيفة إنه يقتل كما يقتل الساحـر إذا كان مسلمًا، وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يقتل يعفى لقـصة لبيد بن الأعصم. واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند أبي حنيفة إنها لا تقتل ولكن تحبس، وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل والله أعلم. وقال أبو بكر الخلال أخبرنا أبو بكر المروزي قال قرأ على أبي عبدالله يعني أحمد بن حنبل: عـمر بن هارون أخبرنا يونس عن الزهري قال يقـتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها. وقد نقل القرطبـي عن مالك رحمـه الله تعالى أنه قال في الذمـي: يقتل إن قتل سـحره. وحكى ابن خـويز منداد عـن مالـك روايتين في الذمي إذا سـحـر أحـدًا. الأولى أنه يستـتاب فإن أسلم وإلا قـتل. والثانية أنه يقـتل وإن أسلم. وأما الساحـر المسلم فإن تضمن سحره كفرًا كفـر عند الأئمة الأربعة وغيرهم لقوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ لكن قال مالك: إذا ظهر عليه لم تقبل توبته لأنه كالزنديق، فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تائبًا قبلناه، فإن قَتل بسحره قُتل، قال الشافعي: فإن قال لم أتعمد القتل فهو مخطىء عليه الديـة.

هذا ومن أنواعـه وشعبـه   علم النجوم فادر هذا وانتبه

هذا هو البحث الرابع وهو (بيان أنواعه):

فمنها علم التنجيم وهو أنواع: أعظمها ما يفعله عبدة النجوم ويعتقدونه في السبعة السيارة وغـيرها، فقد بنوا بيوتًا لأجلها وصـوروا فيها تماثيل سمّوها بأسـماء النجوم، وجعلوا لهـا مناسك وشرائع يعبدونهـا بكيفيـاتها، ويلبسون لهـا لباسًا خاصًـا وحلية خاصـة، وينحرون لهـا من الأنعام أجناسًـا خاصة، لـكل نجم منها جنس زعـموا أنه يناسبه، وكل نجـم جعلوا لعبادته أوقاتًا مـخصوصةً كـأوقات الصلوات عند المسلمين. واعتقدوا تصرفها في الكون. وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم ببابل وغيرها. وإياهم خاطب فيما حكى الله عنـهم متحديًا لهم مبينًا سخافة عـقولهم وضلال قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا

رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٥ ـ ٧٨] إلى آخر الآيات.

ومنها ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد ويجعل لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعًا معروفًا عنده. ويطرح منه طرحًا خاصًا، ويثبت إثباتًا خاصًا، وينسبه إلى الأبراج الاثني عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان، وكثير منهم يغير الاسم لأجل ذلك ويفرق بين المرء وزوجه بذلك، ويعتقد أنهم إن جمعهم بيت لا يعيش أحدهم. وقد يتحكم بذلك في الغيب فيدَّعي أن هذا يولد له وهذا لا، وهذا الذكر وهذا الأنثى، وهذا يكون غنيًا وهذا يكون فقيرًا، وهذا يكون شريفًا وهذا وضيعًا، وهذا محببًا وهذا مبغضًا. كأنه هو الكاتب ذلك للجنين في بطن أمه، لا والله لا يدريه الملك الذي يكتب ذلك حتى يسأل ربه أذكر أم أنثى شقي أم سعيد ما الرزق وما الأجل، فيقول له فيكتب. وهذا الكاذب المفتري يدّعي علم ما استأثر الله بعلمه، ويدَّعي أنه يدركه بصناعة اخترقها. وأكاذيب اختلقها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية. ومن صدقه به واعتقده فيه كفر والعياذ بالله.

ومنها النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها معتقدين أن لكل نجم منها تأثيرات في كل حركاته منفردًا، وله تأثيرات أخر عند اقترانه بغيره في غلاء الأسعار ورخصها وهبوب الرياح وسكونها ووقوع الكوائن والحوادث. وقد ينسبون ذلك إليها مطلقًا. ومن هذا القسم الاستسقاء بالأنواء وسيأتي الحديث فيه عند ذكره في المتن إن شاء الله وبه الثقة.

ومنها النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر بكل منها ومفارقته، وأن تلك سعودًا أو نحوسًا وتأليفًا وتفريقًا وغير ذلك، وكل هذه الأنواع اعتقاد صدقها محادَّة لله ورسوله. وتكذيب بشرعه وتنزيله، واتباع لزخارف الشيطان ما أنزل الله بذلك من سلطان، والنجم مخلوق من المخلوقات مربوب مسخر مدبر كائن بعد أن لم يكن، مسبوق بالعدم المحض متعقب به ليس له تأثير في حركة الكون ولا سكون لا في نفسه ولا في غيره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ ـ ٤٠] وقال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦١، ٦٢] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧] وقال تعالى: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] وقال سبحانه: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۞ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۞ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۞ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۞ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦ ـ ١٠] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [يونس: ٥] وغير ذلك من الآيات. وقال تعالى في ذهابها وفنائها وعودها إلى العدم كما أوجدت بعد العدم: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١، ٢] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] وقال سبحانه: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨، ٩] وروى ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى عن قتادة الإمام في التفسير وغيره قال رحمه الله تعالى: إنما جعل الله سبحانه هذه النجوم لثلاث خصال، جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجومًا للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به، وإنَّ ناسًا جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم، وما علي هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه: ﴿لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥] وهذا كلام جليل متين صحيح، وأصله في

صحيح البخاري تعليقًا[١]. وقال أبو داود رحمه الله تعالى في كتاب الطب من سننه: «باب في النجوم» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومسدد المعنى، قالا حدثنا يحيى عن عبيد الله بن الأخنس عن الوليد بن عبدالله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[٢] وذكر حديث النوء. وروى عبد بن حميد عن رجاء بن حيْوة أن النبي ﷺ قال: «إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة». وروى ابن عساكر وحسنه عن أبي محجن مرفوعًا: «أخاف على أمتي ثلاثًا: حيف الأئمة، وإيمانًا بالنجوم، وتكذيبًا بالقدر»[٣]. وروى أبو يعلى وابن عدي عن أنس ﷺ مرفوعًا: «أخاف على أمتي بعدي خصلتين: تكذيبًا بالقدر، وإيمانًا بالنجوم»[٤] وروى الطبراني عن ابن عباس ﷺ مرفوعًا: «رب معلم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة» ورواه حميد بن زنجويه عنه بلفظ: «رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق»[٥].

ومن أنواع السحر زجر الطير والخط بالأرض، قال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا عوف حدثنا حيان ـ قال غير مسدد: حيان بن العلاء ـ حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت» ورواه أحمد في مسنده[٦]. والجبت هو السحر قاله عمر ﷺ وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم. وعن ابن عباس وغيره أيضًا الجبت

---

(١) البخاري (٦/٣٤١) ك: بدء الخلق، ب: في النجوم.

(٢) أبو داود (٤/١٥) ح (٣٩٠٥)، وأحمد (١/٣١١) ح (٢٨٤١) مع اختلاف في اللفظ، وقال الشيخ شاكر في «تحقيق المسند» إسناده صحيح.

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/٣٩)، وابن عساكر في تاريخه (١٦/٣٠٨) وفي سنده على بن يزيد الصدائي قال عنه الحافظ لين وأبو سعد البقال اسمه سعيد بن المرزبان وهو ضعيف مدلس، والحديث له شواهد أخرى صحيحة.

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده (٧/١٦٢) بلفظ «أخاف على أمتي خمسًا تكذيب بالقدر، وتصديق بالنجوم» وفي سنده يزيد الرقاشي ضعيف، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح (٢١٥).

(٥) الطبراني في المعجم الكبير (١١/٤١)، والهيثمي في المجمع (٥/١١٧) وفي سنده خالد بن يزيد العمري كذاب، وقال الألباني في الضعيفة موضوع ح (٤١٧).

(٦) أخرجه أبو داود (٤/١٦) ح (٣٩٠٧) ك: الطب، ب: في الخط وزجر الطير، وأحمد (٣/٤٧٧)، وابن حبان (٧/٦٤٦) ح (٦٠٩٨).

الشيطان، ولا ينافي الأول لأن السحر من عمل الشيطان، وعنه أيضًا الجبت الشرك، وعنه الجبت الأصنام، وعنه الجبت حيي بن أخطب، وعن الشعبي الجبت كاهن. وعن مجاهد الجبت كعب بن الأشرف، ولا منافاة أيضًا فإن السحر من الشرك الذي يشمله عبادة غير الله، وحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ممن خاصم رسول الله ﷺ بالسحر، والكاهن عامل بالسحر، وقال في القاموس: الجبت بالكسر الصنم والكاهن والساحر والسحر والذي لا خير فيه وكل ما عبد من دون الله عز وجل.

ومن أنواعه العقد والنفث فيه قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] وقد تقدم حديث عائشة في قصة لبيد بن الأعصم، وقد ثبت في حديث نزول المعوذتين ورقية جبريل النبي ﷺ بهما أنه كان كلما قرأ آية انحلت عقدة(١). وقال النسائي رحمه الله تعالى في كتاب تحريم الدم من سننه: «الحكم في السحرة» أخبرنا عمرو بن علي قال حدثنا أبو داود قال حدثنا عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه»(٢) وقد أطلق السحر على ما فيه التخييل في قلب الأعيان وإن لم يكن السحر الحقيقي، كما في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله قال: «إن من البيان لسحرًا»(٣) يعني لتضمنه التخييل فيخيل الباطل في صورة الحق، وإنما عني به البيان في المفاخرة والخصومات بالباطل ونحوها كما يدل عليه أصل القصة في التميميين اللذين تفاخرا عنده بأحسابهما وطعن أحدهما في حسب الآخر ونسبه، وكذلك قال ﷺ: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحكم له على نحو ما أسمع، فمن حكمت له من حق أخيه بشيء فإنما هو قطعة من النار»(٤) أو كما قال: وهو في الصحيح، وأما البيان بالحق لنصرة الحق فهو فريضة على كل مسلم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وهو من الجهاد في سبيل الله عز وجل. وقد سمى ﷺ ما يعمل عمل السحر سحرًا وإن لم يكن سحرًا كقوله ﷺ: «ألا أنبئكم ما العضة، هي النميمة، القالة بين الناس» رواه

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه النسائي (٧/ ١١٢) ك: السحر، ب: الحكم في السحرة، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٣٧٨) هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه.

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ١٠٩) ك: النكاح، ب: الخطبة، ومسلم ح (٨٦٩).

(٤) البخاري (١٣/ ١٦٨) ك: الأحكام، ب: موعظة الإمام للخصوم، ومسلم ح (١٧١٣).

مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه(1). والعضة في لغة قريش السحر، ويقولون للساحر عاضه، فسمى النميمة سحراً لأنها تعمل عمل السحر في التفرقة بين المرء وزوجه وغيرها من المتحابين بل هي أعظم في الوشاية لأنها تثير العداوة بين الأخوين. وتسعر الحرب بين المتسالمين كما هو معروف مشاهد لا ينكر. وقد جاء الوعيد للقتات في الآيات والأحاديث كثيراً جداً. ومع هذا فالخداع للكفار للفتك بهم وإظهار المسلمين عليهم وكسر شوكتهم وتفريق كلمتهم من أعظم الجهاد وأنفعه وأشده نكاية فيهم كما فعله نعيم بن مسعود الغطفاني رضي الله عنه في تفريق كلمة الأحزاب بإذن رسول الله ﷺ حتى فرّق بين قريش وبين يهود بني قريظة ونقض الله بذلك ما أبرموه ولله الحمد والمنة.

حرمة حل السحر بالسحر

وحلـه بالوحي نصًّا يشرع ... أما بسحر مثلـه فيمـنع

(وحله) يعني حل السحر عن المسحور (بـ) الرقى والتعاويذ والأدعية من (الوحي) الكتاب والسنة (نصًّا) أي بالنص (يشرع) كما رقى جبريل النبي ﷺ بالمعوذتين، وكما يشمل ذلك أحاديث الرقى المتقدمة في بابها التي أمر بها الشارع ﷺ وندب إليها، ومن أعظمها فاتحة الكتاب وآية الكرسي والمعوذتان وآخر سورة الحشر فإن ضم إلى ذلك الآيات التي فيها التعوذ من الشياطين مطلقًا والآيات التي يتضمن لفظها إبطال السحر كقوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٨، ١١٩] وقوله عز وجل: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩] ونحوها كان ذلك حسنًا، ومثل ذلك الأدعية والتعاويذ المأثورة عن النبي ﷺ الواردة في الأحاديث الصحيحة كما تقدم كثير منها في باب الرقي، وكحديث: «ربنا الله الذي في السماء، تبارك اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ» رواه أبو داود(2)، وكحديث عثمان بن أبي العاص أنه قال: أتاني

(1) مسلم (٤/ ٢٠١٢) ك: البر والصلة، ب: تحريم النميمة.

(2) تقدم.

رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله ﷺ: «امسح بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعـزة الله وقدرته وسلطانه من شر ما أجد» قال فـفعلت فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم(١)، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وكتب السنة من الأمهات وغيـرها مشحونات بالأدعية والتعوذات الكافـية الشافية بإذن الله عز وجل، فمن ابتغى ذلك وجده، والله الموفق.

(أما) حل السحر عن المسحور (بسحر مثله فيحرم) فإنه معاونة للساحر وإقرار له على عمله، وتقرب إلى الشـيطان بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحـور، ولهذا قال الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر(٢). ولما قيل للنبي ﷺ: لو تنشرت، فقال: «أما أنا فقد شفاني الله وعافاني، وخشيت أن أثير على الناس شرًّا»(٣) وقال أبو داود في كتاب الطب من سننه: «باب في النشرة» حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبدالرزاق حدثنا عقيل ابن معقل قال: «سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر بن عبدالرزاق حدثنا عقيل بن معقل قال: «سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقـال: «هو من عمل الشيطان»(٤). ولهذا ترى كثيـراً من السحرة الفجرة في الأزمان التي لا سيف فيها يردعهم يتـعمد سحر الناس ممن يحبه أو يبغضه ليضطره بذلك إلى سؤاله حله ليتوصل بذلك إلى أموال النـاس بالباطل فيستحوذ على أموالهم ودينهم نسأل الله تعالى العافية.

تصديق الكاهن كفر

ومن يصدق كاهنًا فقد كفـر ... بما أتى بـه الرسـول المعتبـر

(ومن يصدق كاهنًا) يعتقد بقلبه صدقه في مـا ادعاه من علم المغيبات التي استأثر الله تعالى بعلمها (فقد كفر) أي بلغ دركة الكفر بتصديقه الكاهن (بما أتى به الرسول) محـمد ﷺ عن الله عز وجل مـن الكتاب والسنة وبما أتى به غـيره ﷺ من الرسل عليهم السلام. ولنسق الكلام أولاً في تعريف الكاهن مـن هو ثم في بيان كذبه وكفره ثم في كفر من صدقه بما قال والله المستعان، فنقول:

(١) مسلم (١٧٢٨/٤) ك: السلام، ب: استحباب وضع يده على موضع الألم، والترمذي ح (٢٠٨٠) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) انظر تفصيل المسألة في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٣) تقدم وهو في صحيح البخاري وهو حديث عائشة ﷺ في سحر النبي ﷺ.

(٤) أخرجه أبو داود (٦/٤) ك: الطب، ب: النشرة، وأحمد (٢٩٤/٣).

الكاهن في الأصل هو من يأتيه الرئي من الشياطين المسترقة السمع تتنزل عليهم كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣] وهذه الآيات متـعلقة بما قبلها وهي قـوله عز وجل لما قال المشركون في رسـوله محمد ﷺ أنه كاهن وقالوا في القرآن كهانة وأنه مما يلقيه الشيطان، فنفى الله تعالى ذلك وبرأ رسوله وكتابه مما أفكوه وافتروه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥] إلى أن قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۞ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢] فأثبت تعـالى أن القرآن كلامـه وتنزيله، وأن جبريل عليـه السلام رسول منه مبـلغ كلامه إلى الرسول البـشري محمد ﷺ، وهو مبلغ له إلى الناس، ثم نفى مـا افتراه المشركون عليـه فقال: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ وقرر انتفـاء ذلك بثلاثة أمور: الأول بعد الشيـاطين وأعمالهم عن القرآن، وبعـده وبعد مقـاصده منهم، فقـال تعالى: ﴿وما ينبغي لهم﴾ لأن الشياطين مقـاصدها الفساد والـكفر والمعاصي والبغـي والعتوّ والتمـرد وغير ذلك من القـبائح، والقرآن آت بصلاح الدنيا والآخـرة، آمر بأصول الإيمان وشرائعه مقرر لها مـرغب فيها زاجر عن الكفر والمعاصي ذام لها متوعد عليـها آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر، ما من خير آجل ولا عاجل إلا وفيـه الدلالة عليه والدعوة إليه والبيان له، ومـا من شر عاجل ولا آجل إلا وفيه النهي عنه والتحذير منه، فأين هذا من مقـاصد الشياطين؟ الثاني عجزهم عنه فقال تعالى: ﴿وما يستطيعون﴾، أي لو انبغى لهم ما اسـتطاعوه، لأنه كلام رب العالمين ليس يشبه كلام شيء من المخلوقين، وليس في وسعهم الإتيان به ولا بسورة من مثله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. الثالث عزلهم عن السمع وطردهم عن مقاعده التي كانوا يقعدون من السماء قبل نزول القرآن فقال تعالى: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ فبين تعالى ـ مع كونه لا ينبغي لهم ـ أنه لو انبـغى ما استطاعوا الإتيان به أو بمثله لا من عند أنفسـهم ولا نقلاً عن غيرهـم من الملائكة، نفي عنهم الأول بعدم الاستطاعـة، والثاني بعـزلهم عن السـمـع وطردهم منه، قـال الله عـز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۞ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۞ إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦ ـ ١٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۞ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۞ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى

الْمَلأِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۞ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۞ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦ ـ ١٠] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥] وقال تعالى: عن مؤمني الجن ﷺ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۞ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۞ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ٨ ـ ١٠] وعن ابن عباس ﷺ قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء،وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو ﷺ بنخل عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢] فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] وهذا الحديث بطوله وطرقه في الصحيحين وغيرهما[(١)]، ثم قال تعالى في جواب الكفار مبينًا لهم أولياء الشياطين الذين تنزل عليهم فقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء: ٢٢١] الآيات. وفي صحيح البخاري قالت عائشة ﷺ: سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان، فقال: «إنهم ليسوا بشيء» قالوا يا رسول الله إنهم يحدثون بالشيء يكون حقًّا، فقال النبي ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاج، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة»[(٢)]. وله عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ ووصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها

---

(١) البخاري (٨/ ٥٣٧) ك: التفسير، ب: في تفسير سورة الجن، ومسلم ح (٤٤٩).

(٢) البخاري (١٠/ ٢٢٧) ك: الطب، ب: الكهانة ح (٥٧٦٢). ومسلم ح (٢٢٢٨).

على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أو ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء» ولمسلم عن ابن عباس نحوه(١)، وللبخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الملائكة تحدث في العنان - والعنان الغمام - بالأمر في الأرض، فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة»(٢). وقد بين الله تعالى كذب الكاهن بقوله: ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢] فسماه أفاكًا وذلك مبالغة في وصفه بالكذب. وسماه أثيمًا وذلك مبالغة في وصفه بالفجور. وقوله: ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ أي أكثر ما يقولونه الكذب فلا يفهم منه أن فيهم صادقًا، يفسره قول النبي ﷺ: «فيكذب معها مائة كذبة» فلا يكون صدقًا إلا الكلمة التي سمعت من السماء.

وأما كفر الكاهن فمن وجوه: منها كونه وليًا للشيطان فلم يوح إليه الشيطان إلا بعد أن تولاه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] والشيطان لا يتولى إلا الكفار ويتولونه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وهذا وجه ثان. والثالث قوله تعالى: ﴿يخرجونهم من النور﴾ أي نور الإيمان والهدى ﴿إلى الظلمات﴾ أي ظلمات الكفر والضلالة. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩] وهذا وجه رابع. والخامس تسميته طاغوتًا في قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] نزلت في المتحاكمين إلى كاهن جهينة. وقوله: ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ أي بالطاغوت. وهذا وجه سادس. والسابع أن من هداه الله للإيمان من الكهان كسواد بن قارب رضي الله عنه لم يأته رئيه بعد أن دخل في الإسلام، فدل أنه لم يتنزل عليه في الجاهلية إلا لكفره وتوليه إياه، حتى إنه رضي الله عنه كان يغضب إذا سئل عنه حتى قال له عمر رضي الله عنه: ما كنا فيه من عبادة الأوثان أعظم(٣). الثامن وهو أعظمها تشبهه بالله عز وجل في صفاته ومنازعته له تعالى في ربوبيته، فإن علم الغيب من صفات

---

(١) البخاري (٨/٣٩٨) ك: التفسير، ب: سورة سبأ، ومسلم ح (٢٢٢٩).

(٢) البخاري (٦/٣٨٩) ك: بدء الخلق، ب: صفة إبليس وجنوده.

(٣) رواه الطبراني (٧/٩٢) ح (٦٤٧٥) قال في المجمع (٨/ ٢٥٠) إسناده ضعيف، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣١، ٣٢).

الربوبية التي استأثر الله تعالى بها دون من سواه فلا سميّ له ولا مضاهي ولا مشارك ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ـ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ـ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ـ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ـ أم عنده علم الغيب فهو يرى﴾ ولسان حال الكاهن وقاله يقول نعم. التاسع أن دعواه تلك تتضمن التكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله. العاشر النصوص في كفر من سأله عن شيء فصدقه بما يقول فكيف به هو نفسه فيما ادعاه، فقد روى الأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»(١). وعن عمران بن حصين رضي الله عنه «ليس منّا من تطيّر أو تُطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له. ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»(٢). ولمسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»(٣) فهذا حكم من سأله مطلقًا، والأول حكم من سأله وصدقه بما قال.

ثم اعلم أن الكاهن وإن كان أصله ما ذكرنا فهو عام في كل من ادعى معرفة المغيبات ولو بغيره كالرّمال الذي يخط بالأرض أو غيرها، والمنجم الذي قدمنا ذكره أو الطارق بالحصى وغيرهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة كالدلالة على المسروق ومكان الضالة ونحوها أو المستقبلة كمجيء المطر أو رجوع الغائب أو هبوب الرياح ونحو ذلك مما استأثر الله عز وجل بعلمه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا من طريق الوحي كما قال تعالى: ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] ملائكة يحفظونه من مسترقي السمع وغيرهم ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] فمن ذا الذي يدّعي علم ما استأثر الله بعلمه عن رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢١) ح(٣٩٠٤)، والترمذي ح (١٣٥)، وأحمد (٢/ ٤٢٩) قال الشيخ شاكر في «تحقيق المسند»: إسناده صحيح.

(٢) رواه الطبراني في معجمه الكبير (١٨/ ١٦٢) ح (٣٥٥) قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٠٦، ١٠٧) فيه إسحاق ابن الربيع العطار وثقه أبو حاتم وضعفه عمرو بن علي وبقية رجاله ثقات.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٥١) ك: السلام، ب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

الآية، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [الأحقاف: ٢٣]، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] الآية، وقال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١١٨] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩] الآية، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢] الآيات ولم يعلم الرسول ﷺ مكان راحلته حتى أعلمه الله بذلك، وقال في سؤال الحبر إياه فأجابه ﷺ وصدقه الحبر ثم انصرف فذهب فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به» وهي في مسلم(١). وفيه قول عائشة ﵂ لمسروق رحمه الله تعالى: ومن زعم أن رسول الله يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾(٢). ولم يكن ﷺ يعلم شيئًا من الرسالة حتى أتاه الله عز وجل به كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. نسأل الله العظيم من فضله العظيم.

انتهى المجلد الأول

ويليه المجلد الثاني وأوله

الإسلام والإيمان والإحسان

---

(١) رواه مسلم (١/ ٢٥٢) ح (٣١٥) ك: الحيض، ب: صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما.

(٢) رواه مسلم (١/ ١٥٩) ح (١٧٧) ك: الإيمان، ب: معنى قول الله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾.

فهرس الجـزء الأول


Bibliotheca Alexandrina
06667495
